



تذكرة المقتفين

في مناقب أبي الوفا تاج العارفين

- پیر شہریار -

تأليف

شهاب الدين أبوالهدى أحمد بن عبد المنعم الواسطي
(كان حياً سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م)

تحقيق

الاستاذ الدكتور
زرار صديق توفيق
جامعة دهوك

الاستاذ الدكتور
عماد عبدالسلام رؤوف
جامعة صلاح الدين

أربيل ٢٠١٦

hawalname.com/ku/

تذكرة المُتفِين
فِي مناقب أَبِي الوفا تاج العارفين
- پير شَهریار -

hewalname.com/ku/

**تذكرة المقتفين
في مناقب أبي الوفا تاج العارفين
- بير شهریار -**

تأليف

شهاب الدين أبوالهدى أحمد بن عبد المنعم الواسطي
(كان حياً سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م)

تحقيق

الاستاذ الدكتور
زرار صديق توفيق
جامعة دهوك

الاستاذ الدكتور
عماد عبدالسلام رؤوف
جامعة صلاح الدين

اربييل ٢٠١٦

الأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي المؤلف،
وليس بالضرورة عن رأي الاكاديمية الكوردية.

hawalname.com/ku/



- * عنوان الكتاب: تذكرة المقتفين في مناقب ابي الوفا تاج العارفين- پير شهريار-
- * تأليف: شهاب الدين أبوالهدى أحمد بن عبد المنعم الشهير بالشريبيسي الواسطي.
- * المشرف الفني والغلاف: عثمان بيرداود.
- * تصميم: عصام محسن نادر.
- * من مطبوعات الاكاديمية الكردية، العدد (٣٠٦).
- * رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات في اربيل (٣٠٣) لسنة ٢٠١٦ .

-مقدمة التحقيق:

١- تاج العارفين أبو الوفاء :

لا تتوفر لدينا معلومات كافية يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها عن السيرة الذاتية لأبي الوفاء تاج العارفين، سواء فيما يتعلق باسمه أو اسم أبيه وتاريخ أسرته وقبيلته، فالمصادر التاريخية حسب علمنا تخلو من أي ذكر له أو تلميح إليه على الرغم من أنه استقر وعاش شطراً من حياته بقرية قوسان، وهي من توابع واسط التي لا تبعد كثيراً عن بغداد حاضرة الخلافة العباسية، أما الكتب المؤلفة في مناقبه ومناقب معاصره الشيخ عبدالقادر الكيلاني، فاقترنت على كونه رجلاً صاحب أحوال وكرامات ومقامات، وأحد أهم أعضاء الجماعة الصوفية التي ظهرت بالعراق خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، فأبرزت الجانب الصوفي من حياته^(١).

وكل ما يعرف عنه قبل انخراطه في سلك التصوف وخروجه من مسقط رأسه، هو إن اسمه محمد واسم والده محمد أيضاً، وأنه عرف عند الكرد بكاكيس، أي الأخ الأكبر، وأنه اشتهر بتاج العارفين، وأنه سمي باسم أبيه لأنه ولد - كما يروى - سنة ٤١٧ هـ/ ١٠٢٦ م عقب وفاة والده بأشهر في أرض تدعى مرغى، وبالكرديّة (مهركا) - وليست في قرية قوسان كما توهم المؤلف - وأمه هي بنت عمر بن شيركو بن أبي العماد النرجسي من زعماء القبيلة.

ولا تزال مرغا التي كانت خلال العهد الإسلامي تقع ضمن أعمال شهرزور، تحتفظ باسمها القديم وهي منطقة جبلية وعرة تتبع إدارياً قضاء دوكان بمحافظة السليمانية - شهرزور القديمة - وتقع بين مدن دوكان ورانية وقلعة دزة، ويفصلها نهر الزاب الأسفل عن مدينة رانية ومنطقة بتوين، وتعرف كل المنطقة الكائنة بالجانب

(١) الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ١٤٣ - ١٤٤، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، حوادث سنوات ٦٩٧ - ٧١١ هـ، ٩٦٦ - ٩٦٩، التادفي، فلأند الجواهر، ص ٨٠ - ٨١، الشعراي، الطبقات الكبرى، ١/١٣٥.

الأيسر لنهر الزاب المقابل لمدينة رانية ب (بهري مهرگا) أي جهة مرغا، وكانت بلدة مرگا مركزًا لقضاء بشدر قبل أن يحول إلى مدينة قلعة دزة^(١).

وفي التاريخ الشفاهي الكردي المتواتر إنه ولد في قرية تدعى بوشين Posheen بشهرزور، وفسر اسم قوسان أو فوسان^(٢) وفق هذا التاريخ بأنها هي بوسان - بوشان إلى أن صارت (بوشين) وهي قرية لاتزال عامرة. كما يشير إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٢٩٩هـ/١٩٢٠) سليل الأسرة البابانية الحاكمة بشهرزور أبان العهد العثماني، إلى أن أبا الوفاء مُحَمَّد المعروف بالعرضي بن السيد مُحَمَّد بن السيد زيد - وهو والد تاج العارفين - كَانَ ادبياً لبيبا صوفياً، وأنه توفى سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦ م بقوسان، غير أن قوسان عنده لا تقع ضمن أعمال واسط، وإنما واقعة بالبرزجة - وهي أيضاً بشهرزور - من بلاد الأكراد^(٣).

وتتنتمي أسرته إلى قبيلة كردية تدعى نرجسي أو النرجسية وبالكردية نركسي - بالكاف الفارسي - وهي قبيلة لا يعرف تاريخها المبكر لعدة أسباب، منها إقامة أفرادها بالمناطق الجبلية النائية، إلا أنها بعد أن هاجرت أسروجماعات منها إلى نواحي واسط واستقرت بقراها وضياعها صارت معروفة، واتصل رجال النرجسية على غرار غيرهم من الأكراد بأمراء بني مزيد العرب، وجرت بينهم علاقات صداقة ومصاهرات، وبعد بناء حلة بني مزيد - مدينة الحلة - أواخر القرن الخامس للهجرة استوطنتها قبائل الجاوان والنرجسية والبشيرية، ويقول العماد الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): "البشيرية والنرجسية بطنان من الأكراد بحلة بني مزيد"، وخدم أمراؤها في صفوف الجيش المزيدي، وبعد مقتل الأمير سيف الدولة صدقة المزيدي سنة ١١٠٧هـ/١١٠٧م، أقطع أمراء النرجسية والبشيرية وغيرهم بلاده وحصلوا على الاقطاعات من السلاجقة أكثر مما يستحقونها، ويقول الشاعر الصارم مرجى بن بتاه البطائحي في قصيدة بهذه المناسبة:

(١) وربما يقصد المؤلف بمرغى، المريج وهناك أكثر من موضع بكرديستان يعرف بالمريج، كالمريج الممتد من الموصل إلى عقرة ومريج بادرايا - بدرة ومريج القلعة والمريج الكائن بجبال حلوان الذي ذكره السمعاني، الأنساب، ٦٩٣/٥.

(٢) جاء اسم القرية في قلائد الجواهر للتادفي، ص ٨١ : فوسان بالفاء.

(٣) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (استانبول: ١٩٥١) ٦٣/٢.

وعشرون ألفاً أقطعت (نرجسية) كثيرٌ لها ألف ولو أنها بَعُرُ
ولولا سُفاهُ الرأي كانَ عليهم من العَنَمِ الأعشارِ والصوفِ والشِعْرِ^(١) .
ويمكن الربط بين النرجسية وهي القبيلة التي ينتمي إليها تاج العارفين أبو
الوفا وبين قرية (نيركسه جار) المتأخمة لبوشين، وهي أيضاً قرية لا تزال عامرة
بشهرزور^(٢)، واسمها يعني حرفياً المكان الطبيعي الذي تنبت فيه وردة النرجس،
ولاشك إن ذلك دليل آخر من بين الدلائل التي تؤكد مدى حب وتعلق كرد شهرزور
بشيخهم تاج العارفين وإلى انتمائه اليهم.

قضى أبو الوفا محمد طفولته وشبابه في مرغا في بيئة كردية خالصة، فكان
"يغلب على لسانه العُجْمَةُ لكونه نشأً بين قوم والدته أكراد بني نرجس يتيماً،
وغلبت عليه العُجْمَةُ لعشرتهم" (و ٤٥ب).

وانضم إلى عصابات قطاع الطرق التي كانت تنشط آنذاك في المناطق الكردية،
قبل أن يتخلى عنهم ويتوب على يد شيخه أبي محمد الشنبيكي تلميذ أبو بكر
الهوراري، ومن ثم الانخراط في عالم الزهد و التصوف، ويخلفه على رأس الطريقة
الصوفية الهوارية - الشنبيكية، ثم هاجر من موطنه ودخل بغداد إلى أن أستقر به
المقام بقرية قوسان^(٣) كما هو مثبت بالكتاب.

وبعد مضي أكثر من قرن على وفاته، لفق له أتباعه وأحفاد أخيه سالم (?)
سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١م (و ١٥ب) شجرة نسب توصل به إلى آل البيت ومن نسل أحد
أولاد زين العابدين علي بن الحسين، فبعد - حسب الرواية - "أن أتاه جده
المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في المنام، وتفل في فيّه، قال "أمسيّتُ عجمياً
وأصبحت عربياً" وأمره بالمواعظ والتذكر"، "فأصبح كأفصح من يكون من العرب
" (و ١٣أ)، (و ٤٥ب). ويعلق العلامة الدكتور مصطفى جواد حول النسب العلوي لأبي
الوفاء: "وأنا أظن ان نسب الشيخ أبي الوفاء انتحل بعد وفاته، وبعد زوال الدولة
العباسية أزمان تضاءلت الرقابة على الأنساب الشريفة، وأستبق صائدو الدنيا إلى

(١) العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ٤/٢/٤٠٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) عبدالكريم مدرس، بنه ماله ي زانياران (أسر العلماء)، ص ١٧٧.

(٣) كورة كبيرة ونهر، عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط، ونهره الذي يسقي زروعه يقال له الزاب
الأعلى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤ / ٤١٣.

ربط أنساب العباد الزهاد بالنسب العلوي، كما استبقوا في اختراع المناقب والكرامات"^(١).

ومن المعلوم إنه منذ القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، باتت دعوة الانتماء إلى البيت النبوي بين كبار رجال التصوف أمراً شائعاً ومألوفاً، بل صار من مستلزمات نجاح الطرق الصوفية"^(٢).

كان أبو الوفاء بحق من عظماء رجال التصوف قدوة في الزهد والورع والتقوى، ليس على أساس الاعمال الخارقة والمقولات الزائفة المنسوبة إليه زوراً والمسطرة في هذا الكتاب، بل بشهادة مشاهير رجال عصره، فالشيخ عبد القادر الكيلاني أثنى عليه بقوله " ليس على باب الحق رجل كردي مثل الشيخ أبي الوفاء"^(٣) وعبد الكريم الرافعي (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) يصفه بالشيخ الأكبر"^(٤)، ويقول الشاعر الإيراني الكبير ابوالمجد مجدود بن آدم المعروف بحكيم سنائي المتوفى فيما بين سنتي ٥٢٦هـ/١١٣١م و ٥٤٥هـ/١١٥٠م عن أبي الوفاء:

قرنها بايد كه تا از مشتم آدم نطفه بوالوفای كرد كردد يا شود ويس قرن ويعني بالعربية:

ويلزم قرون عديدة قبلما تصبح نطفة من ظهر آدمي
(أبا الوفاء الكردي) أو (أويس القرني)^(٥).

ويُعرف بن عنبه (ت ٨٢٨ هـ/١٤٢٥م) في كتابه (الفصول الفخرية في أصول البرية) الكرد للقراء عن طريق ذكر مشاهير رجالهم من الملوك والمشايخ الصوفية ومنهم أبو الوفاء"^(٦).

(١) جاوان القبيلة الكردية المنسية، ص ٢٤.

(٢) كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، منشورات الجمل (بيروت: ٢٠١١)، ٨٥/١ - ٨٦.

(٣) الشطنونفي، بهجة الاسرار، ص ١٤٣ - ١٤٤، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، حوادث سنوات (٦٩٧ - ٥٧١)، ٩٦٦ - ٩٦٩، التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٠ - ٨١، الشعراي، الطبقات الكبرى، ١٣٥/١.

(٤) حيدر لشكري، من الشريعة إلى الحقيقة (باللغة الكردية) (أربيل: ٢٠١٢)، ص ٢٦٤.

(٥) أدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، ص ٤٠٢ - ٤٠٤.

(٦) نقلا عن: أنس محمد شريف الدوسكي، أتباع الشيخ عدي بن مسافر الهكاري من العدوية إلى اليزيدية

(دهوك: ٢٠٠٦)، ص ٤٨.

وبقيت ذكرى أبو الوفا خالدة بين الأكراد حتى اليوم، فهو كما كان يعرف في حياته بينهم بكاكيس أي الأخ الأكبر، صار يعرف منذ مماته وإلى الآن بشهريار أو بير شهريار- وبير Peer تعني بالكردية والفارسية الشيخ، المرشد الديني، الزعيم الروحي، وشهريار أي الملك الأعظم بين أقرانه، كبير المدينة، عظيم القوم. ويحيى ذكرى بيرشهريار - أبا الوفا على المستوى الشعبي سنويا في احتفال جماهيري صاحب كبير من قبل اهالي منطقة هورامان تحت التابعة لقضاء سروآباد محافظة كردستان الايرانية - مركزها مدينة سنندج - ويحضره سكان المناطق المجاورة، وذلك حين يحل منتصف فصل الشتاء بالتقويم المحلي الكردي أي التقويم النوروزي ويصادف اليوم الخامس من شهر شباط، ويستمر الاحتفال لمدة أسبوعين، في قرية تدعى دهكاو هورامان Degau Hewraman أي قرية هورامان.

ومن الغريب أن أحداً لا من المحتفلين ولاغيرهم من الأكراد لم يخطر بباله أن زعيمهم الروحي المبجل بير شهريار هو نفسه المعروف في المصادر التاريخية بأبي الوفا تاج العارفين، فكل القرائن التاريخية والشواهد الأثرية تدل بقوة على انهما شخصية واحدة، فبيرشهريار لقب معناه قريب من (الشيخ الأكبر) وهو وصف الشيخ عبد الكريم الرافعي لابي الوفا، كما ان شهاب الدين الواسطي مؤلف الكتاب يقول ان أبا الوفا " يعرف بين الأكراد بكاكيس ومعناها بالكردية ابوالرجال"، وفي الحقيقة فإن معنى شهريار قريب من (أبوالرجال) لا كاكيس، وكل ما يعرف عن بيرشهريار هو :

-إن اسمه محمد بن محمد و هو من الاسرة العريضية من السادة الحسينيين وكان حيا إلى أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي ومعاصرا للشيخ عبدالقادر الكيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ/١٠٧٧- ١١٦٥م) وأنه رأى الرسول (ص) في المنام ليلا، فتاب واسلم في الصباح وسمى نفسه مصطفى، ومدحه وأثنى عليه الشيخ عبدالقادر الكيلاني بقوله (أخي مصطفى انسان كامل)^(١)، وهذا الوصف ينطبق على أبي الوفا انطباقاً يكون تاماً، كما وفق في هداية قومه إلى الاسلام، وأجرى تغيرات جوهرية في اعتقاداتهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية، ويروي الواسطي

(١)أبو الوفا هو الوحيد الذي اثنى عليه الكيلاني وأشار إلى كرديته، بقوله: " ليس على باب الحق رجل كردي مثل الشيخ أبي الوفاء".

في (و ١٢٦) وما يشبه ذلك، ويبين في موضع آخر أن الأكراد حين ظهر بينهم أبو الوفا كان قد شاع بينهم "قلة الصلاة ومنع الزكاة، وإهمالهم لكثير من اللوازم الشرعية" وأما قبيلته بنو نرجس، فكانوا "مشغولين بدنياهم عن دينهم، فكان يمضي على بعضهم سنين لا يصلي فيها" (١٢٤).

- يروي الواسطي أن الأكراد ظلوا حتى عهده يستنجدون بأبي الوفا، ويتوسلون به في مهماتهم، فيقضي الله به حاجتهم فيقول "ثم من حين وضع السيد تاج العارفين - قدس الله سره - لم يذكر الله عز وجل قط عنده إلا ويهتز كالمتواجد ويتحرك لسانه، ثم نمت زروع الأكراد ومواشيهم، وبورك لهم في مواشيهم، وكانوا يتوسلون به في مهماتهم فيقضي الله حاجتهم، واشتهر ذلك فيهم إلى يومنا هذا" (و ١٧).

- أما الشواهد الأثرية فهي:

- نصف القرية الذي أهدها الشيخ علي العجمي إلى أبي الوفا مقابل قبوله الزواج من بنته (و ١١٠- ب) فما زال جزء من بساتين القرية التي تحيي بها مراسم احتفال الزواج موقوف للبير ويعرف ببأخي بير أي حديقة أو مزرعة بير، حيث يقوم أفراد من قبيلة كزيراو- نركسي(?) بقطف ثمار الجوز منه وخزنه ويوزعونها بالتساوي بين أهالي القرية في يوم الجمعة التي تسبق بدء الإحتفالات التي تبدأ عادة في يوم الأربعاء إيدانا وبشرى بحلول موعد الإحتفال^(١).

- الجسر الذي انهدم وأصلحه أبو الوفا للکرد وشبه مرورهم عليها بالمرور على جسر الصراط بقوله "إن فيهم من يمر على الصراط كما يمر على هذا الجسر، وليس من رأيت منهم من شقي، فاعتبرت أمرهم بعد تفقد طويل، فكنت أرى من احوالهم ويبلغني عنهم ما يحسداهم العاقل على مثله، على أن ينفع ذلك الجسر عام الاكراد وغيرهم" (١٢٤)، لا يزال الجسر قائماً ويُشبهه بجسر الصراط أيضاً^(٢).

(١) رؤوف محمود بوور، جه زنيك بو بير بنه مايه ك بو ئه ستووره ي كوردي (عيداً للبير اساساً للاسطورة الكردية) (أربيل: ٢٠٠٩)، ص ٤٦.

(٢) علاء الدين سجادي، تاريخ الأدب الكردي (باللغة الكردية) مطبعة بهرام (سنندج: ١٣٩١ هـ.ش)، ص ١٦٤، عبدالكريم مدرس، بنه ماله ي زانياران (أسر العلماء)، ص ١٧٧، جمكيكي ميژووي هه ورامان و مهريوان (نبذة من تاريخ هورامان ومريوان)، چاپخانه ي سلمان الأعظمي (بغداد):

ولخص الشاعر الملا محمد المحوي (١٨٢٧-١٩٠٦م) مدى الأثر الذي خلفه أبو الوفا في الكرد في بيتين :

كوردی زوبانی ئه صلّمه گهر ته رکى کهم به کول
بو فارسی، به کوللی ئه من ده بيمه بی و وفا
دووری مه بينه تو له که ریمی به ها نه جو
هه رچی که کورده پاکی ببه خشی به (بو الوفا) ^(١).

ومعناهما:

"إن الكردية هي لغتي الأم - الأصلية، اذا تخلّيت عنها كلياً لصالح الفارسية، سأصبح عديم الوفاء تماماً .
لا تستبعد أن يغفر الله الكريم ذنوب عموم الأكراد - لكتابتهم أشعارهم بلغتهم - نزولاً لخاطر أبي الوفا".

٢- مؤلف الكتاب :

مؤلف هذا الكتاب هو شهاب الدين أبو الهدى أحمد بن عبد المنعم الشهير بالشربيسي^٢ الواسطي، مؤرخ صوفي المشرب، من أهل واسط، المدينة التي اشتهرت بكثرة من خرجته من العلماء والصوفية، نشأ في أسرة صوفية بارزة، فجدّه لأمه هو الشيخ عبد الصمد الواسطي وكان من أتباع الصوفي الكبير تاج الدين أبي الوفا، وصفه في كتابه هذا بأنه سيد كبير "من صدور المشايخ"، وأن "له مناقب جليّة" أما جدّه لأبيه فهو الشيخ عبد الهادي، أخو الشيخ عبد الصمد المذكور، " فأبوه

(١٩٧٠)، وهذا الكتاب هو ترجمة ما يتعلق بكرديستان من كتاب (نور الأنوار در ذراري سيد الأبرار)

الذي ألفه سيد عبد الصمد توداري بالفارسية سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م.

(١) ديوانى متهوى، ليكدانه وه و ليكؤلينه وهى (شرح وتحقيق) مه لا عبدالكريمى مدرس، انتشارات كردستان (سنندج: ١٣٨١ هـ.ش/٢٠٠٢م)، ل١١. ومن المؤسف أن المرحوم العلامة عبدالكريم المدرس على سعة اطلاعه، لم يوافق الحظ و ذهب إلى القول أن الشاعر يقصد من (بو الوفا)، رسول الله (ص) أو أبو الوفا بن شيخه وأحد ممدوحيه الشيخ سراج الدين التويله يي.

٢ - ترجم اسماعيل باشا البغدادي للمؤلف ترجمة مقتضبة، جاء فيها اسمه ولقبه كالآتي: أحمد بن عبد المنعم الواسطي شهاب الدين أبو الهدى المعروف بالسهريسي (هدية العارفين، ١/١١٤)، وورد لقبه في (إيضاح المكنون، ١/٢٧٧) بشكل (السهريسي) وكلاهما فيما يبدو محرف، وما أثبتناه واضح وموجود مرتين، الأولى في طرة الكتاب، والأخرى في خطته.

وأمه أولاد عم، من أسرة واحدة، تضرب بجذورها في مدينة واسط إلى ما قبل حياته بنحو ثلاثة قرون، ويجمع بينهما نسب واحد.

عاش شهاب الدين، كأبائه، في مدينة واسط، أو في بعض قرأها، ولا نعلم تاريخ ولادته، ولكن من الراجح أنه ولد في أوائل القرن الثامن للهجرة، فإنه كان حيا سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م، وهو تاريخ فراغه من تأليفه كتابه، ويفهم مما أورده في هذا الكتاب أنه كان كثير التنقل بين مدن العراق، لا سيما إلى بغداد، من ذلك قوله متتبعا ذرية بن أخي تاج العارفين أبو الوفاء، أي السيد سالم والد مطر: "وأما ذرية أخيه فإنني رأيت جماعة من ذرية السيد منجج بن السيد يعقوب بن السيد مطر هم في بغداد والعراق".

وليس هذا فحسب وإنما ذكر هو أنه حج سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م وعرج بعدها إلى القدس قاصدا فيها الالتقاء ببعض أحفاد السيد مطر، (أخي شيخ أبيه أبي الوفاء) ممن كان يقيم هناك، بغرض الحصول على إذن منه بتأليف هذا الكتاب، وقد أسعده قدره بقاء حفيد للسيد المذكور، هو العاشر تسلسلا، واسمه وكنيته تطابق اسم السيد أبي الوفاء تاج العارفين تماما. فقال: "جمعني الله تعالى على عظيم من ذرية بن أخيه السيد مطر - قدس الله سره - وذلك عند زيارتي بيت المقدس، عن مشقة رجوت عليها جزيل الثواب، بعد الحج الشريف، وهو التاج الأكرم، والولي الأتم، والمحقق الاعظم، صاحب المناقب الحميدة، والطرق السديدة، السيد تاج الدين أبو الوفاء محمد بن السيد نورالدين علي السيد الشهير بالكبريت الاحمر، بن السيد داود بن السيد عبد الحافظ بن السيد محمد بن السيد الكبير القطب بدر بن السيد يوسف بن السيد بردان بن السيد يعقوب بن السيد مطر المتقدم ذكره، وهو بن السيد سالم أخي السيد الكبير تاج العارفين المشار إليه - قدس الله اسرارهم ونور ضرائحهم - وذلك بالمسجد الأقصى الشريف، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، فوجدته على أعلى سنن أهاليه وسلفه ذوي الهدى، مقدم جيش صالحى زمنه، الاخير في العلم والندا، جديرا بما يروي الورى من بحار فيضه الفائق"

والظاهر أنه أخذ منه روايات مهمة عزز فيها ما لديه من معلومات استقاها من مصادر أخرى، كما يلاحظ أنه توقف في الترجمة للمريدين عند هذه السنة.

وإذ لم يترجم له أحد من معاصريه، أو لم يصلنا شيء مما كتبوه عنه، فإننا لا نملك معلومات عن تاريخ وفاته ومكانها.

ويدل كتابه نفسه على خبرته الواسعة في مجال التأليف، فتبويب الكتاب، وتنظيم مادته، وتنوع مصادره، وأسلوبه، كل ذلك يظهر أنه كان ذا مكنة من هذا المجال، وإن كان غير مهتم بتوخي الدقة في ضبط الأحداث كما أنه لم يعبأ اهتماماً يذكر في تثبيت السنوات، فأورد روايات مضطربة ومكررة ووقائع غير مؤكدة .
ومن المؤكد أن هذا الكتاب لم يكن التجربة الوحيدة له في عالم التأليف، فقد صرح هو بأنه سبق أن أفرد كتاباً مستقلاً في مناقب جده لأمه الشيخ عبد الصمد الواسطي، ومن المؤسف أن لم يصلنا هذا الكتاب، أو حتى خبره . كما أنه صرح في نهاية كتابه " وأجزتُ لكل وقف على نسخة معتمدة من هذا الكتاب أن يروي عني هذا الكتاب، وجميع ما لي من منظوم ومنتور ومؤلف (١١٨٢) وفقه وحديث وغير ذلك".

وقد أثنى عليه ناسخ كتابه غير المعروف، في طرّة الجزء الأول من الكتاب، بقوله أنه " الإمام المُحدّث، العامل.. الأديب البليغ"، و" العارف"، فإن صح منه هذا الثناء، فإنه قد جمع بين العلوم الشرعية، والعلوم الأدبية، أما قوله إنه كان عارفاً، فهذا يدل على أنه كان صوفياً بلغ مبلغاً عالياً في معرفة ربه . ويؤيد هذا ما ذكره الناسخ نفسه في طرة الجزء الثاني أنه (الشيخ الإمام العالم).

٣- دوافع تأليف الكتاب ومصادره :

صرح المؤلف بالدافع الذي دفعه إلى تأليف كتابه، وهو " التبرك " بذكر سيرة الشيخ السيد أبو الوفا تاج العارفين وبترجم أصحابه ومريديه ومريديهم وكراماتهم، إلا أن عنوان الكتاب نفسه يفصح عن أن هدفه من وراء ذلك هو أن يقدم إلى قرائه من خلال الترجمة لهؤلاء " قدوات " يمكن لأبناء جيله والأجيال التالية أن تقتدي بأخلاقهم و" يقتنفي آثارهم " فتتقرب بها إلى الله تعالى . وتتجلى هذه الأخلاق في سلوكهم المتمثل في التعجيل بالتوبة عن الذنوب، والتزام جادة الاستقامة، واحتقار الدنيا والزهد بها، وفي أقوالهم التي تحث على ذلك وتدعو إلى الخير، وتحذر من الانقياد وراء مغريات الدنيا الزائلة، أما الكرامات الكثيرة التي أطنب في تفصيلها فكأنه أراد بها أن يقول أنها المكافآت السخية التي يجزلها تعالى لأصحاب هذا السلوك القويم . فالكتاب إذاً يحمل معنى أخلاقياً تربوياً روحياً أراد توصيله إلى قرائه، ونعتقد أنه نجح في ذلك إلى حد بعيد .

لم يكن المؤلف هو أول من ألف كتاباً في سيرة السيد أبي الوفا، فقد نوه هو بعدد وافر من الكتب التي يفهم من عنواناتها أن مؤلفيها أفردوها في سيرته، وكلهم ممن عاشوا في الحقبة الممتدة من القرن السادس إلى القرنين السابع والثامن للهجرة. فقال "وكان قد جُمع في مناقبه وتراجمه كتب مطولة ومختصرة، ودُكر اسمه في التواريخ ومناقب الأولياء، واثني عليه خيراً في كتب جمّة"، وقد نوه بعنوانات هذه الكتب في ثنايا كتابه، لكنه سكت عن معظم أسماء مؤلفيها، وهي:

- ١- تنويج السادة الشرفا بمناقب السيد تاج الدين أبي الوفا.
- ٢- أنس المريدين الواصفين لمناقب السيد تاج العارفين.
- ٣- معين الراشقين في مناقب السيد تاج العارفين.
- ٤- تنويج آل زين العابدين بسيرة السيد تاج العارفين.
- ٥- فخر آل زين العابدين بمناقب السيد تاج العارفين.
- ٦- دليل ذوي الاصطفا من مناقب السيد أبي الوفا.
- ٧- الرسالة العزية. (وهي في الموضوع ذاته).
- ٨- روضة أولي الصفا في مناقب السيد أبي الوفا.

وعلى الرغم من اعتماده على هذه المجموعة من الكتب، فإنه وجدها لم تستوعب موضوعها إذ لم تحط بالجوانب المختلفة في سيرة السيد أبي الوفا، وأنها لم تستوف هذه السيرة " في كتاب واحد"، يجمع إليها تراجم أصحابه وأتباعه ومريديه جيلاً بعد جيل إلى عصره، فدفعه ذلك إلى الشروع بتأليف كتاب جديد جامع لهذه السيرة، فقال " فقصدت التبرك بجمع ما يمكنني من مناقبه وكراماته وأحواله وترابيه^١، ومن تيسر من مشايخ سلسلته ومريديه ومريدي مريديه وسلفه^٢."

^١ - كذا في الاصل، ولعل الصواب: مرامته .

^٢ - الورقة ٣٢.

وفضلاً عن الكتب المؤلفة بخصوص مناقب أبي الوفا، فقد راجع في تأليف كتابه إلى مصادر أخرى ألفت في أغلبها في تراجم و مناقب كبار رجال الصوفية، نوه بها في مقدمته، هي:

١٠- بهجة الأسرار في مناقب الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي لعلي بن يوسف اللخمي الشطنوفي.

١١- الإشراف في مناقب السادة الأشراف للحسن بن عتيق القسطلاني.

١٢- حكايات الإمام اليافعي وهو عبد الله بن أسعد بن علي اليميني الشافعي.

١٣- مناقب الأبرار ومحاسن الأخبار لابن خميس الموصللي.

هذا فضلاً عن روايات شفهوية أخبره بها "شيخنا العلامة أبو الطيب أحمد بن الأسعدي الأموي، وجماعة من مشايخ العراق، كالسيد الشريف الحسيب النسيب أبي العباس أحمد بن السيد محمد بن الشهاب وولده العلامة عماد الدين إسماعيل، والشيخ الصالح عبد الأول بن أسد بن حسن خادم مقام سيدي تاج العارفين قدس الله سره بسندهم المشهور وغيرهم".^١

وقد اشار إلى أسماء هؤلاء الغير في كل موضع اخذ فيه منهم.

وكان المؤلف حريصاً على تبيان طريقة الإحالة على مصادرهم، بما لا يحدث لبساً لدى قارئه، فقال في مقدمة كتابه "واعلم انني حيث أصدرت بقولي: رويانا أو مما رويانا أو مما روي، فهو مما نقلته بأسانيد صحيحة عن ذوي الكتب المتقدم ذكرها، او شيء منها أو غيره مما سيأتي ذكره، أو بقولي: أخبرنا فهو ما أرويه عن الامام أبي الطيب المقدم ذكره، أو قلت: قالوا: فهو ما أخبر به المشايخ العراقيون المقدم ذكرهم، وربما قلت: قال فلان، فهو من يصح الاعتماد عليه".^٢

وميزة المؤلف أنه حرص على مقارنة الروايات التي عنده على مصادرهم المختلفة، إن كانت مكتوبة أو شفوية، مثبتاً أوجه الاختلاف بين كل مصدر وآخر، ثم مبيناً رأيه في هذا الاختلاف. من ذلك مثلاً أنه حينما بحث في وفاة السيد سالم أخي السيد تاج العارفين قال "توفي السيد سالم - رحمه الله - سنة سبع وثلاثين، وقيل: سنة أربعين وأربعمئة. قال في (انس المريدين الواصفين): والأصح الثاني،

^١ - الورقة ٣ب.

^٢ - الورقة ٣أ.

يعني سنة أربعين، والله اعلم. قلت: فعلى هذا يكون سنة تقريباً نيف وثلاثين سنة". وقوله في تحقيق أخذ السيد سالم المذكور التصوف "وقيل: إنه أخذ عن الشنبكي شيخ أخيه، ثم لقي أخيه فتكلم به. وقيل: أنه لم يأخذ عن أخيه، ولا عن الشنبكي، بل شيخ غيره ممن أخذ عن بن هوارا، ولم أقف لشيء من الاقوال المذكورة وعلى مُرجح، لكن أخبرنا أبو الفيض عبد الرحمن الملوي: أن الصحيح ما ذكر أولاً، وأنه لقي أخاه مرتين والله اعلم".

وحيثما ساق خبراً عن كرامة للسيد تاج العارفين نجده يصرح "قلت: ولم أقف على هذه الحكاية القطبية في غير كتاب (تتويج آل زين العابدين بسيرة السيد تاج العارفين) أن ثبتاً من أحبائي ذكر لي أنها أيضاً موجودة بزيادة يسيرة على ما ذكرنا في كتاب (تتويج السادة الشرفا بمناقب السيد تاج العارفين أبي الوفا) والله اعلم".^١ ومما يحسب له أنه وضع للكتاب خطة محكمة أعلن عنها في مقدمته، وأنه ألزم نفسه باتباعها بكل دقة، وهكذا فإنه رتب كتابه على شطرين متساويي الحجم تقريباً، وجعل كل شطر من خمسة أبواب، فالشطر الأول يتناول السيرة المفصلة للسيد تاج العارفين، والشطر الأخير يتناول تراجم ذرية أخيه وأتباعه وتلامذته ومريديه حتى زمن تأليفه. أما أسلوب الكتاب فهو جيد واضح، خال من الأخطاء النحوية، وقد عزز المؤلف مادته بأبيات أو قصائد في معرفة الناظم، فضلاً عن أنه أثبت أحياناً قصائد مطولة من نظم من ترجم له في الكتاب.

٤- أهمية الكتاب :

وعلى الرغم مما يحفل به الكتاب من أخبار الكرامات الكثيرة، والخرقة لكل مألوف، فإنه مهم من نواح عدة، أهمها أنه قدم نصوصاً نادرة في التصوف لا نجد كثيراً منها في المصادر الأخرى، وسبب ذلك فقدان أكثر ما اعتمده من مصادر. ومنها أنه قدم صورة مفعمة بالحوية للصلات الوثيقة بين أقطاب التصوف ورجاله في عصره، وهي صورة تبين المستوى الروحي والثقافي والأدبي الرفيع الذي كان عليه هؤلاء، ونحن نرى أنه حتى لو طرح القارئ جانباً كل تلك الكرامات بحسبان أنها تنطوي على مبالغات شديدة لا يقبلها العقل أو النصوص الدينية، فإن كلام

^١ - الورقة ٨٧ ب.

^٢ - الورقة ١٧٥ أ.

اولئك الاقطاب وحده، مما أثبتته المؤلف، يمكن أن يرقى إلى مستوى الكرامة ذاتها، وإلا فكيف تمكن رجال متباعدون، منقطعون في قرى نائية، أن يصبوا أفكارهم بما تتسم به من عمق، في تلك العبارات البليغة الشاملة التي نمت عن مستوى فكري بالغ السمو. ومن ناحية أخرى فإن من شأن الكتاب أن يلقي ضوءاً على نوع الثقافة السائدة في الريف في ذلك العصر، حيث تتردد في الكتاب أسماء قرى عديدة كان لها شأن في نشر ثقافة التصوف، مثل اقليمينا والهمامية وصافي والسيب وقوسان وقرى في البطيحة، حيث نشأت بعد قرون مدن الكوت والعزيزية والصويره وغيرها، وبعض هذه القرى لا ذكر له حتى في كتب الجغرافيا ومعجم البلدان. ومن ناحية أخرى فإنه يغير من الصورة السائدة عن بدايات انتشار التصوف في كردستان، فهذا الانتشار لم يحدث نتيجة امتداد الطريقة القادرية إلى هذه البلاد في القرنين التاسع والعاشر للهجرة، بتأسيس أولى التكايا القادرية في برزنجة والعمادية وغيرهما، وإنما هو بدأ على أيدي مريدي السيد أبي الوفا تاج العارفين من الكرد، في القرن السادس للهجرة، أمثال ماجد الكردي، وجاكبر الكردي، ومطر البادراني، وبقا بن بطو، وباولين، وأبو بكر الزنهاران، وأبو الزين اللر، وإبراهيم اللك، وشيخ بزین، ومنصور البطائحي، وعبدل باوركان، وبختيار، وعلي روستان، وعمر الكراوي، وألياس الكردي وغيرهم، وهو من شأنه أن يؤسس لبداية جديدة في دراسة التصوف في هذه البلاد، قبل تأسيس الطريقة القادرية، بل قبل حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني نفسه.

وفي الكتاب، بعد هذا، فوائد جمة أخرى، منها مصطلحات حضارية، وإشارات تاريخية، ومعالم جغرافية، فضلاً عن تعيين مواقع الأضرحة المشهورة، والمواقع المعلومة، والقبائل والأسر وبعض الأنساب، ومنها ما كان يسكن في كردستان عصر ذلك، أو في أنحاء مختلفة من العراق.

٥- وصف المخطوط :

من الكتاب نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية في باريس تحت العدد ٢٠٣٦ عربيات، وهي تقع في ١٨٤ ورقة كبيرة، وفي كل صفحة منها ٢٩ سطراً، عدة كلمات كل سطر ١٠-١٢ سطراً، وهي بخط نسخ معتاد، شكلت بعض كلماته، وقد تعرض القسم الأول من النسخة إلى رطوبة أدت إلى ظهور ظل داكن حول الكلمات مما أوجد صعوبة في قراءتها. في آخر الكتاب تعليقة للناسخ هي (وكان الفراغ من كتابة هذا

الكتاب المبارك مستهل شهر شعبان المكرم من شهور سنة ثمان وسبعين وثمانمائة أحسن الله عاقبتها بمحمد وآله، والحمد لله ري العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وتوضح التمليكات التي يمكن قراءتها على المخطوط رحلته في التنقل بين أيدي المالكين خلال نحو ستة قرون عدداً، ففي الورقة التي سجل فيها عنوان الكتاب نقرأ ثلاثة من التمليكات هي على الترتيب:

١- قد آل بالابتياح إلى نوبة الفقير عمر بن عبد الوهاب بن محمود بن علي بن محمد العرضي القادري بن أبي الجيش من جا... بالقوسان في أوائل ذي القعدة الد... سنة أربع وثمانين وتسعمائة.

٢- آل إلى ملك أبو الوفا العرضي غفر الله له .

٣- ملكه الفقير محمد أبو الوفا تاج العارفين حشره الله تحت لواء العارفين.

كما توجد على الورقة التي تسبق ورقة العنوان التعليقات الآتية:

٤- "نظر فيه وقرأ من معانيه الفقير إلى مولاه السني وفا بن عمر العرضي وفقه

إلى الطريق المرضي غفر الله له أمين دخل في شهر رمضان سنة ١٠٠٥"

٥- "نظر في هذا الكتاب الفقير الحقير عبد القادر بن الحاج عمر بن الحاج عبد

الله بن الحاج يعقوب بن الحاج عبد الله المشهور بابن الكتنجي.. يوم الأربعاء في ٤

جمادى الثاني من شهور سنة ١١٦٣.

٦- تملك طمس بالحبر يقرأ منه التاريخ وهو سنة ١٢٣٠.

٧- ويوجد تملك في أول الجزء الثاني هو (هذا كتاب من تأليف^١ شيخ الإسلام

وشيخ عصره وفريد دهره السيد الكبير الأعظم سليل سيد المرسلين وسلطان دولة

المحققين السيد أبو الوفا تاج العارفين بن عمر العرضي في شهر شوال (كلمة غير

واضحة) ثلاثة عشر من شوال في سنة ١٠٠٥.

٨- وتحت هذا التملك تعليقة هي (طالع في هذا الكتاب الفقير إليه تعالى السيد

محمد صالح بن السيد أسعد الحائري عفي عته .

٩- الأحرف الأولى من اسم ما بالإنكليزية وتاريخ سنة ١٨٣٦

^١ أخطأ كاتب هذا التعليق، فالكتاب ليس من تأليف أبي الوفا تاج العارفين، وإنما هو سيرة له.

١٠- بيانات أولية عن المخطوط بالفرنسية، تشمل عدد الأوراق، ولون الورق، وتاريخ ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٩٣، يليه سنة ١٩١٠.

١١- ختم مدور يحمل اسم BIBLIOTHETORIAL يتوسطه تاج. والتملك الأول يكشف على أن الكتاب ظل موجوداً في قوسان، حيث زاوية السيد تاج العارفين في قرية اقليمينا، حتى أواخر القرن العاشر للهجرة، ويعني هذا أولاً أن المنطقة ظلت معروفة باسمها هذا في التاريخ المذكور. أما التملك الثاني والتملك الثالث والتعليقة التالية والتعليقة التي في صدر الجزء الثاني، فهي كما يظهر من أسماء موقعيها ووحدتها الخط أنهما لملك واحد، هو وفا (أو أبو الوفا) بن عمر المذكور في التملك الأول. هذا بينما تكشف التملكات الأخرى عن رحلة المخطوط حتى استقراره في المكتبة الوطنية بباريس.

ويتضح من المخطوط أن ناسخه نقله عن الأصل، أو عن نسخة سابقة، ثم عاد فقابله عليه بدقة، فإننا وجدنا يثبت في الهوامش كلمات وعبارات سقطت عنه في أثناء النسخ، وأشار على مواقعها في المتن بخطوط دقيقة. وهناك عبارات كتبها مطالع بخط مختلف يشبه بعضها أن يكون عنواناً لما هو وارد في المتن، أو كلمات تنبيه مثل (يحفظ).

٦- خطة التحقيق :

وينبغي القول هنا إن الفضل في المقام الأول يعود إلى العلامة الدكتور مصطفى جواد في العثور على نسخة من الكتاب حين أشار في بحثه الموسوم (جاوان القبيلة الكردية المنسية) المنشور في الجزء الأول من المجلد الرابع من مجلد المجمع العلمي راقى الصادر عام ١٩٥٦^(١) إلى وجود نسخة خطية من الكتاب في باريس برقم (٢٣٦)^(٢) وكان أحدنا، الدكتور زرار صديق ومع الدكتور حيدر لشكري قد حاولا مراراً ومنذ سنوات الحصول على نسخة مصورة من مخطوطة الكتاب، وكلف شخصياً صيف عام ٢٠١٣ الدكتور سرور عبدالله المقيم ببرلين بأن يعمل من أجل استحصال الموافقة على تصوير نسخة من المخطوطة، فلبى الطلب مشكوراً وذلك عن طريق الدكتور كاوه دستوره المقيم حينذاك بباريس، كما أخبرنا السيد تحسين إبراهيم

(١) أعاد المجمع العلمي الكردي نشره على شكل كتيب سنة ١٩٧٣.

(٢) جاوان القبيلة الكردية المنسية، ص ٢٤، هامش (٤٣). والصحيح رقم ٢٠٣٦.

الدوسكي ونحن في الخطوات الأخيرة من التحقيق بأن لديه نسخة مصورة من المخطوطة حصل عليها من السيد مفيد يوكسل الموظف في بلدية إسطنبول، وبعد إجراء المقارنة تبين لنا أنها مصورة أيضا من نسخة باريس.

وفيما يلي الخطوات التي اتبعناها في التحقيق:

١- التزمنا بالنص موضوع التحقيق، فلم نغير فيه شيئا، ولم نتدخل فيه إلا في حدود ضيقة جدا، حينما اضطررنا إلى إضافة لفظ لاتمام السياق، وقد أشرنا إلى ذلك في مواضعه.

٢- يستخدم كاتب المخطوط أملاءً كان شائعا في عصره، وفيه بعض الاختلاف عن الإملاء المتبع اليوم، من قبيل عدم التمييز بين الألف الممدودة والألف المقصورة، وإهمال إعجام كثير من الكلمات، أو إهمال حروف دون أخرى في الكلمة الواحدة، وقد أصلحنا كل ذلك على وفق الإملاء المعاصر، واجتهدنا في قراءة ما لم يتوضح من عبارات.

٣- عرفنا باختصار بعدد من الأعلام الواردة تراجمهم في الكتاب، من العلماء والصوفية والخلفاء والأمراء، أما المشاهير منهم فقد حرصنا على إحالة القارئ إلى مصادر تراجمهم الأخرى، دون التوسع في الترجمة، اتباعا للقاعدة القائلة بأن المعروف لا يعرف. كما عرفنا بأسماء أعلام المواقع، والقبائل، وشرحنا مصطلحات الحضارة ما من شأنه توضيح المعنى.

٤- قدمنا للنص بمقدمة تناولنا فيها التعريف بموضوع الكتاب، وهو سيرة السيد (أبو الوفا تاج العارفين) المتوفى سنة ٥٠١هـ، وترجمنا لمؤلف الكتاب، وأهميته، ومصادره، ودوافعه في تأليفه، ووصف مخطوطته، وما إلى ذلك من شؤون، على ما يراه القارئ الكريم.

المحققان

أربيل ٢٧ حزيران ٢٠١٥

تذكرة المقتفين إثر أولي الصفا وتبصرة المهتدين لطريق السيد أبي الوفا

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قال الشيخ الامام العارف المحدث شهاب الدين أبو الهدى أحمد بن عبد المنعم الشهير بالشربيسي الواسطي، رحمه الله ونفع ببركته وعلومه المسلمين:
الحمد لله مفيض بحار الحقائق من قلوب الصادقين على اراضي رياض النفوس الزكية، والقلوب المختصة بالصفا، مفيض شمس الهداية لدراية ذراية المعارف الحقيقية لمتبعي آثار سيد المرسلين المصطفى، ماد موأند مدد التحقيق لمن أمدّه بمواد التوفيق، منير بدور العناية لأهل السلوك ذوي العناية بالله، اهل الوفا المستخلص من عباد عباده، ورثة الانبياء في علومهم وأعمالهم فهم لهم خُلُفاً، متوِّج العارفين بأعظم تاج حباهم به، ومروت لوسهم، وجاعل مشربهم بالمشاهدة في غاية الصفا، بعد كدر المجاهدة وخوف الجفا، فسبحانه من إله جعل في كل عصر غوثاً على قلب إسرافيل، هو محل نظر الحق من العالم في كل زمان، وإمامين عن يمينه ويساره، ناظرين إلى الملك والملكوت، وأدخل الأفراد الخارجين من نظر هذا الغوث حرز الأمان، وأقام الاربعة الأوتاد لهذا العالم بمنزلة الأركان الاربعة، وأعلا قدر كلُّ وأعلا له في الجنة عُرفاً.

أحمدته حمد من صقلت مرآة قلبه بأنوار صدق التوحيد واتباع آثار أهل الاصطفا، وأشكره شكر عاجز عن اداء بعض نعمة نعمه ولو أضحى العمر في ذلك منصرفاً، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، المولى المولى لمن ولاه عزاً وشرفاً، مانح الأبدال السبعة والنقبا الثلاثمائة^١ باستخراج جناب النفوس، وعدم

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - في الأصل: البلات مائه.

التقييد بمكان، معين النجباء الأربعة على حمل ائقال الخلق^١ والتصريف في حق غيرهم بالسر الذي لهم به أعان، وأمن الأمناء في تقلبهم في اطوار الرجولية بأعظم سلطان وكان حسبهم وكفى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحببيه وخليله، صفوة الأصفياء وكعبة الطائفين، وحلية الأولياء وتاج العارفين، صفيّه المجتبا، خصه من الخلائق بالأقربية وحباً، آخر المرسلين وأول المخلوقين، وفاتح الخيرات (أ٢) وختام النبيين، وامام الاتقياء وأمان الخائفين، مبيد الشقا، ومبين طرق الشفا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم القائلين^٢ من عاداهم، والفائقين من عاداهم شرفاً.

أما بعد، فلما كان ذكر مناقب السلف الصالح يدعو الخلف إلى الجهد في اقتفاء آثارهم، ويُحرضهم على الحرص على بلوغ مقامهم، لما يبلغهم من أخبارهم، وكان من أجلهم قدراً الواصلين، واعزهم سمة وسيمة في المقربين، وأكثرهم^٣ أتباعاً بسائر الممالك ومريدين، ولا زال أهل عصره فمن بعدهم من زلال تربيته راشفين، ومن بحار فيضه غارفين.

سليل سيد المرسلين، أبو الوفا محمد تاج العارفين، قدس الله روحه، ونور ضريحه، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته، وحشرنا معه في زمرة المصطفى - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ما لاح نجم واختفى، وكان قد جُمع في مناقبه وتراجمه كتب مطولة ومختصرة، و ذكر اسمه في التواريخ ومناقب الأولياء، وأثني عليه خيراً في كتب جمّة غير انه لم يستوف ما قصدناه في كتاب واحد، فقصدت التبرك بجمع ما يمكنني من مناقبه وكراماته واحواله وترابيه^٤، ومن تيسر من مشايخ سلسلته ومريديه ومريدي مريديه وسلفه، مستخرجاً ذلك من الكتب المشهورة، والأصول المعتمدة ذات الفضائل الماثورة، ككتاب (مرآة الزمان)^(٥) المشهور للشيخ

^١ - في لأصل: الحلق.

^٢ - أي التاركين.

^٣ - في الأصل: وأكبرهم.

^٤ - كذا في الأصل، ولعل الصواب (مرامته).

^(٥) يبدو لنا ان مؤرخنا الواسطي، ألتبس عليه الأمر في اسم الكتاب الذي صار أحد مصادره وخط بين كتاب (مرآة الزمان) لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي المعروف بسبب بن

الامام شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي سبط الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، و(بهجة الأسرار) ^(١) في مناقب الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي قدس الله سره، و(الإشراف على مناقب السادة الأشراف) ^(٢)، و(حكايات الإمام الياضي رحمه الله) ^(٣) وكتاب (مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار) للامام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس الموصلية ^(٤)، وكتاب (روضة اولي الصفا في مناقب السيد أبي الوفا) ^(٥) - وما أخبرني به شيخنا العلامة أبو الطيب أحمد بن الإسعدي الأموي، وجماعة من مشايخ العراق، كالسيد الشريف الحسيب النسيب، أبي العباس أحمد بن السيد محمد بن الشهاب، وولده العلامة عماد الدين اسماعيل، والشيخ الصالح (٣ب) عبد الأول بن أسد بن حسن، خادم مقام سيدي تاج العارفين - قدس الله سره - بسندهم المشهور وغيرهم.

الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) و ذيله (ذيل مرآة الزمان) لقطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت: ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)، فالأول لم يورد معلومات تذكر عن أبي الوفا ولا عن شيوخه وتلامذته، فكتابه هو تاريخي بحت، اما اليونيني فأسهب في الحديث عن أبي الوفا وعن شيوخه واصحابه كالهواري والشنكي وعدي بن مسافر وغيرهم. ينظر: ذيل مرآة الزمان (حوادث ٦٩٧ - ٧١١ هـ)، تحقيق حمزة أحمد عباس المجمع الثقافي (ابوظبي: ٢٠٠٧)، ٢/٩٦٦ - ٩٨٨.

^(١) في الأصل: بن، والصحيح ما أثبتناه.

^(٢) للشطنوفي وهو نورالدين ابوالحسن علي بن يوسف التميمي المتوفى سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م وكتابة: بهجة الاسرار ومعدن الانوار، طبع اكثر من مرة، منها مطبعة شركة التمدين الصناعية (القاهرة: ١٣٣٠ هـ).

^(٣) لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (٢٠٨ - ٢٨١ هـ / ٨٢٣ - ٨٩٤ م)، طبع بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع (بيروت: ١٩٩٢).

^(٤) الياضي: هو عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي اليمني المتوفى سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م، مؤرخ، باحث، متصوف، صاحب كتاب "مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان" أربعة مجلدات، وله أكثر من كتاب في تراجم و مناقب كبار رجال التصوف، منها "نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية" و "روض الرياحين في مناقب الصالحين" و "أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر" الزركلي، الأعلام، ٧٢/٤، ولا يعلم ما المقصود من حكاياتة.

^(٥) ابن خميس الموصلية: هو الحسين بن نصر بن محمد المتوفى سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م وكتابه: مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، طبع بدار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٦).

^(٦) لم نهتد إلى مؤلفه.

ثم توقفت في ذلك خشية أن اكون متهجماً على ما لم يُؤذن فيه، وما زلت اسأل الله أن يجمعني على من له الإذن في ذلك حتى جمعني الله تعالى على عظيم من ذرية بن أخيه السيد مطر - قدس الله سره - وذلك عند زيارتي بيت المقدس، عن مشقة رجوت عليها جزيل الثواب، بعد الحج الشريف، وهو التاج الأكرم، والولي الأتم، والمحقق الاعظم، صاحب المناقب الحميدة، والطرق السديدة، السيد تاج الدين أبو الوفا محمد^(١) بن السيد نور الدين علي السيد الشهير بالكبريت الاحمر، بن السيد داود بن السيد عبد الحافظ بن السيد محمد بن السيد الكبير القطب بدر بن السيد يوسف بن السيد بدران بن السيد يعقوب بن السيد مطر المتقدم ذكره، وهو ابن السيد سالم أخي السيد الكبير تاج العارفين المشار إليه - قدس الله اسرارهم ونور ضرائحهم - وذلك بالمسجد الأقصى الشريف، سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة - ١٣٧١م - ، فوجدته على أعلى سُنن أهاليه وسلفه ذوي الهدى، مقدم جيش صالحى زمنه، الأخير في العلم والندا، جديراً بما يروي الورى من بحار فيضه الفائق للمعين، حقيقاً بتحقيق المعارف، وعلى الوصول إلى الله أعظم معين، صدق فكره مكذب عند نفوس الطلاب أقاويل الشياطين، وحياة رياض الصالحين، حياته المميته لنفوس السالكين، شعر:

مقدم جيش الصالحين بعصره	ختام أهاليه الكرام ذوى الهدى
حقيق بتحقيق الهداة صدق فكره	جديراً بما يروى الورى من بحاره
وإن مات يهدى اللائذون بقبره	حياة رياض الصالحين حياته

فاستأذنته في ذلك فأذن منعماً، وقصدت أن يكون لنقصي متمماً، وفي جنان الخلد منعماً، ثم بادرت ممتثلاً أمره الكريم إلى ذلك سائلاً أن يسلك بي وبمن طالعه واعتبر بما فيه أجمل المسالك. واعلم انني حيث أصدرت بقولي: رويانا او مما رويانا أو

(١) كان حياً إلى ما بعد سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م وترجم السخاوي لابنه التقي (تقي الدين) أبي بكر بن مُحَمَّد (٧٩٣-٨٥٩ هـ/١٣٩١-١٤٥٥م)، حيث التقى به وأخذ منه، ويقول عنه "وَحجّ مراراً وتصدى للإرشاد وَعقد المَجَالِسَ لِلذِّكْرِ لاسيما عقب الصَّلَوَاتِ على طَرِيقِ القَوْمِ فَأخذ عَنْهُ جَمَاعَةٌ من أهل بَلَدِهِ والقادمين إِلَيْهَا وَصَارَ شيخَ الصُوفِيَّةِ هُنَاكَ بِدُونِ مدافع عَظِيمِ الحُرْمَةِ نَافِذِ الكَلِمَةِ مرعي الجَانِبِ مَعَ الكرم والأبهة والإحسان للوافدين والغرباء قل أن ترى الأَعْيُنَ بِتِلْكَ النواحي مثله وَقَد اجْتَمَعَت بِهِ هُنَاكَ وَأخذت عَنْهُ جزءاً وأملى على نسبه كَمَا تقدم وانتفعت بدعائى وإكرامه مَاتَ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ قبل الصلاة سَابِعِ عَشْرِي شَوَالِ سنة تسع وَخَمْسِينَ رَحِمَهُ اللهُ وإيانا " الضوء اللامع، ١١/٨٤ - ٨٥.

مما روي، فهو مما نقلته بأسانيد صحيحة عن نوي الكتب المتقدم ذكرها، أو شيء منها أو غيره مما سيأتي ذكره (أ٣)، أو بقولي: أخبرنا فهو ما أرويه عن الامام أبي الطيب المقدم ذكره، أو قلت: قالوا: فهو ما أخبر به المشايخ العراقيون المقدم ذكرهم، وربما قلت: قال فلان، فهو من يصح الاعتماد عليه.

ووسمته بـ(تذكرة المقتفين إثر أولي الصفا، وتبصرة المهتدين لطريق السيد أبي الوفا)، ورتبته على مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة، وجعلت ذلك بشطرين: الشطر الاول في ذكر اسمه ونسبه وسلسلته وكنيته ومذهبه وارتحالاته وشيء من كلامه وكراماته وما يتعلق به، ويشتمل على مقدمة وخمسة أبواب:

- المقدمة في ذكر اسمه وكنيته وسببها، ولقبه وسبب لقبه، ونسبه لأبيه، في سبب نسبته لأكراد بني نرجس، وأمر شيخه الشنكي معه، وسلسلته وقدمه.

- الباب الأول في ارتحالاته وما حصل في حمل والدته به، ووضعها إياه، وتربيته وتزويجه.

- الباب الثاني في وصيته وكلامه ومقالاته.

- الباب الثالث في مناقبه ومكارم اخلاقه وكراماته.

- الباب الرابع في مواعظه وما امتحن به، وما حدث في دخوله بغداد واخذ جماعته من العلماء والصلحاء عنه، واسماء خدامه ومن تخرج او تكمل به او رد حاله على يديه.

- الباب الخامس في ما اثني عليه وشيء من نظمه، وشيء مما نظم على لسان حاله، وشيء مما نظم فيه.

الشطر الثاني في ذكر والديه وبعض سلفه، وبعض ذرية اخيه، وهم الشيخ مطر ونسله وبعض مريديه ومريديهم، وبعض المبشرين به، ومن بشر به السيد وخلفه على سبيل الايجاز، وهو خمسة أبواب وخاتمة:

- الباب الأول في مناقب والديه وبعض سلفه.

- الباب الثاني في ترجمة الشنكي وبعض مشايخه مختصرا.

- الباب الثالث في ذكر السيد مطر بن اخي السيد وبعض ذريته.

- الباب الرابع في ذكر جماعة من مریدی السید رضی اللہ عنہ ورحمہم
مختصراً.

- الباب الخامس ذکر من بشره (٣ب) السید، وبشر به من الأولیاء المشاہیر
موجزاً.

- الخاتمة في ذكر مریدی مریدیه ومناقب بعض مریديهم المتأخرين إلى سنة
ثلاث وسبعين وسبعمائة - ١٣٧١م -

والله المرجو لحسن الختام بمنه وكرمه أمين.

- المقدمة :

روينا أن اسمه محمد، وإن كنيته أبو الوفا، وأن لقبه تاج العارفين، ويعرف بين الأكراد كاكيس^(١)، ومعناها بالكردية ابوالرجال^(٢). ولد بقوسان^(٣) العراق^(٤)، في ثاني عشر رجب سنة سبع عشرة وأربعمائة - ١٠٢٦م -، وتوفي في العشرين من شهر ربيع الاول سنة احدى وخمسمائة - ١١٠٧م -، وعاش على الصحيح ثلاثاً وثمانين سنة وسبعة شهور وثمانية أيام، وقيل: خمساً وثمانين، وقيل: غير ذلك.

- سبب كنيته بأبي الوفا :

هو أن شيخه الاستاذ أبا محمد طلحة الشنبكي^(٥) - قدس الله سره - دعاه إلى الصحبة، فأجابه إلى ذلك بقلبه، لكنه أحب أن يشار^١ في والدته، وكان بن عشر

(١) ويعرف الآن بشهريار راجع المقدمة.

(٢) يبدو أن المؤلف لم يكن يجيد اللغة الكردية، فكاكيس لا تعني أبو الرجال بل إن شهريار يعني أبو الرجال على وجه التقريب، و كاكيس مشتق من (كاك) التي تستخدم للتعبير عن التقدير والاحترام للشخص المخاطب أو الأخ الأكبر سناً وتعني حرفياً أخي الكبير، واعتقد ان الكاكائية المتشعبة بالتشعب وهي فرقة دينية كردية قديمة من بقايا الطريقة الصوفية الهوارية - الشنبكية - الوفاية، لها علاقة بكاكيس، اللقب المحبب الذي أطلقه الكرد على شيخهم الجليل تاج العارفين، إن لم يكن مشتقة منها.

(٣) قوسان: كورة كبيرة ونهر، عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط، ونهره الذي يسقي زروعه يقال له الزاب الأعلى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤ / ٤١٣. وفي قلائد الجواهر للتادفي الحنبلي : فوسان بالفاء.

(٤) في الحقيقة إنه ولد بمرغا ببلاد الكرد، حيث ذكر المؤلف نفسه أن والده توفي بمرغا في السنة التي ولد هو بها، كما توفت والدته بمرغا أيضاً سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، اي أن اسرته ظلت بها إلى ما بعد وفاة والدته.

(٥) صوفي كردي معروف من التائبين بعد ان كان من مقدمي قطاع الطرق وهو من قبيلة الشنبك - الشنبكية التي هي في الأصل من قبائل جبال حلوان و المناطق شبة الجبلية الكائنة شرقي واسط وتعرف الآن بالشبك وتقيم في أكثر من خمسين قرية تابعة للموصل وتحفظ بلهجتها الكردية المعروفة بالهورامية أو (الماچۆ Macho)، تاب على يد أبى بكر الهوارى وصار من أبرز مريديه وخلفه في مشيخة الصوفية، توفي تخميناً سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م.

سنين، وكان أهل قوسان كلهم مذعنين اليه، وكان اجتماع الشيخ المشار إليه أنه بدحلة، أي غابة مشحونة بالاشجار^١، في كمائن الدجلة، وكان مع الشيخ الشنبكي جمع من أصحابه، وكانوا قاصدين الرجوع بالسيد أبي الوفا، فتلقاهم جمع أهل قطنية^٢، فسألهم عن السيد أبي الوفا وعن أحواله، فذكروا له ما زاده يقيناً، فقال: أين هو الآن؟ فأخبروه أنه بتلك الدحلة منفرداً يتعبد، فأذن لهم أن يوجهوا صحبته دليلاً يدلّه على مكانه، فأرسلوا معه دليلاً يدلّه على مكانه، وانفرد في المشي إليه بمفرده، وترك جميع من معه في إقليمينيا^٣، فلما أقبل على المكان الذي هو به نظر إليه فوجده جالساً مستقبلاً القبلة. وأمامه كلب وأسد يلعبان، واتفق أنه وافاه من خلف ظهره، فلما دنا منه وسلم عليه من ورائه، التفت إليه، فقال: وعليك السلام يا شنبكي ورحمة الله وبركاته!

فقال الشنبكي: قد كنت لما قدمت عليك أحب أن أسألك سؤالاً، والآن فياني أسألك عن سؤالين. قال: اسأل ياسيدي عما بدا لك، قال: بأي شيء ألفت بين الأسد والكلب؟ قال: يا سيدي لما صفت يد العناية قلبي تألف الاسد مع كلبتي. فقال الشنبكي: يا ولدي! فما موجب ردك عليّ السلام من غير قيام بواجبي، أن الرجال لهم مقدار، فقال: صدقت يا سيدي ملاماً، ولكنك لم تُقبل عليّ من أمامي، ولم تأت البيوت من أبوابها، فلو أقبلت من أمامي لبادرتُ (٤ أ) إلى القيام بواجب حقك، فقبل الشنبكي عُذره، وفهم أنه قابل الكل خير فاعتنى^٤ به ووجه عين العناية نحوه.

^١ - غير واضحة في الأصل.

^٢ - هكذا شرحها المؤلف، وفي المعاجم: الدحلة هي الحفرة الضيقة من أعلاها، الواسعة من أسفلها.

^٣ - قطنية موضع أشير إليه في وقفية عناية الله بن العاقولي المؤرخة في سنة ١٠٥٣هـ بوصفه يقع بين هور التاج (حيث قبة تاج العارفين) وذنائب نهر القاطون (القاطول)، ومر به الرحالة مصطفى الصديقي الدمشقي بعد مروره بقبة تاج العارفين سنة ١١٣٩هـ (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، نسخة كامبردج، الورقة ٧٧)، ووردت في خارطة القاطول الكسروي والنهروان للكومانوز فيلكس جونز على أنها في أسفل تاج العارفين.

^٤ - إقليمينيا: بلدة في شرقي دجلة، بين المدائن وواسط، اتخذها السيد أبو الوفا تاج العارفين موئلاً له ولأتباعه، ومكاناً لزاويته، وفيها دفن، وقد اندثرت منذ مدة مديدة، ويعين موقعها شخص قبر السيد تاج العارفين نفسه إلى اليوم، حيث يقع هذا القبر عند الجدول المعروف بنهر الحفرية قريباً من طريق بغداد - الكوت الحالي، وقد مر به سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م الرحالة مصطفى بن كمال الدين البكري الدمشقي عند سفره من بغداد إلى البصرة (كشف الصدا وغسل الران، الورقة ٧٧).

^٥ - في الأصل: فاعتنا.

ورجع السيد أبو الوفا بالشيخ الشنبكي يسعى بين يديه إلى قلمينيا، وصنع له ولقومه طعاماً وأضافهم، فلما انتهى ذلك وأراد الشيخ الشنبكي الذهاب إلى بلده، خلا بالسيد، وقال له: يا محمد إنه سيكون من اترك ما تقرب به العيون، واني لأنظر على راسك صنماجق تجاوزت ذوائبها المشرق والمغرب، فهل لك يا ولدي أن تأخذ عني لأدلك على ما بشرتك به؟ فسُرَّ السيد بذلك سرورا كبيرا، وقال: نعم! ولكنني أريد أن يكون ذلك بعد استئذان والدتي وقطع علائقي، فأحب منه الشيخ الشنبكي ذلك، وودعه وانصرف، فتخلف عنه أبو الوفا أياماً، ثم استاذن أمه، فقالت له: ماذا الذي بشرك به؟ فأخبرها الخبر، فقالت: بأي شيء أمرك؟ قال: بأن أسألك أن تهبيني لله تعالى! ثم ابتعد إلى الحدادية، فقالت: يا ولدي! الله العظيم عظيم، ولأيوهب للعظيم إلا عظيم قد غلت قيمته، أدخل لخلوتك هذه حتى إذا رأيتُ منك إمارات الصلاح للخدمة، وهبتك لله^(٧).

قال: ففي صبيحة قولها له ذلك خرجت من بيتها لصلاة الصبح، فرأت نوراً من باب خلوته يلامس عنان السماء، ففرحت بذلك، ثم نادته: يا محمد يا ولدي! انك إن شاء الله تعالى ممن غلت قيمته، وصلح لحضرة العزة، إذهب فقد وهبتك لله. فودعها وعزم على الذهاب إلى الشيخ أبي محمد الشنبكي المشار إليه - قدس الله سره - فخرج قاصداً الحدادية، فسمع عند خروجه من قلمينيا خطاب الحيوانات والجمادات، وتسبيح الأملاك في الأفلاك، وصريير القلم في اللوح المحفوظ. وحيته الوحوش، وهنأته الجبال، وسلّمت عليه الجن، ولم يصل إلى أرض الحدادية إلا وقد تم أمره، وعرف نفسه، وشاهد مقامه، وهو مع ذلك لا يلوي عن الشيخ أبي محمد عناناً، ولا يززع ما يراه له جناناً، وقلبه في وجل، وأقدامه تسعى على عجل. فلما انتهى إلى الحدادية أحسَّ به الشيخ أبو محمد الشنبكي، واشتم رائحته، فأخبر بعض من في صحبتته، وأمر بعض المريدين بتلقيه، فلما أقبل على الشيخ الشنبكي قال: أهلاً بأبي الوفا الذي بعده الكريم وفي! (٤ب).

^٧ - الحدادية: قال ياقوت " قرية كبيرة بالبطيحة من أعمال واسط، لها ذكر في الآثار، رأيتها". معجم البلدان، ٢/ ٢٣٦.

^(٧) يروي الشطنوفي واليافعي والتادفي الحنبلي قصة توبة تاج العارفين أبي الوفا على يد الشيخ الشنبكي بشكل مغاير تماماً، حيث كان قبيل توبته وأهدأته من قطاع الطرق وسارقاً للمواشي.

ثم أنه تولى مصالحة من حين مقدمه عليه، وكان ذلك ضحوة النهار، فذلك سبب تكتيته بأبي الوفا، فانشد بلسان الحال شعراً:

اهلاً وسهلاً بمقصود الذي قصدا أبشرك الخیر ما هلّ العطاشى
كل المریدین بالأشیاخ قد سعدوا لكن طلحة بالتاج البهى سعداً
یا سائر القوم هُنُونى^١ بمقدمه فهو الذي لم أمل عن حبه أبدا
دقت بسباش^٢ في الجوّ دون خفا وصاح ساويشه^٣ والنور منه بدا
سُبْحان من خصّ تاج العارفين بما أولاه ثم غدا سمعا له ويّدا

قال: فلما قام مؤذن الظهر للأذان في نهار تقدم السيد، صاح به السيد: يا مؤذن! لم يدخل الوقت بعد، فعند ذلك عادت همم القوم، ولم يرضَ بذلك منهم أحداً، وقالوا: ما هذا الاعتراض على القوم من صبي لم يره أحد منهم قبل اليوم؟ واتفق منهم جماعة وذهبوا إلى الشيخ أبي محمد الشنبكي ليشتكوا له سوء أدبه لذلك على ما ظهر لهم، فلما اوضحوا للشيخ أبي محمد ما عندهم استدعاه، فلما حضر السيد أخبره الشيخ بما قال به القوم وبنكارهم عليه، فقال السيد أبو الوفا: يا سيدي! إنهم لمعذورون وأنا اعذر منهم، لأنني لم أمره - يعني المؤذن - بالكف سداً، غير أنني أعلم أنه لم يدخل الوقت بعد، وإن نسيت يا سيدي فادن مني، وانظر! وأوضح عذري لإخواني. فدنا الشيخ أبو محمد منه فأراه الملك المعروف عند بعضهم بديك العرش ماداً جناحيه يريد الصباح إذا حكم الوقت، ثم وافق صياحه يا غافلين قوموا اذكروا الله! . نظر الشيخ أبو محمد الشنبكي اليه، فعلم الشيخ أبو محمد حقيقة قوله، ومنع القوم من الاعتراض، وألقى الله في قلوبهم نجته وهيبته رضي الله عنه. وأما سبب تلقيبه بتاج العارفين، فإن الشيخ أبا محمد الشنبكي - قدس الله سره - خلا بالسيد أبي الوفا بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، فقال: يا أبا الوفا! إن في هذه الليلة، وهي ليلة عاشوراء من كل عام، يجتمع عندنا بصحارينا هذه رجال

^١ - يريد: هُنُونِي.

^٢ - سباشي: كلمة معربة عن التركية (صوباشي) وتعني مدير الأمن. وقد عربت في العصر العباسي أيضاً: شباشي.

^٣ - ساويش: كلمة معربة عن التركية (شاويش) رتبة عسكرية دون الضابط. ونرجح أن هذه الأبيات الشعرية نظمت في وقت لاحق على عهد الشنبكي، بدليل أن المصطلحات العسكرية التركية لم تكن معروفة ومستخدمة حينذاك.

الغيب عن آخرهم، والخضر عليه السلام، ويتذكرون ويذكرون ويتعبدون ثم لايفترقون إلا عن ذواق، فهل لك أن يشهد وقتهم هذا! فقال: نعم! فلما جُنَّ الليل، وأرخت الستور، وغلقت الأبواب، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه، خرج الشيخ أبو محمد الشنبكي - قدس الله سره - والشيخ تاج العارفين بالصحراء (١٥)، فإذا الرجال في صلاة وعبادة وخشوع وتضرع وبكاء وأنين، على اختلاف عباداتهم، وعليهم أنوار ساطعة وجلالة وخفر، فلما لحقاً بصفوف المصلين منهم اخر ما معهم، فصليا ما شاء الله.

ثم أن القوم أظرقوا مُراقبين ومتفكرين طويلاً، فبينما هم كذلك إذا بنور ساطع قد ملأ الآفاق، حتى ظن القوم أن الشمس قد طلعت، وسمعوا ضجة كالرعد الخفي، فرفعوا رؤوسهم فرأوا شيئاً نازلاً عليهم من نحو السماء كصفة التاج، وهو أشبه الأشياء بالقلنسوة^١، وفيه ما يحاكي أنواع الجواهر واليواقيت على اختلاف ألوانها، ولكنه من نور لامع له حمرة ساطعة مشوبة بزرقته، فتطاول له أكابر الرجال وأواسطهم، وتبادروا اليه، فما امتدت إليه يدٌ إلا وارتفع عنها فلا تصل اليه، فتعجب الناس من ذلك. كلُّ ذلك والسيد تاج العارفين - قدس الله سره - لا يُخاطب أحداً منهم ولا يخاطبه أحد، بل يشاهد ذلك بعينه من غير أن يقوم ولا يمد إلى التاج يداً. فلما طال أمر التاج، واشتغلت به قلوب القوم، ولم ينل أحدٌ، سأل بعضهم بعضاً عن حقيقته، وما يُراد به، فلم يفهم ذلك أحد، ثم أجمعوا على التوجه والسكوت وانتظار ما يكون من أمره، فجلسوا مطرقين، فلم يشعروا إلا والتاج قد تواطأ حتى لبس رأس السيد تاج العارفين، فكان ذلك سبباً لتلقيبه بتاج العارفين. ونادى^٢ الشيخ أبو محمد الشنبكي: لك الهناء بما أويت يا تاج العارفين، وكذا لما رفع القوم رؤوسهم وشاهدوا ذلك، وشاهدوا أنواره قد ملأت الأفق فلقبوه كما لقبه الشنبكي، وتواردوا عليه أفواجاً يُهنئونه بذلك العطاء الجزيل، ومن ثم اشتهر بذلك وصار علماً عليه. وكان من نادى في الآفاق: إن الله ألبس أبا الوفا تاج الكرامة، وسماه القوم تاج العارفين، وقيل: سُمع من قبل السماء صوتٌ: لك الهناء يا تاج العارفين بتاج العز والكرامة، وكان ذلك عند لبس التاج:

^١ - القلنسوة غطاء للرأس مختلف الأشكال باختلاف البلاد، والغالب أنه الطاقية.

^٢ - في الأصل: ونادى القوم، وضرب على القوم بخط.

تاجُ الكرامة من مَولاه قد لَبِسا
وحليّة الرُّهد أضحت من ملابسه
أقامه الله تاجاً فاستقام على
يدعو القلوب الي محبوبها ولقد
من يغرس الحب في أحشاء فتيته
نال المحب به ما يرتجيه كما
كما غدا العودُ من أنفاسه نَضرا
من جدّه المصطفى قد نال ما خضعت
صلى عليه إله الخلق ما ظهرت

لما رآه من الأكوان قد أيسا
والقلب منه بنور القرب قد أنسا
نهج الوفاء وبعين الحفظ قد حُرسا
أجابه ما أبى عن غيره وقسا(١٥ب)
غرساً فلا غرّوَ إذ سقى الذي غرسا
إن البليغ إذا شافاه قد حرسا
واخضرَّ في أرضه من بعد أن يبسا
في باب عزّته الأملاك والرؤسا
شمس الضحى بضياء أو أعقبت بمسا

وأما نسبة أبيه، فهو السيد محمد أبو الوفا الكبير الشهير بالعريضي^(١)، اشتهر بذلك بذكائه^٢ والهيأ^٣. ثم نسبة إلى العريض الأكبر - كما سيجيء - بن السيد محمد^(٤) السيد زيد بن الحسن بن السيد المرتضى الأكبر عرض، ويسمى عريض بن السيد زيد^(٥) بن سيدنا علي الملقب بزین العابدين - رضي الله عنه - بن أمير المؤمنين الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - هكذا رأيت في نسبتهم الثابتة المؤرّخة في سنة ثمانٍ وستمئة وهي باسم السيد بدر المدفون بوادي النسور^٦، الآتي ذكرها في مناقبه.

(١) العريضي - بضم العين، وسكون الراء المهملتين، وفي آخرها الضاد المعجمة. هذه النسبة إلى " عرض " وهي ناحية بدمشق وهو أيضا اسم: العريضي بن زياد، ذكره في كتاب " الترغيب " لحميد بن زنجويه النسائي. الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان الطبعة: الأولى (بيروت: ١٩٨٨ ١٧٩/٤٤).

^٢ - في الأصل كلمة غير واضحة.

^٣ - كذا في الأصل.

(٤) يترجم إسماعيل ناشا بن محمد أمين بن مير سليم الباجاني البغدادي (المتوفى: ١٢٩٩هـ/١٩٢٠) لة ويقول: العريضي - م محمد أبو الوفاء بن السيد محمد بن السيد زيد بن حسن بن مرتضى عريض بن زيد بن زين العابدين الحسيني الشهير بالعريضي البغدادي كان ادبياً ليبيبا صوفيا توفي بقوسان بالبرزجة من بلاد الاكراد سنة ٤١٧ هـ/١٠٢٥م، من تأليفه كتاب في اصول الدين و خلاصة التوحيد في قواعد التصوف.. هدية العارفين، ٦٣/٢.

(٥) في قول السمعاني: الجماعة من الزيدية ينتسبون إليه إما نسبا أو مذهبا، الأنساب، ٣/١٨٨.

^٦ - أشار إلى هذا الموضع فيما يلي، بما يفهم منه أنه قريب من مدينة بهندف، بين بادرايا وواسط.

وأخبرني السيد أبو الوفا الأذن المشار إليه، أنها هي النسخة المعتمدة في أنسابهم، والأصل الأصيل عندهم، وقد وافق ذلك ما ذكره صاحب كتاب (روضة أولي الصفا) ^١ وصاحب كتاب (أنس المرئيين الواصفين) ^٢ وصاحب (الرسالة العزّية). وأما سلسلته فإنه سلك على يد الشيخ أبي محمد طلحة الشنّبكي - كما ذكر آنفاً - والشيخ أبو محمد المشار إليه أخذ عن تاج العراقيين أبي بكر بن هوارا ^٣ - قدس الله سره - وهو له طريقان، إحداهما باطنية، وهو انه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه أو في واقعه، فقال له: يارسول الله! خذ عليّ شرط، أو قال: عهد التوبة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر! أنا نبيك حقاً، وهذا أبو بكر شيخك صدقاً، وأشار إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فأخذ عليه عهد التوبة، وألبسه طاقيه وثوباً وعرقيةً ^٤، ومسح على صدره بيده. وكان به ثواليل فزالت، ولما عاد إلى جسده وجد ذلك على جسده، ووجدوا الثواليل قد زالت ^(٥).

والطريق الثانية ظاهرة، وهي أنه أخذ عن مُربّيه شيخ وقته وفريد عصره الإمام العارف أبي عبد الله سهل التُسْتَرِي، وهو تخرّج بحاله العارف بالله تعالى أبي عبد الله محمد السوار، وهو تخرّج بشيخ الوقت وعلامة العارفين ذي النون المصري ^٦ - قدس الله سره - (١١٦أ) وهو تخرج بالعارف الرباني أبي عبد الله محمد بن حيّه، وهو تخرج بمولانا جابر الانصاري - رضي الله عنه - وهو أخذ عن الإمام أمير المؤمنين أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو أخذ عن الحضرة الشريفة النبوية الأعظمية المحمدية، عن الروح الامين جبريل عليه الصلاة والسلام، عن الأمر الصادر له عليه السلام من رب العالمين، فيا لها من شجرةٍ من أوى إلى ظلالها الوريقة دون

^١ - في الأصل: أو الصفا.

^٢ - كذا في الأصل، ولعلها: الواصلين.

^٣ - سيترجم له المؤلف فيما يلي من هذا الكتاب.

^٤ - الثوب هو لباس يغطي الجسد كله فهو ما يعرف في العراق والخليج بالدشداشة وفي مصر بالجلباب، والعرقية غطاء يغطي الرأس يلبس تحت العمامة غالباً، سميت بذلك لأنها تمتص العرق، وتسمى في العراق اليوم (عرقجين)، وتكون الطاقية والثوب والعرقية ما عرفه الصوفية باسم (الخرقة) وكانت تعد من رموز التصوف المهمة.

^(٥) كذا وراجع الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ١٤٣ - ١٤٤، التادفي، قلائد الجواهر، ص ٧٨ - ٧٩.

^٦ - سيترجم له المؤلف فيما يلي من هذا الكتاب تفصيلاً.

له^١ بالصفاء إذ أصلها المصطفى، وفرعها أبو الوفاء، من تمسك بغصن من أغصانها نجا، والفوز الفوز لمن اليها التجا، جعلنا الله سبحانه وتعالى من الصادقين الضارعين في الالتجا، البالغين من أتباعهم جميل الرجا، إنه قريب مجيب كريم قدير، بالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

وأما مذهبه الشريف فكان على مذهب فقهاء أهل الحديث، قيل شافعي وقيل حنبلي، قلت: ولم يثبت في ذلك شيء، وإنما كان يؤخذ بالأحوط، وما يمكن فيه الإجماع، ويميل فيما فيه خلاف إلى ما هو الأصح من الأحاديث، والله سبحانه وتعالى أعلم.

- فصل :

روينا أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - كان من أجلاء أعيان شيوخ العارفين في وقته، وأكابر المشايخ المعتبرين في عصره، صاحب الكرامات الخارقة، المتابعة المتلاحقة، والأنفاس الصادقة، والكشف الجلي، والحال المضىء، والقول التام عند الخاص والعام، والطور الرفيع من المقامات، والمكان المكين من خالق الأرض والسموات، وهو أحد العلماء الراسخين في علوم الحقيقة، زاد ظاهرها بياناً وأوضح دقيقه، انتهت إليه رئاسة شأن أهل الطريق، وهو علم علماء أهل التحقيق، وانعقد عليه الاجماع، وسمِع له كل من دعاه إلى الله وأطاع، وعمرت بمريديه الربط والمعابد والمساجد والمعاهد، وأفهم عامتهم وخاصتهم معنى المناولات والموارد، وانتمى إليه معظم أعظم مشايخ عصره، مجتمعين على تعظيمه وشكره. وكان له القدم الراسخ في القرب والتمكين، واليد البيضاء في الحكم والتوسيع، والباع الطويل في التصريف النافذ، وقال بإرادته جم غفير ممن له قدم راسخ في هذا الأمر، وتلمذ له خلق لا يحصون كثرة، وكان له أربعون خادماً (٦ب) من أرباب الأحوال سيأتي ذكرهم في الباب الرابع من هذا الشطر، ثم مناقب بعضهم في الباب الرابع أيضاً من النصف الثاني إن شاء الله تعالى.

^١ - كذا تقرأ وهي غير واضحة في الأصل.

^٢ - لعل الصواب: يأخذ

ومما رُوي عن الشيخ عبد القادر الكيلاني^١ قدس الله سره، وكان كثيراً ما يعرض بمدح السيد أبي الوفا رضي الله عنه: قد لبس الحلي والحلى، واطلع على الملاء الأعداء، ولو تقلب إلى المقام الأعز الأعلى، لم يجيء قبله مثله ولا بعده مثله، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يباهي به الأنبياء يوم الحشر حين يأتي موكبه، فيقول: هل في أممكم كأبي الوفاء تاج العارفين؟ قال الشيخ عبد القادر: ولقد نظرتُ إلى العراق فوجدتها مُطبَّقة بأصحابه كما يُطبَّق البلاط إذا لصق بفضله إلى بعض حتى أنه لا يجد غيرهم بينهم متسعاً^(٢)، انتهى، وبه يأتي ذكر ثناء المشايخ عليه في الباب الرابع، بعدما لُخص في مناقبه في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

^١ - سترجم له المؤلف فيما يلي من الكتاب تفصيلاً، كما ستأتي أخباره مفرقة في مواضع عدة منه.
^(٢) كما قال عنه: "ليس على باب الحق رجل كردي مثل الشيخ أبي الوفاء"، الشطنوفى، بهجة الأسرار، ص ١٤٣ - ١٤٤، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، حوادث سنوات (٦٩٧ - ٧١١ هـ)، ٢/٩٦٦، التادفي، قلند الجواهر، ص ٨٠ - ٨١، الشعراني، الطبقات الكبرى، ١/١٣٥.

الباب الاول :

في ارتخالاته وما حصل في حمل والدته به ووضعها إياه وتربيته وتزويجه:

رويونا أن أباه السيد أبو الوفا الكبير - قدس الله سره - حين حصل عليه وعلى الأشراف من ولد الحسين ما سيأتي بيانه^(١)، ورحل وأقام بين بني نرجس بالنون، وقيل: بالموحدة التحتانية، والأول أشهر، قبيلة من الأكراد بالشرق^(٢)، وتزوج بنت كبير منهم كما سيأتي تفصيله في الشطر الثاني في الباب الاول، وسيأتي ذكر اسمها والخلاف فيه.

أقام فيهم مدة، ثم حملت زوجته المذكورة بالسيد تاج العارفين أبي الوفا - قدس الله روحه - فبعد سبعة أشهر مرض مرضاً شديداً، فاستحضر جمعاً كبيراً ممن يلوذ به من الأكراد وغيرهم، فأوصاهم وأوصى زوجته بحملها خيراً، وأطلعهم على نسبته المتقدم بيانها، وذكر لهم بعض ما يصير من أمره وما يظهر له من الكرامات، وهو حمل، ثم بعد وضعه في صغره. وقال: إني رأيتُ ذلك في منامي، وفهمته بسري. ثم قضى نحبه^(٣)، فقام القوم بتجهيزه، وكان له جنازة مشهورة اجتمع فيها من

(١) يشتهر بين الكرد ببيير محمد.

(٢) حول قبيلة نرجس راجع مقدمة التحقيق.

(٣) لا يشير المؤلف إلى سبب الوفاة وفي رواية متداولة بين كرد هورامان وشهرزور ان بيير محمد كان من وجهاء القوم الروحانيين، ففاد رجال قومه في التصدي لقوة أجنبية غازية اغارت على منطقتهم، فوقعت في الأسر وتوفى بالسجن، فأوصى أصحابه أن يراعوا زوجته الحاملة بإحسان واذا أنجبت ذكراً أن يسموه محمداً، رؤوف محمود پوور، جه زنيك بؤ بيير بنه مايهك بؤ نه ستوورهي كوردي - عيد للبير اساسا للاسطورة الكردية - (أربيل: ٢٠٠٩)، ص ٤٩ - ٥٣.

ويمكن الربط بين هذه الرواية المتواترة وبين ما يرويها ابن الأثير حول المعارك التي دارت بين أكراد الجورقان - الگوران - و عساكر علاء الدولة بن كاكويه سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٥ م - وهي السنة التي توفي فيها السيد ابا الوفا الكبير محمد - وقتل وأسر على أثرها الكثير من رجال الجورقان، يقول ابن الأثير:

" في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عساكر علاء الدولة بن كاكويه وبين الأكراد الجورقان وكان سببها أن علاء الدولة استعمل أبا جعفر بن عمه على سابور خواست وتلك النواحي، فضم إليه الأكراد الجوزقان وجعل معه على الأكراد أبا الفرج البابوني - منسوب إلى بطن منهم - فجرى بين

صالحى أهليه وغيرهم من يُعرَف ومن لا يُعرَف، فدُفِن بأرض مرغى^(١)، وقبره بها ظاهر مزار.

قال الراوي: فلما دفن الشيخ أبو الوفا الكبير المشار اليه، رحل الأكراد عن تلك الأرض كما هي عادتهم إذا مات فيهم أحد، (٧ أ) فمروا في رحلتهم عن أرض بها بطيخ قد انتهى، فمال إليه جماعة من شبانهم ونسائهم، فتناولوا منه، وأحضروا لوالدة السيد منه، فتناولت من ذلك من حيث لم تعلم أمرهم فيه، فلما أكلته واستقر في جوفها حصل من الحمل في بطنها حركة مزعجة أوجبت أن تقيأت ذلك كله، فأعلم اكابره بهذا، فتحققوا أنها أول كرامة مما وعد به.

ثم إنهم رحلوا الرحلة الثانية، فبينما هم أثناء طريق مقصدهم، إذ خرج عليهم قطاع طريق فنهبوهم أجمعين، واستأصلوا ما معهم كما فصل في (روضة اولي الصفا).

قال: فبينما هم متألمين باكين، يرجع بعضهم إلى بعض من غير فائدة عائدة في ذلك، إذ خرج على قطاع الطريق سباع وشئت جمعهم، فلم يسع قطاع الطرق المذكورين إلا أن ألقوا جميع ما نهبوه. وحصل الأكراد على جميع ما نهب لهم، وبلغوا مقصدهم كما احبوا، ولله المنّة ومنه العناية.

أبي جعفر وأبي الفرج مشاجرة أدت إلى المنافرة، فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما إلى عملهما، فلم يزل الحقد يقوى والشر يتجدد، فضرب أبو جعفر أبا الفرج بلسان في يده فقتله، فنفر الجوزقان بأسرهم ونهبوا وأفسدوا، فطلبهم علاء الدولة وسير عسكرا واستعمل عليهم أبا منصور بن عمه أخوا أبي جعفر الأكبر وجعل معه فرهاد بن مرداويج وعلي بن عمران، فلما علم الجوزقان ذلك أرسلوا إلى علي بن عمران يسألونه أن يصلح حالهم مع علاء الدولة وقصده جماعة منهم، فشرع في الإصلاح فطالبه أبو جعفر وفرهاد بالجماعة الذين قصدوه ليسلمهم إليهما وأرادا أخذهم منه قهرا، فانتقل إلى الجوزقان واحتمى كل منهم بصاحبه وجرى بين الطائفتين قتال غير مرة، كان في آخره لعلي بن عمران والجوزقان، فانهزم فرهاد وأسر أبو منصور وأبو جعفر ابنا عم علاء الدولة فأما أبو جعفر فقتل قصاصا بأبي الفرج وأما أبو منصور فسجن، فلما قتل أبو جعفر علم علي بن عمران أن الأمر قد فسد مع علاء الدولة ولا يمكن إصلاحه فشرع في الاحتياط". الكامل في التاريخ، ٦٩٢/٧.

واستمرت الاضطرابات والمناوشات حتى السنة التالية وطالب علاء الدولة بن كاكويه تسليم قتلة ابا جعفر من الجوزقان، فسلموا وقتلوا جميعا. الكامل في التاريخ، ٦٩٩/٧.

(١) في الأصل غير معجمة، وسيكتبها المؤلف فيما يأتي (مرغا). ومرغا بالكردية مه رگا - بفتح الميم والجيم الفارسي - اي المرج.

قال: ثم من حين وُضع السيد تاج العارفين - قدس الله سره - لم يذكر الله عز وجل قط عنده إلا ويهتز كالمتواجد ويتحرك لسانه، ثم نمت زروع الأكراد ومواشيهم، وبورك لهم في مواشيهم، وكانوا يتوسلون به في مهماتهم فيقضي الله حاجتهم، واشتهر ذلك فيهم إلى يومنا هذا^(١)، واشتهر قبل شهرته بتاج العارفين بالكُردي نسبة إلى أخواله وقوم امه، كنسبة الحافظ العلائي^(٢) العبدى بالعبدى نسبة إلى قوم أمه، برة بنت محمد من آل عبد ياليل^(٣) ووقع كثير مثل هذا.

قال: فلما بلغ سن التمييز قدر عود الأكراد عن البقعة التي كان البطيخ المذكور بها، ونزلهم بها، فنظر السيد إلى والدته فقال: يا أماه! أعلمت ما صنعت معي ها هنا عند رحلتكم لوفاة والدي من الأذى؟ فقالت: وحقك عليّ يا ولدي، لا أعلم انني جزتُ بك من ذا المكان قط، فقال: ولا أكلت بهذا المكان بطيخاً حراماً وحصل لي انزعاج أوجب أن تقيأت ما أكلته، وخرج عليكم قطاع الطريق، وارتجف فؤادك لذلك، وحصل لكم غاية الضرر، لولا من أرسل الله اليكم من الملائكة على صور السباع، فكانت سبباً لتشتت قطاع الطريق، وعود ما كان أخذ لكم بمنة الله تعالى، فبلغكم مقصدكم سالمين في أنفسكم وأموالكم.

فقلت: يا ولدي! لم أعلم أنك تعرف بما كنت فيه حملاً، فقال: نعم! علمت بذلك ويا الزامك لي أيضاً بالثدي للرضاع في نهار شهر رمضان، ولم أقبله لإغناء الله لي عنه بالتغذية (٧ب) بأنوار كفايته وهدايته وتولييه، وانك كنت ظننتني مريضاً،

(١) كان الأكراد وغيرهم يزورون تربة تاج العارفين أبي الوفا وتربة الشيخ جاكير وغيرهما وينذرون عندها النذور، يقول ابن تيمية: والنذر للمخلوقات أعظم من الحلف بها، فمن نذر لمخلوق لم ينعد نذره ولا وفاء عليه باتفاق العلماء، مثل من ينذر لميت من الأنبياء والمشائخ وغيرهم كمن ينذر للشيخ جاكير وأبي الوفاء... وكذلك من نذر لغير هؤلاء زيتاً أو شمعاً أو ستورا أو نقداً ذهباً أو دراهم أو غير ذلك فكل هذه النذور محرمة باتفاق المسلمين، ولا يجب بل ولا يجوز الوفاء باتفاق المسلمين. رسالة في الايمان، مجموع الفتاوى (المدينة النبوية: ١٩٩٥)، ٢٧/١٢٤، كما وجه ابن تيمية رسالة إلى بيت الشيخ جاكير.

(٢) الحافظ والمحدث صلاح الدين خليل بن كيكليدي بن عبد الله العلائي الدمشقي (ت ٥٧٦١/١٣٥٩م)، صاحب كتاب "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" وغيره من كتب الحديث.

(٣) هناك أكثر من شخص بهذا الاسم في الجاهلية وصدر الاسلام، وأشهرهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وكان رأس وفد ثقيف الذين قدموا على رسول الله (ص) فأسلموا وابنه كنانة بن عبد ياليل اشهر منه .

ولم يكن الأمر كذلك، ألم تر إني رضعت ثديك حين انقضى شهر رمضان^(١)، وقلتم: لعل ذلك من الكرامات التي بشر بها والده، فقالت: صدقت يا ولدي. ثم لا زالت بركاته تتزايد وكراماته تتوارد حتى أظهره الله في قوالب الدلالات عليه، ورجع به من جميع الأغيار إليه، وبسبب ما ذكر اعتمد بعضهم على انه نرجسي الأصل، وظنوا أن أباه نرجسي أيضاً، وهو غلط.

وقد سمي مروان بن محمد بن الحكم الخليفة بالجعدي نسبة إلى خاله الجعد بن درهم، وليس هو إلا مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ومثل ذلك كثير.

وأما ارتحالاته فأولها إلى الشيخ الشنكلي، فكان أول تلك الرحلة للزيارات وأخذ العلوم، فأقام في رحلته تلك ببخارا مدة^(٢)، فخدم العلم الشريف، ولم يعلم أحداً بنسبه ولا شهرته، فلما انتهى في الاشتغال وأجازته علماء بخارا، طالبه رفاقه بوليمة لذلك، فاعتذر اليهم فلم يقبلوا عذره، فاجتمع بسطان بخارا، فقال له إني شريف من ولد الحسين، وأنا في هذه البلدة غريب لا أستطيع أن أصنع وليمة شكر كتب قرأتها^(٣)، وأنا أرجو أن تقوم عني بذلك ويكون لك فيه الأجر، وأن تعينني على ذلك.

فلم يعتن السلطان به، وقال: كم في الكون من شريف! فلما رأى الشيخ ذلك من السلطان تركه وذهب مُغضباً، ففي تلك الليلة رأى السلطان في المنام أن القيامة قد قامت، وأنه في أشد ما يكون من العطش، فقصد حوض الكوثر فرأى النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحوض، فقصدَه وسأله ان يسقيه شربة والناس يردون افواجاً أفواجا، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، وقال له: من أنت؟ قال: يارسول الله أنا من أمّتك، فقال: وكم في الكون من أمّتي بالدعوى، آتيني ببينة. فقال: يارسول الله! ومن أين أجد بينة في هذه الساعة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن أين يأتيك الشريف أبو الوفا بتعريف أكثر من نسبتنا الينا وعزّه بنا؟،

(١) في الكتب المؤلفة في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، تنسب هذه الكرامة إليه لا إلى تاج العارفين.
(٢) في قصة مشابهة متداولة بين أكراد شهرزور وهورامان أن بنت ملك بخارا شفيت على يد پير شهريار أي تاج العارفين أبي الوفا. عبدالكريمي مدرس، بنه مالهى زانياران - أسر العلماء.
(٣) كذا في الأصل، ولعل شيئاً سقط من الجملة.

قال: فاستيقظ الملك مرعوباً، وحث في طلب السيد، فلم يجده، فخرج عن ملك بخارا مُجرّداً، ولازال يدور على السيد حتى لقيه بعد مدة، فتاب على يديه واستغفر الله مما وقع منه، وصلحت أحواله، وصار من أجلاء أصحاب السيد.

وقيل: انه من جملة السلاطين السبعة عشر الذين تحت علمه رضي الله عنه، ويعرف بالشيخ محمد التركماني^١، أقام بقلمينيا من قوسان بلد السيد حتى مات، وقبره بها ظاهر يزار رحمه الله.

وأوسطها سياحة وهيمان وتوحش من الإنس، وأنس بالوحشة، لا يأوي الي جليس، ولا يستأنس من سوى موله بأنيس، فكان يغلب عليه الشوق فينشده:
(هل من سبيل إلى وصل أعيش به)، ولم يزل من الحق ملأنا، ومن عشقه سكرانا، تحسبه عند ذكر أحوال الوجود^٢ حيراناً، قد هجر في الله احباباً وخلاناً، وفارق أقارباً وأقراناً.

وكانت وحوش البوادي تأمن لديه، ورجال الوقت تزوره وتخدمه وتشير اليه، وهو لا يستقر بمكان معروف، ولا يميل إلى مشتهى ومألوف، ويضبط من ألفاظه ما به يهتدي ذو الألباب، ما ينشئ من عرفه ما ينشئ^٣ به لجج بحر المعرفة والصواب.
ثم أنه في آخر سياحة تذكر أصل سبب الفيض وسُبله، فاشتاق إلى شيخه الشنبكي المشار اليه، فقصد زيارته، فتبعه رجل من رجال الوقت وغيرهم، فلما دنا من الحدادية نشق ريحه فأنشقها شيخه المشار اليه، وكان شيخه المشار إليه في ميعاد وعظه وإرشاده في جمع عظيم من الصالحين والخاصة والعامة بفيض بحار حقائق وعلوم لديّه، فقطع كلامه عند انبثاق ريحه، ونهض قائماً، وقال: أيها الناس! قد أتانا في هذه الساعة ضيفٌ جليل المقدار، وقد لاحت لنا من جهته لوائح الأنوار، فصفوا للقاء به الأسرار^٤. فإنه أعلى أهل الأرض درجة، ثم نادى إلى لقائه بمن معه، فأحسن تلقيه، وأكرم نُزله كثير فيه.

قال الراوي: فصارت همم بعض الرجال المنتمين إلى الشيخ الشنبكي من ذلك، فكان سبباً لتمام كثير منهم. وسأله بعض المحجوبين عن سبب هذا الاحتفال بالسيد

^١ - سترجم له المؤلف فيما يلي من كتابه، كما ستأتي أخباره مفرقة في غير موضع منه.

^٢ - غير واضحة في الأصل.

^٣ - كذا في الأصل.

أبي الوفا دون عاداته، يرد عليه: (هو) من أجلاء شيوخ العصر مع صِغَرِ سِنِ السيد أبي الوفا. فقال الشنْبَكِي: لو علمتم مقدارَه لظهر لكم انه يستحق فوق ذلك، ولكن ستعلمون ببناء هذا الولي عن قريب إن شاء الله تعالى.

قال: ثم أن الشيخ صنع له وليمة عظيمة، وجمع الناس عليها بظاهر الحدّادية، وكان من جملتهم المنكرون على الشيخ حسن تلقيه، وأجلس السيد تاج العارفين إلى جانبه، ثم أخذ في تذكير القوم وتخويفهم سَطَوَاتِ الله، وحثهم على حُسن الظن، فكان من جملة كلامه أن قال: يا قوم إن من عباد الله من لو بَسَطَ رداءه على الملائك لا تبسط هكذا. وألقى رداءه على الماء فانبسط. قال: ثم إذا أراد الصلاة عليه والرجوع بعد ذلك، وعدم ابتلاله بالماء كان ذلك سهلاً عليه، ثم نفى الرداء، فخرج منه غبار، فقال السيد أبو الوفا، وقد هاج سره وغلب عليه الحال: نعم يا سيدي، ويقع لهما ابلغ من هذا! فقال الشيخ أبو محمد: وكيف يا أبا الوفا؟ يريد تأديب المنكرين من جماعته بذلك، وأن يكون ذلك سبباً لكشف حجابهم.

وبسط السيد أبو الوفا رداءه ووقف عليه، فارتفع به في الهواء نحو مائة ذراع، فتوجه إلى القبلة فصلّى ركعات، ثم عاد فأجلسه الشيخ إلى جانبه مجلساً يتذاكرون في المواهب، وأحدق القوم بهما، وأتى المنكرون تائبين خاضعين مستغفرين نادمين، فكان ظهور هاتين الكرامتين من الشنْبَكِي والسيد أبي الوفا - قدس الله سرهما - سبباً لخلاص المنكرين من سوء الظن وانكشاف حجب الغفلة عن قلوبهم، ولله المنّة، وقد بينه الشيخ الشنْبَكِي على ذلك في المجلس بقوله: أما بعد، يا قوم! فإذا حضرتم بين يدي الرجال فاحفظوا - بحسن الظن - القلوب، فإنني أخشى عليكم من سوء الظن سطوات علام الغيوب، وإنني سأخبركم بما علمتُ من شأن أبي الوفا مجملاً. يا قوم! كل مرید سَعُدَ بشيخه وأما أنا فإنني سَعُدْتُ بأبي الوفا مريدي هذا. فترامى القوم بين يديهما، وانصلحت سرائرهم، وصحّت احوالهم.

وأقام السيد عند الشيخ ثلاثة أيام بعد ذلك، لا يقطع الإستغفار من غلبة الحال عليه بما ذكر.

أقول: وكان محل ذكر هذه الكرامة في بابها، لكن سياق قصة الرحلة اقتضت ذلك فافهم. وكانت رحلته هذه اثني عشر عاماً والله اعلم.

^١ - تكررت (بكشف) في الأصل.

- الارتحالة الثالثة:

قال الراوي: ولما تم من أمره ما قصَّ في الرحلة الثانية، عزم على رحلة ثالثة، يستمطر بها مسكنه في نظام الكمال، فاستأذن الشيخ وودَّعه ومن عنده من الرجال، وخرج متوكلاً على الكبير المتعال، فكان يرى من كرامة الله له ومواهبه وعنايات ما لم يكن في ذهن مخلوق.

وكان إذا مرَّ في البوادي أنست به كواسر السباع وغيرها، فكان يردع قوياها عن ضعيفها، ويقصد في كل مكان يأوى صلاح (١٠) قطره، ويجالسه أصحاب الخطوة والشم والنظر الخارق والسَّير في الملكوت، فكان يشاهد مشاهد المشاهدين، ومحاضرات أهل الحضرة وكشوفات المكاشفين، وإدراك المستغرقين، وسبيل الجابرين، ولذات المقربين، وأثار الانبياء والمرسلين، وغاية الصديقين، ففيض الرحمن عليه يصب، وأنسه ونفحات أنسه على الأكوان يهب، ولم يزل كذلك إلى انقضاء اثني عشر عاماً أخرى، فاستحق المدح بكونه في أعلى مقامات أهل الإصطفاء، وكحلِّ بصره وبصيرته بأئمة الشفاء، وطرد الحق عنه شيطان الفتن وتقى، وألبسه تاج الكرامة، وسماه أبو الوفا. فتهدمت منه خزائن الشيطان، وخاب منه أمله، ونمت سيادة هذا السيد، وزكى عمله فلبس الحلل الفاخرة، ودعا إلى الحق وإلى طريق الآخرة.

ثم قدر الله تعالى مروره على الكنيرية^١ (؟) قرية معروفة بالشرف، وكان بتلك القرية من رجال الوقت شيخ من المشايخ الأكابر، يعرف بين المشايخ بالشيخ علي العجمي، بابه مسجد لا يدخله أحد إلا أكل وشرب مما هو مُعد للضيوفان، فمر السيد أبو الوفا على ذلك المسجد، فوجد الصلاة قائمة فيه، فدخل فصلى الجماعة، فلما انقضت الصلاة وتوابعها، وهم بالإنصراف، حضر إليه الشيخ علي العجمي المنوَّه بذكره، فدعاه إلى منزله، وسأله بالله أن لا يخيب مسعاه، فأجابه وأبرَّ قسَمَه، وذهب معه إلى منزله، ففرح الشيخ علي بذلك فرحاً عظيماً وقدم له شيئاً من طيب الطعام، فتواكلا وتوانسا.

ثم أقسم عليه في المبيت عنده تلك الليلة، فلم يسعه إلا إجابته والمبيت عنده، فلما أصبح الفجر، وصلى الصبح، أراد السيد أبو الوفا الإنصراف، فاستأذن

^١ - الكلمة غير واضحة في الأصل، وهذا أقرب وجه إلى قراءتها.

العجمي، فأبى ولم يمكنه من ذلك عند ثلاثة أيام، فحصل بينهما في هذه الثلاثة أيام من المحاضرة والمذاكرة والتواضع في العبادة ما أوجب بينهما غاية الإلفة والمحبة لله تعالى، فلما أراد في اليوم الرابع الإنصراف، أخذ العجمي في لومه على عدم التوطن بمكان، ونفع المسلمين بالدعوى إلى الله تعالى.

وقال له: إن ذلك هو الأولى في حقك، والأنفع لعباد الله، والأتبع لسنة جدك المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فأقم وتزوج وانفع بما نفعك الله، واهد بما هدك الله، تقم بالسنة، بل بما هو الواجب عليك، وليس النفع (١٠ب) الخاص كالعام، فعلق السيد أبو الوفا أمر اجابته لذلك على الاستخارة، وما يحسنه الله في باله بعدها ويأذن فيه، فاستحسن الشيخ علي ذلك، وأمل حصول مقصوده، ثم قال: يا سيدي أرايتك أن أذن لك فيما سألتك فيه متزوجاً بابنتي، فأجاب السيد بقوله تعالى ﴿نَمَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١.

قال: ثم أن السيد أبا الوفا استخار الله تعالى وجلس مستقبلاً منتظراً ورود الإذن من الله تعالى، ثم انتهى التوجه في ذلك فقام، فسأله العجمي عما أذن فيه؟ فقال: إن الأمر تعلق برأي جدي الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد حصل بيني وبينه عهدٌ أن لا أحدث في ذلك أمراً إلا بإذنه، وإذا كان ليلة سبع وعشرين فاذهب بنا لزيارته، فمهما أذن فيه على لسانه فعلنا إن شاء الله تعالى.

فلما أتت المذكورة توجه السيد أبو الوفا والعجمي إلى مدفن الإمام، وهو بغير المشهد المشهور، قال: فباتا عنده ليلة مشهودة، ثم أن السيد أبا الوفا رأى الإمام علي - كرم الله وجهه - فعرض عليه الحادثة، فرضي الإمام على ذلك، وأمر السيد أبا الوفا بقبوله والإقامة والتزويج ونفع الناس، ووعدده بحصول المدد من الله تعالى. فلما استيقظ السيد من منامه قص رؤياه على العجمي فحصل له من السرور ما لا يعبر عنه، ونادى في ناديه بشير التهاني ببلوغ الأمان، فلما اتضح النهار عادا جميعاً إلى الكنبرية^٢.

وصنع الشيخ علي العجمي وليمة عظيمة جداً وجمع فيها خلقاً كبيراً من الأولياء والعلماء والأعيان وغيرهم، فلما انتهى أمر الوليمة قام الشيخ علي العجمي،

^١ - سورة ياسين، الآية (٨٢).

^٢ - الكلمة غير واضحة في الأصل، ولم يضبطها المؤلف والراجع.

فخطب خطبة بليغة تؤذن بوفور السرور، وبحصول الاذن بتزويج بنته من السيد تاج العارفين^(١)، ثم عقد عقد السيد على ابنته المذكورة، واسمها حسنية^(٢)، وقسم للسيد نصف ماله^(٣)، فبارك الله للشيخ علي في النصف الباقي له حتى صار في عام واحد فوق ما كان.

ثم إن السيد توطن لها قلمينيا، ووطن لها من العبادة ما أحبه. قال: فأقبلت على العبادة وعلى خدمة القوم بنفسها حتى صارت تخدم القوم بالحال، كل ذلك وهي بكر فسمّاها بذلك ست الفقر (إشارة) إلى سيادتها بحصولها بالخدمة على قدر أجورهم أجمعين.

ثم لما مضت عليها مدة من ذلك اشتاق أهلها إليها (و) زاروها نساءً ورجالاً فوجدوها قد انتقلت من طور إلى طور، ورأوها قد صارت من ذوات القلوب والأبصار الصحيحة والبصائر، ووجدوها بكراً لم يصبها السيد، فلم يسهل لهم ذلك، ولاموها على عدم تزئنها له وتحببها إليه، فقالت: إني لست أرى منه فراغاً لذلك، ولا ميلاً إلى ما تشيرون اليه، فألزموها بالتزئ والتهيؤ^٤ لذلك بأجمل ملابس^٥ وأضوع طيب عندها التماسا لحصول ولدٍ منه يحصل لهم به البركة وطمانينة لبقاء الزوجية على ما هو الحال، ففعلت ذلك اتباعاً لرأيهم، ولم يكن الشيخ أبو الوفا مأذوناً له في الجماع، فلما دخل عليها، فهم من حالها إشارتهم (ف) خلع لها ثوبه، وقال: يا حسنية! إن في هذا الثوب نقطة من جنابة فاغسلها، فأحضرت طبقاً من نحاس فغسلت فيه النطفة، فخرق الماء الطبق النحاس في وقته، فعلمت إشارته، ثم أنه أمرها بأن تفتت في لبن خبزاً ففعلت ما أمرت به، وقيل: إنما أمرها أن تطبخ فيه أرز، فقال يا حسينة! إنك واهلك قدرهم في الولد، وإن لأخي سالم ولدين فمن بصق

(١) مازال أهل هورامان تخت يحيون ذكرى زواج تاج العارفين أبي الوفا المعروف بينهم ببير شهريار كما ذكرنا ويعرف بـ(زه ماوه ندو پير) بمعنى حفلة زواج پير، راجع المقدمة.

(٢) ذكر المؤلف هنا أن اسم زوجته هو حسينة أو حسنية وسوف يذكر في الجزء الثاني أن اسم والدته هو فاطمة أو أم كلثوم أو كلثوم في روايات أخرى، وقيل أن اسمها فاطمة، وكنيتها أم كلثوم.

^٣ راجع المقدمة.

^٤ - إضافة يقتضيهما السياق.

^٥ - كذا في الأصل، ولعلها: التهيؤ.

^٦ - في الأصل: ملابسا

منهما فاكل هذا اللبن فهو ابني ووارثي حالاً ومالاً، فكان أول من دخل السيد مطر بن اخيه السيد سالم، فانشد في اكل ذلك فأكله بكماله .

فلما بلغ السيد ذلك سر به سروراً كثيراً، وقال: الحمد لله الذي بنا بي بن اخي، وحقق بذلك ظني. وجعل مطر وارث حالي ومالي، فأعيد إلى زبالة والهيثم^(١)، فورث أباه في نفوذ الكلمة والرياسة، ومازال كذلك حتى اشتهر أمر عمه للسيد تاج العارفين، فأتى إليه على الصورة الآتي ذكرها في مناقب السيد مطر، وصار بحيث قال عمه مطر: وارث حالي ومالي، فكانت لمطر المزية على سائر اصحاب السيد وأقاربه وامتلات البلاد وقصد بالزيارة من كل فج، ونوه بذكره ومناقبه في كتب كثيرة. ونسبه إلى بلدة بادراي^٢ بالشرق لاقامته بها، وسيأتي ذكر مناقبه وترجمته في باب آت^٣ إن شاء الله تعالى.

ثم استرسل السيد أبو الوفا في تربية المريدين، وارشاد الضالين، وجبر الكسير، ومساواة الفقير، والتلطف بالصغير، والرفق بالكبير، ويستدرج كلاً إلى أبواب الخير، وطرق الوصول بحسن ما وهبه الله تعالى من الحكمة والسياسة.

(١) قريتان ذكر انهما شهدتا ولادة الشيخ مطر المذكور، زبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، وقال أبو عبيد السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد. والهيثم: موضع ما بين القاع وزبالة بطريق مكة على ستة أميال من القاع فيه بركة وقصر لأم جعفر ومنه إلى الجريسي ثم زبالة. معجم البلدان، ٤٢٦/١٢٩، ٥/٣.

^٢ - هكذا يكتبها المؤلف، وهي بادرايا التي وصفها ياقوت بقوله "طسوج بالنهروان، وهي بليدة بقرب باكسايا بين البندنجين ونواحي واسط، منها يكون التمر القسب اليابس الغاية في الجودة واليبس، ويقال أنها أول قرية جمع منها الحطب لنار إبراهيم عليه السلام". معجم البلدان ج ١ ص ٣١٦. وكانت تمثل (طسوجاً) أي وحدة زراعية كبيرة تابعة لمدينة واسط، ومركز هذا الطسوج مدينة بادرايا، وهي بلدة (بدره) الحالية، مركز قضاء في محافظة واسط قريبة من الحدود العراقية الإيرانية. وتشمل هذه المنطقة اليوم ناحية (جنكولة) وسائر النواحي المجاورة الممتدة في الجهة الشرقية من خط الحدود الحالي من مقابل بدره وحتى نهر الطيب (في استان عيلام حالياً)، أما باكسايا القريبة منها فتقع آثارها بقرب مركز شرطة الشهابي جنوب بدره.

^٣ - تقرأ في الأصل (بابان).

الباب الثاني:

في وصيته وكلامه ومقالاته :

(١١ب) فمما روينا بالسند إلى الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين - قدس الله روحه - أنه قال: كنتُ أسمع من السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - في مواعظه كلاماً يفهمه الحاضرون طراً، وكلاماً يفهم البعض من دون الباقي، وهم الخواص، وكلاماً يغرب فهمه عن الخواص والعوام. قال: فكنتُ إذا خلا المجلس أريد سؤاله عن ذلك، فلا أتجرأ عليه، حتى غلبني الحرص في يوم، فسألته عن ذلك، فقال: أما ما يفهم العامة والخاصة فمعلوم أنه النصائح الدينية الظاهرة والأحكام الشرعية، وأما ما يفهمه بعض دون بعض فهو الأحكام الدينية والإشارات الحقيقية، وأما ما لم يفهمه أحد فذلك خطاب أرواح الأئمة العارفين والملائكة الشاهدين فافهم ذلك.

روينا من كلامه قدس الله سره العزيز: من هيَّمه أثر النظر، وأقلقه سماع الخبر يقطع في مفاوز الاشواق، ولم يلتفت إلى الآفات، وفي رواية: إلى الافاق. ومنه ما كان يقوله في ابتداء أمره في هُيْمَان: هل من سبيل إلى وصلٍ أعيش به.

ومنه: الذكر ما غيَّبك عنك بشهوده، وأخذك منك بوجوده. ومنه، وقد سئل عن معنى الذكر، فقال: الذكر شهود الحقيقة، وخمود الخليفة.

ومنه: الأجسام أقلام، والأرواح ألواح، والنفوس كؤوس، ثم نظرة تاه به، ومشاهدة فقلب، والقدر محادثة الستر عند اصطلام العبد بحصول الشهود، واستغراق القلب في بحر المشاهدة بشهود الحصول.

ومنه: من أخلص لله في معاملته يخلص من الدعاوى الكاذبة، ومن ضيَّع حكم وقته فهو جاهل، ومن قصر فيه فهو غافل، ومن أهمله فهو عاجز.

ومنه: وقد سئل عن التسليم، فقال، التسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام، وترك الشفقة عليها من الطوارق. ومنه حين سأله المريدون وصية نافعة للابتداء يبدأ بها الطريقة، فقال: أول لوازم المريد تصفية القلب، وتطهير السرِّ في ما ظهر وبطن، والحرص على إداء الفرائض والسُّنن، وتجنب البدع وسائر الحوادث والفتن، واستعمال التواضع والخلق الحسن، وملازمة الفكر، ونفى رديء الخواطر ووعظ نفسه والخلق الحسن ليُرحم، والنظر في تصفية الملابس والمطعم، ولزوم الوقوف عند (١١٢)

الحدود باذلاً في ذلك المجهود، ملازماً على حفظ العهود، حذراً من الدعاوى الكاذبة فإن عمل صاحبها مردودٌ، فمن اعجب بشيء منها وقف عنده، وربما حط به وسلب مواد التوفيق، وفقد حاله على التحقيق، وملاك هذه الطريق اتباع السنة والآثار المحمدية. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾^١.

والتقوى رأس مال الأمور كلها وهو أتم الأحوال وأجلها، فإنه شجرة عظيمة أصلها محمد - صلى الله عليه وسلم - وفروعها الصحابة والتابعون والعلماء والصالحون، وثمرتها التقوى والأعمال الصالحة، فاجعل التقوى زادك إلى دار البقاء، تقرباً بالسلامة يوم اللقاء، واحذر من أن يراك مولاك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، وإياك وخلطة الأغيار، وتلبيس النساء هذه الأطمار، أو مؤاخاتهن ونزل الأحداث قريباً من منزلهن، فها قد أوضحتك أيها المريد، فالزم سبيل الجنة، ولا تقد نفسك إلى النار. واعلم أن الحق غيبٌ لا يدرك، والقلب غيب لا يملك، فاذا اتصل الغيب بالغيب، شاهد الغيب الغيب. والقلوب اذا تلفت مرقت، فاذا ارتقت التقت.

ومنه، وكان في مجلس ارشاد وتذكير، فسئل عن الوصول، ومتى يصير المريد اليه، فقال: إذا صار شيرجاً خالصاً، فلم يفهم معنى هذه الإشارة حتى مرَّ بياع شيرج وهو ينادي من يشترى الشيرج الخالص، فعند ذلك اتضح معنى الإشارة للبعض دون البعض، فأحب الشيخ علي بن الهيثمي^٢ إيضاح ذلك للمريدين والمحبين، فسأل السيد في ذلك فاجاب، وقرر أن السَّمِسم إذا أريد زرعُه طيبت أرضه بالحرث مرتين أو ثلاثاً. ثم صُفي ونُقي ثم زرع في تلك الأرض المطيبة في وقتها المعلوم، فيعدى^٣ بما في تلك الأرض الطيبة من الرطوبة، ثم يداركة الله بالمطر وبالطل فيتقوى بذلك وينتعش، فإذا نبت اعتنى به حارسه لاحتياجه إلى عنايته به، فيزيل عنه الأعشاب وجميع ما يؤذيه ويضعفه، ولاحظه حتى استوى وانتهى، ثم قلعه اذا مسَّ أرضه وأبانه عن وطنه، ثم يشد وسطه، ويقومه على ساق في الحر والبرد حتى يجف

^١ - سورة الحشر، الآية (٧).

^٢ - الشَّيخُ المعمر أبو الحسن علي بن أبي نصر المَعْرُوفُ بِأَبْنِ الهَيْثَمِيِّ (ت: ٥٦٤ هـ/١١٦٨م)، سيترجم له المؤلف فيما يلي من هذا الكتاب تفصيلاً، وسينقل منه روايات عدة في غير موضع منه.

^٣ - كذا في الأصل.

من سائر العفونات، ويتأهل للتنقية من سائر الرعونات^١، فعند (١٢ب) ذلك يُقَلَّب فيقام على أم رأسه مدة، ثم يهياً له أظهر بقعة وانظف، فيجعل فيها، ويُضرب بالعصي حتى ينفصل عن كل شيء، هو حجاب بينه وبين الظهور إلى قضاء التخلص والنفع، ويزول منه الغلث^٢ والقشر، ويصير قلباً خالصاً، غير أنه يكون محتاجاً في كشف بقية ذلك الحجاب، وهو قشر ذلك القلب المكتسب من مجاورته^٣ لتلك الحُجْب التي زالت إلى علاج كان، فيُغسل بالماء، ثم يُدق دقاً جيداً، ثم يقلى في النار فتنفوخ روائح سره، وهو الشيرج، فيُستبشر بقرب مخلصه، ثم يستخرج منه، فيطحن طحناً جيداً بحيث لا يبقى لشكله وشخصه وجود، بل يمتزج صافيه بكدَره، وتختلط أجزاءه، فيكون في ضمن ذلك بعد التفريق وموت^٤، وهو إلى الحياة والتنور اقصر طريق، ثم يُداس بالأقدام، فكلما أهين كان ذلك لمُرييه والمُستخرج لصابيه اعظم معين، فعند ذلك يطلق عليه اسم الشيرج، ويوصف بالخالص، ويحمل على رؤوس الطائفين، وينير في الظلمات، ويطيب طعم الطعام، ويكثر منه النفع العام، فيكون ما اعترضه في سلوك الطريق التخلص من الأكدار موجباً لصيرورته على الخلوص، ولنفعه وإنارته.

وكذلك المرید مع شيخه حيث استسلم له استسلام السمسّم للزرّاع، فإن نفخت في قلبه نفخة اعتراض فما بين من ذلك له بنافع، أشار بذلك - رضي الله عنه - إلى أن المرید تستطاب أرضه ومغرسه وتستسقى له سُحب الرحمة وتستصفى له الاغذية، ثم يزال عنه بأكف الورع ومناجل الزهد، لرَيْن الرِياء^٥ وأعشاب العجب وشوك الشرك، فإذا لاح له منه الاستعداد قلعه من أرض وطنه، وأقامه في بيدر طهارة القلب والسر، وشدَّ وَسَطه بزُنار^٦ العزم، وأقامه على ساق الخدمة والمجاهدة، فأصابه حرّها وبردها، واختلفت إليه رياح الأشواق، فإذا انتهى قلبه على رأسه، فيفرغ من الغير، فيعالجه إذاً حتى يخرج من قشر بقية الحجاب، ثم يُطحن بطاحون الوصول، ثم

^١ - الرعونة: الطيش، وعند الصوفية مصطلح يريدون به الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها.

^٢ - الغلث: التراب المتلبد والحب الأسود يخالطه البر ونحوه.

^٣ - في الأصل: محاورته..

^٤ - كذا في الأصل.

^٥ - الرين: الدنس.

^٦ - الزنار: الحزام يشد على الوسط.

يُعَجَنُ فِي مَعَاجِنِ الْمَشَاهِدَةِ، ثُمَّ يُدَاسُ بِأَرْجْلِ الْفَنَاءِ عَنِ السُّوَى، فَإِذَا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ خَلَصَ فَنُودِي عَلَيْهِ خَالِصاً، وَصَارَ نُوراً يَضِيءُ وَيَسْتَضَاءُ مِنْهُ، وَهَنَالِكَ تَنْفَجِرُ يَنَابِيعُ الْحَكْمِ فِي قَلْبِهِ، وَيَشْرِقُ بِأَنْوَارِ الْوَحْدَانِيَّةِ، فَيَتَجَلَّى بِهِ ظِلْمُ الظُّلْمِ وَالضَّلَالِ، (أ٣١) وَتَتَجَلَّى عَلَيْهِ غُرُوسُ التَّوْحِيدِ فِي الْبُكُورِ وَالْأَصَالِ، فَهَذَا مَا فَهَمَ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

وَرَوَى أَيْضاً أَنَّهُ شَبَّهَ الْمَرِيدَ بِالْكَتَّانِ، فَقَالَ: مِنْ أَحَبِّ الْوَصُولِ إِلَى مَوْلَاهُ فَلَا يَضْجُرُ مِنْ مَشَقَّاتِ الطَّرِيقِ، حَتَّى يَضْجُرَ الْكَتَّانُ مِمَّا يَحْدُثُ لَهُ قَبْلَ صَيْرُورَتِهِ وَرَقاً يَكْتُبُ فِيهِ اسْمَ اللَّهِ، أَلَا تَرَى مَا يُقَاسِي مِنْ مَشَقَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ حَتَّى يَنْشَفَ، ثُمَّ مِنْ مَشَقَّةِ قَلْعِهِ مِنْ أَرْضِهِ، وَتَغْرِيْبِهِ عَنِ وَطْنِهِ، ثُمَّ مَشَقَّاتِ الْمَعَاجِنِ، ثُمَّ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، ثُمَّ الدَّقِّ وَالضَّرْبِ، ثُمَّ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ قَشُورِهِ، ثُمَّ تَنْقِيَّتِهِ مِمَّا فَضَلَ فِيهِ (مِنْ) مَاءِ بَتْبَايِنِ سَهْوَلَةِ عَزْلِهِ عَنِ الْفَضَلَاتِ وَاللَّوَازِمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، ثُمَّ عَزْلِهِ ثُمَّ مَشَقَّةِ الصَّلْبِ وَالتَّهْيِئَةِ لِلنَّسِيجِ، ثُمَّ تَهْذِيبِهِ بَعْدَ النَّسِيجِ، ثُمَّ مَقَارِيضِ التَّفْصِيلِ وَابِرِ الْخِيَاطَةِ لِيَلْبَسَ، فَيَكُونُ مَا هُوَ إِلَى غَسَلِهِ كَلِمَا تَدْنَسُ وَدَقَّهُ لِيَعُودَ لِصَلَاحِيَةِ اللَّبَسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، ثُمَّ لَا يَزَالُ لَدَيْكَ حَتَّى يَتَمَزَّقَ فِيهِتْرِي عَلَى الْمَزَابِلِ وَالْكِيمَانِ^١، فَعِنْدَ ذَلِكَ سَيَأْتِيهِ الْوَرَّاقُ الْمَغْتَنِي بِالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ لِنَشْرِهِ وَالنَّفْعِ بِهِ وَالِانْتِفَاعِ، فَيَبْعُدُ عَنْهُ الْقَاذِرَاتُ وَيُطَهَّرُهُ بِالمِيَاهِ الطَّاهِرَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُهُ الْوَرَّاقُ^٢ فَيَعَالِجُهُ حَتَّى يَصِيرَ وَرَقاً صَافِياً يَصْقَلُهُ فَيَحْسِنُ صَقَالَهُ، فَيَصِيرُ قَابِلاً لِرَقْمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْقِرَانِ الْكَرِيمِ، وَالْإِحَادِيثِ السُّنِّيَّةِ، وَالْعُلُومِ السُّنِّيَّةِ وَالْمَعَارِفِ اللَّدْنِيَّةِ، وَاللَّهِ تَعَالَى الْمَوْفُوقِ وَالْمَعِينِ.

وَمِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ وَشِيَ إِلَى خَلِيفَةِ عَصْرِهِ بِكَثْرَةٍ مِنْ يَجْتَمِعُ عِنْدَ السَّيِّدِ مِنَ الْخَلَائِقِ فِي مَجْلِسِ التَّذْكَيرِ وَغَيْرِهِ، وَخَشِيَ الْخَلِيفَةَ بِذَلِكَ عَلَى مُلْكِهِ، وَأَحْضَرَهُ وَأَحْضَرَ مَعَهُ مِنْبَراً مِنْ بُولَادٍ^٣ وَأَحْمِي كَمَا سَيَنْصُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَاحْضَرَ فِي مَجْلِسِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُوسَاءِ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ، وَحُدَّاقَ أَهْلِ الْجِدَالِ، وَأَعْدَاؤَ لَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمَفْحَمَةِ مَاظَنُوا بِهِ تَعْجِيزَهُ وَفَضِيحَتَهُ، فَأَنْسَاهُمْ اللَّهُ أَجْمَعِينَ مَا

^١ - الكيمان: الأكوام.

^٢ - الوراق كما يفهم من سياق الجملة هو المشتغل بصناعة الورق، لا بائع الكتب كما يفهم من مصادر التراث الأخرى.

^٣ - البولاد هو الفولاذ.

أعدُّوه وغير ما أعدُّوه من سائر معلوماتهم، فلم يسأله غير واحد، فقال: يا شيخ! ما الإسلام؟ فقال السيد: إسلامكم أم إسلامنا؟ فقال السائل: ألكم إسلام؟ قال: نعم! قال: أوضح لنا الإسلامين، قال السيد: أما إسلامكم الكامل فعين الإيمان، إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، وأما إسلامنا فمحو الذوات، وتبديل الصفات، واستغراق الأوقات بالطاعات. وأما فرض صيامكم فشهْر رمضان (١٣ب)، وأما فرض صيامنا فمن كل ما في الكائنات خلا ما لا بد منه، معيناً على الطاعات، والتخلي عن سائر الرذائل والناقصات، وأما زكاتكم ففي النقدين كذا، وفي الزروع كذا، وفي الثمار كذا، وفي المواشي كذا، إلى آخر ما تجب فيه الزكاة، وقدر ما يجب. وأما زكاتنا فبذل الموجود، والتغني بما عند المعبود عن سائر الوجود وما في الوجود، وحجُّكم في الفرض بشروطه وحجُّنا أداء الصلوات المفروضات نحو مكة المشرفة علي ممر الأوقات، وحضور الحج كل عام مع السادات^١، وربما كان البيت بنا طائفاً وكم يشاهده الصادق المخلص لنا لطلبنا^٢.

ثم استدعى الباقيين للكلام فلم يتكلموا، ثم أجاب على ما أطلعه الله عليه من مسائلهم المفحمة كما سيأتي في بابه إن شاء الله تعالى. ثم قال: ألا من كان يقدر على هذا الإسلام فليتقدم! فلم يُجبه أحدٌ منهم، ثم لما ختم السيد المجلس، ونزل عن الكرسي، حضر إليه للزيارة الشيخ أبو الوفا تاج العارفين، والشيخ ابوالحسن والد أبي الفرج (ابن^٣ الجوزي^٤)، وكان يستكثران عليه النطق بما سمعاه منه، بعد أن كانا يظنان أن يقدر عليه. قال: فلما جلسا في مجلسه، قال: إنكما قد سألتما في المنام، فتفل في في، فأمسيتُ عجمياً وأصبحتُ عربياً^(٥)، ثم أنشد:

^١ - سوف يكرر المؤلف ذلك مفصلاً و(٤٨ ب).

^٢ - هذه الكلمة غير واضحة في الأصل.

^٣ - الزيادة يقتضيها السياق.

^٤ - سيترجم له المؤلف تفصيلاً فيما يلي من الكتاب.

^(٥) وردت هذه المقولة الشائعة المنسوبة إلى رجال متصوفة أكراد من التائبين، في مصادر أخرى عديدة، بصيغة: (أمسيتُ كردياً وأصبحتُ عربياً) أي "كردياً" بدل "عجمياً"، ونسبها الباكوي وهو متأخر (ت: ٨٣٦هـ/١٤٣٢م) إلى أبي بكر الحسين بن علي بن يزدانيار الكردي اليرموقي المتوفى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م والمدفون بآرمية، ونسبها الشيرازي و عبدالرحمن جامي (٨١٧-٨٩٨هـ/١٤١٤-

سر الفصاحة كامن في المعدن

الأبيات المشهورة وهي مكملة في الباب الخامس من الشطر الاول.

ومن ذلك ما أخبر به ماجد الكردي^١ - قدس الله تعالى روحه - حين كان في خدمة السيد في زيارة الشيخ معروف الكرخي - رضي الله عنه - وهو أن السيد حصل له في الضريح المذكور حالة قال في شطحه: نحن نقول والرب مطلع والملائكة ترى وتكتب، ونحن جميعاً ومن في هذه القبور موقوفون بين يدي الجليل جل وعلا: ان الله وله الحمد قد ملاً قلبي بمحبته، وغرس فيه أسرار مكاشفاته، فرأيت به بنوره تعالى أنه من جاء منكم الي يومنا، هذا ومن يأتي من بعد، إلى ان تقوم الساعة فان الله تعالى مؤيده من نور رجالي، ومما أكرمني به. قال ماجد: فسَمِعْتُ وسمع كل من حضر النداء (١٤أ) من قبر معروف: صدقت يا تاج العارفين ثلاثاً، وأنت سيد الأقطاب، أشار السيد بذلك إلى أنه قطب غوث في ذلك الوقت، وإذا كان كذلك فكل من جاء من الأقطاب فإن الله يؤيده من نور حال القطبية المستمر للقطب كان من كان، وكذلك من يحج فإن خلعة مُعدَّة للقطب بعد القطب إلى يوم القيامة، وكل من جاء من الأولياء دون القطب فإن تأييده من نور القطب. ونور حال السيد تاج العارفين يوم نطق بذلك هو نور القطبية، واليه الاشارة بقوله لهذا المقال، والله سبحانه أعلم.

ومن ذلك، وقد سأل أهل بغداد خادماً له ان يسأله التذكير فسأله، فأجاب، رضي الله عنه، وذكر تذكيراً نافعاً، فهاجت^٢ بسببه المدامع كالأمطار، وازدحم على سماع تذكيره ما لا يحصى كثرة من البشر والأطيار، حتى أخبرني الكحال بسند إلى الشيخ أحمد البقلي^٣ أن بعض الطير كانت تتمد أعناقها نحو السيد كالمُنصتة

١٤٩٣ م) إلى الزاهد والصوفي أبي عبد الله البابوني - أو البابوي - الكردي المتوفى سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م وهو من الرعييل الاول من الرجال المتصوفة الكرد (تذكرة هزرمزار، ص ٢٠٣-٢٠٧، نفعات الأنس، ص ٣٢٥)، كما نسبت في مصادر أخرى إلى الشاعرالصوفي بابا طاهر الهمداني (القرن ١١هـ/١١م) و إلى حسام الدين الدنبلي(ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) خليفة جلال الدين الرومي في الطريقة المولوية في التصوف. وثبت لدينا أن القائل الحقيقي هو تاج العارفين ذاته.

^١ - سيترجم له المؤلف تفصيلاً فيما يلي من هذا الكتاب.

^٢ - في الأصل: فعاجرت.

^٣ - سيترجم له المؤلف فيما يلي من الكتاب، وله روايات عدة أوردها في غير موضع منه.

لكلامه، وبعضها حائمة على رأسه، وإن ذلك كان سبباً لإجابة صبايات القلوب الغافلة وانفتاح البصائر المغلقة. فقام أبو عمامة من اصحاب السيد - رضي الله عنه - وكان مُحدثاً واعظاً فاضلاً، فقال: يا سيدي! ما تقول في السَّماع؟ فقال: هو مختلف باختلاف المسامع، ثم هو كَنارٍ لها القلوب أحطابٌ تفوح بطيبها من طيبها، وكريهها من كريهها، ولا يظهر مما لاريح له بشيء، وليس هو مما يحدث في القلوب ما ليس فيها، وهو لذي القلب الحي مُباح، وعلى ذي النفس الحيّة حرام، إلا للإستمالته به فإنه قد تستمال به قلوب لا تستمال بغيره، فتصاد به، فتدخل دائرة الحق، فتجري عليه أحكام الطريق، وهو لقوم مباح، ولقوم مندوب، ولقوم واجب، ولقوم مكروه، ولقوم محذور، فمن تعدى حدّه فقد هوى، وأشرك مع الله شيطانه والهوى، ومن ألبس نفسه بالدعوى فقد عرى، ومن نظر إلى غير مولاه فهو من التوفيق بريء. ومن ذلك أن الله أعد للعارفين شراباً إذا شربوا منه طربوا، فإذا طربوا شكروا، فإذا شكروا طابوا، فإذا طابوا غابوا، فإذا غابوا حضروا، فإذا حضروا نظروا، فإذا نظروا طلبوا، (١٤ب) فإذا طلبوا وجدوا، فإذا وجدوا فليسوا فقدوا، فإذا فقدوا وصلوا، فإذا وصلوا اتصلوا، شاهدوا وسمعوا صوت مناد يبشرهم برحمة منه ورضوان في جنات لهم فيها نعيم مقيم مقيم خالدين فيها أبداً أن الله عنده اجرٌ عظيم. ومن ذلك، وقد سُئل عن الشيخ، متى يصير شيخاً؟ فقال: لا يصير الشيخ شيخاً حتى يعرف من كاف إلى قاف، قيل: وما كاف وما قاف؟ قال: يطلعه الله تعالى على ابتداء خلقه من حين قوله كُن إلى انتهاء قوله ﴿وَقَفُّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^١.

ومن ذلك، وقد سُئل عن حق المرید على الشيخ، فقال حق المرید على شيخه أن يغطي عورته وعورة زوجته إذا كشفت الريح عنهما وهما نائمان، ولو كانا من وراء جبل قاف، هكذا ومدَّ يده، فأتبعه أهل البصائر من الحاضرين أبصارهم، فوجدوه يستر رجالاً وامرأة نائمين تحت شجرة يرونها على بُعدٍ وخفاء، فلما أحس السيد باطلاعهم على حقيقة ذلك قال: وعزة من له العزة! لو رأيت فيهما شعرة لغير الله لأخذت برأسيهما. ومن ذلك في الدعاء ما أورد في قصة زرع النخل، وقوله: الراسخات في الوحل، والمطعمات في المحل، وأجيببت الدعوة، فأطعم النخل في أيام

^١ سورة الصافات، الآية (٢٤).

المحل، وحصل للشيخ تألم وحزن على الناس، كما سيأتي ذكره في القصة المذكورة من الباب الثالث مفصلاً. ولفظه: الهي! إن كنت تعوجت فقومني، إلى آخره.

ومن ذلك وقد سئل في توجيه المريدين المريدين^١ والمبتدئين، فقال: عليكم بتقليل الطعام والنام، وكثرة الفكر والمراقبة والقيام، فان كثرة الاكل تكثر النوم والكسل، ومن كسل غفل، ومن غفل مل، ومن مل ضل، فالنفس اذا شبعت بطرت، فاذا بطرت جهلت، فاذا جهلت نسييت، فاذا نسييت زلت، فاذا زلت جحدت، فاذا جحدت بدلت، فاذا بدلت انقطعت، فاذا انقطعت رجعت، فاذا رجعت غابت، فاذا غابت خابت، وسبيل سلامة النفس أن تجيب داعيها، فاذا أجابت تيقظت، فاذا تيقظت تجردت، فاذا تجردت قصدت، واذا قصدت اتبعت، فاذا اتبعت اقتدت بالآثار والدليل، واهتدت برابطة الأستاذ الجليل (١١٥)، واستعملت أنواع الخدمة بالجد والكد والهمة، فإن الهمة بالتقوى تُقوي، ومن لم تصح له البداية لا تتم له النهاية، وليست هذه الدار لغير الزاد والممر، إلى دار البقاء والمقر، فاتل قوله تعالى ﴿... وَكَزَوُّوا فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^٢ وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾^٣.

فياكم من هذه الدنيا الغدرة فإن بناءها مهديم وإن يُرقى، وشهوتها سُوم بها يُشقى، ورُحرفها هُموم إذ من المعلوم ان لا يبقى، فالفائز بالسلامة من أضحى لها تاركا، والحائز للندامة من من أصبح بكونها أكبر همه هالكا، وعليكم بالفقر فان به في العُقبى أعظم فخر، فقيل: وما الفقر؟ قال: هو سر مشهود، وظل ممدود، وبحر مورود، وعظيم الهيبة حال الورود، غير مكثف منتهاه ولا محدود، لطائفة غير معدودة، ومصادفة غير محدودة، لا تُدرك بالجد. ولا تبلغ بالكد، ولكن الله قد عود أن يعطي نصيباً لمن اجتهد، فلذلك كانت الخواطر الصحيحة فيه لا تُرد. اللهم لا مانع لما اعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفذ ذا الجد منك الجد. قال: فتأب على يده في ذلك المجلس فوق المائتين، وحسنت أحوالهم، فيا بُشراهم. ومن ذلك، وقد سئل عن الفقر أيضاً، فقال: هو نورٌ أضافه الله تعالى في قلوب الصادقين، وروى به قلوب المشتاقين، ومشرق به في قلوب الصادقين. وروى: به قلوب المشتاقين، ومشرق به أرواح المقربين، واصطفى له من يشاء من عباده

^١ - كذا تكررت في الأصل.

^٢ - سورة البقرة، الآية (١٩٧).

^٣ - سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

الصالحين، وهو مقسوم من الله تعالى، وقد نال كل ما قسم له، ومن لا قسم له من ذلك فليس بفقير.

قلت وقد سئل السيد مطر^١ قدس الله سره عن الفقير فقال: تجد فهمه عند وصولك اليه. وسيأتي في الباب الخامس، وقد أخذ هذا المعنى بعض مردييه فنظمه في أبيات، وهي عظيمة المعنى، وهذه أولها:

الفقرُ سرٌّ مَصُونٌ وهو مقسومٌ ووصفه بين أهل الحق معلوم
من نال منه نصيباً كان في دَعْوَةٍ عليه داع رجال الله مرقوم

قلت: وهي أبيات حسنة المعنى كما ستراه في محله، وستأتي بكاملها في الباب الخامس ان شاء الله تعالى.

ومن ذلك: ما أخبرنا أن السيد قال: العالم مجموع في العالم، والعالم خليفة الله (١٥ب) تعالى في خلقه، فإذا عدل عدل، وإذا مال ميل، والعارف بصّر عين الوجود، ونور مشاهد الشهود، وطريق قبول العمل والود إلى الودود، ومن ذلك حجب الإحساس بتجلي الغيوب عليك، وتخريق صُحف وقوفك عند عمل او مقام نرف عرس الحقائق اليك، فما حجابك عنك سواك، وما قبول عن معرفتك إلا إياك، ولازلت ما رايت غير مولاك، غير خالص من إشراك الإشراك، فتوجه لمن به قامت حقائق الحقائق، والصور والباطن والظاهر وإليه انتهت سوابق ولو احق الهمم الصادقة، وهو الأول والاخر.

ومن ذلك ما قاله في غلبة وجد: عجباً لمن ظن في الوجود غير ربه، كيف تظهر دعوى حبه، كلا! وإن المحب لمحجوب عن سوى حجبه، ومشغول عن نفسه وكل موجود يطلب قربه، ثم تلى ﴿مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَدَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾^٢، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^٣.

ومن ذلك: عجباً لمن سلك بوادي الهلكة بلا دليل خبير، كيف يؤمل النجاة من الخطر الكبير، ولمن أمل الوصول من غير باب، كيف يترجى أن يرتفع بينه وبين

^١ - هو ابن أخيه وسيترجم له المؤلف فيما يأتي.

^٢ - سورة الأعراف، الآية (١٧٧).

^٣ - سورة المؤمنون، الآية (١٩).

مطلبه الحجاب، وفقنا الله وإياكم للتمسك في الوصول إليه بأعظم الأسباب، ووقانا وإياكم شر الطرد والاحتجاب، وجعل مأب كل إلى التوحيد المحض فهو أعلى مأب. ومن ذلك ما قص في قصة الرافضي القوساني معه حين سأله: من أفضل الصحابة، وعلق أمر توبته برأيه، فقال: أبو بكر الانقي، ثم عمر الأتقي، ثم عثمان، ثم علي ثم الستة عند ذوي الحق الجلي. ومنه، مع الرافضي أيضاً حين قال له ما الجواب لمن قال ذلك، فمما قاله: فاتباع الكتاب والسنة وسيلة عند الله لبلوغ المراد ولا مظنة للانتقاد. قال الرافضي: أفترضى لجدك الحضيض ولغيره السماء، فقال: بل اتباع الحق أحب إلى جدي من الخوض للحظوظ من بحار الباطل ظلماً وظلماً، وسيأتي ذكر القصة بكمالها ان شاء الله تعالى في الكرامات. ومن ذلك ما سيأتي فيما اثني عليه في قصة رستم، في الباب الخامس، فليتأمل.

- فصل في وصيته في مرض موته، وما يترتب على ذلك:

روينا أنه مرض سنة احدى وخمسمائة (١١٦هـ) - ١١٠٧م - مرض الموت، فأمر بجمع أصحابه فاجتمعوا فقرأوا شيئاً من القرآن، وتوسلوا به إلى الله ان يعجل له العافية. فقال: إن العافية قريبة وهي لقاءه سبحانه وتعالى، ولكني أحببت أن اوصيكم بوصية تنتفعوا بها إن شاء الله في طريقكم، وإن أخص منكم من خصه الله تعالى بعد اذ خصه الله تعالى، فأما الوصية النافعة العامة فليعلم كل منكم أنه لم يُبدع شيء بغير مُبدع، وإن من أبدع شيئاً من العدم فقد أشار إلى إعادته إلى العدم ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^٢، وأن هذا الوجود هو سبيلكم إلى الجنة والنار، فمن أحب الجنة فليسلك سبيلها، ومن أحب النار فليسلك طريقها، ومن أحب الله فليسلك به إليه، ألا إلى الله تصير الامور، يا قوم! أما قد أوضح لكم على يدي من شرعة جدي المصطفى السبيل، أما قد اقامني لكم وعليكم بالدلالة حجة بأوضح دليل، ألا فاتبعوا ولا تبتدعوا، واسلكوا الطريق السديدة أو تهلكوا، فوادي الضلال فيه يتيه اللبيب، والمحب الصادق لا يخرج عن طريقه إلى الحبيب، والحذر من سطوات لاتمسك

^١ - ويسميه رستم القيرواني وسيترجم له المؤلف فيما يلي، وذكر أنه كان من مريدي السيد تاج العارفين أبي الوفا.

^٢ - سورة الأنبياء، الآية (١٠٤).

سهامها إذا رَشَقَتْ، وريحها أعظم سَمًّا إذا نُشِقَتْ، ألا فالتقوى فالهمم بنورها تقوى،
ألا لن ينفعكم نصح إن أردت أن انصح لكم، إن كان الله يريد أن يغويكم، ولن
يضركم زوالي إن كنتم مع الله، فإن الله يكون معكم، ألا ومقيمي فيكم، وإن رحلت
إليه مقيم ومعلمكم بي، وإن حجبت عنكم فعليهم، فأصلحوا ما بينكم وبينه، قدرك هو
الصراط المستقيم، فتباً لمن قاطعَ العظيم، وبؤساً لمن يبخل بنفسه على الكريم،
وقد أسلفت لكم قبل يومي هذا ما هو لمن وفق كافٍ، والله المعين لكل موافٍ.

ثم أمر باحضار شيء مما عنده من الحوائج ففرَّقها في خُدَّامه أرباب الأحوال،
على حكم ما اشار إليه من تخصيص الله سبحانه لكل منهم على حكم ما ألهمه،
فأعطى العكاز للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن الهيثمي، رضي الله عنه، وأعطى
القصة للشيخ هبونا^١، والركوة^٢ للشيخ ماجد الكردي^٣، والسيف للشيخ رمضان
المجنون^٤، والعصا الحديد للشيخ باولين^٥، وثياب البدن لمغسله الشيخ عدي بن
مسافر^٦، واكد ان لا يتولى غسله وتكفينه ودفنه غيره.

فقال بعض من حضر لبعض: إن عدياً بهكار^(٧)، ونحن بقوسان، وبيننا وبينه
مسافات^(٨)، وربما يتعذر حضوره فتتعطل مصالح السيد، فنظر السيد إلى القائل
كالمنزعج، فقال: وعزة من له العزة! لو لم اعلم أنه يحضرني لما جعلت له ذلك، ألا
لا يتعرض أحد كلمة عارف، فانه لم ينطق بها عن غير يقين، ألا لايتولى ذلك غيره،

^١ - سيترجم له المؤلف فيما يلي من كتابه، وله أخبار وروايات يعتمدها في مواضع عدة منه.

^٢ - الركوة: إناء صغير من الجلد بشرب فيه الماء.

^٣ - له ترجمة وأخبار كثيرة في هذا الكتاب.

^٤ - سيترجم له تفصيلاً فيما يأتي من الكتاب.

^٥ - باولين: هناك قرية باسم شيخ باوه تقع بين مدينتي كلار و جلولاء التابعة لمحافظة ديبالي ومنسوبة إلى
شيخ مجهول عند الأهالي يدعى باوه ولعله هو باولين هذا وسيترجم المؤلف له فيما يلي.

^٦ - سيترجم له فيما يلي .

^(٧) بلاد هكار او الهكارية: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة بن عمر يسكنها أكراد يقال لهم
الهكارية وكانت تشمل في العصرالعباسي رقعة واسعة تمتد من بلاد أذربيجان ايران شرقاً وولاية وان
شمالاً، ومنطقة جزيرة بن عمر (بوتان) من الغرب والموصل جنوباً.

^(٨) لم يكن الشيخ عدي بن مسافر الهكاري (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م مقيماً بلالش ببلاد هكار حين توفى تاج
العارفين، ومن المرجح انه أستقر بزوايته في حدود سنة ٥٣٠ هـ/١١٣٥م أي بعد وفاة تاج العارفين
بنحو ثلاثين سنةً ولعله يقصد شيخ الاسلام على الهكاري (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م).

وان تعذر حضوره سريعاً كما ظننتم فدعونني حتى يحضر، فأحجم المعترضون كما يظنونه شفقة، ولم يمكنهم معاودة السيد بعد ما أكد هذا التأكيد، ولكن بقي في خاطرهم تألم. فبينما هم في ذلك وقد قربت مفارقة روح السيد جسده الكريم، وإذا بعدي قد دخل عليهم كالهائم الولهان، ودموعه تسقي خدوده، وهو يقول: لبيك يا سيدي ومُنجدي لرجوع حالي، ومنقذي من ظلمة السلب والفقدان إلى نور الحقائق والعرفان. فقال: يا عدي! قد جاء أمر الله فليس عنه محيد، وقرب لقاء من كان فراقه عليّ شديد، وحيث كانت الشهادة لأهل المحبة فالحمد لله إنني لأعظم شهيد، واليك قد وجه الله أمر غسلي ودفني. فأجبت بحمد ربي الداعي، وحضرت بعد أن استبعد حضورك بعض أتباعي.

ثم أن السيد جعل سجّادته ونعله وديعةً عند المشايخ الأربعة: الشيخ عدي المشار اليه، والشيخ علي بن الهيّتي، والشيخ مطر بن اخ السيد، والشيخ هبونا. فقال: هذه السجادة، وهذا النعل وديعة عندكم للشيخين بقرية نهر دقالة^(١)، فالسجادة للشيخ منصور^(٢)، والنعل للشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، فقال المشايخ الأربعة: ياسيدي إنا لانعلم نهر دقالة، (قال)^(٣): فإن بحيرة البطائح تنشف وتصير مكانها أرضاً مكشوفة، يبني فيها قرية تسمى نهر دقالة، ويكون الشيخ منصور وابن أخته الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، فقالوا: ياسيدي! إنا لانعرفها. فقال سأعلم لكم علامات تعرفون منصوراً بها، الأولى: انه يعرفكم قبل معرفتكم اياه، الثانية: إنه يحيي الله على يده ميتاً من البهائم وانتم تنظرون، الثالثة: إنه يأتيكم بثمر في غير أوانه، وهو من اصحاب الوقت من بعدي، وسيقع لكم في مجلسه من قومه امور حادثه تتباين اذا ماعرفتكموها فلا تنكروها عليهم، فإن لكل طريقاً له فيه صولة، فلا تتعرضوا لصولتهم فإن دولتهم حده. قالوا: ياسيدي، قد عرفتنا بمنصور، فمن هو أحمد ابن الرفاعي^(٤)؟ قال هو ابن اخت الشيخ منصور، فقيل: وماذا وصل إليه قدره.

(١) لم نقف على هذا النهر في المصادر التي بين ايدينا.

(٢) هو خال السيد أحمد الرفاعي وشيخه، والراجح انه هو المعروف بپير منصور لدى الكرد .

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ولد سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م أي بعد اكثر من عقد من وفاة تاج العارفين وتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م و

سيترجم له المؤلف فيما يلي من هذا الكتاب.

ابن الرفاعي؟ قال: إنه قد محق اسمه في هون^١ القدرة، ومزج نصفه بالماء ونصفه بالهواء، فتمتزج محبته بارواح كل من شرب الماء او شم الهواء انتهى.

قال الراوي: فبقي قلب السيد مطر بن أخي السيد مضطرباً إذ لم يُوص له بشيء من آثاره، وظن بعض الحاضرين إعراض عمه عنه، حتى نظر السيد إليه بمحضرهم أجمعين، وناداه: يا مطر! فقام على قدميه، وقال لبيك يا سيدي، فقال: إنني وإن كنت لم أخصك بشيء من الآثار فقد خصصك الله تعالى على يدي بالتأثير، وإن لم أوجه لك شيئاً يظهر لك علو المقدار، فقد وجهت ذلك اليك الاقدار. يا مطر! الم ترض أنك في أخص الأهل وانك وارث مني الحال والمال؟ فقال مطر: نعم ياسيدي، قد رضيت ثلاثاً. قال الراوي: فسُرَّ الحاضرون بذلك، وقال أتباع السيد: الحمد لله الذي لم يورث السيد أجنبياً. قال: ثم أن السيد - قدس الله سره - توجه إلى الباسط القابض بكليته، فذكر الله تعالى حتى قبضت روحه قبل إكمال ساعته، وذلك في سنة احدى وخمسمائة، فكان من نادى في الأكوان بوفاته فهرع إلى جنازته من يعرف ومن لا يعرف من الملوك والعلماء والصلحاء ورجال الغيب، وجاء الناس من كل فج عميق.

قال عدي بن مسافر: ولقد رأيت طوائف الملائكة وطوائف الجن المؤمنين والوحوش وكثيراً من الطيور، وقد شهدت جنازته، ولقد سمعت بكاء الجن عليه، فأحزنني ذلك رأفة عليهم، فسمعت منهم من يقول: أواه لضلال السبيل، والحيرة لفقدان الدليل. قال الشيخ عدي: ولقد رأيته بعد سد القبر، وأنا اجصص البلاط عليه، يناولني مع القوم ما أحججه في ذلك، فبهت! فقال لي: يا عدي أكمل مواراة الجثمان الفاني، وإني في عالم الأرواح حيث احتجت اليّ تراني. فقال: ياسيدي! من يشاركني في هذه الرؤية؟ فقال مطر بن أخي وهبونا ومحمد اللبناي^٢ ليس إلا، قال: فلما تم الدفن، وانصرف الناس، صار يختلف إلى قبره خلأئق لم يعرفهم أحد منا بقية ذلك اليوم واللييلة، انتهى.

قال الراوي: فلما انقضت أيام من دفنه، قصد السيد جميع اصحاب السيد لتنفيذ وصيته، فأمر الشيخ ماجد الكردي فجمعهم، وأحضرت الآثار، فاستعظم

^١ - الهون هو الهاون.

^٢ - سيرجم له فيما يأتي من هذا الكتاب.

بعض جماعة السيد وصول آثار السيد كلها إلى الشيخ عدي، وقالوا: بل أعطوه البعض والبعض لنا، فاطلع الله الشيخ عدياً على ما جال في صدورهم، فقال: تالله يا قوم لو لم تكن خصيصة من السيد وتخصيصاً، لما أهل لي من ذلك، ولكنه حيث خصصني بذلك فاني غير مؤثر بنصبي منه أحداً. قال: فأمر السيد مطر القوم بالإعراض عما وقع في خاطره والجلوس والتوجه، ففعلوا، فأنت ربح عاصفة فحملت الآثار فألقتهم على الشيخ عدي، ولم تكن حملت من المجلس شيئاً غير ذلك، فتبين لهم ما قصد السيد، واستغفروا الله من ذلك الخاطر، فقام الشيخ عدي فصلّى فينا ركعتين، ثم صافح السيد مطر والقوم، وجلس فعند ذلك أمر السيد بعض الخدام بدفع العكاز إلى الشيخ علي بن الهيبي، والقصة للشيخ هبونا. والركوة للشيخ ماجد الكردي، والسيف للشيخ رمضان المجنون. فكان الشيخ علي بن الهيبي كلما توجه إلى تناول العكاز تقع إلى يده، وكانت قصعة الشيخ - ماجد الكردي - هبونا^١ لاينتفع بها غيره مدة حياته.

وكان الشيخ ماجد الكردي يجد في ركوته السويق إذا رام الطعام لنفسه او ضيفه، والماء إذا رام الوضوء او الشرب، وكان الشيخ رمضان المجنون يشهر السيف في الجهاد وعلى قطاع الطريق، وكل ذي بأس شديد من الملوك وغيرهم، فلا يجسر عليه أحد بل يبدو الخضوع له من كل من وقع عليه نظره.

وكان الشيخ هبونا لا يحمل عصاه الحديد في حاجة يقصد إلا قضاها الله.

قال الراوي: ثم انصرفوا من ذلك المجلس مجتمعين على الشيخ مطر، وكانت له الاشارة بعد عمه - قدس الله سره العزيز - فكان من أمره ما سيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

قال الراوي: فلما آن الاوان الذي أمر السيد أن يرفع فيه إلى الشيخ منصور وابن الرفاعي السجادة والنعل، أمر الشيخ المذكور أحد خدام السيد عمه بإحضار المشايخ المشار اليهم بذلك معه، فحضرُوا واتفقوا على السفر إلى نهر دقاله في تنفيذ وصية السيد، وأيضاً وديعته إلى الشيخين، فلما انتهوا إلى اثناء الطريق، وجدوا رجلاً من أهل العرفان فدلهم على نهر دقالة، وأشار إلى جهتها فشاهدوها فقصدوها،

^١ - في الأصل: فيها.

^٢ - كُتِبَ في الأصل ماجد الكردي ثم شطب وكُتِبَ هبونا.

فبينما هم قد قاربوها إذ لقيهم شاب، فسلم عليهم وحيّاهم بالترحيب، وقال: أهلاً بأصحاب السيد تاج العارفين، فخطر لهم أنه منصور، لكن لم يروا بقية الامارات (١١٨) الثلاث ليجزموا بذلك. ثم رجع يمشي بين أيديهم، فلما مشوا قليلاً وجدوا في طريقهم كلباً ميتاً فتأذوا برائحته، فتوجه الشاب إلى الله به^١، فقام حياً يعدو حتى تنحى عن طريقهم ثم وقع ميتاً كما كان فتأكد الخاطر وصار ظناً، فلما وصلوا زاويته وجدوا بها نخلة عظيمة، وامر الاشجار، قيل ومعناه الفلاح^٢ فاقتطف منها ثمرًا، وكان في الشتاء، فاشبع الأربعة ومن معهم ليتحقق المشايخ الأربعة أنه هو، فعند ذلك حيّوه تحية تليق به، ثم رفعوا السجادة إليه ففرشت له، وأجلس عليها بحضورهم، فتلألأ وجهه بأنوار الجن والإنس، وحمد الله تعالى على إكمال أمره وإتمام حاله، فصلى ركعتين، ثم التفت فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر شيئاً من مناقب السيد تاج العارفين، وتكلم بكلمات فهم الحاضرون منه وصوله إلى مقام الدعوة في ذلك المجلس، فأقبل الناس عليه، وكان مجلساً عظيماً خُتم بذكر الله تعالى، وحصل القوم من الوجد ما غيَّبهم عن إحساسهم وأحضرهم في حضرة إيناسهم، فلما قوي الوجد، قام خادم الشيخ منصور فدار على القوم بإناء من ماء فشرب من شرب، وذلك مخالف لطريق السيد أبي الوفا، فأنكره الشيخ عدي بقلبه.

فلما هدي^٣ القوم وانقضى الوقت، وفهم الشيخ منصور ذلك من الشيخ عدي قال: يا شيخ إنك لمعذور فيما داخلك لأن ذلك لم يعتد في مجالس السيد تاج العارفين - قدس الله سره - ولكن ليست أحوالنا كأحوال السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وأين المسر من المسرة، وأين الدليل من المُستدل، وإني وأن كنت مستكثرًا فإن لدي فضل هذا أفضل، أين منا من كانت أصحابه على بلائه اقسام، قسم إذا ذكروا بعد أن جاهدوا شاهدوا، واستغرقتهم المشاهدة، فطابوا وغابوا عن الحس، فيروون بذلك، وقسم شربوا عند الذكر من كؤوس القرب فاغنتهم عن الشراب، وقسم جميعهم^٤ عناية رحمانية على يد سيدهم أغنتهم عن المطعم والمشرب، واطفأت عنهم

^١ - كذا وهي غير واضحة في الأصل.

^٢ - كذا هي العبارة في الأصل.

^٣ - كذا في الأصل.

^٤ كذا، ولعل الصواب: جذبهم.

نار الاحتراق، ومجالسنا هذه نيران تضرب قلوب أهل المحبة، وليس لنا قدرة على ما أمدَّ الله به أوليائه ببركة السيد تاج العارفين، فنحتاج عند قوة نار الوجد إلى ما يطفى لهب الاشواق (١٨ب)، فقبل الشيخ عدي عذرهم وكذا بجماعة السيد العلامة المشار إليهم، ثم دفعوا له النعل، وأخبروه بأن السيد جعله لسيدي احمد ابن الرفاعي، وأن لا يدفع له حتى يختبر ويظهر منه امارة الفلاح، فأجاب الشيخ منصور بالسمع والطاعة، وتسلم النعل منهم، ثم ودَّعوه وعاد كلُّ إلى وطنه.

قال: فلما وصل الشيخ عدي إلى هَكَار سمع خطاب النبات والجان والأشجار واياهم تناديه بالسلام، وتهنيه بمزيد الفضل والإنعام، وتغطيه بخرقه السيد تاج العارفين، يابشره! .

قال الراوي: ثم بلغ الشيخ أحمد ابن الرفاعي حضور النعل الذي جهَّزه له السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - بعد أن بلغ أشدَّه، فحضر إلى خاله الشيخ منصور، وسأله ان يوصل له النعل الذي اختص به من السيد تاج العارفين، كما اقتضته الوصيَّة والايدياع، فقال له: حبا وكرامة، ولكن خذ من هذا الدجاج فرخاً فأودعه حيث الامر إلى أحد^١ واتني به مذبوحا، ثم دفع إليه طائراً آخر وأمره بما أمره به الشيخ (ابن الرفاعي فعاد ولده بالفرخ مذبوحا وعاد)^٢ بالفرخ حياً، فقال له الشيخ منصور: لولا ذبحته!، فقال: يا سيدي، إنك أمرتني أن أذبحه في مكان لا يراني فيه أحد، ولم أجد مكاناً إلا وفيه من يراني، هو الحاضر في كل مكان سبحانه وتعالى، فعلم صلاحه لتسليمه الوديعة، وقال: تالله إنك لحقيق بما قال الله على يد وليه تاج العارفين من أن^٣ قدمه الشريف. ثم ناوله النعل، فقَبَّله الشيخ أحمد ووضع على وجنتيه ورأسه متبركاً به، ومناديا لما لاح أن الشيخ أشار إليه بانه يصل إلى مقام القطبية بعده، ويكون على قدمه، فكأن الشيخ أحمد أشار في جواب ذلك إلا أن قيمته بالنسبة إلى السيد أن يكون رأسه تحت قدمي السيد، ولهذا فالنسبة في تلك الحالة أن السيد تاج العارفين أبا الوفا - قدس الله روحه - أشار إلى حصول الخير بصيرورة النفس تحت النعال، فكانني به يقول: من جعل رأسه تحت

^١ - كذا وهي غير واضحة في الأصل.

^٢ - هنا عبارات أتلفت حبرها الرطوبة فلم تتضح لنا.

^٣ - هذه العبارة سقطت من الأصل، فأضيفت في الهامش، ومع ذلك فالعبارة فيها اضطراب.

^٤ - هنا إضافة بخط مختلف فوق الكلمة لم يتضح معناها.

نعال العارف كانت له بعد ذلك مداسات، ومن داسها بغير تاهل لم يصل إلى جعلها له تابعاً، فلما حظي ابن الرفاعي بمكان قدم تاج العارفين وتوسم فيه البلوغ لأرقى مقامات المقربين، انشد لبيان الحال في المعنى شعراً بوجدٍ أنشده بين القوم ذكراً، وهو قوله:

ختام شراب القوم مسك وتسنيماً	ونيل رضى المحبوب والقرب نعيم ^(١٩)
رجال لهم حال مع الله صادق	وقد جاءهم بالجد والكّد تكريم
سبيلهم أمنٌ يمينٌ ومنة	وروحٌ وريحانٌ وراحٌ وتنعيم
هلموا أجيّبوا داعي الله انصتوا	أطيعوا استمعوا منه وعوا وبه هيّموا
اذ لم يهّم قلب حبب مليكه	ويتبع أهل الجد سعياً فمحروم
نتائج آثار الرجال التي بها	لهم قدم في السابقين وتقديم
ولست بمحصٍ لا ولا كل ناطق	إذا رمّت وصف الجزء والجزء موهوم
فبادر وجاهد واتبع القوم في السرى	فوقفتهم غنم وريح وتعليم
وعن باب هادي الخلق أحمد لا تمّل	فما ملّ من وافى ولا هو محجوم
عليه صلاة الله ثم تحية	مدى الدهر مادامت صلاة وتسليم

قلت: ومعنى الأبيات حسن وإن لم تكن رائقة النظم، ولكنها إنما اوردت للتبرك بناظمها والعبرة بالمعاني لا بالألفاظ.

ولنختم بشيء من كلام السيد الباقي، فإنه المقصود منه، وذلك أنه سئل عن التوحيد، فقال للسائل: وكان لمحضر توحيدك ان لا ترى مع الله شيئاً، فقام آخر فقال: ياسيدي ما التوحيد؟ فقال: هو أن لا يقصد غير الله في كل حركة وسكون، فتقدم آخر وقال: يا سيدي ما التوحيد؟ فقال: أن تعبدوا الله ولا يُشرك به شيئاً، فقيل: ياسيدي قد اختلف اللفظ، فعلى أي شيء نعتمد؟ فقال: كلُّ إناء لايسع أكثر من ملئه، فليفهم كل بقدر وسعه، فاعتمد كلُّ على ما أفهمه الله تعالى وتوجه إليه بحسب استعداده، والله تعالى أعلم.

^١ - اسم الجلالة تكرر في الأصل.

الباب الثالث :

في مناقبه ومكارم اخلاقه وكراماته

روينا عن أبي المظفر إبراهيم بن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن نصر بن نزار البغدادي، قال: أخبرنا جدي الشيخ الصالح ابو عمرو عثمان بن نصر بن نزار الطفسونجي - رضي الله عنه - قال: سمعت شيخنا القدوة، الشيخ أبا محمد عبد الرحمن الطفسونجي يقول: قلت في وقت غلبة مني ما بقيت اذهب إلى قليمينا، ولا لي حاجة بمن فيها، أعني شيخنا السيد تاج العارفين أبا الوفا - رضي الله عنه - ثم استغفرت الله تعالى بعد ذلك، واتيت اليه، فلما رأيته قال: يا عبد الرحمن! انت قلت كذا؟ فقلت: نعم يا سيدي، فقال السيد: أي وقت هو الآن، فأنا أرى ليلاً أليلاً، فقلت: يا سيدي الوقت الآن (١٩ب) في نظري ليلاً، فنزع السيد خاتمه من إصبعه ورفع طرف سجادته وأفلته من يده، وقال لي: أدن مني، وانظر اين يذهب الخاتم، فنظر وإذا الخاتم غار في هُوَّةٍ من نار تحت الأرض، فهالني منظره، ثم قال: يا عبد الرحمن وعزة العزيز لولا شفقة الأبوة على النبوة لقد كنت مكان هذا الخاتم.

ومن ذلك ما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الهذلي الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد علي بن إدريس البعقوبي^١ بها، قال: سمعت سيدي الشيخ علي بن الهيثمي - رضي الله عنه - يقول: طرقتُ مُنَازلةً من مُنَازلات الغيب عشرة من الأولياء، في زمن شيخنا السيد أبو تاج العارفين - قدس الله تعالى سره - واشتركت فيها أسرارهم، وأشكل شيء من امرها عليهم، فاجتمعوا وأتوا إلى السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - ليسألوه عنها، فوجدوه نائماً، وسمعوا كل عضو ينطق بالتسبيح والتقديس والتهليل، فجلسوا ينتظرون يقظته، فنطقت لهم اعضاءه وخاطبتهم لمنازلتهم، وكشفت لهم منها ما أشكل عليهم، وانصرفوا قبل أن يستيقظ من منامه.

ومن ذلك ما أخبرنا به الفقيه أبو اسحق إبراهيم بن احمد بن علي الأزجي، قال، أخبرنا الشيخ كمال الدين محمد بن محمد بن وضاح، قال: أخبرنا الشيخ أبو

^١ - سيعتمد المؤلف عدداً من رواياته فيما يلي من كتابه.

^٢ - سيعتبر له المؤلف في كتابه هذا، فضلاً عن أخبار وروايات عدة مفرقة في مواضع منه.

محمد علي بن ادريس، قال: اخبرنا الشيخ علي بن الهيثمي، قال: مر السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - على شجرة قبل وفاته بقليل، وهي بالقرب من زاويته، فوضع يده عليها، وقال: بَوسٌ ودَوسٌ، ووضع على الدَّوسِ فما فهم معنى ذلك، فلما مات قطعت تلك الشجرة وجعل منها ضريح على قبره، وعتبة لباب تربته، وجعل منها بيت للربعة، ففهم اذ ذاك مراد الشيخ بتلك الالفاظ السابقة.

ومن ذلك ما أخبر به السادة العراقيون بسندهم المشهور ان السيد تاج العارفين أبا الوفا - قدس الله سره العزيز - كان يوماً في بادية قلمينيا قد انفرد يتعبد، فرأت عيناه عن بعد رجلين بهيي المنظر في اعلا تل، يتمازحان ويتجاذبان ويتماجنان، ففكر فيهما وأطال النظر اليهما، وإذا برجل قد خرج من بينهما وفي يده سكين فدفعها إلى أحدهما، وقتل الآخر في وقته، فكان من نادى بين أهل المقتول أن فلانا قد قتل في مكان كذا، فبادروا إليه أفواجاً، فلما وصلوا إليه وجدوه مقتولاً يخبط في دمائه، ووجدوا صاحبه واقفاً والسكين في يده، لم يترددوا في أن صاحبه هو الذي قتله، فشدوا وثاقه، وذهبوا به.

قال السيد رضي الله عنه: وكأني أنظر القاتل بينهم وهم لا يشعرون به، ثم توكأوا غسل المقتول والصلاة عليه ودفنه.

قال: فكان القاتل حقيقة هو الفاعل له، وهو الذي أمّ في الصلاة عليه، وهو الذي تولى مواراته، وأهل المقتول ينظرونه ولا يعرفون أمره، فلما تم أمر دفته وتفرق الناس، دخلت المقبرة، وجلس القاتل على القبر، فقبض قبضة من تراب وتكلم عليها، ثم حثاها خلف الناس الذين كانوا في الجنابة، ثم قبض قبضة أخرى وتكلم عليها، ثم حثاها إلى جهة السماء، ثم قبض قبضة أخرى ففعل بها كذلك وحثاها على القبر، وغطى على السيد معنى ذلك، فبادر إلى القاتل وسلم، فرد عليه السلام بلفظ وعليك السلام يا تاج العارفين، فقال السيد أبو الوفا: يا أخي قد جئت أسألك عن مسألة، والآن أسألك عن مسألتين، فقال: وما هما يا تاج العارفين؟ قال السيد: أما الأول فمن أين عرفتني؟ قال: يا أبا الوفا لم لا اعرفك والله اثبت أسمك ولقبك في اللوح المحفوظ من قبل أن تلقب بهذا اللقب بين أهل الارض، فقال السيد: يا أخي! قد فهمت أنك من المقربين، فما هذه الفعلة التي رأيتك فعلتها بهذا الشاب،

¹ - لعل الصواب: ووضع يده.

وما أغراك على ذلك؟ فقال: يا أبا الوفا إني عزرائيل! وقد أمرني ربي بهذه الفعلة كما رأيت لما اقتضته حكمته الالهية سبحانه وتعالى، اذ سبق في علمه أن المقتول يموت شهيداً، قال السيد: فما هذه الحثاثة الثلاث التي رأيتك فعلتها؟ قال: ياتاج العارفين! أما الحثوة الأولى وهي التي حثوتها خلف المنصرفين من الجنائز وأهل المقتول فذلك باذن الله تعالى لتمتليء قلوبهم شفقة على المتهمة بالقتل لكونه بريء في الحقيقة، وأما الحثوة الثانية وهي التي حثيت إلى جهة السماء، فذلك إذن أن الله فيه لينصرف من صلى عليه من الملائكة المقربين وأرواح الصالحين كل إلى مقامه، وأما الحثوة الثالثة وهي التي حثوتها على قبر المقتول فأذن الله تعالى فيها لمنع عذاب القبر عنه.

فقال السيد: الآن علمت حقيقة ذلك، لكنني أسألك بريك إلا عقدت بيني وبينك عقداً خاصاً، قال ياتاج العارفين وكيف يكون ذلك وقد قبضت روح أقاربك وأهاليك وها قبض روحك، فقال له: يا أخي يا عزرائيل أن قبضك لروحي سبب لاتصالها بمحبوبها فلست جازعاً من ذلك، وهو بأمره سبحانه وتعالى، بل اجابة أمره غاية مطلبني، ولكنني أحب أن تؤذن فينا بذلك عند دنو الأجل، فأجابه إلى ذلك بعد الاستئذان، ثم افترقا على ذلك والله أعلم بما كان من أمرهما بعد ذلك. قلت: وقصة وصيته ووفاته المذكور ذلك انفا يدل على وقوع مطلوبه منه فليتمل.

ومن ذلك ما روي أن السيد - رضي الله عنه - زرع، هو وأصحابه، نخلاً في أرض قوسان، فكان ما غرسوه نخلاً كثيراً، والذي غرسه السيد بيده خاصة أربعين فسيلاً، وكان يقول عند وضع كل فسيل: الراسخات في الوحل، والمطعمات في المحل، قال الراوي: واعتبر غرسه كل من الأصحاب، فكان أربعين فسيلاً أيضاً.

قال: وكان يقول عند كل فسيل مما غرسوه ما يقوله عند غرس ما غرسه، فلما مضت سبع سنين من يوم غرسهم ذلك، أطمع ذلك النخل جميعه وأثمر ثمراً كثيراً. وفي تلك السنة أصاب تلك البلاد وأهلها مجذبة وغلاء، وتبادر الناس إلى نخل السيد الذي غرسه هو وأصحابه من كل فج، فكان ذلك النخل نبت وقد قطع ثمره ولا شيء عليه، فيصبح كأن لم يمسنه يد، فلما طالت من الجذب، وعظمت على الناس مشقته، شق ذلك على الاستاذ تاج العارفين لما يشاهد من أحوال الناس لذلك، فدخل خلوته وجمع همته وتوجه إلى القبلة بقلبه إلى ربه، ونادى بلسانه وقلبه،

وجميع أجزائه: إلهي أن كنت تعوجت فقومني، وإن كنت أخطأت فسامحني، وإن كنت تجرأت فلا تواخذني، وإن كنت شغلت عنك نفساً، فاعف عني، وإن علمت في ذرة لسواك فامحقها عني، وإن لمحت مني بصيرة أوباصرة سواك فلا تبلغني، وإن علمت اخلاصي فلا تمتحني، وعلى غيرك فلا تكلني. الهى وقد عودت عبادك بالحنو فلا تقطع عنهم جميل عاداتك، و(إن) منحهم اسباغ العطاء فلا تقطع (أ٢١) عنهم عوائد نعمتك، وإن كان ما ابتليتهم به لنقص في رتبة ولايتي أو تقصير في تصحيح عبادتي فلك المناب واليك المآب، ولك الحمد على كل حال.

ثم توجه بوجهه الكامل فنودي في سره: أبشر يا أبا الوفا ولا تخف نقصاً ولا بعداً، فإنك ممن كملت ولايته، وصحت عبادته، وان ما جرى على لسانك دعاء كان مقروناً بتقديرنا على أهل بلادك الغلاء في وقت إثمار نخلك، فهو قولك في دعائك عند غرس ذلك الراسخات في الوحل والمطعمات في المحل، فأجيب دعاؤك واطعم النخل في المحل الذي قدر ان ذلك، ولكنه أن اوان التفريغ عنهم، وجعلنا ما حصل منك من التضرع والدعاء والانابة سبباً للرخاء. ثم أمر في سره تلو ذلك بقلع النخيل جميعه، فأمر بقلعه، فقلع عن آخره، وتوالى الرخاء من ثم، وزال الجذب، فكان من بعد السيد من الاولياء يضرب بذلك المثل في التفويض والتسليم.

ومما روينا أن الأستاذ تاج العارفين - قدس الله سره - دعا يوماً حلاقاً ليحلق رأسه، فحلق قدر نصف رأسه، ثم تأمل الحلاق السيد تاج العارفين فوجده غائباً عن حسه مستغرقاً، فاشتد خوفه من ذلك، وسقط الموس من يده، وبقي ساعة كذلك، ثم عاد الاستاذ إلى حسه واذن للحلاق في إكمال بقية الحلاقة. سأل السيد ان يوضح له أمره فلم يجبه، ثم أمره بالذهاب إلى وادي النسور إلى مدينة بهندف^١ من بلاد العراق، وقال له: إنك ستجد عندها قافلة فيها شيخ عليه جبة من صوف أخضر راكباً على بغلة، فاقرأ عليه السلام، ومُرهُ أن يدفع اليك نذراً نذرنا، وقدره عشرة الاف دينار، فاصرفها فيما شئت.

^١ - بهندف مدينة قديمة فتحها المسلمون سنة ١٦هـ، ونسب إليها جماعة من العلماء. ذكرها ياقول بقوله "بليدة من نواحي بغداد في آخر أعمال النهروان، بين بادرايا وواسط، وكانت تعد من أعمال كسكر". معجم البلدان، ٢/ ٥١٦.

قال: ياسيدي لاحتمال أن يطالبني بامارة تدل على صلتني، قال الشيخ: هو لا يحتاج إلى إمارة، فقال الحلاق: يا سيدي! ومع ذلك يكون في الامارة طمأنينة لقلبي، فقال السيد: قل له يقول لك أبو الوفا: هل خرج لك حين استغثت به في السفينة وقد خرجت عليكم هامة خفتم على أنفسكم، والسفينة فيها رجل مخلوق نصف الرأس، فقتل الحوت ومزق جسده، وأنتم تنظرون اليه، وسلمتم جميعاً باذن الله تعالى، فإذا قال: نعم وقع ذلك، فقل له: فهل كنت نذرت قبل نجدته (٢١ب) لكم لله تعالى عشرة الاف دينار، وأن تُصرف على يد أبي الوفا قد صرفها من غير رجوع في ذلك. فإذا قال: نعم! فقل أن أبا الوفا قد صرفها لي وأحالني بها عليك، وهذه أمارته إليك، فإذا أعطاكها فاصرفها فيما شئت من الخير، وذهب الحلاق بعد وداع السيد أبو الوفا إلى الناحية المذكورة، فوجد الأمر كما نص، ووجد الرجل بعينه، فقص عليه ما قاله السيد، فأجاب بالسمع والطاعة، وبادر فدفع المبلغ المذكور إلى الحلاق المذكور، فصرفها في بناء مسجد بمدينة بَهَنَدَف، ومصنع ماء في درب شوهان بقريّة صفي^١، فله ما ألطف إشارات الأولياء لمن كان ذا بصيرة.

ومن ذلك ما روينا بالسند إلى الشيخ علي بن ادريس البعقوبي انه قال: قال شيخنا الشيخ العارف أبو الحسن علي بن الهيتي - رضي الله عنه - أن أستاذه السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - كان له خادم يسمى الشيخ محمد المصري، كان كثيراً ما يسأل السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - عن حق الأستاذ الواجب على خادمه، وحق الخادم الواجب على أستاذه، فيقول له السيد: اخدم بالجد والكد، واستعمل الصدق المَحْض، تشاهد ذلك من غير كلام، وتحتسو من كأس معانيه أروق مُدام، فليس الخبر كالعيان، ولا بلوغ المرام كالأمان، فكان الشيخ محمد المصري يزيد بذلك في الخدمة رغبة، وقلبه من الشيخ الاستاذ رهبة ممتزجة بصدق محبته.

^١ - لعلها قرية الصافية التي أشير إليها بوصفها قريبة من قرية همانية (أو همينية)، وما تزال آثارها ماثلة قائمة على الجهة الشرقية من مجرى دجلة القديم المسمى نهر الأعمى، وقد وصفها ياقوت بأنها قريبة من قرية همانية (أو همينية) وكانت هذه قرية كبيرة في الجانب الغربي من دجلة، إلى الجنوب من الصافية (معجم البلدان، ١٠/٣، مراصد الإطلاع، ص ٣٢٢، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٥، ري سامراء، ٤٢١/٢) وتعرف باسم هميمية نفسه. كما أن هناك قرية بشهرزور باسم (تهيه صفا) أي تل الصفا على الطريق المبلط بين حلبجة و سيدصادق.

وما زال الأمر على ذلك حتى كان في بعض الايام على حين غفلة من الشيخ محمد المصري وعدم استعداد، فقال له السيد: اذهب إلى مدينة مصر فإن لنا بها ألف دينار على سبيل النَّذر، فأتنا بها سريعاً، فلم يتوقف الشيخ محمد ولا تردد، بل ناوله عصاه وركوته، وخرج في الوقت مُسرِعاً إلى درب مصر من غير أن يكون عارفاً بالطريق، ولم يستصحب زاداً ولا رفيقاً ولا دليلاً سوى صدق المحبة، ولم يكن يعلم من الدينار للألف دينار، ولا في أي حُط يسكن، ولا ما يستدل به عليه، فلما أعانه الله تعالى بما وَقَر في قلبه من الرغبة والمحبة، وسَهَّل له السبيل، وكان له خير دليل، وأوصله الله إلى مصر سالماً، تفكر في أمره قبل دخول المدينة، وتحير في أمره وأخذته الحيرة (١٢٢).

فبينما هو كذلك إذ لقيه رجل تاجر راكب على بغل عظيم، حسن الصورة والثياب، فسَلَّم عليه حين دنا منه، فردَّ الشيخ محمد عليه السلام، فقال التاجر: من أي البلاد قدومك أيها الرجل؟ قال الشيخ محمد: من العراق، فقال له التاجر هل تعرف أحداً من مُريدي السيد أبي الوفا قال نعم! وإني لمن خُدَّامه، فسُر التاجر بذلك سروراً وافراً وحمد الله تعالى وشكره، ثم قال: حيث أخبرتني ذلك فما أسمك؟ قال: محمد، إني نذرت لسيدي تاج العارفين - قدس الله سره - وجمعنا به عليه في الدنيا والآخرة الف دينار في امر من الحوائج العظيمة عندي، وقد وفى الله تعالى ظني وقضى حاجتي من يوم ذاك، وإني من ذلك اليوم انتظر قادماً يقدم من العراق يطيب له خاطري فأدفع له ذلك، حتى أوقع الله في خاطري اليوم التوقع على أحد من اهل العراق، فخرجت لذلك، فأظفرتني الله بك، فهل لك في قبض ذلك وإيصاله إلى السيد؟ فقال: نعم!. ثم قص عليه قصته مع السيد كما مرَّ آنفاً، فتعجب التاجر لذلك كثيراً، ثم حمَّله إلى منزله فأضافه ثلاثة ايام، ثم أحسن إليه وأقبضه الألف دينار، وودَّعه وشيَّعه، وسأله سؤال الشيخ له المدد والعناية به، ثم رجع عنه.

فانصرف الشيخ محمد المصري وأحب زيارة من بمصر من الأضرحة والأولياء والإحاطة بشوارعها علماً. فلما انقضت زيارته مرَّ راجعاً يترك وراءه شارعاً ويستقبل شارعاً، فصادف عطفة^٢ من شارع إلى شارع آخر، وفيه امرأة في طاق بيتها، كأنها

^١ - الحُط: الحي.

^٢ - العطفة هنا: الاعوجاج والميل.

البدن في إشراقه، وتعلق بها خاطره، ووقف عندها قلبه وناظره، فأقام يراعيها بنظره لا يبرح من مكانه ثلاثة أيام، فأرسلت إليه من يسأله عن سبب ذلك، وتقول له: إن أحببت عطاءً أعطيناك، أو منحة بما يُستطاع منحناك، وإن لاحتاجة لك فما هذه الوقفات والجلسات.

فأخبر الرسول بأنه قد علق بها قلبه، واضطره الحب إلى انتظار وصلها أو يأتيه نحبه! فغاب الرسول يسيراً ثم عاد، فقال: يا شيخ إن ليلة من علق بها بألف دينار، وإنه لا يصل إليها إلا الملوك والأكابر لأنه لا يقدر على مثل عادة إلا من معه أضعافه، فقل للخادم أن يدفع إليها (٢٢ب) الألف دينار التي معه، وسوّلت له نفسه أن يحتج على الشيخ بعدم معرفة الناذر إذا انفك من أسرته وغلبه هواه.

فبذل لها الألف فاذنت له وأدنت منها مجلسه، وقدمت له من طيب المأكّل ما حضر عندها، فلما انتهى إليها، وهمّت به وهمّ بها خرجت بينهما يدٌ ضربت كل منهما على صدره ضربة مؤلمة غيبته عن احساسه.

ثم أفأقت المرأة فوجدته كما هو، فتلطفت به حتى عاد إلى حسّه، فقام يطلب الباب، فتبعته بالألف دينار، وقالت ما بالك؟ قال: هذه يد شيخي! وخرج مسرعاً، ولم يلتفت إلى الألف، فخرّجت تطلبه - وهو أمامها - حتى لحقته، فأقسمت عليه بالله ثم بحرمة شيخه إلا ما رافقها إليه لتتوب على يده، فأجابها إلى ذلك، فتوجهت معه وتركت ما وراءها من كل ملك ومملوك ومالٍ ومُموّل، ودفعت إليه الألف دينار التي أخذتها منه، فقرب الله لهما البعيد.

فلما بلغا قليمينا، ودخلا زاوية الاستاذ - رضي الله عنه - قصد الاجتماع به، فتردد الشيخ محمد هل يدخل إليه وحده ثم يستأذن لها، أو يدخلان معاً، واشتد خوفه لذلك. فبينما هو في حيرة إذ خرج من الخلوة خادم من خدام السيد، قيل هو بن أخيه مطر قبل غيره، فقال: يا محمد قد أذن الشيخ لكما فادخلا مقبولين. فدخلتا خائفين ذليلين خاضعين، فبشر لهما الشيخ تاج العارفين، وقال: يا محمد لم تزل تسألني عن حق المرید على شيخه، والشيخ على مریده، وها قد أجبت الآن بما حدث عنك ذلك. فلتعلم أن حق الأستاذ على مریده إذا أمره بسفر إلى مصر أو أبعده منها أن يفعل ما فعلت من خروجك مبادراً بغير زاد ولا رفيق ولا دليل على الطريق، ولا خبرة بمكان المقصود الناذر، ولم يحمله جدّه وصدقه على مهلة يسأله فيها عن شيء من ذلك.

وحق المرید علی شیخه إذا علم منه ذلك أن يسأل الله له الإقامة والملاحظة بعين الحفظ والعناية به في الطريق. وتسخير التاجر الناذر له فتلقاه في وقت حيرته وضيق مناهجه، فيحمله إلى منزله ويكرمه، ثم يدفع إليه ما توجه إليه بسببه، ثم يغيره هواه ونفسه وشيطانه بمظنة هلاكه وبعده وشقوته، وهو الزنا يامراً فيهم بها وتهم به، فيكون ذلك سبباً لسعادتها لا لشقوته، وتحجز يد عناية الاستاذ (أ٢٣) بينهما، وهو بقوسان في العراق، وهما بمصر، فيمتنع كل منهما عن الآخر، ويجذب قلب من يحبها إلى صحبتته في الله تعالى، ثم جمع الله شملهما على ما فيه رضاه، فصاح الخادم ووقف موقف الاعتذار والذل، فسُومح ولم يخرج من ذلك المجلس إلا وقد عقد عليها بأمر السيد. ثم دخل بها وأقاما في خدمته.

قال الراوي: فلم يلم بها وتلم به أكثر من ليلة واحدة، ثم اشتغل كل منهما بالخدمة والاجتهاد والجد حتى بلغ كل منهما فوق ما يبلغه غالب أصحاب السيد، فانظر إلى اثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها. واسم هذه المرأة على الصحيح (عينا خاتون)^١، ويُقال إنها ممن يذكر باسم السلطنة فيمن وصل بخدمة السيد تاج العارفين إلى ذلك، ومن يحشر بهذا الاسم تحت علمه كما سيبتين في بابه إن شاء الله تعالى.

ولقد وصلت بمدد هذا السيد العظيم إلى مقام بعيد الدرك الأعلى من يُفتح عليه بمثلها. وعظم شأنها بين أهل الطريق، ووضع برهانها وامتلات بالقلوب، وقصدت في الخطوب، حتى قيل أن الشيخ محمد التركماني لم يتكلم إلا بعد تكلمها، وكانت مجاهدته وبدايته قبلها بسنين، وقصته معها ستأتي بكاملها في ترجمتها في بابه إن شاء الله تعالى، فسبحانه من يختص من شاء بما شاء، وله الحمد على نعمه والشكر على كل منة.

ومن ذلك ماروى السادة العراقيون بسندهم المشهور عن الشيخ حميد الصوفي قال: قلت في مجلس انس للسيد تاج العارفين: يا سيدي إن في خلدي شيء أريد أن أذكره بين يديك على أن تعطني من نفسك الأمان، فقال: قل ما شئت يا حميد. فقال: يا سيدي إنني أراك تساوي في المجلس والمأكل بين أعلى القوم درجة وأدناهم، من مستحق فيما يظهر وغير مستحق، وتمنح بصحبتك من كان أهلاً للصحة ومن لم

^١ - سترجم لها المؤلف فيما يلي من كتابه هذا، وسيعد بعد قليل هذه القصة.

يكن أهلاً، فقال السيد: قد قلت ما قلت يا حميد فأتل الفاتحة، فقرأ حميد الحمد لله رب العالمين، فقال الشيخ: التلاوة رب العالمين، أو رب الصالحين؟، ففهم الشيخ حميد إشارة الشيخ السيد، واستغفر الله من خاطر الاعتراض، فلم يعترض بعدها ابداً بلسانه ولا ضميره.

ثم قال الشيخ تاج العارفين رضي الله عنه (٢٣ب): إذا كان رب العالمين، وقد أقامني لدعوتهم، وجذب الطالح، وتبين الصالح ودلالة الحائر، وردع الجائر، فكيف بتخصيص من ينبغي أن يُكرم، وتخصيس من حقيقة مآله عندكم لاتعلم، مع أن مراتب الصالحين في قلبي ملحوظة، ومنازلهم عندي محفوظة، أبرزهم في سوقهم من غير جحد لحقوقهم. قلت: وإن هذه القصة وأمثالها مما يؤيدون كونه كان فرد زمانه، وقطب أوانه، وقد أنشد في معنى ذلك شعراً سيورد في بابه إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ماروينا أن مولانا الشيخ عسكر الشولي الشهير بالصراخ^١ لكثرة صرخاته، وهو من خدام السيد تاج العارفين المعتبرين، حضر مجلساً من مجالس السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - فأصغى قليلاً، ثم حرَّكه الوجد فصاح، ثم نظر إلى جهة من الجهات فصرخ وبكى، ثم لم يبقى كذلك إلا قليلاً حتى صرخ أيضاً، ثم ضحك.

فلما انتهى المجلس وتفرق الناس طالبه رؤس القوم عما أدخل به من الأدب، فقال: إن روعي سرت في هذه الساعة إلى الجهة التي رأيتموني أنظر إليها، فرأيت الكفار مُتصافين^٢ مع المسلمين وقد غلبوا على المسلمين، فشق ذلك عليّ فصحتُ وبكيت، فأرسل السيد تاج العارفين في الحال، إذ اطلعه الله على ما أطلعني، رجلاً لم ألفه بينكم، ولم أره من أقوامنا، فرأيتَه يكرُّ على فئة الكفر فيبدهم، فإذا أحس بالغلبة صاح على تاج العارفين، فأهزم فئة الكفر، فما زال حتى قتل منهم ماشاء الله تعالى، وبدد شمل كثير منهم، ثم تكاثرت فئتهم، فتوجه إلى جهة هذا السيد وصاح: أنجدني يا تاج العارفين، فغُيِّبْتُ عن نفسي، فرأيت فارساً أظنه السيد بنفسه غير انه ملثم، وقد حضر لنجدتي على فرس أشهب وبيده رمح عال، فأقبل على الكفار كما يقبل الأسد الضاري على الفرائس، فرموا عليه رمية رجل واحد فأصابه سهم في

^١ - سيذكر المؤلف شيئاً من أخباره فيما يلي من هذا الكتاب.

^٢ - متصافين هنا بمعنى مصطفين صفوفاً في مواجهة بين الجيشين.

ذراعه الأيسر، فلم يتأثر له، ثم حمل فيهم فقتل منهم خلائق، وأسر خلائق، وغرق في البحر منهم جماعة، وهرب من بقي، فكانت النصره للمسلمين فصحت سروراً بذلك، ثم ضحكت! ثم حضرت إلى حسي فوجدتني في هذه الحضرة وأنا استغفر الله لعدم رعاية الأدب، فاعف عني، فخرجوا، وانفقت أراؤهم على أن يتأملوا ذراع السيد عند الوضوء، فإن وجدوا الامارة (٢٤أ) وإلا سألوا الشيخ عن حقيقة حال عسكر في تلك الحالة، فإن كان صادقاً في وجدده وما ذكره، وإلا أقيم عليه ما يلزمه من أحكام الطريق.

فلما كان وقت الوضوء حضر المجتمعون على ذلك وضوء السيد - رضي الله عنه - فلما كشف عن ذراعه الأيسر وجدوه مجروحاً جرحاً طرياً والدم قد نفذ من قطنه عليه، فلم يجرواً أحد منهم أن يخاطب السيد في ذلك، وعلموا صدق وجد عسكر. وشاع الامر حتى كان سبباً لتوبة خلق كثير.

قال الراوي: وكان الشيخ عسكر هذا كثير الصرخات كما تقدم، فكان بعضهم يتأذى بذلك، فسأله جماعة منهم أن لا يصرخ بعد ذلك اليوم لما في ذلك من تأذي غيره بذلك، قال: فلما حضر وقتاً آخر تذكر وصية إخوان له بالصمت وعدم الصرخات، فأثر جمعه^١ خاطر إخوانه على نفسه، وكنتم وغلب مراراً وهو يتجلد، ثم غلب الوجد على تجلده، فصرخ صرخة عظيمة. خرجت فيها روحه الزكية فرحمه الله من شهيد عشق الديان، (و) أجابت روحه داعي المحنة^٢ فنقلته إلى روح وريحان، وتخلصت من قفص الجثمان إلى فضاء القرب والإحسان، فسبحان من أعطى ومنح وأجزل لمحبيه المنح.

قال الراوي: ثم أن السيد - رضي الله عنه - ألزم الملزمين له بالسكوت بأن يقوموا بديته لورثته، ففعلوا ودفن بالقرب من تربة السيد، وقبره هناك معروف بزار. ومن ذلك ما روى أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - جلس يوماً مجلس تذكير، وحوله أصحابه، ومن يفهم عنه أسرار إشاراته، فحصل لبعض القوم وجد عظيم كثرت فيه حركاتهم وتنوعت حالاتهم. وكان في المجلس جماعةً محبوبون قد أخذهم الإنكار على القوم، وقال بعضهم لبعض مستهزئاً: إن القوم يريدون أن

^١ - غير واضحة في الأصل.

^٢ - في الأصل هكذا، وربما كان الصواب: المحبة، بالباء.

يطيروا! فألهم الله السيد تاج العارفين أن جلس في صبيحة ثاني يوم للتذكير على سطح الزاوية، فاجتمع الناس على العادة، وكان فيهم من أنكر بالأمس، وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية مما سيأتي بيانه، فلما تعمق السيد في كلامه واعتنى بالاشارات السنّية لأهلها، قام القوم على العادة، وكثرت حركاتهم وشحطاتهم، فوقع لهم في الهواء - لضيق الشطح بهم - ما وقع لهم في داخل الزاوية، فلما رأى المنكرون مشيهم على الهواء كما يمشون على الأرض، قالوا ما اضمروا من ضمائرهم، وكان ذلك سببا لتوبتهم، وعاد القوم إلى مجالسهم، وكمل السيد مجلسه، ثم تقدم المنكرون فدخلوا راية التوبة والفقر، فكان ذلك سببا لصيرورتهم من القوم، وصلحت أحوالهم، وانصلح بهم أحوال خلق كثير ببركة السيد رضي الله عنه، فطوبى له ثم لهم، نفعنا الله بهم آمين.

ومن ذلك ما روي بالسند عن ست الفقراء حسنية زوجة السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز ورحمها ورحم أباهما - أنها أتت إلى خلوة السيد لتجتمع به لضرورة، ولم يكن لها عادة في مثل ذلك الوقت ان يدخل عليه.

قالت فوجدت لسان الشيخ يوحد الله تعالى، وإنني لأرى كأنما الكائنات تجاوبه من كل جهة، فقلت في نفسي أرى وجهة حالة الذكر، فتأملت، فرأيت جسده قد ملأ الخلوة، قالت: فذهشتُ من ذلك، ولم أشعر بنفسي، لإغماء حصل لي، إلا بالشيخ جالس ازائي! فلما أفقتُ سألته عن ذلك، فقال: أعرضني عن ذا السؤال، واكتمي أمرك مدة حياتي. فقلت: يا سيدي! ناشدتك الله ما هذا الذي رأيت؟ قال: يا حسنية! إن لله رجالا يملا الفيض الالهي ذات أحدهم، فإذا كان كذا صار إلى ما رأيته حتى لو كان في الصحراء لامتلات. قالت: فلم أفش ذلك حتى توفي إلى رحمة الله تعالى، جمعني الله تعالى وإياه في دار كرامته آمين.

ومن ذلك أن رجلاً من بلاد قوسان يسمى عبد الاحد القيسي نذر أن يصرف للسيد تاج العارفين - قدس الله تعالى روحه - إن قضيت حاجة له ألف دينار، يعين بها فقراءه ومريديه على العبادة، فلما قضى الله حاجته، أحضرها إلى السيد وذكر السبب، وسأل السيد قبول ذلك، فأنعم السيد بقبوله بعد استخارة وترو، ثم سأله شيئاً من آثاره للبركة، فدفع السيد إليه خيطاً من صوف فربطه في طوقه، وقال له السيد: اذهب سالماً محفوظاً، ولم تزل بعين العناية إن شاء الله تعالى ملحوظاً.

فودع السيد ومضى متوجهاً إلى وطنه، فبينما هو في أثناء الطريق إلى بلده، إذ خرج عليه أسد ضار، فخشى منه (١٢٤) وجزم بأنه لا محالة مغلوب معه، فلما دنى منه، وظهر له أن لا محيد، وقع في خاطره أمر الخيط، فحلّه من طوقه، وأشار به إلى الأسد فخرّ الأسد إلى الأرض متذللاً متصاغراً، ثم عاد من حيث أتى. قال عبد الاحد: فعدت إلى السيد وجددت توبتي، ولم يهمني بعدها أمر، أو يمرض عندي مريض وعلقت الخيط عليه إلا وبلغت الارب فيما أرومه، وأرجو أن أحسب من اصحابه.

ومن ذلك أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز- خرج يوماً إلى صحراء قوسان ومعه أصحابه في نوع من أنواع العبادة، فدنوا من جسر منهدم على نهر من انهار تلك الارض، فوافى ورودهم على ذلك الجسر ورود طائفة من الأكراد إليه بقصد المرور عليه، فوجدوه منهدماً لا يحملهم، فلما رأى السيد ذلك بادر بهمة عليّة علوية حسينية إلى ذلك الجسر، وأمر أصحابه فناولوه طيناً ولبناً من لبن ذلك الجسر المنهدم عنه، فعمّره ومهدّه بنفسه وقومه، فلم ينصرف عنه حتى تم امره.

قال الراوي: روينا عن الشيخ ماجد الكردي - قدس الله روحه- أنه قال: كنت في ذلك اليوم مع السيد، وأنه لم تغرب عليه شمس ذلك النهار حتى كمل ما احتاجه الجسر، وإن ما كان منهدماً فيه لكان محتاجاً إلى أيام، ولقد تجرأت على السيد ولمته على هذه العناية بالأكراد المذكورين، لعلمي منهم بقلّة الصلاة ومنع الزكاة، وإهمالهم لكثير من اللوازم الشرعية.

فقال لي: يا ماجد تأدب! فوعزة من له العزة إن فيهم من يمر على الصراط كما يمر على هذا الجسر، وليس من رأيت منهم من شقي، فاعتبرت أمرهم بعد تفقد طويل، فكنت أرى من احوالهم ويبلغني عنهم ما يحسداهم العاقل على مثله، على أن ينفع ذلك الجسر عام الاكراد وغيرهم، انتهى.

^١ - الأعمال الخيرية المنسوبة لأبي الوفا تاج العارفين والتي تخص الكرد كهذا، أنجزها حين كان لا يزال مقيماً بكردستان وقبل أن يستقر بقوسان، حيث القبائل الكردية الرحالة تنتقل بين مصائفها و مشايتها، وكان كما صرح بنفسه يفكر في أمرهم و يتفقد أحوالهم، ومازال هناك جسر بهورامان في وادي عميق يفصل بين جبلين شاهقين له قدسية عند الأهالي ويشبه بجسر الصراط في الآخرة.

^٢ - كذا هي العبارة في الأصل.

ومن ذلك ما أخبرنا به قال: قدم على السيد - قدس الله سره - بزأويته بقلمينيا ثلاثة رجال أولاد رجل واحد، يسمى أحدهم مقدار، ويسمى الثاني مقدام، والثالث مقدار، فأكرمهم وقربهم، وأقاموا أياماً، ثم طرأ للشيخ أن أمر خادماً من خدامه باقتراض شيء لينفقه على الفقراء، فخرج الخادم يسعى في ذلك، فأنس به أحد الثلاثة وهو مقدار (٢٥ب)، وسأله أن يذكر له سبب همته، وأقسم عليه، ولم يكن السيد منعه من ذكر ذلك، بل فوَّض إليه أمره، فذكر له الحال، فتفتى الضيف بالقرض، فأقرض ما معه، وكان أعد ذلك لمؤونة الحج.

فلما أن أوان الحج ترقب الوفاء فلم يوف، فلوح للخادم، فقال للخادم: إنني أحتاج في الجواب إلى مراجعة السيد، فراجع ثم رجع إلى الضيف، فأخبره أن الشيخ التزم له بالحج، ثم سار الحج وسار أخواه وتركاه، ولم يتيسر له قصده، فسلم واستسلم، ورضي بما يحدثه الله على يد السيد، فلما كانت ليلة عرفة حصل لمقداد تألم لفوز أخويه بالحج وعدم حصول غرضه من الحج، ولم يجسر على مفاوضة السيد بمطالبته كما وعد، فبينما هو كذلك إذ نهض السيد ودعا مقدادا بخصوصه، فتبعه باداره^١ من ماء، فخرج به إلى الصحراء، ثم تناول منه السيد فتوضأ وصلى ركعتين، ثم أمر مقدار باستقبال القبلة ففعل، فقال: يا مقدار ها عرفة وها أخواك! فتأمل فرأى ذلك، ثم جذبته فوجد نفسه بعرفة بين الحجاج، ولم يأت وقوفه إلا بأزاء أخويه، فحصل لهم من السرور ما لم يوصف.

قال الراوي: وأخبر الشيخ مقدار أنه شاهد الكعبة والطائفين بها من عرفة، وأنه حصلت له حالة شاهد فيها الكعبة طائفة يانسان، قال: فتأملته فإذا هو السيد تاج العارفين! فكان ذلك سبباً للزومي وأخوي خدمته بجد غير الأول، ولقد سمعت في حالتني تلك قائلاً ينشد بيننا مفرداً:

أبطال كل الورى طافوا بكعبتنا وليس فوق الذى طافت به بطل
قال: فلما عدت إلى حسي، وجدت السيد حاضراً في المكان الذي طافت به الكعبة، فقبلت قدمه، وشكرت له، فقال: أتحب أن تبقى مع الحج أو تعود معي؟ ففوضت إليه الأمر، فقال: بل أقم مع الحج، تؤنس أخويك، وتحيط بالطريق علماً، ويكثر أجرك. فسألته الملاحظة والنجدة في اوقات الحاجة، فوعدني بذلك، ثم ودعته

^١ - كذا في الأصل.

وذهب، رضي الله عنه . فما استنجدته في طريق، ولا في ملمة، إلا وداركني الله فيها بأعظم عناية.

قال الراوي ثم أن مقداراً هذا رقي في رتبته السيادة إلى أعلا مقام، وفضل في الملمات والمهمات الخاص والعام، وصار من اجلاء أصحاب السيد، ثم ترقى أخواه في مقامات (٢٦) السيادة بالجد والعبادة حتى صار يضرب المثل بهم في زمنهم، نفع الله ببركاتهم^١.

ومن ذلك ما أخبرنا أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز- سافر مرة لدعوة الخلق إلى الحق، فكان زمن امره ان قدم على قرية غالب أمرها خوارج، وجميع اكابرهم متمسكون بذلك المذهب^٢، فدعاهم السيد إلى التوبة فامتنعوا، فما زال بهم ما بين ملاطفة ووعظ، ووعدهم ووعد، وتخويف وتطميع، حتى أسمعهم المبكي والمضحك، وكان من أكابرهم رجل يسمى فلان بن قبيلة^٣، وصحبته قوم لا يحصون كثرة، فقال له: أيها السيد! إن لي أباً شيخاً كبيراً، وهؤلاء القوم كلهم تحت أمره، فإنه كبيرهم ومستشارهم، وكلهم أتباع له، وله مدة تزيد على اربعين سنة وهو مقعد لا يستطيع حركة، وقد اشار علينا من لا ننهمه بإحضاره بين يديك، وتفويض امره اليك، وقد جئنا به راجين له على يدك الشفاء، فعسى دعوة او لحظ تنجدنا به في كشف ضرر هذا المقعد، وانه لملقى على الباب، وقد أوقفت أمر أدخاله بين يديك على إذنك، فهل تأذن لنا في ادخاله؟ فأطرق السيد ملياً كالمستأذن ثم أذن لهم، فدخلوا به اليه، فلما نظر السيد إليه قال له: هل لك في التوبة عن هذا المذهب الخبيث وأضمن لك على الله الشفاء؟

فقال قبيلة^٤: إن حصل الشفاء من ذلك تبت، وإن قومي لا يخالفوني، فارجو أن الكل يتوبون ويتبعوني، فأخذ السيد عليه عهداً او ميثاقاً على ذلك، ثم توجه

^١ -لبث قبره شاخصاً مزاراً حتى اليوم، وقد نسبت إليه بلدة شهربان القريبة فسميت بالمقدادية وهي اليوم مركز ثاني أكبر قضاء في محافظة ديالى، وسيذكر المؤلف أن قبر أخيه مقدم، في بلدة شهربان، وهي المقدادية نفسها.

^٢ - اندثر مذهب الخوارج بالعراق منذ القرن الرابع الهجري، فلم يعد قائماً، والواضح ان قصده من الخوارج هنا هو فرق الغلاة والفرق الخارجة عن الإسلام.

^٣ - كذا ومن السياق يظهر أنه يقصد بن رئيس القبيلة.

^٤ - كذا والصحيح ابن رئيس القبيلة.

ومن ذلك ما أخبرنا به السادة العراقيون بسندهم المشهور إلى الشيخ صدر الدين بن عبد المنعم، من أصحاب السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - انه قال: أسأذنت السيد في سفر للمتجر، وكان رأس مالي خمسة وعشرين ديناراً، فلم يأذن لي في ذلك، فما زلت لأتلف به ويظهر من وجهه الكره حتى أذن، ولم يظهر منه الميل لذلك، بل لإلحاحي عليه، فسافرت، فلما قدمت على البصرة وأقمت بها أياماً أحببت يوماً أن أطوف بنواحيها متفرجاً، وظننت انني أنظر، فخشيت على مالي فعنَّ لي أن أدفنه ففعلت ذلك، وجعلت على مدفنه علامة أعرفها إذا اظلت عنه، وذهبت في بعض شوارع البصرة، إذ وقع بصري على شابة جميلة حسنة الطيب والثياب، فكانت نفسي لي اليها دليلاً حتى لم أجد إلى العدول عنها سبيلاً، فراودتها عن نفسها، فتوقفت عليّ إلا بنقد أنقده لها، فرضيت بما أشارت، وتوجهت إلى المكان الذي دفنت المال به، فوجدت العلامة بحالها، فحفرت حتى اعجزني الحفر - فلم أجد المال ولا شيئاً منه.

فهرعت إلى بين يدي السيد من غير مال ولا تجارة، فلما دخلت عليه الزاوية بقلمينيا تبسّم وقال: مرحباً يا تاجر! ماذا إذا أكسبتك تجارتك التي اخترتها على صحبتنا؟ فأطرقت خجلاً مستغفراً، ثم قصصت عليه قصتي من غير ان اكنتم منها شيئاً، فقال السيد: أحفر تحت قدمي هذا فانك لا تدري لعلها هنا، ثم رفع رجله فحفرت مكان قدمه ضريبة واحدة، فإذا بمالي كما هو (!)، فعلمت من اين أتت، فله دره من رجلٍ مظهر شأنه للمتري المنصرف امداد رشاد^١، ولمن به اقتداء، ومن انواره اجتلاء، وبها اهتداء.

ومن ذلك ما أخبرنا به قال: أقعد ولدٌ لولد الخليفة^(٢) المتقدم ذكره مدة لم يستطيع طيب إبراء علته، فأمر باحضاره بين يدي السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - فأحضر، وكان ذلك بمجلس الخليفة، فتوجه السيد - قدس الله سره - إلى ربه سبحانه وتعالى بجمع همّة ومنحة عزم، ثم امر أحد خدامه بأن يسمي الله تعالى ويتفل على يديه ويدلك بهما حقوي^٣ ذلك المقعد، ففعل ذلك، فقال السيد للخادم: خذ

^١ - كذا هي العبارة في الأصل.

^(٢) يظهر من سياق الأحداث ان الخليفة المقصود هنا هو القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م).

^٣ - الحَقْوُ: الخَصْرُ، وهو وسط الإنسان فوق الورك.

بيده فأقمه باذن الله تعالى، ففعل الخادم ما أمر به، فقام الولد من وقته كأن لم يكن أقعد أصلاً، فأمره السيد بالطواف على القوم ليسقيهم ماءً، ففعل الولد ولزم صحبة السيد مدة أيام صغيراً، ثم أمره الشيخ بملازمة جده، فقال ألزمه لما وعدك الله بعده يا ملك الشام والعراق، ولم تكن الشام بيد جده، فلما بلغ جده ذلك أراد أن يهتم بفتح بقعا^١ لإشارة السيد، فأعانه الله حتى ولي بعده ولد ولده عبد الله^(٢) هذا.

فجهز لها جيشه فملك الشام من أيدي المصريين^٣، ففهمت إشارة السيد، ولزم الصحبة للسيد وجمع من قومه، وكان يقتدي برأي السيد في حركاته المهمة حتى مات، فكان ذلك عادة للخلفاء بعده، ثم للملوك من بعدهم، مع ذرية أخيه إلى يومنا هذا بالشرق، ولعمري إنهم في الآخرة لأعز من ذلك، نفع الله تعالى بهم آمين.

ومن ذلك ما أخبرنا به أيضاً حكاية عن الشيخ رجب بن عمران الواسطي، أحد أصحاب السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وهو من أشهرهم بالصلاح انه حضر إليه جماعة قاصدين زيارة السيد (١٣٧هـ)، فأضافهم وأكرمهم، فلما قصدوا التوجه إلى السيد خرج ليودعهم ويعود، فسألوه أن يتوجه معهم إلى زيارة الشيخ، فأبدي لهم عذراً قبلوه منه.

ثم توجهوا على السيد رضي الله عنه، قال لهم: ما بال رجب لم يحضر معكم؟ قالوا: ياسيدي إنه اعتذر بعذر فقبلناه منه، فقال: لقد استحق ما فعل الله به! فسكت القوم مطرقين خائفين على رجب من سطوة ولاية السيد لما شاهدوا من حدة سطوته في تلك اللحظات والكلمات. ثم شرع السيد يُذكرهم ويحثهم على الجد، ويحرضهم على الطاعة وبذل المجهود في السلوك، ثم ختم المجلس بذكر جد^٤، فسكّر القوم وغابوا عن إحساسهم، فرأوا في تلك الغيبة أنهم في حضرة السيد، كما هم عليه، وان يداً وقعت بينهم، فتأملوها فإذا هي يد رجب الواسطي قد حذف اليهم، ثم يده الاخرى، ثم رأسه، ثم أحد رجليه، ثم الثانية، ثم باقي بدنه قطعاً، وأن السيد تاج

^١ - كذا في الأصل، ولعل الصواب: البقعة.

^(٢) هو عبدالله المقتدي بأمر الله (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٤ م) بن محمد بن القائم، تولى الخلافة بعد وفاة جده القائم بأمر الله سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، وفي عهده استولى السلاجقة على بلاد الشام الخاضعة للفاطميين.

^٣ - اي الفاطميين و سوف يكرر المؤلف ذلك.

^٤ - كذا.

العارفين قد ضم تلك الاعضاء وقال: يا رجب أيسألك زوارنا أن تحضر معهم إلينا فتمتنع؟ فما أنت قد حضرت قطعاً. فاعترض من حضر من الزائرين حزناً على رجب وتألموا لذلك، فقال له السيد: قم يا رجب باذن الله كما كنت، ولا تعد إلى مثلها، وفرح الزوار، وحضروا إلى إحساسهم، فتأدّبوا بما شاهدوه في تلك الغيبة، وكان لهم على المجاهدة أعظم نصير، سيما وقد وجد رجب قد حضر وهو واقف بين يدي السيد، حاسراً عن رأسه، ذليلاً خاضعاً، ممتقع اللون، يمسح مدمعه ويخفي جزعته، ووجدوا إخوانه وقوفاً لوقوفه يستغفرون له ويتضرعون إلى السيد في العفو عنه، حتى صفح عنه السيد - رضي الله عنه - وقبله، لكنه أعاده إلى البداية، فجدّ واجتهد حتى وصل إلى مقام قال السيد - رضي الله عنه - في حقه فيه: وعزة من له العزة! إن الله تعالى سلّم اليّ رجب معبر السبيل يعبر من شاء، ويصد من شاء باذن الواحد القهار.

ومما روي أن شخصاً من الزوار جدد عقد توبته في ذلك المجلس، وانتهى إلى السيد - رضي الله عنه - فأوقع الله محبته في قلب (أ٢٨) رجل قوساني من أصحاب السيد، فسأله السيد أن يعقد بينهما عقد أخاء، ففعل السيد ذلك. ثم أن القوساني أخذ بيد ذلك الرجل، وذهب به إلى منزله، ففاسمه كل ما يجد، وكان مالا عظيماً، فبورك له في ذلك، ولزما خدمة السيد حتى ماتا رحمهما الله تعالى.

ومن ذلك ما أخبرنا به، وهو أن السيد - قدس الله سره - أرسل خادماً له يسمى قنبر ليطن طحيناً، فتوجه بالقمح إلى بعض المحبين من أهل القرى، ففرقه عليهم لينظفوه ويطحنوه، فإنهم كانوا يتبركون بذلك ويُسرون ويستبشرون به، فكان من له امرأة جميلة من المغربلات اسمها رضا، فمال خاطرها إلى مؤاخاة قنبر هذا، ولم يمل خاطره هو إلى مؤاخاتها، غير أنه لم يجافها، بل خوفها بالسيد، وذكرها انه ينفر من ذلك، ولا يمكن منه ولو ملت لما ملت لاختطف سيف سطوة السيد رقابنا.

فقال: إن السيد بقوسان، لا يعلم بذلك، ولا بد لي من ذلك، فقال: ويحك إنه يرى بنور الولاية البعيد منا والقريب، ففر منها هارباً، وأحضر الدقيق، ووقع المحيا^٢

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - كذا في الأصل.

على العادة، فلما انقضى، خرج السيد إلى سَفَرٍ، فمرَّ عن الكنيرية^١ من البطائح، ثم أشار قريباً، فنظر إلى قنبر الخادم فأطلعه الله بنور الولاية على ميل قلبه إلى ما كان سُئِلَ فيه من أخوة تلك المرأة، فغار السيد لذلك، فكانت سهام الغيرة مقترنة بمَنِيَّةِ قنبر، فقتل في الوقت، وغسل وصلى عليه، ودفن في مكان قتل فيه. ثم مرت رضا فبلغها قتله، فعرفت الحال، فحضرت إلى السيد مستغفرة، فقال تهيأ لي للقاء الله. ثم امر أن يحفر قبرٌ إلى جانب قبر قنبر، فحفروا.

ولم تلبث رضا أن ماتت ودُفنت، ثم قال الراوي لما انتهى أمر دفنهما: وقف السيد على قبريهما فقرأ شيئاً من القرآن، وسأل لهما الرضوان والغفران، فكان من جملة ما سمع من دعائه: ونسألك العفو والرضا لقنبر ورضا. ثم انصرف، فلما بعد عن القبرين قال: ياندامة المفرطين، وكرامة المتقين! انتهى.

ومن ذلك ما خُبرنا به، وهو أن رجلاً علويًا حضر إلى زيارة السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - وكان كثيراً ما يتردد لزيارته ويحرص على سماع كلامه، ويحرص على ذلك، فأقام أياماً، (١٢٨) ثم همَّ بالعودة إلى وطنه، فاستأذن السيد فلم يأذن له، ثم استأذنه في اليوم الثاني فلم يأذن له، ثم في اليوم الثالث فلم يأذن له. فلما انقضت الايام الثلاثة، ورد على السيد رجل زائر، فقدم إلى السيد ثلاثين ديناراً كان نذر صرفها لله تعالى على يد السيد إن قُضيت حاجة، فقضاها الله تعالى، فأحضر نُذره، فلامه السيد على تأخره عن وقت وجوبها عليه، وقال: أنا أعقتُ هذا الضيف العلوي عن قصده ثلاثة ايام، وذلك من أول يوم وجوبها عليك لتخصه بها، فما أحرَّك عن ذلك؟ فاعتذر بعذر قبله السيد، ثم دفع الثلاثين بإشارة السيد إلى العلوي، فاستقال منها العلوي، وسأل السيد مراراً في صرفها لغيره من الفقراء، فتروى السيد في ذلك قليلاً، ثم أذن لخادم من الخدام ففرَّقها في مصالح القوم، فقال السيد: قد أعقنا العلوي عن قصده بسبب شيء فان، فأبى إلا الباقي، أبشر ايها العلوي بما تُحب من صحبتنا في الدارين ان شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما أخبرنا به ايضاً أن اهل قوسان شكوا إلى السيد تاج العارفين - قدس الله سره - أمر رافضي يدعوهم إلى الرفض، ويستميل إليه الأحداث منهم والجهال، فقال السيد: سينصلح ان شاء الله، ثم مضت مدة ولم يرجع عن حاله،

^١ - هكذا في الأصل، غير ان من المستبعد ان تكون قرية بالبطائح.

فذكروا ذلك للسيد، فأجاب أيضاً بجواب الاول، ثم قدر للسيد أن مرَّ على بلدهم فتلقاه اهله، وكان الرافضي معهم في الملتقى، فلما وقع نظر السيد عليه عرفه. فدعا أهل تلك القرية السيد إلى النزول عندهم ليتبركوا به، فأجابهم، فما استقر ولا جلس حتى أمر الرافضي بأن يلتقيه بماء تبعه به، وخرجا إلى الصحراء، فتخلى السيد، ثم توضأ، والرافضي يتولى خدمته ظناً بذلك التقرب من آل البيت، فلما انتهى وضوء السيد، وقصد الرجوع، خرج في ممرهما أسدٌ ضارٌ مُبادراً إليهما، فارتعد الرافضي منه خوفاً وقلقاً من ذلك الأسد، وقصد الفرار، فمنعه السيد وطيب قلبه، فلما دنا الأسد من السيد حن إليه، وتمرغ على قدميه، ثم أشار السيد إليه، فرجع يلوص¹ بذنبه كالخاضع الممتثل، فتعجب الرافضي من ذلك، فقال له السيد: انه لم ينل ذلك بكسب ولا حيلة، بل هي مواهب رحمانية وفيض الهي، يتشيد بنيانه على اساس اتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم اجمعين.

فقال الرافضي: يا سيدي من أفضل الصحابة؟ قال: أبو بكر الأنقى، ثم عمر الأتقى ثم عثمان ثم علي، ثم السنة عند ذوي الحق الجلي. قال الرافضي: فما يكون الجواب لمن قدم على أخي النبي وابن عمه غيره؟ فقال: أما عند الله ورسوله فالجواب إنا فضلنا من فضله، وقدمنا من قدماءه، فاتباع الكتاب والسنة وسيلة عند الله لبلوغ المراد، لا مظنة للانتقاد، فقال الرافضي: أترضى لجدك الحضيض ولغيره السَّماء؟ قال السيد: بل اتباع الحق عند جدي أحب من خوضي للحظوظ من الباطل ظلماً وظُلماً. فأنشد الرافضي شعراً:

فلو قال غيرك هذا الكلام	لاتبعت ذاك برشق السهام
وما كنت سلمته مقوداً	ولا كان فهمي بذا البحر عام
ولكنك بن لهم فاحتكم	فها أنت لي في اعتقادي إمام
لقد اعزرتك ضواري الاسود	فلم لا استسلم لكم بسلام
فقد تبت عن كل ما كان عن	طريق الصواب بعيد المرام
رجاء السلامة فيما ترى	واستلمت امرك دهري الزمام

¹ - في الأصل يلوص، ولا معنى لها في المعاجم، والراجح عندنا ما أثبتناه، فلاص بالشيء ليأصا استدار به، ولعلها كما في السياق: يحرك ذنبه.

ثم مد يده فأخذ العهد وتاب، فلما عاد السيد وعاد معه إلى القوم، جلس السيد، فوقف التائب مستغفراً، مظهرًا الندم والاقلاع عما كان منه، والتبرئ إلى من يدعوه إلى ذلك المذهب، وصلحت أحواله وصار ممن يرد اعتقاد قومه بما مكنه الله فيه بعد ذلك من العلم والحال، ولا زال في رُقي في الخير حتى لقي الله تعالى.

ومن ذلك ما أخبرنا به: أن يهودياً دخل إلى قليمنيا، بلد السيد - قدس الله سره العزيز - فاستطعم أهلها فلم يُطعم، وخرج جائعاً كما أتى، فلاحظه السيد عن بُعد، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه أمر له بأطيب طعام عنده، فأحضر إليه فأكل حتى شبع وافضل، ثم أذن له في الانصراف فانصرف.

فلما خرج عن جدران قلمينيا كشف الله الحجب عن بصيرته فرأى قبة زاوية السيد تعلوها الأنوار، ويحفُّ بها الوقار. وسمع الله ذكر السيد بخير من نحلته^١ كان واقفاً ييازائها^٢، فجذب الله قلبه إلى الإسلام على يد هذا (٢٩ب) السيد - رضي الله عنه - فعاد إلى الزاوية وأسلم على يد السيد، وحسُن إسلامه، وأكبَّ على الطاعة، وشهد الناس له بخير، ولزم خدمة السيد حتى لحق بربه، رحمه الله تعالى.

ومن ذلك ما روي أن السيد - رضي الله عنه - كان يتكلم على رؤس الناس في مجلس تذكير بجامع بغداد^٣، فكان مجلساً عظيماً أفاض فيه بحار علوم لا يستطاع في شاطئ بحارها غوص، حتى حارت قلوب المستمعين، وأعجب كلامه الخاص والعام، وكان ممن حضر ذلك المجلس من العلماء بن عقيل^٤ وابن هُبيرة، فخطر في خاطرهما أن كلام السيد ليس محتاجاً إلى بعض عربية يفوت لفقدها كمال

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - كذا هي العبارة في الأصل.

^٣ - لم يحدد أي جامع أراد وكان في بغداد جوامع عدة هي جامع القصر وجامع المنصور في الجانب الغربي وجامع الرصافة في أعلى الجانب الشرقي، والراجح عندنا أنه يقصد الأول منها، وكان متصلاً بدار الخلافة العباسية، وقد زال في القرون التالية وشيد في مكان قريب منه جامع سمي جامع الخلفاء وأزيل هذا أيضاً في خمسينات القرن الماضي لشق الشارع العام هناك (وعرف بشارع الملكة عالية فشارع الجمهورية، ثم شارع الخلفاء) ولم تبق من جامع القصر القديم إلا المئذنة الفخمة التي شيدت في أواخر القرن السابع للهجرة وعرفت بمنارة سوق الغزل. وشيد في ستينات القرن المذكور جامع آخر كبير قريب من أرضه، حمل اسمه وما زال عامراً.

^٤ - في الهامش تعليقة هذا نصها "كان رجلاً حنبلياً، وكان من أكابر العلماء، وليس هو بن عقيل شارح ألفية بن مالك، فإنه شافعي وكان بمصر".

جمال النطق، ففهم السيد ذلك بسره وكتمه، فلما انتهى المجلس تبادر الناس لمصافحة السيد، فلما مد بن عقيل يده لمصافحة السيد، قبض السيد على يده، وقال لعقيل: يا بن عقيل ألم تر أن أقواما عقلوا عن تأديب القلب بتأنيب اللسان. ثم أنشد:

وما القول لولا نية المرء نافعٌ وحاضر ذا قلب المعاني معوجٌ
فوقع عقيل على قدمي السيد يقبلهما، فمنعه السيد من ذلك واعتذر، فقبل
عذره، ثم سأل السيد الصُّحبة فمَنَحَه بها، فكان من أعز الأ أصحاب، نفع الله بعلمه
وبركاته.

ومن ذلك ما روي بالسند إلى الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي^١ رضي الله عنه:
أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - العزيز توجه لزيارات أضرحة، فكان مما
زاره الضريح الذي بقبة مشهد الامام علي، ويذكر أنه ضريح الامام علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه عند نهر زاب^٢، قال: فجلس السيد بعد أن صلى ركعتين
خفيفتين مستقبلاً القبلة مسنداً ظهره إلى الضريح، فأنكر خادم القبة ذلك في نفسه،
فكوشف السيد بذلك فأمره بالدنو منه، فقال له الله: ماذا أنكر قلبك علينا؟ فلم
يسع الخادم كتمان ما خطر في قلبه. فلما أخبره بما وقع في خاطره قال: أنظر
أمامي! فنظر ورأى الامام علياً بشخصه مُسنداً ظهره إلى محراب القبة، متوجهاً
بوجهه إلى الجهة التي بها أبو الوفا، فدهش الخادم لذلك، وتوسل إلى السيد الامام
علي في الصفح عنه فيما خطر له فقبله، ثم كان بعدها من أصحاب السيد رضي الله
عنه.

ومن ذلك (١٣٠) ما روي أن رجلين من أهل ماردين توجهوا لزيارة السيد تاج
العارفين - رضي الله عنه - بعد موته بمدة سنين، وكان ذلك على زمن متولي مقامه
السيد يعقوب بن السيد مطر بن أخي السيد تاج العارفين، فلما دنا من الزاوية نظر
عن بعد قبة مشهد علي كرم الله وجهه، فاختلفا في تقديم الأقرب، ثم يكون الختام
الافضل. وهذا يقول: بل نقدم زيارة سيدنا علي، إذ نظرنا فارساً عظيم الهيبة،
مهيب الهيئة، مُقبل عليهما، فلما دنا منهما سلم عليهما فرداً سلامه، فاستفصحا

^١ - سيترجم له المؤلف فيما يأتي من هذا الكتاب.

^٢ - كذا والصحيح الزاب.

عما عنّ لهما، فقصاً له القصة. واسترشدا في ذلك، فقال: كلاكما أصاب فيما اجتهد، ولكنني أنا علي بن أبي طالب، وها قد زُرتماني، فاذهباً إلى ضريح السيد تاج الدين العارفين بسلام، فانه بضعة مني، فاسألاه الدعاء، فلما مسحاً على وجهيهما عند تمام الدعاء لم يجدها، ثم أقبلأ إلى ضريح السيد، فلما وقع بصر السيد يعقوب عليهما قال: مرحباً بكما، اني في انتظاركما يوماً وبعض الثاني حقي من الله عليكما الخلوص من تردد النية ببركة جدنا الامام علي وارشاده لكما، فخلصتما على نية جازمة خالصة فيها لكما القبول التام. فسراً بذلك، وشكراً الله عليه، وجعلأ الزيارة لهما في كل سنة.

ومن ذلك ما أخبرنا به أن الشيخ أبا الفضل الواسطي خطر في باله زيارة بيت المقدس، وضريح سيدنا الخليل، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فاستأذن الشيخ تاج العارفين - قدس الله تعالى سره العزيز - مراراً وهو يمنعه، ثم استأذن بعد أيام فأذن له، فتوجه إلى قصده بعد أن ودّع السيد والإخوان.

فلما أعانه الله تعالى، ووصل إلى جبال نابلس دون مرحلتين عن القدس، رأى رجلاً في بعض شعاب، مهيب الشكلى على جسده جُبّة من صوف مقلوبة، وليس على رأسه شيء يستره، وهو واقف على صخرة يتعبد. قال فما دنوت منه حتى أتم الصلاة، فتقدمت إليه فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، ثم قال: ويحك يا أبا الفضل! أسمح خاطرك بمفارقة السيد تاج العارفين؟ وكيف جسرت على مراجعته بعد منعه (٣٠ب) لك مراراً حتى أذن؟ كيف تصادق طبيب القلوب وأنيسها، المفرق بين خسيسها وتعييسها بقصد زيارة بيت المقدس؟ ويحك! إن تربية هذا الشيخ تفتح أعين القلوب فتقدّس مثلك البقاع بذلك إذا حلها، ويحك إن البقاع لا تقدّس من لم يقده همّ الرجال ونظر الأستأذنين.

قال أبو الفضل: أسألك بمن أطلعك على حالي من عرفك باسمي واسم شيخي، وما سبب اطلاعك على حالي؟ فقال: يا أبا الفضل! إن الانوار تكشف لنا عن بواطن الأسرار فتتجلى أعلام الغيوب على القلوب، فيظهر ما خفي على المحبوب، وهل يخفى القمر في صحو بين النجوم، ولا بد لكل عارف من معرفة تاج العارفين، وسأحدثك بأعجب ما رأيته في هذه الساعة وانا في هذا، رأيت هُدهُدين قد تضاربا في الهواء، فغلب أحدهما وبلغ الجهد فوق إلى الارض، ووقع غريمه عليه، وليس لمغلوب

من الخلاص من الغالب، فقال لرفيقه: أقسم عليك بما وهب الله أبا الوفا قطب الوقت من العنايات والقرب، إلا ما غفرت عني! فقال له: إذهب معتوقاً طوعاً لما اقسمتُ به، ووهبتك ذنبك. ثم قال: يا أبا الفضل! أتقبل نُصحي؟ قلت: نعم ان شاء الله تعالى. قال: فارجع إلى شيخك فذلك على رأيي أفضل لك من الذي تقصده، وصلّ ركعتين بزاوية شيخك واهدِ ثوابها لي، وأنا أصلي لله تعالى بالمسجد الأقصى ركعتين، وبمدينة الخليل ركعتين، واهدي ثوابها لك، وثواب زيارة المسجد الأقصى والخليل وأولاده، واطمن لك على الله القبول. قال أبو الفضل: فصَدَعَ قلبي كلامه، ومِلْتُ إلى طاعته، فودعته وتوجهت راجعاً من جبل نابلس إلى الشرق. فلما بلغت العراق طُوِيَتْ لي الأرض، فلم أدر متى مشيتُ في أرض العراق، فلم أشعر إلا وقد وافيت زاوية السيد تاج العارفين، وكنت قد سألته عن اسمه فلم يخبرني، بل قال: السيد يعرف اسمي، فلما تمثلت بين يدي السيد وقبّلت يده، قال: يا أبا الفضل! قم فصلّ الركعتين فإن أخاك قد صلى الأربع بالمسجد الأقصى وبلد الخليل عليه السلام. قال أبو الفضل: فصليتُ الركعتين وأنا في أي ما حالة، فلما (أ٣١) انتهت صلاتي وجلست بين يديه قال: قد قبلت صلاة كل منكما لصاحبه، يا ابا الفضل، أتعرف اسمه من هو؟ قلت لا والله يا سيدي! قال هو داود خفير الشام، الآن له قدم راسخ وكشف جلي، لكنه مُقَيَّدٌ بالشام لا يستطيع الخروج منه لحظة، ولا أن يخطو منه خطوة، ولا فتر ماء، وإنما أسراره سارية في الغيب، وقد علمه الله تعالى من علم اليقين، وفهم لغات الطيور، وأكرمه بكرامات الصالحين، نفع الله به.

ومن ذلك ما روي عن الشيخ محمد الكامخاني^١ - رحمة الله عليه - أنه قال: لما توفي السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - كنت حاضراً، فرأيت ما حصل لماجد الكردي - رحمه الله - من الألم لوفاة أستاذه المشار إليه، وهجابه في البراري، وتغطية حجاب الحزن بين قلبه والصبر، فعجبت من ذلك من مثل ماجد، فلم يلبث ماجد أن حضر، وحضر الجنائز، فكنت أراه أكثر طمأنينة، فقلت في نفسي: ما أعجب تلك الحالة ثم هذه! ثم خطر لي أن أسأله عن معنى ذلك فسألته، فأخبر أنه لما حجب الحزن عن نور أجر الصبر، وخرج كما رأيت أولاً، حصلت حالة

^١ - هو الشيخ أبو بكر محمد الكامخاني، من أتباع السيد أبي الوفا، وسيتناول المؤلف بعض أخباره فيما يلي من هذا الكتاب.

غَيْبَتَهُ عَنْ حَسَبِهِ، فَرَأَى فِيهَا السَّيِّدَ قَالَ: فَقَالَ لِي يَا مَاجِدُ مَا هَذَا فَعَلَّ أَحِبَّاءَ مِنْ قَدَمِ عَلِيِّ أَحِبَّائِهِ، أَلَا تَسْرُ بِسُرُورِي؟ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي! أَلَمْ تَمُتْ؟ فَقَالَ: لَا أَنَا حَيٌّ أَرْزُقُ فِي أَحْسَنِ سَكْنٍ وَأَطْيَبِ رِزْقٍ، إِرْجِعْ فَاغْفَلْ مَا يَلْزِمُكَ مَعَ الْجَثْمَانِ، وَسَلْ أَخَوَانِكَ، وَاعْلَمْ إِنَّكُمْ كَلِمَا احْتَجْتُمْ حَاجَةً فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا وَهَبَنِي مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ، وَالْقَرَبِ مِنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمْنَحُكُمْوَهَا بِفَضْلِهِ. قَالَ مَاجِدُ: فَلَمْ يَخْتَلِجْ خَاطِرِي بَعْدَ ذَلِكَ بِخَوْفٍ وَلَا أَلَمٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ - وَهُوَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ - مَا رَوَى أَنَّ فَقِيرًا مِنْ أَصْحَابِ السَّيِّدِ تَاجَ الْعَارِفِينَ - قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ الْعَزِيزِ - اعْتَرَاهُ عِنْدَ فَقْدِ السَّيِّدِ وَوَفَاتِهِ بُكَاءٌ زَائِدٌ، فَبَكَى كَذَلِكَ مَدَّةً طَوِيلَةً، وَلَمْ يَبْرَحْ مِنَ التَّرْبَةِ عِنْدَ قَبْرِ السَّيِّدِ، وَكَثُرَ الْمُسْأَلُونَ لَهُ وَلَمْ يَفِدْهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ تَمَشَّى حَوْلَ قَبَةِ الضَّرِيحِ وَهُوَ فِي حَزْنِهِ وَانْتِحَابِهِ، إِذْ رَأَى فَارِسًا مَقْبِلًا عَلَيْهِ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَحْقُقَ النَّظَرَ فِي وَجْهِهِ (٣١ب) أَحَدٌ بَعْدَ السَّيِّدِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَى ذَلِكَ الْفَارِسِ: فَفَرَّدَتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ لَاحَتْ إِلَيَّ وَجْهَهُ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فَرَأَيْتُهُ شَيْخِي بَعَيْنِهِ، فَوَقَعَتْ عَلَيَّ حَوَافِرُ الْفَرَسِ أَلْتَمَهَا وَأَلْتَمَ قَدَمِيهِ، فَتَوَدَّدَ إِلَيَّ، وَسَكَنَ رَوْعِي، ثُمَّ اعْتَقَنِي. فَذَا سَبَبُ مَا أَجَدَهُ مِنَ الْحَزَنِ وَالْبُكَاءِ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ إِنَّكَ مِتَّ! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، صَدَقُوا قَدْ مَاتَتْ الْأَجْسَادُ، وَالْأَرْوَاحُ انْتَقَلَتْ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، يَا وَلَدِي! عُدْ إِلَى وَطْنِكَ فَلَا تَطْلُبْنَا إِلَّا وَجَدْتَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، أَكْتَمُ أَمْرَكَ! قَالَ الْفَقِيرُ لِلرَّوَايِ: فَمَا سَمَحْتَ بِهِ لِفَعْرِكَ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى: أَنَّ الشَّيْخَ مَاجِدَ الْكُرْدِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ تَذْكَيرٍ لِلسَّيِّدِ تَاجِ الْعَارِفِينَ، فَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ كِرَامَاتِ الشَّيْخِ أَبِي يَزِيدٍ^١ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَطْنَبَ فِي ذَلِكَ، فَمَالَ خَاطِرُ فَقِيرٍ حَاضِرٍ مِنْ أَصْحَابِ السَّيِّدِ تَاجِ الْعَارِفِينَ إِلَى الْإِنْتِمَاءِ إِلَى طَرِيقِ الْأَسْتَاذِ أَبِي يَزِيدٍ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ طَرِيقِ السَّيِّدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْخَاطِرِ، فَلَمَّا أَحْسَسَ الْفَقِيرُ بِذَلِكَ صَاحَ مِنَ الْخَوْفِ وَمَاتَ لَوَقْتِهِ! فَحَضَرَ أَصْحَابَ الْأَحْوَالِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدٍ، وَأَصْحَابَ الْأَحْوَالِ مِنْ جَمَاعَةِ السَّيِّدِ تَاجِ الْعَارِفِينَ - قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُمَا وَرَحْمَهُمَا - وَتَنَازَعَ الْفَتْنَانِ فِي تَوَلِّي أَمْرِ غَسَلِهِ وَتَكْفِينِهِ

^١ - هُوَ أَبُو يَزِيدِ الْبِسْطَامِي، صُوفِي شَهِيرٌ، وُلِدَ فِي بَسْطَامٍ مِنْ بِلَادِ خِرَاسَانَ سَنَةَ ١٨٨ هـ / ٨٠٤مَ وَلَقِبَ بِسُلْطَانَ الْعَارِفِينَ، تَوَفَّى سَنَةَ ٢٦١ هـ / ٨٧٥مَ، لَهُ شَطْحَاتٌ فِي التَّصَوُّفِ. الذَّهَبِيُّ: سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ١٣، ٨٦/.

ودفنه، وترافعت إلى السيد تاج العارفين، ففضى لإخوان المقتول الذين هم من رفقته وأهل خرقته وعشرته إذ كان لم يتصل بخرقه الشيخ أبي يزيد إتصلاً يُعتبر، وإن مجرد الميل لا يفيد القدوة والرابطة^١.

قال ماجد الكردي رحمه الله: ولقد رأى قوم منا ومن أصحاب الأستاذ أبي يزيد شبيهه طائر قد أتى من بُعد، على قدر البعير، فصار كلما دنا يصغر، حتى وصل إلى مجلس السيد تاج العارفين فصار بقدر العصفور الصغير، فجلس على لوح مرتفع بالجامع، فصار يمد عنقه لسماع ألفاظ السيد، فكان السيد من ثم ينظر إليه وهو يتكلم، ثم امتزج كلامه بهمهمة لم تفهم، ثم ختم المجلس فطار ذلك الطائر، فكان كلما بُعد كبير، حتى عاد إلى مارأيناه أولاً. ثم نظر السيد إلى الحاضرين فقال: أتدرون ما هذا الطائر؟ قالوا: لا والله! قال: هو روح أبي يزيد تصاغر مع عظمته حين قدم علينا (١٣٢) تعليماً للقوم، وتأديباً لهم، وتعريفاً لحفظ حرمة صاحب الوقت. ثم تقدم أكابر أصحاب السيد أبي يزيد فاستعفوا، وسأل بعضهم السيد أن يعقد بينهم وبين إناس من أصحاب السيد إخاءً، فأجابهم السيد إلى ذلك.

قال ماجد رحمه الله: فكان المتأخون منا ومنهم من كل طائفة عشرون رجلاً، وأنا أحد العشرين ممن عقد الإخاء بيني وبين عبد الله البسطامي، وبينني وبينه رسائل الأرواح وتزاور الأشباح إلى يومي هذا، وإنه لمن أجل رجال هذا العصر، انتهى.

ومن ذلك ما روي أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - كان يوماً عند ضريح أستاذ أستاذه أبوبكر بن هوارا بقصد الزيارة، وإذا برجل قد دخل للزيارة، فتلقاه الخادم فسلم الزائر عليه، واهدى له سمكا طريا في مقطف^٢، فأخذه الخادم فدخل به الضريح، فقال له السيد: لم أدخلته الضريح ما بقي ينضج ابداً! ثم أقيمت الصلاة، فصلى الخادم مع الجماعة والسمك في الضريح، فلما أنهى صلاته أخذ السمك، فدخل به بيته، وكان شاكا فيما قاله السيد من كونه لا ينضج، فرفعه على النار في القدر زمناً، ثم في الطاجن^٣ كذلك، ثم قلبه على الجمر زمناً فلم تؤثر في

^١ - الرابطة: هي استمداد المرید صورة شیخه المتوفی.

^٢ - وعاء صغير مجدول من خوص النخل ونحوه كان يقطف فيه الثمر.

^٣ - إناء من الفخار، مستدير الحوافي، عميق القعر، كان يقلب فيه الطعام، واليوم هو يوضع في الفرن لإنضاج ما فيه من الطعام، ولم يكن الفرن مستعملاً في العراق في ذلك العصر لأغراض الطبخ.

جميع الحالات فيه النار، فلما عجز تحقق حقيقة ما قاله السيد تاج العارفين تمثل بين يديه معتذراً حاسر الرأس مستغفراً، وذكر له ما عالج فيه رجاء الاستواء، فقال السيد: إني لأرجو أن من دخل هذا الضريح فإن النار تكون محجوزة عنه، ويكون محرماً عليها بشرط الاسلام، وصحة الاعتقاد. فتعجب الحاضرون من ذلك، وقال السيد: نعم، هو أستاذ أستاذي، ولكنني أرجو الله ان من كان هذه الصفة، فصافح كفي للتوبة، او متصل السلسلة إلي من الخلفاء والاقارب، أو طار عليه غبار قلمينيا، يعني البلد التي فيها زاويته، بالشرطين المتقدمين مع صحة التوبة، فإن جلده لا تمسه النار فقل، فمن لم يوفق لذلك، قال: يتولاه ربه، ولكن من ذكرني أو ذكرني ذاكر عنده، فمر بيده على وجهه، وسمى الله، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مخلصاً، فاني أرجو له ذلك، بفضل الله تعالى وسعة كرمه.

قلت: أشار بذلك إلى أن من لم يوفق للتوبة ولكنه حين ذكره سمي الله بإخلاص، وهو أعظم ركني التوحيد، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الركن الثاني الذي يتم به التوحيد، واتجاه إلى ذلك اعتقاد قرب السيد من الله تعالى، وحبّه له، وهو فرع على صدق محبته الله تعالى كما لا يخفى، وعلى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ السيد تاج العارفين المشار إليه من ورثته وآله، وحيث صح الاعتقاد والمحبة وحصل الإخلاص، وجبت التوبة والقبول والمسامحة للاحترام، فحصلت النجاة من النيران، وجوزي بالجنان، ووقفنا الله لمحبة أوليائه فإنها طريق مؤدية إلى النجاة ولو طال الممر، وضلت السبيل في المبدأ، فالمآل لهذا والله الموفق والمعين.

ومن ذلك ما روي أن رجلاً من عرب عبادة المعمّرين لأراضي البطائح، كان له عين واحدة، وكان من أعيان عربيه، فضلل له بعير ولم يدر مكانه، وذلك بعد وفاة السيد تاج العارفين بمدة طويلة، فخرج في طلب بعيره حاثاً، وتوغل في الصحراء، فبينما هو جائز، إذ رأى فارساً لم يعرفه، فلم يزل يمشي حتى لقيه، فسلم الفارس عليه وسأله عن سبب تعمقه في تلك البادية بمفرده، فأخبره بأمر الجمل الضال، وانه في طلبه، فقال له الفارس: أرد جملك أحب اليك أم أرد عينك؟ فقال: بل رد عيني إلي! فقال: عليك بقبة الأستاذ أبي بكر بن هوارا، فإنه سيُرَدُّ الله عليك عينك

^١ - كذا في الأصل ولا وجه لها، ولعلها : قط.

بها- فقلت له: يا سيدي! سألتك بالله من أنت؟ واين قبة بن هوارا؟ فقال: أنا أبو الوفا الملقب بتاج العارفين، وهذه قبة بن هوارا، قال البدوي: فنظرتُ فإذا القبة قريبة مني، فشكرت له حسن الدلالة والعناية، وانطلقت إلى القبة، فلما وصلتها شاهدت نوراً يسطع منها، فظننت أن بها مصابيح مُسَرَّجَة، فلما دخلتها طرشتني^١ طارش على وجهي، فأحسست بوجهي لهباً كلهب النار، فشغلني ألم ذلك ساعة، ثم غلبني حب ما أنا طالبه من رد عيني، ففتحت عيني فرأيت رجلاً جالساً في المحراب بزاوية بن هوارا، فتأملته فإذا هو الفارس الذي فارقتُه بعينه، فلم أتحمل (أ٣٣) ذلك، بل خررتُ صريعاً في الحال، فلما أفقتُ نظرتُ فإذا عيني أحسن من أختها نظراً وقوة عصب وشكلاً، فحمدت الله تعالى على ذلك وشكرته، وانتميت إلى خرقة السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - وهذا سبب انتمائي لخرقته.

قال الراوي: وكان هذا البدوي ممن امتلأ باسمه قطره وقلوب أهل بلاده.

وكان الشيخ شهاب الدين السهروردي^٢ يذكر قصته ويثنى عليه.

ومن ذلك ما روى أن جماعة من عربان ربيعة، قبيلة تسكن بأرض السَّيْب^٣، مروا مجتازين على ضريح السيد تاج العارفين قدس الله سره العزيز، فرأوا دَسْتاً^٤ كبيراً قريباً من الزاوية يطبخ فيه الثور الكبير مع الطعام الكثير، فيسع ذلك دفعة واحدة، فتعجبوا في عظمه وكبره، ورجع بعضهم إلى بعض يتشاورون في سرقته، فغلب رأي جهالهم على عقلائهم، وسهل لهم أمرهم في ذلك، فتقدم شابان من أصلايهم من ولد الأمير، وهما ولدا عم، فأخذا الدَسْت، ومضيا به عَجَلين فاختلفا في أثناء الطريق عليه، فهذا يريد كله، والآخر كذلك، فوقع بينهما القتال بسببه، فقتل

^١ - طرش طرشاً: ثقل سمعه، ولكنها هنا بمعنى رشق.

^٢ - سيذكر المؤلف ترجمته فيما يأتي من هذا الكتاب.

^٣ - السيب هو مجرى النهر، وأشار ياقوت إلى غير موضع بهذا الاسم، منها في العراق كورة من سواد الكوفة، عند قصر بن هبيرة، ونرى أن من البعيد أن يكون هذا الموضع هو الوارد هنا، والراجح عندنا أنه يشير إلى بلدة تسمى (سيب بني قوما) تميزا لها عن غيرها من البلدات التي تحمل هذا الاسم. وانفرد البلخي (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) في خريطته بأن وضع بلدة بين دير العاقول والمدائن، سماها (السن) وتتوسط المسافة بينهما^٤. ونحن نرى أن الاسم جاء مصحفاً عن (السيب) ووصفت بأنها تبعد عن دير العاقول بثلاثة فراسخ^٥، وهذه المواضع قريبة من قوسان. صورة العراق للبلخي. نشرها د. أحمد سوسة في اطلس (العراق في الخوارط القديمة) ص١٢ (بغداد: ١٩٥٩).

^٤ - يظهر من السياق انه يقصد الطشت.

أحدهما الآخر، ثم أتى أهل المقتول فوجدوا الأمر كما نص، فقتلوا القاتل وتركوا الدّست مطروحاً، فمرّ عليه شخص من فقراء السيد أبي الوفا - رضي الله عنه - فوجده مطروحاً، فتعجب من أمره، ثم استعان بالله، وحمله بمفرده، فاعانه الله عليه حتى أتى به الزاوية.

وأما العرب أهل المقتولين، فإنهم اتهموا بقطع طريق، فتطلبهم المغلّ من كل جهة، ولم يعلموا بذلك، فلما وصلوا بيوتهم، وجدوا المغلّ قد أحاطت بهم من كل جهة، فارتحلوا من منزلتهم ودخلوا بين أقصاب نابذة، مشتبك بعضها ببعض تخفياً. وتوغلا على المغلّ وتحصناً بذلك، وكان الهواء شمالياً، فتوجهت امرأة منهم تخبز قُرصاً، فانقلب الهواء جنوباً، وانطلقت النار في ذلك القصب من كل جهة، فاحرقت القصب وجميع من فيه، وما فيه من النساء والأطفال والأموال وبعض الرجال. ثم اعترى أميرهم كلب، فذهبوا إلى طائفة من العرب، وهي المعروفة بعرب عبادة، وأميرهم ينهش أطرافه وجسده، وهو مكبل في الحديد. فلما رأى أمير عبادة واسمه (لطف الله تعالى) نادى: يا لطف الله! أنجدني يا لطف الله! خلصني من تاج العارفين، وانظر إليه يطعنني برمحه! وما لم تنجدني قُلتُ.

قال الراوي: فشده أمير عبادة على بعير، وأمر بمنادٍ ينادي عليه: هذا جزاء من اجترأ على حرّم تاج العارفين، فنودي عليه بذلك. ثم التفت لطف الله إلى قومه فقال: يا قوم! الحذر الحذر! فإنني سمعتُ من لفظ السيد شيخ مُنجم بن السيد يعقوب بن السيد مطر بن أخ السيد تاج العارفين يقول: والله ما عادانا أهل بيت إلا حَرِب، ولا كلب إلا جَرِب، ومن شك فليجرب، فليجرب، فليجرب، فليجرب، انتهى.

ومن ذلك ما روي أن قبة الضريح، أعني ضريح السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - وقع رأسها من مدة قريبة، وغفل عن تميمها المتولي على أوقافها من ذرية الشيخ مُنجم بن السيد يعقوب بن السيد مطر بن أخي السيد - رضي الله عنه - وكان عنده فقير من صلحاء أتباع السيد المشار إليه يسمى الشيخ جمال الدين البَلخشي، فرأى السيد الكبير في المنام، فقال له: تكلم على بن منجم، وأمره بإصلاح القبة، وصرف المعاليم^٢، وإيصال الفقراء أرزاقهم، والرجوع إلى الله تعالى في

^١ - كذا يكتبها، يريد: المغول.

^٢ - جمع معلوم، وهو المرتب المعلوم مقداره.

جميع أحواله، وأقبل إلى الله تعالى حتى بلغ إلى أعلى درجة من العبادة والصلاح، وصار يشار إليه في الحظوة بإجابته الأدعية. نكت أحدهما أنه اتفق انه لما وقعت رأس قبة السيد - رضي الله عنه - وقعت رؤس قُبَات، منها قبة الشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ أحمد البقلي اليماني وغيرهما، فبادر نظار القباب المذكورة إلى بنائها، فلما استكملت وقعت، فرأى خليفة سيدي أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - الشيخ أحمد في المنام، فلامه على البناء قبل أن تبني قبة السيد تاج العارفين، ثانيهما أن المعمار الذي عمّر من قبة السيد تاج العارفين ما تهدّم لما أتم البناء، وأراد النزول عن القبة، زلت قدمه فسقط، فصاح يا تاج العارفين! قال: فكأن يداً قد أمسكتني على مكان لا تقف فيه النملة إلا بشدة لزوقته ونعومته، فلا زلت كذلك حتى أتى الناس بالأساقيل^١ (١٣٤) فرفعوها، فنزلت عليها. قيل: وأغمي (عليه) طويلاً حين وصل الأرض لشدة الخوف، ولما شاهد من هذه الكرامة العظيمة، فلما أفاق حكى ما قصصنا. ثالثها أن في هذه الحكاية للغافل تنبيهاً على أن الأولياء يربون من اعتنوا به بعد وفاتهم بالمنامات والحوادث كما يربون في حياتهم، والكل بفعل الله تعالى ومُرادِه.

ومن ذلك ما روي أن قوماً من العرب العصاة اتفقت آراؤهم على نهب قوسان، ولم يكن لهم قدرة على دفعهم، فاستنصروا^٢ بالسيد تاج العارفين، متوجهين إلى جهة ضريحه بنية خالصة.

فبينما هم كذلك، إذ اتاهم حاكم واسط واسمه ميرجان الطواشي^٣ بجنوده، فشتت العربان وقتل بعضهم وأسّر بعضهم، وبقي المهزومون في التبعة^٤، وكفى الله

^١ - جمع أسقلة، وهي الأسكلة، لوح من خشب صقيل يمد لأغراض متنوعة وأصله من (صقالة) ومن هنا سقط شيء من النص، فأضافه الناسخ في الهامش ومن المؤسف أن نكسرا أصاب حوافي الورقة فضيع كلمات أو حروفاً كثيرة من أسطر النص فلم يعد مفهوماً فأغربنا عن أثباته هنا.

^٢ - في الأصل: فاستنصر.

^٣ - هو أمين الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن الرومي الاصل، عمل في بلاط الشيخ حسن الكبير الجلائري رئيساً للخدم ومربياً لابنه أويس، تولى حكم بغداد من طرف الدولة الجلائرية مرتين، الأولى ٧٥٨-٧٦٥هـ/١٣٥٧-١٣٦٤م والثانية ٧٦٩-٧٧٤هـ/١٣٦٧-١٣٧٢م، توفي سنة ٧٧٤هـ أو سنة ٧٧٥هـ والنص الذي أورده المؤلف يكشف عن أنه ولي واسط أيضاً. والذي في مصادر عصره اسمه (مرجان) أما المؤلف هنا فيكشف أن اسمه مركب من مقطعين (مير) المأخوذة من (أمير) و(جان)

أهل قوسان شرَّهم، ثم نزل عندهم وتخفَّى، وتوجه إلى زيارة السيد حافياً ماشياً، وتوجه معه أكابر العزیز، فلما انقضت الزيارة، وخرج الطواشي المذكور إلى ظاهر...^٢، سأله بعض أكابر قوسان عن سبب حضوره، ومن أعلمه بالعربان ولم يكونوا أرسلوا إليه من يُعلمه، فأخبرهم أنه رأى السيد تاج العارفين في المنام، وأنه أمره بذلك، ثم استيقظ ثم رقد مرتين، وتكرر المنام. قال: فلما وصلتُ اليكم وجدت الامر كما أخبرني به السيد، ثم أمر مرجان ببناء مدرسة إلى جانب قبة السيد، ووقف عليها المرج، قرية من أعمال بادراي، وجعلها تحت نظر السيد، الناظر على مقام السيد تاج العارفين، من أولاد الشيخ منجج بن السيد يعقوب بن السيد مطر بن اخي السيد تاج العارفين رضي الله عنه.^٣

ومن ذلك ماروي أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - كان يأذن له الشيخ أبو محمد الشنكي في الكلام على رؤوس الناس بالموعظة، فيتوقف، وتكرر ذلك من شيخه ويتوقف، حتى رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في منامه، فتفل في فيه، وأمره بذلك، كما مر في الباب الثاني. قال: فلما صعد المنبر قام رجل عليه أطمار الصالحين، فقال: يا أبا الوفا! أبلَّغكَ عن جدك المصطفى أنه قال، صلى الله عليه وسلم (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ)؟ قال السيد: نعم! وقد آن اوان إسلامك، أسلم تسلم، فعند (٣٤ب) ذلك قال الرجل: أشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله، وأنتك ولي الله حقاً. فتأمل القوم وجهه فعرفه بعضهم من نصارى جيرانه، وقد حضر مختفياً ليرى من كرامات السيد ما يسمع به عن أولياء المسلمين، وليمتحن قوله - صلى الله عليه وسلم - الحديث المذكور، وعلق اسلامه على وضوح ذلك له، فكان من أمره ما قصصناه. وحسُن حاله حتى ما شاء الله.

بمعنى (روح). خواجه مرجان: ينظر عنه: ناصر النقشبندی: المدرسة المرجانية، مجلة سومر، مجلد (٢)، لسنة ١٩٤٦، ص ٣٦ - ٤٧.

^١ كذا في الأصل.

^٢ - هنا كلمة ساقطة، والسياق يقتضي أن تكون: البلدة.

^٣ - عرف الخواجة مرجان بمنشأته الخيرية في بغداد، وهي المدرسة المرجانية، ودار الشفاء، وخان مرجان، كما عرف بإنشائه المئذنة الضخمة في المشهد الحسيني في كربلاء، والتي أزيلت في الثلاثينات من القرن الماضي، لكن الإشارة إلى أعماله العمرانية في قوسان مما انفرد به المؤلف.

ومن ذلك مما روينا: أن رجلاً من خُدَّام زاوية الشيخ تاج العارفين يسمى مُسَلِّماً كان يسقي المياه للقوم عمره كله، خرج قاصداً مدينة السَّيْب في حاجة عَرَضَتْ له، فلما كان في أثناء الطريق خطر له أن يعرج إلى زيارة الأستاذ الجليل أُويس القرني^(١) - رضي الله عنه - إذ كان ضريحه ليس بعيداً عن طريقه، ثم قصد غدير ماء ليتوضأ منه ويدخل الضريح على طهارة كاملة ورعاية للأدب، فلما دنا من الغدير وجد عليه امرأة حسناء عريانة تغتسل، كأنها الشمس أو القمر، فمئذ رآها صُرِعَ وخرَّ ملقى، ولم يجد من يحمله إلى مقصده لخلو تلك الصحراء من الناس. قال: فمرَّ عنه بعد يومين قوم مسافرون، فوجدوه كذلك، وعرفه بعضهم فحملوه إلى ضريح السيد تاج العارفين، فألقوه فيه على حالته تلك، فآلم به الفقراء ومن حضر، وأعياهم فهم أمره، ولم يجد أحد منهم إلى علاجه سبيلاً.

فلما كانت ليلة الجمعة نصف الليل، نهض مسلم الخادم المذكور قائماً على قدميه، وجعل يهرول في الزاوية يمينا وشمالاً وينشد بأعلى صوته إلى أن أيقظ الناس، فهرعوا إليه من كل جانب، فاستمر به الحال طويلاً ثم لزموه في صدورهم^٢ وسكنوه، فلما أفاق أخبره بما قصصناه. وأن سبب يقظته أنه في ليلته تلك انفتح بصره فرأى مشهد السيد - رضي الله عنه - قد امتلأ نوراً، والسيد قد خرج من ضريحه الكريم، وجلس في محراب القبة، وتوارد عليه طوابير^٣ أهل الولايات إنساناً بعد إنسان حتى ضاق المشهد بالناس، قال: وليس لي سبيل إلى النهوض اليهم ولا لسان أخاطبهم به.

قال: فنظر اليّ، ثم التفت إلى ولده وابن أخيه وهو السيد مطر، وقال له: يا مطر فانظر من هذا الطريح في الضريح، فجاء مطر اليّ، ونظر في وجهي ثم رجع،

(١) أُويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني (ت ٣٧ هـ / ٦٥٧ م)، من بني قرن بن ريمان بن ناجية بن مراد، أحد النساك العباد المقدمين و من سادات التابعين. أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، فوفد علي عُمَر بن الخطاب ثم سكن الكوفة. وشهد وقعة صفين مع عليّ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها. الزركلي، الاعلام، ٣٢/٢.

^٢ - يريد احتصنوه بصدورهم تسكيناً لنفسه من أثر الوجد الذي لحقه، وهو من سلوك الصوفية ومصطلحاتهم.

^٣ - جمع عربي لكلمة طابور وهي تركية بمعنى الصف، والفوج، ولا شك في أن استعمالها هنا مبكر، وكذا كلمة ولايات.

فقال: يا سيدي إنه مسلم السَّقَا! قال السيد: فما باله؟ قال مطر: لا أدري! قال: يا مطر، اذهب فانظر ماذا ألمَّ به، (١٣٥) قال: فجاء اليّ مطر، فتأمل حالي ثم عاد، فقال، يا سيدي إني حزرتُ أمره فوجدت جميع ما ألم به من هذا الشخص، وأشار إلى شخص إلى جانبه قد أحضره معه من الجن، فقال له السيد: ما بالك تتعرض إلى أصحابي؟ فقال: والله يا سيدي لم أعلم أنه من أصحابك، ولكنه مرَّ عن ابنة عم لي، أو قال أختي، وهي على الغدير عريانة تغتسل، فغرتُ عليها منه، فكان ذلك سبب صرعه هذه الأيام، وسبب قطع رأس لسانه.

فقال له السيد: فأين القطعة التي قطعتها من لسانه؟ قال: هي عندي! فأمره بإحضارها فأحضرها من وقته، فقال: يامطر! ضعها في مكانها واتفل عليها من ريقك، وسَمَّ الله تعالى، وصلَّ على رسول الله عليه وسلم، فوضعها في المكان الذي قطعت منه، وتفل عليها من ريقه المبارك مُسَمِّياً، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كما أمر، فعاد اللسان كما كان، ورد الله عليّ حالاً ما كنت قد فقدته، فقامت مبادراً إلى سيدي لأحظى بتقبيل يده ومسِّ جلد جسده، فأعاقني عن ذلك رجل من أصحاب السيد، ليس هو ممن أعرفه إلا أنه أخبرني بأنه من أصحاب السيد، وذكر أن أبا مسلم أودعه مالا فدفعه في رابع درجة من سلالم سطح داره، قال: وأنسيت ذكر ذلك عند الوصية لمن ورائي، وقد لزم صاحب الوديعه أولادي، وشوَّش عليهم، وأسألك أن تخبرهم بذلك. فلما أتم كلامه، نهضت إلى السيد على ما كان في عزمي أولاً، فلم أجد أحداً ممن كنتُ أراه، فتعجب القوم من كلامه وقالوا: في هذه القصة لغرائب، وإن هذه الامارة -إن صحَّت- لبرهان عظيم! ثم أحضر أولاد المتوفى المودع، فأخبروا بذلك، فتنبهوا له، وانطلقوا إلى المكان المذكور، فوجدوا الأمر كما ذكر، وحصل الفرج لهم وللمودع. فسبحان من أكرم أوليائه وحَبَّاهم، وله المنة والفضل، وهو الفعال لما يريد.

ومن ذلك ما روينا: أنه صَحَّ عن أبي بكر الكامخاني - رضي الله عنه - أنه قال: كنت في بعض الأيام جالسا على تخت من خشب وإذا برجل أعمى عليه مُسح من شعر، فأقبل عليّ، فلما وصل اليّ، وضع عكازه على باب داري، فاعتراني منه وحشة عظيمة وخوف بحيث سقطت عن تختي مغشياً عليّ، فحياني وأكرمني، وقال

^١ - المسح : العباءة.

له: يا شيخ أبا بكر! أشيخك تاج العارفين بقليمينيا؟ قلت: نعم! قال: فهل لك أن تمشي بي إلى زيارته (٣٥ب) إن لم تجد بذلك مشقة؟ قلت: نعم! ثم خرجتُ بين يديه إلى أن قدمنا على قليمينيا، فاستخبرنا عن السيد فأخبرنا أنه من وراء النهر، فقصدناه حتى انتهينا إلى شاطئ الدجلة، فمر الأعمى على الماء وقال لي: يا أبا بكر جز خلفي على الماء، فقلت: يا سيدي لم أجد لي قدرة على ذلك. ثم إنني نظرتُ إلى الماء، فإذا أنا به كالمرأة المجلوة، فجزته خلفه، فلما صرنا إلى الجانب الآخر سريعاً، وافينا السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - قريباً من النهر، فمذ دَوْنَا منه تغير الأعمى وتبدلت صفاته، وصار حاله بين يدي السيد تاج العارفين كما كان حالي معه أول ما رأيته، فأحسن السيد تلقيه وأكرمه، وأصغى إليه، فجعل يتصاغر بين يديه حتى عاد كالعصفور الصغير، فمرَّ السيد بيده على صدره فسكن رَوْعه.

قال الأعمى: يا سيدي! إنني أتيتك سائلاً شيئاً من المواهب على بعد مسافة وشطاط أرض، فقال له السيد تاج العارفين: أبشر! فإن بضاعتك إن شاء الله نافعة، وتجاركت رابحة. ثم كلمه كلاماً لم أفهمه، وأذن له في الانصراف إلى جهة أشار إليه بالمضي إليها، فودَّعه الأعمى، وقام متوجهاً إلى تلك الجهة، يمشي على الأرض، فقال له السيد، رضي الله عنه: أطرِح ترتفع، فمشى بعدها ثلاث خطوات ثم ارتفع على الهواء، قال الكامخاني: فسألت عنه السيد بعد ذهابه، فقال: إنه رجل من أرباب الأحوال، قصدنا من وراء جبل قاف، يسمى توما التبروي يطلب المشي على الهواء، لأن الإذن له بذلك علق بلساني، فظفر بذلك ولم يردَّه الله خائباً، فقلت له: يا سيدي! هل وراء جبل قاف إنس؟ قال: نعم، وراءه إنس يعبدون ويبعدون عن الفتن، وإن منهم من يحضر مجلسنا كل ليلة. قال أبو بكر: فتعجبت من ذلك، انتهى. ومن ذلك مما روينا: أن الشيخ أحمد ابن الرفاعي - رضي الله عنه - كان يتكلم يوماً على الناس في المواعظ والنصائح، فاستطرد إلى مدح الزهد ومكارم الأخلاق، وحَثَّ عليها كثيراً، وذكر ما كان السلف عليه من ذلك.

(و) مما ذكر أن الشيخ مقدم أخبره، وهو المدفون بمدينة شهرين، رحمه الله: أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - أهدي إليه أحمال من العسل من أهل الجبل، وقت المغرب، فقال السيد: قسموها على الفقراء، كل على قدر كفايته، يعني فقراء الرباط، ومن (٣٦أ) معهم، قال: ففعلوا ذلك، ثم عاد الخادم وأخبره أن

الفقراء قد تمت كفايتهم منه، وقد فضل منه جانب، فقال: فرَّقوه على فقراء المسلمين ولا تبقوا منه شيئاً، قال ابن الرفاعي: فهكذا عزم اهل الإيثار. ولقد بلغنا عنه من ذلك وأمثاله ما يتنبه به من وعي قلبه، انتهى.

ومن ذلك ما روي أن الشيخ أبا البدر الهيدرجي^١ أعاد الله غائباً من بركاته، قال: حضرت يوماً في مجلس تذكير لسيدي تاج العارفين - قدس الله سره العزيز- فقطع كلامه، ونظر إلى جهة الغرب مشيراً بيده لمن يضرب بها قائلاً: نعم! قد أتاكم النصر، نعم! أنا لها، نعم! ان الله قد نصركم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ﴾^٢، فلم يعلم احد حقيقة أمر إشارته، غير أنه ورَّخ^٣ ذلك اليوم، ومضت على ذلك أيام.

ثم ورد عليّ رجل من الغرب فبات عندي ليلة، ثم سألتني أن أدلة على السيد تاج العارفين، ورأيته محتفلاً بذلك، جاداً في طلبه، فقلت: ما يقدمك عليه، هل أحسن هدايتك؟ فقال المغربي: يا شيخ! إنني لاستطيع حكاية ما قصدته مني قبل طمأنينة قلبي برويته، وفوزي بمشاهدته، فعلمت أنه ممن ظهرت عليه أنوار ولايته، وتوسَّمتُ أن ذلك من علامة سعادته، فاستعفت نفسي بزيارة السيد، وأسعفته بدلالته. فلما وصلنا إلى السيد قال له: مرحباً بالمغربي، ما حال فلان؟ وما حال فلان وفلان؟ فسمى عشرة من الغرب من بلاد مختلفة، ويجيبه المغربي عن كل ما يعلم من حاله حتى أتى إلى ذكر شخص، فسأل عنه، فقال المغربي: يا سيدي! إن جرحه لم يبرأ، فقال السيد: خذ هذه العصا فاجعلها على جرحه يبرأ ان شاء الله تعالى، فأخذ العصا من السيد، ثم سأله المدد وودَّعه، وخرج منصرفاً. قال أبو البدر: فتبعته، فقلت: الوعد، فقال: نعم! أعلم أنه قد بغى الفرنج علينا، وغلبنا معهم، وأيسنا من النصر، وحققنا أننا نُقتل ونُؤسر.

فبينما نحن كذلك، إذا يانسان ممن سأل الشيخ عنهم قد ألقاه الفرنج عن جواده، فصاح يا تاج العارفين، يا غوث رجال الوقت، أغثنني! فنظرنا إلى الجهة التي يشير إليها المجموع المطروح، إذا أنا برجل يضرب بيده صاحب السيف،

^١ - كذا في الأصل، ويمكن أن تقرأ الهيدرجي، وسيترجم له المؤلف فيما يلي من هذا الكتاب.

^٢ - سورة الصافات، الآيتان (١٧٢ - ١٧٣).

^٣ - كذا في الأصل، ولعله أراد: أرخ، بمعنى سجل تاريخ ذاك اليوم.

فتفرَّق الجمع عن ذلك المطروح وسلم، فغلبناهم وقهرناهم، وأسرنا (٣٦ب) منهم من أسرنا، وقتلنا من قتلنا، وتمت النصر للمسلمين والله الحمد، فعند ذلك أراد الجماعة العارفون أن يُرسلوني زائراً للشيخ عن نفسي وعنهم بطريق النيابة، فأجبتهم إلى ذلك مُعبطاً به نفسي، فبلغني وبلغهم المقصد من زيارته، فهذه قصتي، وذلك المجروح هو المجروح الذي سأله عنه السيد.

(١٣٧) فقلت: يا سيدي! فما اسمك لأذكرك بالدعاء في ظهر الغيب واسمي لك إسمي ليذكرني كذلك؟ قال: أنا قيس البدوي، فما اسمك أنت؟ قلت: اشتهرت بأبي البدر، فأخاني وسألني أن أذكر به السيد.

ثم رجعت به بعد أن استأذنت السيد في ذلك إلى بلدي فاجلسته منزلي، فبت معه فبات في اسر ليلة وبت كذلك، فلما أصبحنا، ودعني وودعته، مشيعاً له إلى ظاهر البلد، وانصرف وقلبي معه. ثم رجعت إلى سيدي تاج العارفين فأخبرته بما رأيت من حسن طريقته، فأثنى عليه خيراً، وكنت لا أبرح أنكره بالدعاء، وأنكر سيدي به، وتسري بيني وبينه الأسرار حتى بلغتني وفاته.

- تمة:

قيل: وكان في صحبة الشيخ قيس هذا رجل يسمى إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القدسي، وقيل الفرنجي، فنظر إليه السيد أبو الوفا وقال: مرحباً بالمصري! ولم يكن مصرياً، ولا مشهوراً بذلك، فعجب من ذلك، وقال له السيد: إني ليخطر بقلبي أنه يشير إلى أن أحداً من ذريتك يكون له بمصر وإقليمه سار^١ والله أعلم. فقيل إنه ولد له ولد يُسمى علياً، ثم ولد لولده المذكور ولد صالح اسمه أحمد، واشتهر بمصر وبلادها حتى امتلأت بذكره البلاد، واشتهر بأحمد البدوي^(٢)، وكان الغالب عليه الجذبة والغيبة، وله خوارق مشهورة، ولغلبة الجذبة عليه لم يرث سبباً، ولم يعلم سلسلته ومأخذه، ويقال أنه شريف حسيني، رحمه الله ونفع به آمين.

^١- كذا ولم تقف على معناها.

(٢) أبو العباس أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني البدوي (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ / ١١٩٩ - ١٢٧٦ م)، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية. أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة. ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره، وأنزله في دار ضيافته، وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر. وتوفي ودفن في طنطا، الزركلي، الأعلام، ١/١٧٥.

ومن ذلك ما أخبرنا به الأستاذ تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - كان يوماً في مجلس تذكير فعرض في كلامه بذكر الأولياء والثناء عليهم، وعيّن جماعة منهم الشيخ أبويزيد - رضي الله عنه - فذكر من أحواله أنه انتهى إلى أقصى مقامات المعارف، وأنه ممتزج بالعشق، وأنه ممن يقدر، بإذن الله، أن يحمل السموات السبع والأرضين السبع على شجرة جفن عينه.

وأنه دخل يوماً خلوته يركع الضحى، وغلق خادمه بابه ثم عاد إليه، فلم يجده بها (١٣٧)، وكانت روحه قد صعدت إلى عالم الملكوت، وستر جسده بأستار الهيبة، فغاب خادمه سبع سنين ثم رجع ونادى: يا ابا يزيد، فرجعت روحه من الملكوت إليه وأجابه: من المنادي؟ وكان فيمن يسمع كلام السيد تاج العارفين في تلك الساعة رجلاً من أصحابه، أعني أصحاب السيد تاج العارفين، فلما سمع ذلك قام على قدميه، يريد الذهاب إلى أصحاب السيد أبي يزيد وصحبته، ورجع بقلبه عن صحبة السيد تاج العارفين، فعند ذلك غارت عليه الهمم لسواها به، وافساد رابطة قلبه، فقلته أحكام الطريق، وسطوات ساداتها تقتضي نقيض حكم وصياً تلتها من تردد العزم والنية، فإن الجزم في العزم، والصدق في القصد من احكامها، ورجوعه دليل عدم الجزم والصدق، وذلك دليل النفاق.

قال: فحضر جماعة من أكابر أصحاب السيد أبي يزيد يستأذنون السيد تاج العارفين - قدس الله سره - على ذمته عندهم، وتولى جميع امره، فمنعهم أصحاب السيد من ذلك، فأبوا أن يمكنوا منه في شيء من ذلك بحكم سبقه اليهم، وصحبته لهم، ووفاته بينهم. وبلغ السيد ذلك فأقره، ووقع في اجتهاد أصحاب أبي يزيد أن الحق لهم، فلبس كل من الطائفتين دروع البواطن لمشقة الأمر على كل، وتغالبت هممهم، وتناظروا في ميدان التصريف بالأحوال، فقتل بينهم من قتل من أصحاب السيد تاج العارفين العارفين، وفي ذلك أنشد شعر:

فطالبٌ من فيها مقيمٌ بواجبٍ	وقد فعلت أحوالنا كل واجبٍ
فما قصرت أسرارنا في اضطرابها	ولا علمت أرواحنا بالعواقب
هددنا على إبطالهم فتبددوا	شبيهه الأفاعي عند لدغ العقارب
وعدنا هددنا بعد ذلك مرة	فكنا كأمثال الاسود الشواهب

^١- كذا في الأصل، وهي غير واضحة.

فلم تنظر العينان أصبر منهمُ
وأبوا بنا لما عليهم تفتحت
فهم بين مصروع قتيل وقاتل
فكم داخل منا عليهم وخارج
ترى كل أهل الحق ما بين ضاحك
تراهم وإن كانوا علينا أعزةً
على الموت ما بين اشتباك الموابك
بعزمٍ كأمثال السيوف القواضب
قوي ومسلوب فريد وسالب
بلا أمر بوابٍ ولا إذن حاجب
وبالكٍ وغضبان وراج ونادب
يُقادون بالأحوال قود الجنائب

(٣٧ب) قلت: وقد وقعت وقائع خالية بين أصحاب السيد تاج العارفين ومشايخ، وكان أصحاب السيد تاج العارفين ظافرين، غير إننا إنما أحرنا من ذكره خوف تجرؤ أهل هذه الأعصار بما يدعونه على ما لا يعرفونه...^١ من بالسلف فتحصل المفاسد بذلك، ورأينا أن سد الباب أولى، وإنما لمن تيسر له الفتح فانه لم يحتج إلى ذلك، ولا يضره جهل يقع عن معرفة الحق.

ومن ذلك ما اخبرنا به، وهو أن الشيخ عيسى البدوي حدث أنه ساح^٢ في بوادي سنجار وأعمالها إثني عشر سنة، واشتهر أمره.

قال الراوي: فرؤي السيد تاج العارفين قدس الله سره العزيز في المنام وعنده جمع وهو يتكلم فيهم بالمواعظ والتذكير، فبيناً جماعة من خدام السيد بين يديه جلوس يستمعون إلى ما يصدر منه من التراثي^٣ والحكم والمواعظ، إذ التفت السيد تاج العارفين إلى الشيخ علي بن الهيبي، كبير خدامه الأربعين، فأمره أن هديه^٤ وبهديه إلى الطريق المطلوب، فترقبه الشيخ علي بن الهيبي - نفع الله به أمين - حتى تمر يده على جسده، وقال له: اسكن! فتسكن ببركة اشارة السيد تاج العارفين، فألبسه السيد علي خرقة السيد تاج العارفين، وأمره أن يسكن ففض غزاله.^٥

فلما توفي الشيخ علي بن الهيبي - رضي الله عنه - وصار قيس إلى ماشاء، وأقبل عليه الناس وهرعوا إليه من كل جانب، وكانت البلاد التي حولها لموسى

^١ - كلمة غير واضحة.

^٢ - في الأصل: فساح.

^٣ - كذا في الأصل.

^٤ - هكذا هي مضبوطة في الأصل، ولم نقف لها على وجه.

^٥ - هكذا هي في الأصل، وفي موضع آخر وادي غزالة.

الزولي^١، وكان من الأكابر، فبرز الشيخ قيس ودخل تلك البلاد بغير إذن من الزولي فغارت همم أصحاب الزولي وشكوه إلى شيخهم، فعند ذلك حاربته، فنظر الشيخ إلى أصحابه وقال: ارجعوا بنا إلى أهلنا فقد حاربني الشيخ موسى الزولي، وحاربته وضربني وضربته، فأصابني وأخطأته، فرجع به أصحابه إلى أهله، فما لبث أن مات شهيداً من ضربة الزولي لتعدي حُرمته، فشق ذلك على أصحاب قيس ولازموا البكاء والحزن والأسف أياماً، حتى رأى شخص من اعيان ساداتهم ذوي الأحوال العالية مناماً الشيخ علي بن الهيتي - قدس الله سره - واقفاً بين يدي السيد تاج العارفين يشكو على موسى الزولي، ويذكر قتله الشيخ قيس، قال: فرأيت السيد تاج العارفين والشنبكي قد ركبا بعساكر (٣٧ب) عظيمة.

وكان أصحاب الزولي قد جمعوا رجال الشام والتقوى العسكران على دجلة. ورأيت بن الهيتي راكباً على فرس أشهب، وعلى رأسه شربوش^٢، وهو يحمل عليهم يميناً وشمالاً، وهو يذكر قتله قيس. وسمعت قائلاً يقول: ان بن اخي خليفة الزولي قد قُتل، وقُتل معه فلان وفلان، وسمي ثلاثة من أصحاب الأحوال أصحاب الزولي، ثم رأيت رجل الوقت قد حضر بينهم للصلح، فتعب في ذلك حتى أتى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم في ذلك، فأجابوا إليه واصطلحوا طوعاً لأمره، صلى الله عليه وسلم، فحكى ذلك الرائي مارأه، فلما سمع أصحاب قيس ذلك سألوا عن بن اخي خليفة الشيخ موسى الزولي، والثلاثة الذين سماهم الرائي، فأخبروه بأن الأربعة أصبحوا مقتولين، ولم يعلم لهم قاتل، فتحققوا صحة منام ذلك الانسان، ونقص ذلك من حزنهم على شيخهم.

ومن ذلك ما أخبرنا به: وهو أن الشيخ سالم العجمي حكى أنه كان في ليلة عنده الشيخ رمضان المجنون على سطح داره، فإذا بالشيخ رمضان قد وثب في الهواء وثبة عظيمة متوجهاً إلى قلمينيا، وصاح تاج العارفين ثلاثاً، ثم رجع يُهمهم ويضحك ويقول: هيهات يا شيخ منصور! فلما ذهبت عنه تلك الحالة وعاد إلى حسه سألته عن ذلك، فقال: غارت علي همم الرجال من أجل أنني أخدم إخواني بنفسي

^١ - موسى بن ماهين الزولي، صوفي ترد أخباره بين أصحاب عبدالقادر الكيلاني، مات ودفن بماردين وقبره يزار، التادفي، قلائد الجواهر، ص ٩٦-٩٧.

^٢ - شربوش: كلمة محرفة من (سر بوش) بمعنى غطاء الرأس، ثم حرفت إلى طربوش.

إيثاراً لراحته، فجاء النبيّ الشيخ منصور والشيخ الصالح شيخ القنطرة ويدهما رمحان طويلان وضعاهما تحت داري، يريدان قلبها بنا في البحر، فحفتها ووثبت كما رأيت، واستغثت بالسيد فأغاثني هو والشنكي، وقالوا لي: أقبل ولا تخف إنك آمن! وأقم مكانك فلم يبق لاحد غيرك سبيل بعد اليوم ولا اعتراض، فذهبا عني وتركاني ولله الحمد والمنة.

ومن ذلك ما خبرنا به قال: أخبرني أبو البدران أبا طالب بن نجيب، أخبره: أن من أصحاب الشيخ احمد ابن الرفاعي من أخبره انهم حضروا سماعاً، وكان فيه رجل من أصحاب السيد تاج العارفين قالوا: فلما درنا فيه، قال جاهل: من اداروني كأندي بن كُردية! فكأن ذلك شق علي ذلك الرجل الحاضر من أصحاب السيد أبي الوفا - قدس الله سره - إذ السيد أمه كُردية، وغارت همة ذلك الإنسان، وظهر ذلك من وجهه، (٣٨ب) وتوجه ثم قال: اللهم إن كان هذا الإنسان قصد الاستهزاء بشيخي فأظهر شيخه جهله وأقلع عينه. فلم يخرج من المجلس حتى عُرِّ لإخلاله بشيء من طرفهم لجهله بها. ثم أصيب في تلك الليلة بحادثة أثن فيها ضرباً، وقلعت عينه.

ومن ذلك مما روي: انه كان للشيخ مكي البَطْمَانِي تلميذاً، ومكي هذا كان قد اشتهر، وهو من المستمدين من حضرة السيد، إلا أنه حين اشتهر تميز له جماعة، وكان التلميذ المذكور بواسط. وكان للسيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - خليفة بواسط يقال له الشيخ يوسف الأسدي، فاتفق أن الشيخ هذا الخليفة خرج من زاويته بواسط بجماعة من أصحابه قاصدين زيارة السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - فلقبهم رجل يقال له أبوتراب، فقال: إلى اين اهتمامكم؟ فأخبروه بقصدهم، فقال: سبحان الله العظيم! أتدعون الباز وتذهبون إلى الغراب، يريد بذلك أن مكي هو الغراب، قلت: والغراب في الألفاظ المصطلحة بين القوم هو الذات الكاملة، فلم ينطقه الله إلا بالواقع. قال: فغارت هم القوم لما سمعوا من كلام أبي تراب، فأنشُد أحدهم، وهو بيت مُفرد:

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - لم يترجم له المؤلف ولكنه ساق بعض أخباره فيما يأتي من الكتاب، وأبو تراب هي كنية للإمام علي بن أبي طالب (ع)، ونرجح أن يكون قبره هو المنسوب إلى من يعرف باسم (شيخ تراب) ويقع على الطريق المعبد حديثاً المؤدي من أربيل إلى سوران.

أغارَ على الفوارس من هَواه إذا احتبكت ولمهم الزحام

فقال بعض جماعة السيد تاج العارفين له: ويحك هذا الكلام الذي لا يعقل،
وقائله لا يتعقل، أما يخشى إذا تغفل عن مقدار مثل سيدنا من عقوبة تعجل، اما
يخاف أن يعقل لسانه لتجرؤه على هذا المقول، ثم أنشأ بيتاً:

بيان غداة اليوم كل مجرب شجاع وكل عن هواه يُحامي

ثم ترك أصحاب السيد أبا تراب ومن معه، وهبوا إلى السيد، فبات أبو تراب
ليلته تلك في شدة عظيمة وندم، فأرى في منامه في تلك الليلة انه بقلمينيا، وأن
جماعة السيد قدموا قلمينيا، وأن السيد خرج بنفسه لتلقيهم. قال أبو تراب: ورأيت
كأنني عند السيد وكأنني خرجت معه إلى لقياهم، وكأنهم شكوا مني إلى السيد
بحضوري، وذكروا ما قلته لهم، فنظر السيد إليّ شزراً، ووضع يده علي فكدت أموت
خوفاً، فهدأني وقال: يا أبا تراب! منك الخطأ ومنا العفو! ثم رمق السيد إلى السماء
(١٣٩) بطرفه فخرجت سحابة عظيمة فانبسطت، ثم همت مطراً مزعجاً، فسرنا مع
السيد وأصحابه تحت أمطارها قليلاً، ثم أخذ السيد اصحابه ومضى بهم بخطوات إلى
زاويته، وبقيت مُخلفاً بعدهم، أخبط في الطين فلا اكاد اخلص، فاستنجدت فلم أنجد،
فقاسيت من الشدة ما لا يحصى، فلما انتهيت بعد تلك الشدة إلى اقليمينا، استيقظت
قبل بلوغي إلى السيد، فكان ذلك عليّ أن اشد مما قاسيت، فقامت أعدو حتى لحقت
الزوار المذكورين، فتوجهت معهم، فلما وصلنا مشهد الكرخ^١ خرج السيد تاج
العارفين إلى أصحابه، فوقع منه ومنهم في اليقظة ما رأيته في المنام بكماله على
الترتيب الذي قصصته لكم، لكنني لما وصلت إلى قلمينيا بعد تخلصي من الوحل،
سألت من استأذن السيد في الاجتماع به فأذن، فدخلت فرأيت القوم بين يديه في
سرور وحبور، وبقيت خلفهم منكساً خجلاً لذنبي، متعجباً لما رأيت مناماً ويقظة،
فنظر السيد إليّ وقال: قم يا أبا تراب على قدميك، وقل عني ما قلته بالأمس
بواسطة، قال: فخشيت ولم استطع رد جواب، خوفاً من سطوات أحوال القوم، فأخذ
السيد طاسة إلى جانبه وشد عليها بيده فصارت كالطين اللين، وقال: قم يا أبا تراب
أمناً، وقل ما قلته عني بالأمس، فوعزة من له العزة، لو تعرض إليك أحد من هؤلاء

^١ - لم يتوضح لنا أي مشهد في الكرخ يقصد.

القوم لعجنته مثل هذه الطاسة، قال: فعند ذلك مال قلبي كله إلى السيد، وانشرح صدري، وأنست به، وقلت ماقلته امتثالاً لأمره، ثم استغفرت الله تعالى، واعتذرت بحجاً ربي، فوضع يده عليّ وقال: ياطعام الباز منك الخطأ ومنا العفو، وقد شبهتني بالغراب، وهو لا يغتر عن الشيخ ولا يؤذي نفسه، وفيه ذكاء مفطر، فأنت هاجٍ مدح وهو لا يشعر، يا أبا تراب! أدع شيخك ليخلصك من سوء الظن، ويوقظك للاطلاع على الحقائق، وينصرك بطريق النجاة، فقلت: يا سيدي منك أرجو ذلك. فتروى السيد في إجابتي فكأنما استأذن فأذن له في إجابة سؤالي، ثم محى عني سكة مكى، وأثبت سكتة. قال الراوي: فلم يزل أبو تراب يدعو الناس إلى إتباع طريق الأستاذ تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - حتى لقي الله تعالى!

ومن ذلك ما روي: أن الأستاذ تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - كان في مجلس يتكلم في المعارف والمواعظ، فانتهى إلى ذكر الرافضة، وما أعده الله تعالى من النكال، وبالغ في زجرهم، يريد تحذير اناس منهم كانوا في المجلس شفقة منه على عباد الله تعالى، ثم بكى السيد وقال: عباد الله! كيف منكم من يقول لا إله الا الله محمد رسول الله، ويجب دخول النار وغضب الجبار! قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾^٢ الآية، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين سئل: من أحب الناس إليك، ما ثبت في الصحيح، في ذكره لأبي بكر وعائشة، وليس لنا أن نحب غير محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق حبنا لمحبوبه، وإن كان غيره محبوبه فالأحب إليه أحب إلينا، هذا على فرض مجرد الأحيية فضلاً عن التحري بما يغضب علياً قبل من يُكره لأجله، ألا والفتنة، الا والفتنة، الا والفتنة، الفرار، الفرار، ومالاً الحق من ظلم الفتن.

قال الراوي: وكان لمقبل الخادم جيران منهم فبكى شفقة عليهم، وكثر منه البكاء والتألم، فنظر إليه السيد وقال: يا مقبل ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ يا مقبل طِبْ نفساً وقر عيناً، فإنني أرجو أن تكون أنت وولدك وذريتك من أهل الجنة، فقال: يا استاذ! إنني أرجو ذلك، ولكننا بكائي إنما هو كان للحزن على أهل بيت من جبراني، هم من أهل الرفض، وإنني احب أن الله تعالى يتوب

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - سورة الحشر، الآية (٧).

عليهم، فقال السيد: ومن هم؟ فقال: أهل بيت مؤمن، فقال السيد: سأسأل الله لهم التوبة والمغفرة، وأرجو لهم جميعهم المغفرة ببركة بكائك ورحمتك لهم، ثم أنهم باتوا ليلتهم تلك فأصبحوا وقد مالت قلوبهم أجمعين إلى التوبة، فلما أجمعوا على ما مالت قلوبهم، اجتمعوا وقصدوا السيد فتابوا على يده، وصلحت أحوالهم، وتبعهم على ذلك خلق كثير ممن يقول بقولهم، فقام رجل وقال: يا سيدي إني أسألك أن تدعو لسيف الدولة^(١) بالتوبة، فأمره بالجلوس فجلس، ثم قام ثانياً فأعاد ما قاله، فأعاد السيد الجواب، ثم قام ثالثاً فأعاد ما قاله، فقال السيد: يا هذا كيف تريد أن ندعو لمن فارقت رأسه جسده، وسُمرت يده، فخرج القوم من المجلس متعجبين، وتعجب كل من حضر. فبينما الناس كذلك (٤٠ع) إذا بناعي سيف الدولة قد حضر، فذكر ذلك كما تلفظ بها السيد رضي الله عنه.

ومن ذلك ما أخبرنا به أن رجلاً جاء إلى السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - يستأذن في السفر لمتجر فيأذن له وبشره بالريح والسلامة، فبشر الرجل بذلك، ثم ذهب إلى رجل من كبار المشايخ أيضاً، فاستأذنه فيما استأذن فيها السيد، فمنعه وحذره من الجرح ونهب ما معه، فتحير فكر ذلك الرجل، ثم قوي عند حسن ظنه بما أشار إليه السيد أبو الوفا، فسافر مستمداً منه، فغنم وبيع أموالاً فوق ما أمل، ثم رجع سالماً مسروراً حتى قرب من أوطانه، فرأى في منامه قوماً من قطاع الطريق قاموا عليه فنهبوا ماله وجرحوه جرحاً مثنخاً، فاستيقظ الجرح في جسده كما رآه مناماً، ورأى ماله باقياً، فسر بذلك وسلاه ذلك في جرحه، فلما وصل بلده قدم زيارة السيد تاج العارفين على راحة بدنه، فتوجه إليه، فلما وصل إليه وقع نظره عليه، قال: لقد تعبنا بك يا هذا كثيراً حتى رد الله ما ظنه من استنشرته بعدنا يقظة في المنام ولله الحمد والمنة. ثم قال السيد: إذا جاء ببال يستأذن شيخاً ثم يستأذن غيره فلا تفعلوا مثل ذلك، فإنه لا يؤدي إلى صلاح، وما انطق الله عارفاً بشيء إلا كان ذلك مقروناً بما حكم الله وقدر، فاحذروا ذلك واقتصروا على واحد بحسن ظنكم.

(١) الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبب بن مزيد الأسدي (٤٧٩-٥٠١ هـ/١٠٨٦-١١٠٧م)، أمير العرب و صاحب مدينة الحل و بانيتها، فعرفت المدينة بالحلة السيفية.

^٢ - في الأصل: ألا.

ومن ذلك ما أخبرنا به بالسند إلى الشيخ ماجد الكردي رحمه الله انه حكى:
أن الشيخ تمام نفع الله ببركاته قدم على السيد تاج العارفين - قدس الله سره -
ومعه أربعون من ذوي الأحوال بقصد كشف حاله واختباره، وكان قدومهم عليه في
وقت الزوال، وكان لم تسلم له مجموع الرجال، ولم ينعقد بعد عليه الاجماع، فأظهره
الله تعالى على أحوالهم وما قصدوه، فأراد تأديبهم لعدم حفظ الادب، فقال: يا تمام!
قال: لبيك ياسيدي! قال: أي وقت هو الآن؟ ووضع الأستاذ كفه على الأرض، فقال
تمام: الوقت الان في نظر ليل، فرفع الاستاذ كفه عن الارض وقال: ما الوقت الآن يا
تمام؟ فقال تمام: يا سيدي انه وقت الظهيرة. فقال السيد: يا تمام من لم يعرف
الليل من النهار كيف يختبر الرجال بالأسرار؟ فصرخ تمام صرخة الفجيع الصريع،
ثم تاب على يد السيد توبة جديدة، وسأله الصحبة والانتماء، فأجابه ولزم خدمته
وتبعه الاربعون رفقته، وماتوا على الوفاء، ومن أهل الوفاء رحمهم الله تعالى^١.

ومن ذلك مما روينا أن السيد - رضي الله عنه - نظر إلى أصحابه يوماً وقال:
إن جماعة خرجت من وكرها، أو قال من برجها، تريد اصطياذ البازات الضواري،
فمن لها منكم؟ فقال الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي: أنا ياسيدي، إن اذنت لي فأنا
لها، فأذن له السيد، فلبس نعليه وتناول عكازه وسأل المدد وخرج مبادراً، فغاب
برهة ثم عاد، فشكر له بعض العارفين من القوم سعيه، ثم سأل السيد شخص من
خواص مريديه عن ذلك، فأخبره أن عدي بن مسافر قد خرج من بلاده يريد أخذ
اموال اهل العراق وغيرهم، وقد هرب من طريقه رجال، وسلب رجالاً، فانتدب له من
الأصحاب عبد الرحمن الطفسونجي، ولقيه في أطراف العراق، فسلبه رحاله وأعادوها
اليان.

ولم يلبث عدي بن مسافر أن حضر إلى السيد تاج العارفين مستغفراً، فقال له
السيد: عدي! انما هرب من الرجال منك من هرب لما علموا انك من عبيدنا، وإن
عندك شدة منه، ثم وظف لعدي نقل الماء والاستسقاء بالقربة للقوم حتى أثر حبل
القربة في كتفه وسال دمه، فكان ينفذ من طاهر ثوبه، وأقام في وظيفته تلك سبع
سنين.

^١ كذا عي العبارة في الاصل.

ثم أنه أرسل يسأل ست الفقراء حسنية زوجة السيد أن تسأل السيد في أمره فأرسلت إليه أن تحرّي وقت وضوء السيد، فاذا مج الماء وقت مضمضته فاخطف ذلك واشربه، فان فيه عود حالك، ففرح بذلك وتحرّي وضوء السيد أياماً فلم يتيسر له وضوء بحضور عدي، حتى أذن الله تعالى في ذلك وجاء وقت تقدير ذلك، وحضر في يوم بالماء فوجد السيد قد شرع في غسل يديه، فبادر إلى الوقوف أمامه، فلما أخذ ماء المضمضة قرب منه جداً، فنهاه الخادم، فقال السيد: دعه يطلب، والله المعطي، فتركه الخادم، فلما مج السيد ماء مضمضته في المرة الأولى، بادر الشيخ عدي فلقتها فشرّبها بعد التسمية، فرد الله تعالى حاله من وقته، فقال له السيد: من ذلك على هذا؟ فقال: دلّني ست الفقراء! قال: صدقت، ثم قال له السيد: وي يا عدي! أتحب أن يختص بمثلك مكان؟ قال ان شاء الله تعالى يا سيدي. قال: فإن الله قد خصك (٤١ع) به يا عدي، أتحب أن تسمع ليلة مُحياك زجل الملائكة في السماء كالنوبة التي تُضرب لملوك الارض؟ قال: قد قلت يا سيدي! قال الراوي: فالناس يسمعون ذلك إلى الآن ببركة اشارة السيد تاج العارفين قدس الله سره العزيز، وقلت: وفي ضمن هذه القصة فخر عظيم لحسنية زوجة السيد، ودلالة على ولايتها واطلاعها على مواطن خفيات الأحوال، نفع الله تعالى بها والله اعلم.

ومن ذلك مما روي أن رجب الواسطي كان من أصحاب السيد الملازمين لخدمته، وكان في مجاهدته نفسه لا يأكل في الاسبوع إلا مرة واحدة، وأقام على ذلك مدة مديدة، فاعترض له في يوم من الأيام خاطر شيطاني، خيّل له أنه صار بذلك إلى أعلى مقام واعظم مرتبة ومنزلة، وأنه بلغ ذلك بمجاهدته وورعه وزُهد، فاطلع الله السيد على حاله، وفهم بنور الولاية، ما جال في سرّه، فدعاه وأمره أن يتوجه إلى جبل لبنان من الشام، فيزور رجلاً به محمد اللبناني، هو من أصحاب السيد - قدس الله سره - فتوجه رجب إلى الشام، فلما وصل إلى جبل لبنان أخذ يسأل من يلقاه فلا بد له ليدله أحد، حتى انتهى إلى صخرة عظيمة فصعد إليها فوجد عليها رجلاً واقفاً على قدميه، عرياناً شاخصاً نحو السماء، وهو كالخلال الناشف، وكان قدومه عليه يوم ميعاد أكل رجب وهو تمام اسبوعه، قال رجب: فسلمت عليه ولستُ ظاناً أنه يقدر على رد السلام، فرد عليّ السلام وحيّاني بأحسن تحية، وقال مرحباً برجب أهلاً بالزائر المأمور من باب الحبيب الأمر، قلت نعم ياسيدي! ولكنني أقسم عليك

بالله تعالى من الذي أخبرك بحالي، قال أعلمني ربي بما كان بينك وبين السيد تاج العارفين، وهو أستاذي ودليلي! .

ثم أقمت عنده حتى مضى الأسبوع الثاني فلم يأكل محمد اللبناني شيئاً، ولم يُطعمني شيئاً، ثم بدأنا في الأسبوع الثالث كما كنا إلى تمام عشرين يوماً، فانخطف لوني، وضعفت قوتي، ونقصت عبادتي، ولا أرى محمد اللبناني الا زائداً في العبادة، ثم قال لي: كأنك يا رجب ضعيف عن العبادة، قلت: لم لا ولم أترك الأكل أكثر من اسبوع! فقال اللبناني: ما أضعفها من همّة يا رجب. قال: فأفطر الشيخ محمد اللبناني من أجلي على شربة (٤١ب) من ماء، ثم عمد إلى جهة أمامه فأحضر أربع رُمّانات كأنما قطعت تلك الساعة، ناولني منها إثننتين، وأخذ لنفسه كذلك، وقال: يا رجب إن فطري بعد كل أربعين يوماً على رُمّانتين أجدهما في هذه الجهة، وقد وجدت اليوم أربعاً من أجلك واکراماً لمرسلك إليّ، ودلني ذلك على عناية السيد بك، وانما جهّزك اليّ تأديباً لما خطر في بالك، فواكلني وأنسني، فصرت معه بظاهري وباطني مشغولاً بما كان في فكري، وما أراد السيد تأديبي به عند الاجتماع على هذا الانسان.

فبينما نحن كذلك إذ رأيت على رأسنا طائر يفتّ المَنّ علينا فتّاً، فجعل يأكل ويأمرني بالاكل، فأكلت حتى شبعت، فعند ذلك قال لي محمد اللبناني: يا رجب إن السيد أراد أن يُريك حال رجل من أهل مريديه لتتأدب به اهتماماً بك، فانتبه وتيقظ. قال: فقلت: يا سيدي فهل للسيد مُريد أعلى همّة منك؟ فقال: له عددٌ كثيرٌ كما تقول واني لَمَن أضعفهم حالاً فقلت: وهل عندك بهذا الجبل منهم أحد؟ قال: نعم! بهذا الجبل منهم الآن أربعون من أرباب الأحوال، واني بالنسبة اليهم لضعيف نحيف.

قال: فتأدبت بذلك وتنبّهت، ثم عَزمت على العود إلى أستاذي، ولزوم الخدمة وتجديد التوبة والجد في العبادة والآداب، فودعت الشيخ محمد، وودعني هو ايضاً. قال: يا رجب لي عليك عهدٌ أطلبك به في الدنيا والآخرة، قلت: وما هو يا سيدي؟ قال: إذا وافيت حضرة السيد تجد لي هناك أخاً يُسمّى الشيخ مكي البطماني، فاقرأ عليه مني السلام، ثم اسأله أن يجري ذكري عند السيد رجاء امتداده لي، فإن مثلي لا يصلح لأن يُرسل للسيد رسالةً ولا سلاماً.

^١ - في الأصل: لهم.

ثم أخذني الشيخ محمد المذكور بيده، ودفعني دفعة فلم أشعر بنفسي إلا بعد ساعة على جسر واسط. ثم نظرتُ فإذا الشيخ مكي البطمانى إلى جانبي بنفسه على ذلك الجسر، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، ثم أبلغته سلام أخيه الشيخ محمد اللبباني، وما قاله بكماله، فبكى الشيخ مكي، فقلت: يا سيدي وما يبكيك؟ قال: الآن كنت عنده، وقد مات هذه الساعة، وحضرت وفاته وغسلته وكفنته، ودفنته بعد أن صلى عليه معي خلائق لا يُحصون كثرة، وهذا حضوري من عنده. (٤٢٠)

قال رجب: فلما سمعت ذلك حصل في باطني من الألم ما كادت به روحي أن تزهد حزناً عليه واسفاً، ثم نظرت فوق رأسي فرأيت الطائر الذي كان يفت علينا المَن، فما أجدت التروِّي فيه حتى سقط ميتاً بين يدي الشيخ مكي البطمساني، فقال لي الشيخ مكي البطمانى: أتعرف هذا الطائر يا رجب؟ قلت: نعم! وذكرت ما كان من أمره الذي رأيت. فقال: يا رجب، إنه أحبُّ أن أفعل به ما فعلت بالشيخ محمد من غسل وتكفين ودفن، فإنه كان موكلاً به، وأحبُّ الله أن لا يبقيه بعده فجعل أجله مع أجله، ثم فعل فيه ما ذكر، وواراه بحضوري وانصرفنا قاصدين قلمينيا، فلما وصلنا إلى السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - وسلمتُ عليه، قال: يا رجب لم يخرج عجب الطاعة من قلبك، والظاهر الرديء من خلدك إلا بقتل رجل جليل من إخوانك، قال: فاستغفرتُ الله تعالى من ذلك، ولزمت الخدمة وأنا أرجو القبول من فضل ربي.

قال الراوي: فوصل رجب إلى هذا بعد ذلك إلى مقام القرب والتمكين، نفع الله تعالى به المسلمين.

ومن ذلك ما روى: انه خرج السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - إلى شاطئ الدجلة، ومعه نحو ألف نفر من المريدين وخلق كثير، فلما جُنَّ الليل عليهم، وانقضت صلاة العشاء، خلى السيد إلى جانب وحده، ووظف للقوم وظائف العبادات على اختلاف مقاماتهم، وتعارف درجاتهم. فبينما هم في ذلك إذ رأوا ناساً من البطالين في سفينة مشتملة منهم على مناكر متعددة متجاهرين بأنواع الملاحى، فاجتمع القوم إلى السيد تاج العارفين فقالوا: يا سيدي! إن في هذه السفينة إناساً لا يلوون إلى خشية، ولا يُعوّلون على توبة، ولا يحذرون من مكر الله، ولا يخشون سطوات الإله، وقد أوقفنا أمر أخذهم عليك إذ مرجع أمرنا إليك، فأذن لنا إن شئت

فيهم، أو أَدع عليهم، فتوجه السيد إلى الله ثم رفع كفيه إلى السماء فقال: اللهم كما طيبت عيشهم في هذه الدار فطيب عيشهم في دار القرار، فشق ذلك على بعض القوم دون بعض، فمنهم من قام إليه وردّه ووظفه، ومنهم من قعد ينكث في الأرض. (٤٢ب).

قال الراوي: فبينما هم كذلك، إذ أقبل أهل السفينة تابعين خاضعين حاسري الرؤس والأقدام باكين ندامى، فعقد الشيخ عقد التوبة، وعاهدهم عليه، وانخرطوا في سلك أهل الوفاء، وحسنت أحوالهم أجمعين، واشتهر بعضهم بالولاية والإرشاد. قال: وفي ذلك المجلس سألهم بعض من كان ينكث في الأرض عن سبب التوبة، فقالوا: إننا كنا فيما نحن فيه إذ نظرنا إلى خمرنا فوجدناه انقلب ماء، وإلى الآلات المطربة فوجدنا بعضها قد تفكك، وبعضها قد انقطعت أوتاره، ولم يعلم لذلك سبباً، غير أنه لاح لنا من جهة هذا السيد أنوار أضواء حتى رأينا وجهه، وكان هو حاضراً معها، فجننا قاصدين إليه، وكان مارأيتم، ونسأل الله الثواب! .

ومن ذلك مما روي أن الخليفة المستظهر بالله^(١) قصد في سنة سبع وتسعين وأربعمائة - ١١٠٣م - ، أن يُجمع مال أوقاف العراق جميعه، وجَهَّزَ بَعَثًا بسبب ذلك، فاستوعب جميع ذلك وضُبط^(٢)، فتألم لذلك خلقٌ كثيرٌ وجاءوا إلى السيد تاج العارفين - قدس الله سره - أفواجاً أفواجاً يشكون ما حلَّ بهم ويسألونه الكلام مع المستظهر، فيأبى ويقول: قد وكلت بطلاً من أصحابي يمنع من ذلك، فلا يصل إلى شيء منه، وتكرر سؤال الناس وتكرر من السيد هذا الجواب، فلما ضُبط المال وُجِّم وحُمِّل (في) السُّفن ووُضِعَ بها، أقبلوا على السيد ايضاً، وزاد بكائهم

(١) المستظهر بالله أحمد بن عبد الله المقتدي (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م).

(٢) لم ترد في المصادر ما تشير إلى ذلك. وربما يقصد ما قام بها سيف الدولة صدقة بن مزيد المزيدي سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣م من إجراءات بحق الأتراك بواسطة وتضمينه المدينة المهذب الدولة بن أبي الجير صاحب البطيحة لمدة آخرها سنة المذكورة بخمسين ألف دينار، يقول بن الأثير: " في هذه السنة في شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة إلى واسط في عسكر كثير وأمر فنودي بها في الأتراك من أقام فقد برئت منه الذمة، فسار جماعة منهم إلى بركيارق وجماعة إلى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم، ثم إنه أحضر مهذب الدولة بن أبي الجير صاحب البطيحة وضمه البلد لمدة آخرها سنة بخمسين ألف دينار وعاد إلى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسطة إلى سادس ذي القعدة وانحدر إلى بلاده " الكامل، ٤٩٩/٨.

واحتراقهم وتلهفهم لذلك، فلم يزد هم السيد على جوابه الأول، فأيس بعضهم، وبعضهم اطمأن، وتبع بعضهم المال متفرجاً.

فلما أراد الدولة- الذين هم متولو أمر المال- الجواز بالسفن بما فيها من المال، وقفت السفن واعجز الملاحين أمرها، ولم يتركوا باباً من أبواب السبب في سرها فلم يمكنهم ذلك، فإشار بعض الدولة بإعلام المستظهر بذلك، ففعلوا فأعاد اليهم الجواب بأنه ربما اثقلت السفن فخففوها، ففعلوا فلم تسر، فأخبر بذلك، فاعاد لهم أن احملا المال إلى بلدة كذا من ذلك البر، فحملوا ذلك بكماله على الجمال والبغال والبهاائم، وخففوا احمالها (٤٣أ)، فلم تسر منها دابة، فقابل بعض أهل الحذق من الدولة فرأوا الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي - رضي الله عنه- ناظراً اليهم، واقفاً بينهم، وكان قد بلغه كلام السيد تاج العارفين، ففهم انه الموكل المعني بتلك الإشارة، فنبه رفقة على ذلك، فجهزوا إلى المستظهر من يُخبره بحضور الشيخ عبد الرحمن عندهم، وكان قد بلغه ايضاً كلام السيد، ففهم ما فهم القوم وبادر إلى الاستغفار والأدب مع الله تعالى، وأمر برد مال كل وقفٍ إلى وقفه وناظره، ثم أرسل إلى السيد يعتذر بان ذلك كان للحاجة إلى إمداد بعض الجيوش المُجهّزه إلى المغرب، فقال السيد لقاصده: بشّرهُ أن الله يكفيه هونَ ذلك، ويحصل على قصده بتركه، جبراً ل خاطر أصحاب الحق. قال الراوي: وكان الأمر كذلك، وكانت دعوة المستظهر هذا قائمة بالأندلس والمغرب بأبي يعقوب يوسف بن تاشفين^(١)، ثم بعده دعوة أقاربه العباسيين بذلك، حتى خرج بن تومرت الملقب بالمهدي^(٢)، فانقطعت من حينئذ. قلت: وكانت وفاة السيد - رضي الله عنه- في زمن المستظهر هذا، كما دل عليه تاريخ وفاته المذكور في بابه.

(١) هو يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني الحميري، سلطان دولة المرابطين في المغرب الأقصى، حكم (٤١٠ - ٥٠٠ هـ / ١٠١٩ - ١١٠٦ م) وأسس مدينة مراكش، وضم إليه فاس، وامتدت دولته لتشمل، فضلاً عن المغرب الأقصى، المغرب الأوسط، أي بلاد الجزائر، واستنجد به أمراء الأندلس فدخلها ثم ضمها إلى دولته، وامتدت سلطته جنوباً إلى بلاد غانا في غربي افريقيا، وهو الذي خطب لبني العباس في هذه البلاد على ما يشير إليه المؤلف. ينظر بن خلكان: وفيات الأعيان، ٢/ ٣٦٥، الزركلي: الأعلام، ٨/ ٢٢١.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري (٤٨٥ - ٥٢٤ هـ / ١٠٩٢ - ١١٣٠ م)، الملقب بالمهدي.

وفي زمنه توفي أيضاً الإمام أبو المعالي عبد الملك بن محمد الجويني المشهور
بإمام الحرمين الشافعي - رحمه الله - وكانت وفاته قبل وفاة السيد تاج العارفين
رضي الله عنه بنحو عشرة سنين.

وفي زمنه توفي الغزالي، وكانت وفاته رحمه الله بعد السيد تاج العارفين -
قدس الله سره العزيز- بنحو أربع سنين، تغمده الله تعالى برحمته ونفع المسلمين
ببركاتهما آمين.

ومن ذلك ما روي عن السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز- (أن) من
مكارم أخلاقه أنه لا يختص بطعام دون أصحابه، ولا يطيب له طعام لا يحضره
ضعيف أو فقير، ولا يحسن له من الطعام الواحد ما يتميز به عما يأكله أصحابه،
كزياد ودهن وشيرج ونحوهما، حتى قيل أن طباًخاً له أحب التقرب بحبه إلى خاطره
بتحسين الصحن الذي يأتي السيد، فخشي أن لا يتم له الأمر فدس الدسم (٤٣ب) في
أجزاء طعام ذلك الصحن ليخفي، فلما وضع ذلك الصحن بين يدي السيد، أمر بما في
الصحن كلها فأعيد إلى قدره، وحرك حتى امتزج الكل، ثم أنزل، فعرف كما كان في
تلك الأواني، وساوهم فيه. فلما انتهى أكل القوم دعى بالطباخ فاستتوبه عن ذلك،
وقال: لنا قوم لا يخبب الاختصاص عن أصحابنا بشيء من الدنيا، فلا يدخلن أحد
علينا ما يكره.

وروي أنه أعقب ذلك بحكاية تعرض على الكرم، وهي ما اشتهر عن كسرى
أنوشيروان (أنه) حث السامعين على علو الهمة ومكارم الأخلاق وتحريضاً على
السخاء، وهو أن كسرى المذكور كان سائراً في طريق مجندلي^١، فمر على شيخ كان
يقوم بغرس زيتون، فوقف عليه متفاجئاً من حاله، وقال: أيها الشيخ! أنت ميت
لامحال، وهذه أشجار بطيئة الإثمار، فانت تؤمل أن تطعم من غرسك هذا، فقال:
ياملك! زرع من قبلنا فأكلنا، ونزرع ليأكل من بعد فقال أنوشيروان: زه، فأعطى
الخازندار ذلك الشيخ مائة دينار، فقال: أيها الملك! قد قلت ما قلت، أما وأن هذه
الأشجار بطيئة الإثمار فما قد أثمرت بوفرته، فقال أنوشيروان: زه، فأعطى
الخازندار الشيخ مائة أخرى، فقال الشيخ: أيها الملك! إن هذه الأشجار إذا طلعت
وأثمرت يكون إثمارها في العام مرة، وإنها لما أسعدت بحلول نظر الملك عليها، أثمرت

^١ - كذا تقرأ في الأصل.

في ساعة مرتين، فقال أنوشيروان: زه! ورفس جواده وقال: ما لم نذهب سريعاً لايبقى هذا الشيخ في خزائننا. قال الراوي: ومعنى زه أن أناشيروان كان مصطلحها مع خازنذاره، فإذا أعجبه شيئاً فقالها، كانت إذنا منه لخازنذاره يعني مائة دينار للمتكلم المعجب.

ومن ذلك ما روي أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - بات ليلة في دار شيخه، الشيخ أبي محمد الشنبركي، في أيام البداية، فأصبح القوم قاصدي التوجه لاصطياد سمك من الدجلة للفقراء، فسألوا الشيخ ابا محمد الشنبركي أن يرسل الشيخ المشار إليه معهم للاصطياد، فأرسله معهم، فلما وصلوا جميعاً إلى شاطئ الدجلة وابتدروا اصطياد السمك، انفرد السيد عنهم وانفرد في عبادة الله تعالى، فلما أتموا من الصيد (٤٤) ما قصدوه، وعزموا على العود إلى الزاوية، حضر اليهم ليحمل معهم شيئاً مما صادوه، فمنعه القوم من ذلك، فلما وصلوا إلى الزاوية اجتمعوا بالشيخ، فشكوا من عدم اعتناؤه بما كانوا فيه، وخرجوا بسببه من الإصطياد، فسأله الشيخ عن ذلك، فقال، نعم! هو كما قالوا، ولكن لي بالشيخ اجتماع خاص، فخصه الشيخ بذلك، فلما خلى به قال: يا سيدي إنني لم أت طائفة من السمك إلا وجدت متتابعة للشيخ غير غافلة عن ذكر الله، وإنني وجدت غالب من خرج معي مشغولاً بها عن ذكر الله، فأحببت أن لا أقطع على الأسماك ذكر الله وأطعمها للغافلين، فخلوت بالله حتى تم لهم من الأمر ما أحبوا، وأردت الحمل معهم، فمنعوني من ذلك، فلم أشق عليهم ولكنني أذهب في غدٍ بمفردني فأتيهم من السمك بما يكفيهم اجمعين باذنك إن شاء الله تعالى.

فلما أصبح صُبح اليوم الثاني، استأذن الشيخ فيما عَرَضه عليه، فأذن له، فخرج إلى الدجلة، ثم عاد بسمكة عظيمة تكفي القوم بها عن الصيد في ذلك اليوم ويومين بعده. قال: وكان قد تبعه عند خروجه رجل من أجلاء القوم يسمى عبد المجيد الازجي، فوافاه على الدجلة، وسمع الأسماك تقول: السلام عليك يا أبا الوفا! فاستحكاها الشيخ لحضرة القوم عن كيفية اصطياده لهذه السمكة العظيمة، فقال: نظرته وقد مدَّ يده في الماء، فبرك هذا الحوت في الماء ولم يتحرك، فأمسكه كما يمسك الرغيف، فاقتلعه من الأرض، وانه ليحمل بغلاً، فلم ينزعج لحمله يا حدى يديه، فالتفت الشيخ إلى القوم وقال: من له همة كهذه الهمة العلوية الهاشمية؟

فخضع القوم أجمعون، وعرفوا مقام الشيخ تاج العارفين - قدس الله سره - ثم قام
الرجل الحاكي بينهم فقال منشداً:

ألا كم في الورى جمعاً كمفرد^١ وكم فرد لجمع الفضل يُجمعُ

فلم ترَ مثل ذا العلوي عين وقد ملأ القلوب وكلَّ مَسَمَع

أبدعاً حيث أحمد مع علي اتانا منهما من ذاك بدع

قال: فاستحسن الشنبيكي الأبيات وتهلّل وجهه بالسرور، وكانت هذه الكرامة
من أول كرامات السيد (٤٤ب) تاج العارفين. قلت: وكان ما اتفق له في التاج كما
تقدم ذكره في ثاني يوم واقعة السمكة هذه، وقد بيّن أمر التاج وصفته في مقدمة
الكتاب بتمامه. ومن ذلك، مما روينا، حكاية من لطائفه، وهو أنه أمر من خُدّامه
شخصاً باحضار ماءٍ للشرب، فأحضر الخادم قُلَّةً^٢ بإذن واحدة وقد أمسك القُلَّة
بإذنها، فقدمها للسيد كذلك، ومن الأدب أن يمسك القُلَّة بأن يضعها على راحة كفه
ويقدمها كذلك، وإن كان أدار وجهها إلى جهة الشيخ والمتناول لها، فأراد الشيخ أن لا
يَكسِر قلبه بحضرة إخوانه ولا يفضحه، فقال: أيها الفقير! مُر صانع هذه المقلّة أن
يصنع لها أذناً أخرى، فذهب - وكان مغفلاً - فأمر الصانع فعمل قُلَّة باذنين، فلما
أحضرها للسيد أمسك الأذنين بيديه، بكل يد أذناً، وكان بمحضره، فكّرهُ السيد
فضحه، فقال: مُر الصانع يصنع لها أذناً ثالثة، فذهب ثم حضر بقُلَّة بثلاث أذان،
فأمسك بيديه أذنين، وجعل الأخرى الثالثة في صدره، فقال: محتاجة إلى رابعة،
فذهب فأتى بقُلَّة بأربع أذان، فجاءت إحداها إلى جهة السيد، فتبسّم مُعجباً من بعد
فهمه، ثم أمسك القُلَّة بتلك الاذن التي إلى جهته، فعند ذلك فهم الخادم الإشارة، ولزم
الادب في ذلك.

^١ - في الأصل: كفرد، ولا يستقيم.

^٢ - القُلَّة: إناء من الفخار يشرب فيها، وتعرف في العراق باسم (تونكه) بكاف فارسية.

- الباب الرابع:

**في مواعظه وما امتحن به وأخذ جماعة من العلماء عنه،
والصلحاء وأسماء خدامه، وبعض من تخرّج أو تكمل به،
أورد حاله على يديه**

فمما روينا أنه كان في مجلس تذكير وإرشاد، فأطلعه الله تعالى على جماعة غافلين بين القوم، حضور الأجساد غيب القلوب عن مدارك الاشارات، فلاحظهم منه منة بعين عناية ومدد قلبي، مقترناً ذلك بوعظ موقظ، فمما قاله:
إخواني! تيقظوا من سنة الغفلات، فإن الغفلة موجبة لقطيعتكم، تعرّضوا لنفحات ريح القبول، فعسى تحظوا منها بنسمة فتنعشكم، ولا تُعرضوا عن مهابتها تبعاً لنفوسكم الحسنة للحلاوة المسمومة لتلفكم، وفي نعوش البعد تنعشكم. ألا فالحذر الحذر من قرع القارعة، ووقع الواقعة، وأنتم في ميادين غفلتكم، والفرار الفرار إلى الحبيب، من يد (٤٥) عدوكم المترقب لصرعتكم، والحاث على شقوتكم، إلا أن لله نسمات إذا هبت على القلوب أيقظت الأبواب، وأنعشت الأرواح بريحا فتميلها إلى المآب، وتلين القلوب فتتنقش رقوم التربية في لين طينتها فتحصل على الهداية إلى الصواب، ألا فتعرضوا لهذه النفحات، ألا فانشقوا هذه النسمات، توجهوا إلى الله بمجموعكم رجاء بلوغ المرام، وابدلوا نفوسكم مهر الحظوة ان قبلت واستقلوا من الآثام.

قال الراوي: فتيقظت قلوب الغافلين، وقوي شوق العاشقين، وترنحت أرواح العارفين، وتوجه من كان غافلاً بكليته إلى الله، فهبت نسمة بريح أنعش ميّت القلب، وأحيا الأموات والأحياء، والربوع والأحياء، فما ريح المسك أو الخزام فليس يشبهها شيء من طيب الدنيا. ثم أنشد السيد - قدس الله سره العزيز - شعراً:

تعرّضوا نفحات القرب وانتشيقوا ريح الأحيّة باءٍ غير مستتر
فإنها نسماتٌ لا تهب على القلوب إلا صفت من سائر الكدر

^١ - هكذا قرأناها، وهي غير معجمة في الأصل.

^٢ - في الأصل: ترونحت.

توجهوا نحو مولاكم يُبصِّرُكم فإن من لم يُبصِرِ فاقِد البصِر
فما ختم السيد الأبيات إلا وكل قلب من القلوب قد أناب إلى المآب، وكل غافل
عن طريق الصواب قد أب، وقد أناب. تم اكمال مواعظه السنوية، وما أفاض من بحار
العلوم اللدنيّة، الناشئة عن الهمة العلوية الحسينية المحمدية، المبنية على أساس
السلسلة الشنكية الهوارية^(١) الصديقية، مما دهشت منه الألباب، وطاشت به
العقول، وأنفق من خزائن الفتح والأهام غير معتمد على كتاب، ولا مُعولّ على نقول،
وفي ذلك المعنى أنشأ من يقول شعراً.

بحار علوم قد أفاض على الورى وأنفق صرف الحق من خير معدن
جزاه إلهي عن نصيحته التي سمت خير ما يجزى رجال التمكّن
قال الراوي:

فلما نزل من منبر وعظه، هَرَعَت إليه الخلائق، فتاب من كان مَنْشَأَ الكلام
بسببه، وعاد بعد الغفلة بالغاً من التوبة ما يؤمل له النجاة به، فليتنبّه سامع
أخبارهم، ثم ليتنبه إن شاء أن يحظى من العلياء باريه، وفقنا الله وإياكم للخلوص
إلى الواضح من المشتبه، وسلك بنا إليه طريق المعرفة به آمين.

ومن ذلك مما رَوَيْنَا أنه لما شاع أمر السيد تاج العارفين - قدس الله سره
العزیز- وعكفت عليه الناس، وشُدَّت إليه الرحال، وتناولت نحوه أعناق
المستفيدين والطالبين لطريق الله، وأشار إليه اهل المعرفة، وتكَمَّل به أرباب
الأحوال، ورأى جده المصطفى - صلى الله عليه وسلم- في المنام، وتفل في فمه
(٤٥ب)، وأمره بالمواعظ والتذكّر، وكان يغلب على لسانه العُجْمَة لكونه نشأ بين
قوم والدته أكراد بني نرجس يتيماً، وغلبت عليه العُجْمَة لعشرتهم، فأصبح كأفصح
من يكون من العرب، ورقى المنابر ووعظ، وذكّر ودعا إلى الله، وأفاض بحار علوم
بأفصح لسان، ولذلك كان يقول أنا الذي أمسيت عجمياً وأصبحت عربياً^(٢)، وقصد

(١) أي الطريقة الصوفية التي أسسها ونشرها ابوبكر الهوارى، وهو من مقدمي قطاع الطرق الكرد، فتاب
بعد ان رأى الرسول(ص) وأبا بكر الصديق في رؤيا، وألبسه أبو بكر الصديق وبأمر الرسول الخرقه
والطاقية، وتولى مشيختها من بعده تلميذه الشنكي فأبو الوفا فجاكير الكردي وأولاد أخيه احمد بن
رستم وأحفادهم، وأغلب الطرق الصوفية المنتشرة بين الكرد تشعبت من هذه الطريقة.

(٢) سبق أن ذكر ذلك وتعليقنا عليه.

مجلسه العلماء والأكابر، وكانت تجيب داعيه صبايات القلوب، فيموت في مجلسه إناس يشهد بهم الشوق، ويكتسب فيه الذوق من ليس له ذوق. وقصد في المهمات الظاهرة والباطنة، وتخلص من المظالم على اسمه خلق كثير، فصار يشق ذلك على الظلمة والحساد، فتوصلوا إلى ما يقصدونه بأن أدخلوا في ذهن القائم لأمر الله أن هذا السيد من ولد زين العابدين بن الحسين، ويقول أنه أحق بالمملكة منك، وقد ملك قلوب الناس، وعن قريب يملك البلاد. فداخل الخليفة من ذلك شيء، ثم ترادف القول من جماعة مختلفين، فزاد به الأمر حتى أدى ذلك إلى أن وجه جماعة في طلب السيد، فلما وصلوا إليه وأعلموه بذلك، تجهز للحضور، فتسامع الناس بذلك، فاجتمع إليه خلائق، فكان كلما يقدم صرّف منهم جماعة، فينشأ عوضهم، فلما وصل الدجلة كان من بقي مع السيد - قدس الله سره - ممن لم يكن صرّفه قيل: عشرة آلاف نفر، وقيل: دونها، وقيل: فوقها! ^(١).

قال الراوي: فهربت منهم السفن خوفاً ممن كان مع السيد من المجاذيب، وخشية من أن يكون جوازهم أجمعين ممن لا يسهل بالخليقة، فلم يبق من الملاحين غير رجل يُسمى عثمان العبراني، فإنه قال: لا بد لي من لقاء هذا السيد، والتبرك به، وكشف أمره، وقال: فلما قصدوا العبور معه في سفينة، تقدم إلى السيد فسلم عليه، وقال: يا سيدي اعطوني ما معكم من الأجرة قبل دخولكم السفن، فأشار السيد إلى خادم له أن ادفع ما معك إليه، فدفع الخادم ما معه إلى عثمان، فكان مائة وخمسين ديناراً، فردها عثمان وقال: ما هذا الأجر طلبتُ، فقال له السيد: فأى أجرة تبغي؟ قال عثمان: أن يضمّن لي عبّرة على الصراط عوض هذه العبّرة، وأن أرى على ذلك البرهان ظاهراً.

قال الراوي: روينا عن ابن (ل) عثمان المشار إليه أنه قال: إن السيد توجه إلى الله تعالى عند طلب والدي منه ذلك كالمستأذن، ثم التفت، فقال لوالدي: يا عثمان على اسم الله عبّرة بعبّرة إن شاء الله تعالى. فقال والدي: يا سيدي إني أحب أن أرى البرهان، فتوجه السيد وهمهم بشفتيه، ثم صاح بأبي صيحة فأغمي، فلما أفاق وقع

(١) لم يرد في المصادر ما يشير إلى ذلك، ولا شك في أن هذه القصة ومثيلاتها من نسج خيال أتباع أبي الوفا.

على قدمي السيد، ثم انطلق فقدم أباه نفسه، وأذن للقوم في العبور، فعبروا أجمعين إلا أفراداً منهم من أرباب الأحوال، فإن بعضهم مشى على الماء، وبعضهم في الهواء، وبعضهم خطا الدجلة خطوة واحدة، والراسخون ركبوا في السفينة التي ركب فيها السيد، قال بن عثمان: فتعجبتُ مما كان من والدي، ولم يكن له عادة بما رأيت، فلما وافينا البر، سألت والدي عن سبب ما رأيت منه ومن الإغماء، وماذا رأى فيه، فقال: رأيت كأن القيامة قد قامت، والناس مختلفو الأحوال بين مُكرم ومُهَان، ومُنعم ومُعذَّب، وكان الصراط ممدوداً والناس يَمرون عليه، فيسقط عنه إناس في نار جهنم، وينجوا ناس، وإن الناجي لقليل، فوجلتُ وجلاً عظيماً. وإذا بهذا السيد قد أخذ بيدي وأتى بي إلى الصراط، وقال: سَمَّ الله وجزأ! فسمعت النداء: جُزَأْتُ وذريتك إكراما لأبي الوفا تاج العارفين، فمررت وقد تأملت، فرأيتُ من ذريتي من يَمُر على الصراط كالبرق، ومنهم ما هو كالجواد، فتحققت ببركة هذا السيد وولايته وقربه، فأخذ والدي منه العهد، ولزم صحبته.

قلت: وهو المشهور الآن بالشيخ عثمان العبراني، وله مناقب جلييلة، وطريق مسلوكة، وقبة معروفة، وقوم يُعرفون به، وقبره بالقبة المعروفة ظاهر مدينة جُبَل^(١) بشاطئ الدجلة من بغداد.

قال الراوي: فتلقى السيد تاج العارفين من أهل بغداد خلقاً لا يحصون كثرة، ودخلوا به من باب الخليفة، وما وقع بصره على أحد أو بصر أحد عليه إلا انقاد، فمنهم التائب، ومنهم المتبرك، ومنهم من يقصد تتيميم ناقصه، وانعقد إجماعهم على ولايته. فبينما هو جائز في شارع من شوارع بغداد، سمع امرأة تقول من أعلى مكان عال: دخلت بغداد إلى بغداد، وستخرج بغداد من بغداد، ولم تعلم بغداد ما بغداد، فلم يفهم أحد معنى كلامها غير السيد، فقال: من هذه التي تشنّع علينا؟ قالت: أنا بنت أخت معروف الكرخي، موعودة (٤٦ب) بإدراكك، والأخذ عنك، وأسألك المبايعة. قال: فمدَّ يده إليها فبايعها بما بايع النبي صلى الله عليه وسلم النساء المؤمنات، فأعجب الناس كَوْن يده اتصلت إليها مع هذا الارتفاع.

(١) جُبَلُ: يقول ياقوت: بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي، كانت مدينة، وأما الآن فإني رأيتها مرارا، وهي قرية كبيرة. معجم البلدان، ١٠٣/٢، ويقول مؤلف مجهول (الف كتابه سنة ٣٧٢ هـ/٩٨٣م): جبل مدينة قليلة العمارة، وأغلب أهلها كرد. حدود العالم، ص ١٥٩. قلنا: وهي اليوم جزيرة يحيطها دجلة، وفيها غيل من أشجار كثيفة، وتسمى (جنبل)،

ثم سار إلى الجامع فما استقر به الجلوس حتى امتلأ الجامع خلقاً، فوقف السيد على منبر الجامع، وأفاض من علومه بحاراً، ثم استدعى الناس إلى المتاب، فتفتحت لهم على ذلك الأبواب، فتاب على يده في تلك الساعة خلقاً لا يحصون كثرة، وكان نزوله من المنبر ذلك وقت مغرب ليلة الجمعة، فلما انتهت صلاة المغرب، توارد الناس أيضاً. ثم لازلت جماعات التوبة متواردة حتى العشاء، فصلى العشاء، وجلس مع خواص أصحابه يذكرون الله تعالى. وأمر الخدام أن يأمرؤا الناس بالانصراف فانصرف خلق وبقي خلق، وبلغ القائم بأمر الله أنه حضر، وذكر له الامر المذكور مفصلاً، فحضر مختفياً، فوجد الشيخ على تلك الحالة، والقوم معه على ما هم عليه بقلوب حاضرة واسرار هائجة وانوار واضحة، وقد حدا لهم حُداة الأرواح بنغمات طاشت منها الأشباح، فتمزقت منهم الأطمار، واذيعت الأسرار، مقرونة بالنور والوقار، قد عجت أصواتهم، واختلفت لغاتهم، وقد اعترى بغداد أنس شهدت به الشهود لأهلها وحدها وأصبح لكل ذي وجود.

وكان ممن مع العالم رجل من أهل العلم، قيل انه اسعد بن أبي نصر الشافعي أبو الفتح^(١)، صاحب التعليق، فاستشاره فيما يمتحن به السيد ليختبر حقيقة حاله، فأشار عليه بأن لا تفعل، فلم يقبل، وتقدم فوجد ممن التم على خلقه السيد جماعة مستكثرة رجالاً ونساءً مختلطين، فغمز بيده امرأة من أولئك، فقالت: اليك أيها الخليفة عني، فلست مشغولة بغير ربي. فتعجب هو ومن معه من ذلك، وذهب إلى الجهة الأخرى، فقصد بنتاً في الجهة الأخرى، ففعل معها ما فعل مع تلك، فقالت: إتق الله أيها الخليفة، واعلم أنني أخبر بك السيد وافضحك ان لم تكن اختي فضحكك، وتحترق بنار سَطَوات تاج العارفين، فازداد تعجبه ومن معه من ذلك، فقال أسعد: أما أشرتُ اليك يا أمير المؤمنين، لأن أنوار الأسرار تسري في الأشباح والأقطار!

ولم يبرح أسعد إلا وهو ممتليء القلب من السيد، فاستشاره أمير المؤمنين في شيء يظهر له حاله به، فأشار عليه باستدعائه وإحضار أكابر علماء (٤٧٤) الجدل،

(١) أبو الفتح و أبو سعيد مجد الدين أسعد بن أبي نصر بن الفضل العمري الميهني (ت: ٥٢٧ هـ/١١٣٢م)، كان إماماً مبرزاً في الفقه والخلاف، وله "تعليقة" مشهورة قليلة المثل. تفقه بمرور، ورحل إلى غزنة، واشتهر بتلك البلاد، ثم قدم بغداد، ودرّس فيها بالنظامية مرتين، الأولى في سنة سبع وخمسمائة، ثم عزل في سنة ثلاث عشرة. ثم وليها سنة سبع عشرة واشتغل عليه الفقهاء، وانتفعوا به وبطريقته، الذهبي، تاريخ الأسلام، ٤٥٧/١١.

وَأَنْ يُعِدُّوا لَهُ مَسَائِلَ مُشْكَلَةً، فَإِنْ تَخَلَّصَ مِنْهَا وَإِلَّا بَلَغَ مِنْهُ الْغَرَضَ بِحُجَّةٍ وَوَسِيلَةٍ، فَلَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ بِبَالِ الْخَلِيفَةِ لَمَا أَلْقَى فِي خَاطِرِهِ مِنْهُ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ سَبْعَةَ ظُرُوفٍ خَمْرٍ عَلَى يَدِ شَخْصٍ مِنْ أَخْصَانِهِ يُسَمَّى مُحَمَّدَ الْقَادِرِيِّ، نَسَبَةً إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ^(١) وَالِدِ الْقَائِمِ هَذَا، وَكَانَ لِهَذَا السَّبَبِ خَصِيصًا بِهِ.

قال: فلما تمثل بين يدي السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - حصل كثير رعب من السيد بحيث لم يستطع ان يؤدي رسالة الخليفة، وهي أنه يسلم عليك ويقول لك: إذا اجتمع الرجال مع النساء عندك في بعض مجالسك فاسقهم من هذا الخمر، فإن ذلك مما يناسب مثل هذه الجمعية والاختلاط، فلما نظر السيد إلى وجهه وفهم ما وجهه إليه بسرّه، قال يا جاكير! هذه الظروف ليست إلا عَسَلًا وَسَمْنًا بعث بها الخليفة، وذلك من أسباب تسمية محمد القادري المذكور بجاكير^(٢).

ثم التفت إلى الخدام، فأحضروا قِصَاعَ الْفُقَرَاءِ وَأَوَانِيهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ جَاكِيْرَ هَذَا أَنْ يَسْكَبَ بِيَدِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِلءَ إِنَائِهِ، فَفَعَلَ جَاكِيْرُ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَفَى الْفُقَرَاءَ سَمْنًا وَعَسَلًا حَصَلَ لَجَاكِيْرِ هَذَا حَالَةٌ دَهْشَةٌ عَنِ نَفْسِهِ وَمَخْدُومِهِ، فَقَصَدَ التَّوْبَةَ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ، وَلَزُومَ خِدْمَتِهِ، فَالْتَفَتَ السَّيِّدُ إِلَى طَاسَةِ مِنْ نَحَاسٍ لَهَا غَطَاءٌ، فَوَضَعَ فِيهَا قَطْنَةً فِي جَانِبِ وَجْمَرَةٍ فِي جَانِبٍ آخَرَ، وَوَضَعَ بَيْنَهُمَا قِطْعَةً مِنْ ثَلْجٍ، يَشِيرُ إِلَى (أَنْ) شَهْوَةَ الرِّجَالِ كَالنَّارِ، وَالنِّسَاءِ كَالْقَطَنِ، وَإِنَّهُ لَأَشْكُ أَنْ النَّارَ إِذَا جَاءَتْ عَلَى الْقَطَنِ أَحْرَقَتْهُ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ لِلشَّيْخِ قُوَّةٌ حِجْزٌ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، كَمَا يَحْجِزُ الثَّلْجُ بَيْنَ النَّارِ وَالْقَطَنِ، فَلَانْكَرْتُمْ^٣ غَطَاءَ الطَّاسَةِ بِغَطَائِهَا وَنَاوَلَهَا لَجَاكِيْرَ، فَلَمَّا عَادَ جَاكِيْرُ بِالطَّاسَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَرَأَى الْخَلِيفَةَ هَذِهِ الْإِشَارَةَ، وَفَهَمَهَا، نَظَرَ فَرَأَى قَدْ سَقَطَ أَمَامَهُ فَرِخٌ ثَعْبَانٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَوَضَعَ بِالطَّاسَةِ بَعْدَ تَفْرِيفِهَا، وَأَمَرَ بِأَنْ تُغَطَى، وَتَجَهَّزَ إِلَى السَّيِّدِ عَلَى يَدِ جَاكِيْرِ

(١) هو القادر بالله بن أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ/٩٩١ - ١٠٣٠ م)، والفرق الزمني بين الخليفة القادر ومحمد القادري وهو محمد بن رستم المعروف بجاكير الكردي (ت: ٥٩٠ - ٥٩١ هـ/١١٩٤ - ١١٩٥ م) يربو على قرن ونصف، وبالأمكان القول إن جاكير هذا عرف بالقادري نسبة إلى عبدالقادر الكيلاني، كما من المستبعد أنه التقى بأبي الوفا المتوفى سنة ٥٠١ هـ/١١٠٦ م، وعليه إن هذه القصة وغيرها من القصص والحكايات على كثرتها والتي أوردها الواسطي وغيره لا تعد إلا من الافتراءات على أبي الوفا.

(٢) سوف يقدم لاحقاً تفسيراً آخر لاسم جاكير.

٣ - كذا في الأصل.

أيضاً، فحضر جاكير إلى بين يديه معترداً مستقيلاً، فلم يقبله، وقال له: يا محمد! صرت تتعاطم عن مقاصدي؟ فاستغفر من ذلك، وتوجه إلى السيد بالطاسة، فوضعها بين يديه، فقال له السيد: وما هذه الرسالة أيضاً من هذا المحبوب، وكان مجلس خلوة، وكان قد صار لجاكير نوع إدلال على السيد، فقال: يا سيدي! (٤٧ب) إنه يقول لك اكشف عن هذه الطاسة قبل أن تفتحها، فقال السيد تاج العارفين: يا جاكير ليست بهذه رُتبتي، ولكن مما احتوت عليه رتبة بن اخي مطر هذا، وكان مطر حاضراً في بداية أمره، ثم التفت السيد إلى بن اخيه مطر المشار إليه فأمره باخبار جاكير بما في الطاسة، على ما شرَط. قال: فتوجه مطر إلى الله وجعل رأسه في جيبه ساعة، ثم رفع رأسه وقال: ياسيدي قد جلت عالم بروحي عالم الملك، فلم يغب عني منه سوى فرخ حية سقط من حجر امه، وأظنه داخل هذه الطاسة، فصرخ جاكير وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق مزق أطمار الكبر والرياسة، وفارق إخوانه وجلسه، وخرج عن نفسه، وغير أنفاسه، واخذ عن السيد، وصار من خدامه. فلما بلغ الخليفة ذلك شقَّ عليه حد الخروج عنه، وخشية من استدراج الناس^٢، كل ذلك هو متوقف في اعتقاد ولايته.

قال: ثم أن الخليفة أرسل على يد شخص آخر مائة دينار، فدفعتها إلى السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وهي من جهة حل، وجعل فيها عشرة دنانير من غير جهة حل، وفيها ما يعرفها الخليفة. فلما وصل المبلغ إلى السيد في صرة، وأبلغه القاصد أن الخليفة يسلم عليه، وأنه وجهها برسم نفقة الفقراء^٣.

وبينما يتيسر اجتماعه عليه قال للقاصد: احلل هذه الصرة فحلها، فقال: نح منها هذا الدينار وهذا وهذا، حتى أحصى العشرة بكمالها، ثم بقيت المائة فقط، فقبل السيد المائة، وأعاد العشرة إلى القاصد، وقال أعد هذه العشرة إلى الخليفة وقل له: إن حولك كثيراً ممن لا يتوقف في مثل هذه العشرة، فلا تصرف مثلها للفقراء فان الله تعالى يحمي عباده من مثلها. كل ذلك والقائم بأمر الله متوقف في الاجتماع به غير متجاسر عليه، فأخذ من كان يغري الخليفة من الحساد بالسيد يؤكد عنده ما

^١ - كذا هي الجملة في الأصل ولا تخلو من اضطراب.

^٢ - كذا هي الجملة في الأصل، وفيها اضطراب.

^٣ - حكى اليونيني والتادفي هذه الحكاية باختصار.

كان يقوله، ويذكر أن السيد كلما جاءه زادت أتباعه، وقوي ناموسه، وقد كان بعيداً فأدنيته وأدخلته بغداد، وصار الخوف منه أشد، وليس هو بالياً بما يُنسب إليه، ولا مُستخف باجتماع الناس عليه، وإن في دولتك من يجتمع متبركاً ظاناً ولايته، وذكره توبة جاكير وخروجه من ديوانه (٤٨٤) إليه، وإنما قال السيد حين أخذ عنه: أريد أن يجعل لي وظيفة أفخر بها على الخليفة، فجعل وظيفته خدمة خلاء الفقراء، فرضي جاكير بها ووظيفة بعدما كان فيما كان من القرب عندك يا أمير المؤمنين، وعند والدك. فجذبت الخليفة نفسه إلى الميل لكلامهم، وحصل عنده حاصلٌ عظيم لذلك.

ثم رجع إلى أصدقائه العقلاء في الرأي، فمنهم من سكت، ومنهم من أشار بإخراجه من بغداد والإعراض عن أمره، ومنهم من أشار بإلزامه بعدم الدعوة إلى الطريق، وعدم التذكير في ملاقاته نفر، وابن عقيل منهم برأيه الأول، وهو أن يمتحنه بعويصات المسائل. فحسن ذلك برأي القائم بامر الله، وقال أفضل ذلك، فإن تخلص والأقرب به كرسية وأخرجته من مملكتي! ثم جهز إليه من يستدعيه للمناظرة، فاجاب بتلاوة الآية ﴿أطيعوا الله...﴾ إلى آخرها^١.

ثم قال: وعزة من هو قائم بأمره، لو استخرج المنبر الجديد المدفون في الخرابة التي هي غربي تربة الامام احمد بن حنبل^٢، ووضع في مكان الجدال، وأمر بالنار حتى تحمر، ثم حتى تبيض، وأمر أمير المؤمنين بالرد عليه والتكلم والمجادلة لفعت، والله المعين ان شاء الله تعالى، فأعاد القاصد الجواب على الخليفة، فأمر الخليفة باحتفار الخرابة فحُفرت، واستخرج منها منبراً من حديد، فوضع المنبر في الصحراء، وأمر به فأحمر حتى اسود، ثم أحمر حتى ابيض، فتسامع الناس بذلك، وأجمع قوم على عدم تمكينه من رقي المنبر خشية عليه، ثم غلبت عليهم خشية الخليفة، فسلموا الأمر إلى الله، ورجوا لطف الله تعالى به، ثم اجتمع الناس من عام

^١ - سورة آل عمران، الآية (١٣٢).

^٢ - دفن الإمام أحمد بن حنبل في مقابر باب حرب في الجانب الغربي من بغداد، وكثر دفن الصنابلة حوله في القرون التالية حتى ارتفعت أرضها بعدة أمتار عن مستوى الأرض التي حولها، وموضع هذه المقبرة اليوم يوافق مقبرة الهبنة المتروكة في الشمال الغربي من قصبة الكاظمية، مطلة على شارع الجواد، ويقع القبر في الجزء المرتفع من المقبرة حيث كثافة الدفن هناك، في منطقة التقاء الشارع المذكور بالشارع الرئيس المؤدي إلى الموصل من بغداد.

وخاص، ومن انتدب من حُذّاق أهل الجدل لمجادلته . وفرش للخليفة قريباً من المنبر بحيث يسمع ألفاظه، ويشهد ما يقع بينه وبين المنتدبين من العلماء لجداله، وأذن للحُساد المقربين له على ذلك، حتى (إذا) وقع منه ما يُنكر ويؤذي سماعه أن يقلبوا به المنبر، هذا على تقدير سلامته من حمو المنبر، وإلا فيسلم إليه حاله . ثم أكد على أهل الجدل في امتحانه بأعظم ما يمكنهم من عويص المسائل . قال: وهم أربعون من أكابر العلماء، قال: فكان كل عشرة من مذهب من الأربعة، فاتفقوا على إيراد مسائل (٤٨ب) مختلفة.

ثم أحضر السيد، فأمرني برُقي المنبر، فلما رأى ما فعل به قال، تنزلنا معهم فرقونا النار الحمراء^١، ثم سمى الله تعالى، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهض فارتقى المنبر بعزم شديد، فلما أشرف سلم على من حضر، ثم خطب خطبة بليغة وعظ فيها وذكر وأطنب، ولم ينقل قدماً، ولم يشكُ ألماً، كما قال أهل الفضل في ماضي الأزمان: عند الامتحان يُكرم المرأ أو يهان . قال: فامتلأت قلوب الحاضرين، من الخليفة والعلماء وغيرهم، خشية وتعظيماً وخشوعاً وهيبة، ثم أفاض بحار علوم حقيقية، ومعارف لدنية، دهشت لها الألباب، وذهلت لها العقول، ودعا إلى الله تعالى فأجابته صبايات القلوب، وأقر كل من حضر بالعجز عما جاء به أو بعضه، ولم يتوجه عليه الإنكار، وكاد في ذلك المجلس ان غوت^٢ جماعة، قال: ثم أن السيد نادى بأعلى صوته: ألا من كان يريد أن يسأل فليتكلم، ألا من أراد المناظرة فليتقدم، فلم ينطق منهم أحد، فتقدم إلى أهل العلم الذين أعدوا لجداله بعض الحُساد ذوي العناد، فقال: ما لهذا أحضرتم، ولا بهذا أمرتم، أسكوت عن خشية أو مخالفة لحجة، قال أهل الجدل: والله ليس ذلك المعنى، غير إنا لا نجد عندنا من العلم شيئاً مما أعدناه ولا من غيره .

قال الراوي: ثم أن أحدهم تقدم للسيد فقال: ياسيدي ما الإسلام؟ فقال له السيد قدس الله سره: إسلامكم تعني أم إسلامنا؟ قال: أو لكم إسلام ولنا إسلام آخر؟ قال: نعم! قال: أوضح لنا الإسلامين، قال السيد: أما إسلامكم الكامل، وهو غير الايمان، وهو اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وأما إسلامنا

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - كذا في الأصل.

فمحو الذوات، وتبديل الصفات، واستغراق الأوقات بالطاعات، وصيامكم شهر رمضان، وصيامنا عن كل ما في الكائنات خلا ما لا بد منه من المعين على الطاعات، والتخلي عن سائر الرذائل الناقصات، وزكاتكم في النقدين كذا، وفي الزروع والثمار كذا، وفي المواشي كذا، وفصل التفاصيل الشرعية، وزكاتنا بذل الموجود، والتغني بالموجود الحق عن سائر الوجود وما في الوجود، وحجكم كذا وحجنا كذا، انتهى مما لهم في ذلك، (٤٩أ) وقد سبق ذكره مفصلاً في الباب الثاني^١.

قال: ثم التفت إلى الحاضرين فقال: من يقدر على هذا الإسلام؟ فلم يجبه أحد من الحاضرين. فقال: أيها الناس قد أحميت لنا النيران الحسبية والجذلية، فأطفأها الله، وقد أريد تعجيزنا عن عجزهم، وانهم قد استكتمونا فأفصحنا، وألكنهم الله، ألا فمن أعد سؤالا فليتكلم، ومن أراد المناظرة فليقدم ثلاثاً، فلم يجبه أحد ولم يسأله، فقال: إن ما أعدوه قد أنساهم إياه، ولكنني مُوردٌ ما أعدوه، ومُجيبٌ عن كل مسألة منه ان شاء الله تعالى. أما فلان فسؤاله كذا وجوابه كذا، وأما فلان فسؤاله كذا وجوابه كذا، حتى أتى على جميع ما كان أهل العلم أعدوه من المسائل، وأجاب عن كل ما شفي^٢ جواباً، ثم قال: يا إخوان! الوقوف عند النفوس والحضور كأنهم غيب وهم في المجلس جلوس. كيف يناظر من ينقل عن الله جل وعلا، من ينقل عن الطروس، إلا من كان يركن إلى الرحل والأسفار، فكيف ينادي أهل المعارف والأسرار، أم كيف يجاري أهل الإجتباء وخلفاء المختار، من عاند فقد جار، ومن قابل فقد ارتكب الأخطار، ومن ابتغى معرفة الحقائق بنفسه فقد حار، إلا من كان له منكم معتمد سواه، فهو باق عند خطئه وهواه، إلا من كان يعتمد على تعليم معلمه، فإن لي معلماً عظيماً اسمه الله، فكيف تصح أجساد أنتم لها رؤوس، أم كيف تَرَجُونَ مع هذه الظلمات ان يتجلى عليكم للقبول عروس، أم كيف تطعمون وقد غرستم غروسكم في النشوفة^٣ منه ولم ترووها بنور التوحيد، أن تثمر لكم هذه الغروس، فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا (الآية).

قال الراوي: وكان ممن حضر المجلس المذكور أسعد المتقدم ذكره، والشيخ أبو الحسن بن الجوزي، وكاننا يظنان قبل ذلك المجلس أن لكمة لسانه وعجمته

^١ - سبق ان ذكر ذلك مفصلاً (١٣ أ - ب).

^٢ - كذا ولعله يريد: سئل.

^٣ - يريد الأرض الناشفة، أي اليابسة.

باقيتان، فلما رأيا منه ذلك وسمعا فصاحته في ذلك المجلس تعجبًا من ذلك، وعلمًا أنه مَدَدَ إلهي لا محالة، قال: فنظر السيد اليهما منشداً:
سِرُّ الفصاحة كامنٌ في المعدن بسرائر الأرواح لا في الألسنِ
الآبيات مشهورة. وستأتي في الباب الخامس من الشطر الأول بكمالها إن شاء الله تعالى.

قال: فلما أتم السيد من الكلام ما فتح الله به، ونزل عن المنبر توضاً فصلى ركعتين، ثم جلس، فأحاط الناس به، وتقدم إليه ابن الجوزي وأسعد فسألاه المَدَدَ، فقال: قد استكثرتني قبل اليوم، قالوا: نعم! ولكن يمحو الله ما يشاء ويثبت، قال السيد: إن العناية الإلهية لا تصرف إلى معوج إلا قَوْمَتَه، ولا ناقص إلا كَمَلَتَه، ولا بعيد (٤٩ب) إلا أدنته، ولا أخرس إلا فصَّحتَه، ولا مخذول إلا وفقته، وقد وُجِّهت السِّيَّ على يد جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل في في مناماً فأصبحت كما رأيتم.
قال: فحصل لابن الجوزي حال، ثم أخذ في ذلك المجلس عن الشيخ، ولزم صحبته حتى أصبح في يوم يقول: كنتُ أكثفُ من الصخور والأحجار فأصبحتُ
الطف من عليل النسيم على رياض الأزهار، فقيل: ثم أنشد شعراً:

أصبحتُ أطف من مرِّ النسيم على زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني
من كل معنى لطيف أجتلي قَدْحاً وكلُّ ناطقةٍ في الكون تطربني

وقيل: بل أخذ عنه غيره معنى ما قاله، وأنشد البيتين، والله اعلم، وسبب ذلك ما قيل أنه بلغ أمر والد الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي إلى ولده المذكور، وأخذه عن السيد تاج العارفين فسر بذلك لاتصاله بهذه الخرقة العظيمة، وتألم إذ لم يدرك أيام السيد ويأخذ عنه، فقال له المُخبر: هل لك أن تأخذها عن ابن الهيثمي. قال: حتى استخبر الله تعالى! فبات ليلته تلك، فرأى كأنَّ القيامة قد قامت، والناس بين ناجٍ وهالك، وكأن أعماله الصالحة موقوفة، وهو في ألم عظيم ونظر، فرأى والده في عصابة ناجية وهم خلانق لا يكادون يحصون كثرة، ثم رأى انساناً على مكان مرتفع عليه الوقار والهيبة، والكل مُشيرون اليه، ففهم أنه صاحب تلك الدولة، ومقدم تلك الجماعة، فسأل عنه فقيل، هو تاج العارفين أبو الوفا، قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: فتأملت وجهه حتى عرفته، وترقبت والدي فوجدته بين القوم قريباً من السيد أبي الوفا، فناديته وقد أيقنت أنني لا انجو إلا أن دخلت بينهم، فسألته في

ذلك فقال: إنك قد توقفت في دخولك معنا، ولكنني (١٥٠) مستأذنٌ سيدي أبا الوفا في ذلك، فرجع إليه، فاستأذنه ثم عاد، فأذن لي فدخلتُ معهم فَنَجَوْتُ، فكان ذلك سبباً لأخذي عن ابن الهيثمي طريق السيد. قال الراوي: لم يصبح صبح ليلة الرؤيا إلا والشيوخ أبو الفرج على باب خادم السيد تاج العارفين، وهو ابن الهيثمي، فقَصَّ رؤياه عليه، وأخذ عنه ولزم صحبته مدة، رحمهم الله اجمعين.

ومما روينا أن القائم بأمر الله حضر مجلساً آخر من مجالس السيد تاج العارفين، وكان حجابُه لم ينكشف بعد، فسمع كلام السيد طويلاً، ثم صاح ونادى: أحسنت ياتاج العارفين! وغيَّب عن نفسه، فتكرر منه القول في غيبته بهذا اللفظ، فتعجب منه أصحابه، وجلسوا إلى جانبه يحدثونه حتى أفاق، فسألوه عن سبب ذلك مع عدم التسليم للسيد، فقال: والله لم أقل ذلك إلا عن اضطرار، فإني سمعت طائراً أخضر جالساً على رأس المنبر يقول ذلك، فاحتملت ونعيت، وقلت ما سمعتموه من غير قصد مني ولا اختيار.

ثم نزل السيد إلى آخر درجة في المنبر، وهرع إليه الناس فتابوا، وأجرى الخدام المقاريض على رؤوس الآخرين عن السيد بإذنه، قال: مقبل الخادم فوعزة من له العزة، لقد رأيت الشعور المقصوصة وقد وارت درجة المنبر، يعني التي انتهت إليها السيد عند هبوطه ووقف عليها، لكثرة الاخذين، فيا لها من قلوب ما كان أليها إلى الحق، وأميلها إلى طريق النجاة والصدق.

قال: ولم يزل الخليفة متحيراً في أمره، يعني السيد أبا الوفا، متردداً فيما يفعل معه، حتى حَسُنَ في باله أن يحضر له مجلساً ثالثاً يكون خاتمة الأمر، وفاروقاً بين الاعتقاد والافتقاد، فأرسل إلى السيد يأمره أن ينصب له كرسي، فنصب، ثم أحضر السيد وحضر هو وجماعة من أصحابه، وجماعة من أهل العلم ورؤوس الناس، وتسامع الناس فاجتمع خلق كثير لسماعه على العادة، فرقى السيد الكرسي فحمد الله وأثنى عليه، ثم أفاض بحار الحكم الربانية- والعلوم الدينية- والنصائح الدينية، والأحكام الشرعية، والمعارف الالهية (٥٠ب)، بألفاظ عذبة شهية، واضحة مرضية، بحيث كان لكل من العارفين وأرباب الأحوال وذوي المجاهدات وأهل البدايات وسائر عامة المسلمين حظ في فهم ما أفاده، فكلُّ أخذ مشروبه بما وجه إليه في الخطاب.

وبرز أهل المراتب العالية جهاراً فعرفهم من لم يكن عرفهم قبل ذلك المجلس، وعكفوا على كرسي السيد، قال: فدهش لذلك الخليفة وأهل العلم، واستكثروا مثل هذا السيد على زمانهم، وتخيروا في باب استمداده، والكتب المستمد منها، والمشايخ الذين أخذ عنهم ذلك، ففهم السيد ذلك بسرّه، وأطلعه الله تعالى على بواطنهم، فقال: أيها الناس! إنه إذا فتح باب الفيض للعارف، فبحار الوجود كقطرة من قطراته، وإذا صُرّفت عين العناية نحو أمرٍ وكان حياً قولاً وفعلاً وقلباً وروحاً وهداياً في حياته وبعد مماته، ألا كيف يطلع على حقيقة الفيض الإلهامي والفضل الإلهي من كان غافلاً عن مولاه، وكيف يشرف على أغوار المعاني من كان عن الشغله بمرضاه مُنتيه لاه، ألا إنما اعتمادكم على المسطور والأسفار، وشغلكم بالرحل والأسفار، وتعليمكم من مؤدبي المكاتب بالشفاه. ألا من كان مُعلماً بشراً فإن لي مُعلماً عظيماً اسمه الله! قال: فتصارع الناس، وخرَّ بعضهم مغشياً لشدة الهيبة وحصل لكل من الخشوع والوجد على حسب استعداده.

ثم أن الخليفة حصل له راجف في جميع جسده، حتى أيس من الصحة رعباً وخشية من الله، ثم من أوليائه، وقوي إيمانه بكرامات الأولياء، وقال: للحال طويل لسان، لا خبر بعد عيان، قال: فلما ختم السيد المجلس، ونزل عن كرسيه، وجد الخليفة على تلك الحالة، فسمى الله ومسح بيده على جسده، فزال ما كان ألم به وهذا حاله، ثم أقبل على السيد، فقال: عطني وعظاً خاصاً بنفسي، قال السيد: كم لك يا أمير المؤمنين واعظاً من نفسك إذا لم تُحجب، فمن لم يكن له من نفسه واعظ فماذا عسى أن يفيدته وعظ أجنبي؟ ولكن سأضرب لك مثلاً، أعلم إنك راعٍ وهؤلاء رعيتك، وإن راعي الأغنام إن أراد لها بالشفقة عليها ماءها ومرعاها، واعتنى في ذلك (١٥١) بأضعفها وأقواها، واستطاب لها الكلاً والمرعى والموارد، ولاطف الضعيف منها والكبير وردَّ الشارد، وداوى عليها ولم يمتنها ورد السباع، حفظت ونمت، وكثر ولدها وألبانها، وانتفع بها الراعي، ورضي عنه مالکها، وحفظه كما حفظها، واستدامه عليها، وإن شغله عنها هواه فأهمل أمرها غير مبال بضعيفها وقويها، وعليلها وصحيحها، ولم يعتن بشيء مما ذكر، تشتت ونقصت، وألت إلى الضياع، وعجفت وفسد حالها، وغضب عليه مالکها، واستبدل غيره وأبعده، وها أنت أيها الأمير كذلك الراعي، ورعيتك كتلك الأغنام، فاعبأ بما أقمت فيه، وأنت أدري بنفسك، إن تيقظت أيقظك الله من غفلتك، وكان دليلاً لك عند خيرتك.

فقال القائم بأمر الله: أيها السيد، نفع الله بك وبسلفك! إنني لم آل جهداً في فعل خير اطلعت عليه، والإعراض عن شر وجهت إليه، وإن من أقيمته على الرعايا من العمال لأبد وإن أوصيه برعيته خيراً أو عدلاً، والنظر في المال، لكنه بلغني عن بعضهم عدم القيام له في ذلك بما عاهدته عليه، وأكتب إليه بالرجوع إلى طريق الحق، والوقوف لديه، فمن كان كما أوصيته رجوتُ لي وله الخير، ومن عاد عما أمر به فالله أولى به، وعليّ أن أوجههم إلى طريق الحق، والله بهدايتهم مني أحق. فقال السيد صدقتَ أيها الأمير، وفقني الله وإياكم لما يحبه، ولكن إرسالك لهم بالمكاتبات المطوّلة، وأمرك لهم شفاهاً، وهم لا يعتنون بأمرك، وكونك إذا أمرتهم بأمر مظلّمة بقلم أو لسان، يبادرون إلى العمل بأمرك، وذلك دليل على تحققهم منك أنك إلى جهة السوء أميل، وذلك عنوان فساد النية فيما تأمر به من الخير، فالصدق في القصد مُعين على بلوغ المآرب ونفوذ الأحكام، وإنما يتقرب إلى خاطر المرء بما يحب، وأنت تظن أن مجرد إظهار ما تظهر من محبة العدل دون وقوعه مما لا يخفى تزويره على كل ذي لب، فاعبأ بنفسك، وقدم بين يديك ما يكون في الوحشة سبب أنسك. واعلم أن الموت طارق لا محالة، فاعمل لغيرك قبل عملك ليومك، واعلم أنك معروض على من لا يخفى عليه (٥٢أ) شيء بعملك، وتذكر خلقه إياك من نُطفة خرجت من مخرج البول، فكونك في هذا القالب، وصيرك في الأرض خليفة، وستصير بحيث يبقى كل من تمنى قريبك اليوم لا ينفك غداً، ولا يود أن يرى لك جيفة، فعامل الله ما دام فيك من سره هذه اللطيفة، وانزل الكبر والإعراض إلى الدون، واتل قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^١.

قال: فبكى الخليفة حتى تقاطر الدمع من شعر ذقنه، واشتد به الألم والزفّرات، وخشع ساعة مطرقاً، والسيد مسترسلاً في المواعظ، ثم ختم السيد كلامه، وهدأ الخليفة مما كان فيه. قالوا: فطلب الخليفة ماءً ليشرب، فلما أحضر إليه ومدّ يديه ليتناول القلة ليشرب، قال له السيد تاج العارفين: مهلاً رحمك الله، فأمسك الخليفة عن الشرب، مع ما عنده من شدة العطش، وحرارة الباطن، فقال السيد: رأيتَ أيها الأمير لو كنت في بادية قفراء، لاماء فيها ولا أنيس، وطلبت الماء فلم تجده، واشتد بك العطش حتى كدت تهلك، ثم رأيت من بيده مثل هذه القلة، فسألته شربة

^١ - سورة الذاريات، الآية (٥٦).

فمنعك، فأعطيته مالا فلم يقنع به، فوعده فأمّا أن تخرج له نصف مملكتك ونعمتك، ولم تجد سبيلاً إلى توصلك منه إلى ذلك بوجه من الوجوه سوى ذلك، أكنت تفعل ذلك؟ قال الخليفة: نعم أفعل ذلك ولا أهلك! قال السيد: أو رأيت أن هذا الماء وفضلات الأغذية إذا استحالت إراقة، وظفر بك انسان فأمسك عليك ذلك بوكاء^١ لذكرك، وأعجزك الخلاص منه بوجه، إلا أن تخرج له عن النصف الثاني؟ قال الخليفة: نعم! أخرج عنه وإلا متُّ ولم ينفعني ذلك، والحياة مع الفقراء أحب إلى كل حي من الموت عما في يده، فأطرق السيد، وشرب الخليفة، ثم التفت السيد إلى الخليفة فقال: تيقظ أيها الأمير فمملكة يُباع نصفها بشربة ماء، ونصفها الآخر ببولة، كيف يحتفي^٢ لنا أن يكون لنا اليها التفات، وإن ألف مملكة كمملكتك لا تساوي تحفة من تحف مملكة بعض الفقراء، فقال الخليفة عندما فهم الإشارة: أيها السيد! إن النفوس من طبعها الحذر وتصديق الخبر، فلا تلمني على ما تجرأت به عليك، واعلم أن وجهتي من اليوم في المهمات والنصائح إليك، قال السيد: بل توجه إلى الله في السرِّ والعلانية يغنيك (٥٢أ) عني وعن كل أحد، ووحدّه في قلبك ليجود ذلك بالمَدَد، وإني عنك مشغول فلا تكلفني إلى ما لاينفعك، فعند الله كل مأمول، واجعل زادك مداومة التقوى إن رمت أن تظفر بكل مرام، وسلم إليه الأمر تسلّم، فهو ذو الأمر والمسلم والسلام.

قال الخليفة: فهل لك في نصيحة تعرفني طريق سلو حظوظ الدنيا وتميل قلبي إلى سلوانها؟ قال السيد: نعم! اعلم أيها الأمير - أصلحك الله وأصلح بك- إن الله عبادةً نظروا إلى الدنيا بعين الحقيقة، فأول شيء شاهدوه فيها أنها وجدت من العدم، وأنها عائدة إلى العدم، ثم تأملوها في الحال فوجدوا أن أطيب ما فيها وأحلى من المأكّل هو العسل، وأنه من ذبابة، وهي النحلة، وأن احسن لباسها الديباج، وهو من دودة أيضاً، مع كونهما ضعيفتين عاجزتين، فالنحلة تقتلها دابة مثلها وهي الزنبور، وتموت إن لدغت لخروج زبائها، ويشتتها الريح، فلا تستطيع الوقاية منه فتبقى به، والدودة تقتل بصوت الرعد إذا سمعته ونحوه، وتبقي على نفسها فلا يوصل إلى كسبها الا مع حتفها. وانظروا إلى ألد جمعيتها ما فيه نكاح، وهو مبولة في مبولة، مع

^١ - الركاء رباط القرية والوعاء والكيس وغيرها.

^٢ - هكذا تقرأ في الأصل. وزبائها أي لسانها.

افتضح كل من الزوجين عند الآخر، وما يترتب من كلفة الاغتسال، وهم نفقة العيال، وتحققوا أن لذة كل حال مُباشرتة، فإذا زال زالت لذتُه، فأعرضوا عن كل ذلك، واقبلوا على الله الذي لا يفنى ولا يزول.

قالوا: ثم التفت السيد إلى خادم من خدامه أرباب الاحوال، فأطلع الله الخادم على مُراد السيد، فمدَّ يده وراء ظهره، ثم ناول السيد لؤلؤة عظيمة الحجم، يكاد نورها أن يغلب نور الشمس، فقال السيد: هذه من مملكة فقير من الفقراء! قال: فدهش الخليفة منها وقال: يا سيدي هبني هذه اللؤلؤة، ثم أمسكها بيده، فانكشفت وصار يراها حجراً في يده، فناولها للسيد فأضأت كما كانت، فاستعادها فانكشفت أيضاً، فتعجب الخليفة من ذلك، فتنبه الخليفة بذلك وما قبله، وظهرت له حقائق الحق جهاراً، وندم على ما سلف منه في حق السيد وتاب، وأخذ يد السيد، فقال: عاهدني! فعاهده على لزوم العدل والطاعات واجتناب المظالم والمحرمات، فانتفع بذلك وصلحت أحواله.

قالوا: ثم أن الخليفة أمر بأن يُصنع طعام كثير يكفي السيد ومن معه، وأن يضاف (٥٢ب) إلى سماطه المعتاد، فيأكل كل جماعة السيد كفايتهم، ثم يقدم ما بقي لدولته. فصنع ما أمر به، فلما تم استواؤه، أمر بالسيد فأدخل إلى مكان يسع من معه، وحضر الخليفة، فجلس منحرفاً عن رأس السماط، وأجلس السيد على رأس السماط، وحفَّ الفقراء وأرباب الاحوال بالسماط، فقال السيد: لهم أفيكم رمضان المجنون؟ يعني خادماً من خدامه الاربعة من أرباب الاحوال، قالوا: نعم! فقال: عليَّ به. فلما حضر قال السيد: يا امير المؤمنين، هل لك في إشباع هذا المجنون ويذهب عنا، ثم يكون ما يريد الله تعالى. قال أمير المؤمنين: نعم الرأي يا سيدي، فأذن للشيخ رمضان المجنون، فتقدم إلى ذلك السماط فأكل ما فيه من الطعام بكماله، ثم استزاد. فقال الخليفة: والله إنه لو قدم ما في بغداد لأكله! فخرج رمضان وهو يقول: وكل أمر رزقي إليك في أكلة فلم أشبع، لا وكلني الله إلى غيره. قالوا: فعلم الخليفة مقام الولاية، وتحقق عجزه عن شيء لم يقدره الله عليه، وعلم أن كل عالم ظاهر فعالمه الخفي أبداع وأعظم.

قالوا: ثم أن السيد ودَّعه وبشَّره بتملك افريقية الغرب، وأن ملكه يصير إلى رجل من نسله يملك الشام، فسُرَّ الخليفة بذلك كثيراً، ثم شيع السيد إلى خارج الدار،

فردّه السيد- فاستدعى الخليفة ماجد الكردي - قدس الله سره - وهو من أعيان خدام السيد، وأمر كاتبه أن يكتب للسيد في خراج قوسان وجميع قراها وما حولها، فكتب المكتوب من وقته وسلم إلى ماجد، وقال له الخليفة: لا تذكر ذلك للسيد حتى يستقر في مكانه، قالوا: فكتب ماجد ذلك ولحق بالسيد، فلما ركب السفينة مع السيد، وتوسّطت وسط الماء، وقفت، فلم يعلم السيد السبب، فجمع همته وتروي في أمره، فنودي في سره ببيت مفرد، وهو:

أتصحبُ أهلَ الحبِّ دنيًّا وسيعَةً وتحملُ من فوقِ الرؤوسِ وتغفلُ
فتفقدُ السيدَ نفسه، فوقع في خاطره أنه أتى من قبل ماجد، فأخبر ماجد فأخبره الخبر، واعتذر بوصية الخليفة له بالكتم، فقال كتم علينا أبو جعفر فأطلعنا الله. ثم أخذ المكتوب فمزقه وألقاه في الماء- فسارت السفينة فقال قائل: لو ترك ذلك لذرية أخيه لكان أولى، فغضب منه، ثم قال: وهل للفقير غير التوكل على فضل المُقيت القدير، والوثوق (١٥٣) بمولى منه المبدأ وإليه المصير؟ واني لأرجو استغناءهم والمحبين عن ذلك بالله.

قلت: وقد ظهر صدق بشارة السيد بتملك أفريقية وعود دعوة بني العباس لها في أيامه، ثم في أيام ولد ابنه المقتدي بن الذخيرة^١ الذي فتحت الشام له. وكانت أفريقية قد خرجت عن بني العباس وانقطعت منها دعوتهم من أيام الفضل بن المهدي المطيع لله^٢، فردت ببركة إشارة السيد. وقد كانت وفاة السيد تاج العارفين في زمن ولده المستظهر بن المقتدي بن الذخيرة بن القائم، وهو الذي رثاه^٣:

ومات من كان للحقائق عينا	ومغيث للمهتدين وعونا
فنعاها الهدى جديراً مع الزهد	وقد كان سرّ دينك حيناً
ورؤس الرؤس اضحين حسرى	لفتح تاج سائر العارفيناً
بضعة من محمدٍ وعليّ	كؤنت هادياً ونوراً مبيناً
زُهرة قد زهت رماناً وكنتَ	زُهرة ضلَّ بعدها السالكونا

١ - الأمير نَحِيرَةَ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ (٢٣١ - ٤٤٧ هـ / ١٠٢٩ - ١٠٥٥ م)، والد الخليفة أبا القاسم عبد الله المقتدي.

٢ - الخليفة المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤ م).

٣ - من المستبعد ان يرثي خليفة المسلمين صوفياً.

ثم قال المستظهر لبعض أصحاب السيد: علق هذه الأبيات في الضريح، فرأى في المنام السيد فنهاه عن ذلك، فأصبح واعتذر للمستظهر ولم يعلقها، وقد أحببت دعوة السيد أيضاً في ذرية بن أخيه ومحبيه، فإنه لم نر من يقول اعطوني على بركة السيد تاج العارفين قط ممن يسأل.

وأما ذرية أخيه فإنني رأيت جماعة من ذرية السيد منجح بن السيد يعقوب بن السيد مطرهم ببغداد والعراق، وانهم لأملى من كثير من أهل الدنيا، ثم رأيت السيد تاج العارفين^١ أبو الوفا الأذن في جمع هذا الكتاب المنوه بذكره في ديباجة الكتاب، يأكل على سماطه الخاص والعام والغريب والقريب.

وكان يحب نظافة الثياب، ويحث عليها إظهاراً لآثار نعم الله على عبده، وقيل: ان السيد - رضي الله عنه - أنشد في حال شكرٍ وغيبة في غضون اتفاقيته مع الخليفة، يوم حصلت للخليفة الرعدة، أبيات أولها:

شرفني سيدي على الناس

وستأتي في بابها إن شاء الله تعالى قلت، والصواب أن الأبيات لبعض مريدي السيد كما سيأتي ببابه والله أعلم.

- فصل :

اعلم أن للسيد خداماً من أرباب الأحوال وغيرهم من أهل السلك، ولهم مقامات عالية، وقد وصل منهم جماعة إلى مقام القرب والتمكين في حياة أستاذهم السيد تاج العارفين، ودعا إلى الله تعالى منهم الشيخ ماجد المذكور آنفاً (٥٣هـ) وغيره، وقد أن نسميهم تبركاً بذكرهم، وتنبيهاً على فضلهم، وسيأتي أيضاً في الشطر الثاني ذكر مناقب جماعة منهم، ان شاء الله تعالى، وهم فيما رويانا:

- الشيخ علي بن الهيبي.

- والشيخ بقا بن بطو.

- والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي.

- والشيخ مطر بن أخيه المقيم ببادراي.

- والشيخ الجليل ماجد الكردي المتقدم ذكره.

^١ - في الأصل: تاج الدين.

- والشيخ احمد البقلي.
- والشيخ عبد السميع القرشي.
- والشيخ رمضان المشهور بالمجنون لغلبة جذبته على حضوره، وهو المتقدم ذكره.
- والشيخ محمد المصري.
- والشيخ محمد الكامخاني.
- والشيخ محمود الكيال.
- والشيخ شرف الدين ابوالعباس.
- والشيخ على بن الاستاذ^(١).
- والشيخ ابوالبدر الهيدرجي.
- والشيخ رجب الواسطي.
- والشيخ ابوبكر البتي.
- والشيخ مقبل الخادم.
- والشيخ عسكر الشولي الشهير بالصرّاح لتتابع صرخاته في مجالس التذكير لقوة عشقه.
- والشيخ هبونا.
- والشيخ ابوالعز القلانسي.
- والشيخ محمد القلانسي.
- والشيخ محمد التركماني.
- والشيخ حميد الصوفي.
- والشيخ حسين الراعي.
- والشيخ علي بن الاصفر.
- والشيخ باولين

(١) هناك ابومحمد بن الأستاذ - القرن ٦ هـ / ١٢م - ، يقول ابن المستوفي عنه : عبد الله بن محمد بن يونس الحميدي، المعروف بابن الأستاذ. كُردي فقيه، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ. سَمِعَ أَبَا عَلِيٍّ بْنِ الْبِنَاءِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ «كِتَابَ بَيَانِ الْفِرْقِ الْمُبْتَدِعِينَ، وَأَنْقَسَامِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى الْإِسْنَتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ» مِنْ تَأْلِيفِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْبِنَاءِ. تاريخ أربيل، ص ٢٧١، ولعل هناك قرابة بينهما.

- والشيخ برحياه ^(١).
 - والشيخ سلمان البادرابي ^(٢).
 - والشيخ شهاب بن عقيل.
 - والشيخ محي الدين أبو العباس المندليجي.
 - والشيخ أبو بكر الزنهاران.
 - والشيخ فرج المقبور.
 - والشيخ عبد العزيز الفريضي.
 - والشيخ مقداد.
 - والشيخ عبد الرحمن بن جيش الدجيلي ^٣.
 - والشيخ علان.
 - والشيخ ابوالزین اللُرُّ ^(٤).
 - والشيخ عثمان الملاح المعبراني.
 - والشيخ يوسف البطائحي.
 - والشيخ الصارم.
 - والشيخ أبو سعيد القيلوي.
- روينا أن المشايخ كانوا يذكرون أن تحت علمه من مريديه سبعة عشر سلطاناً، وكأنهم يعنون بهم الواصلين إلى مقام الدلالة، فإن من وصل إلى ذلك المقام شُبّه بالسلطان، وشُبّه السالكون على يده بالجنود له، فكان الذين وصلوا إلى مقام الدلالة من مريديه في أيامه سبعة عشر شيخاً. قالوا وهم:
- الشيخ علي بن الهيتي المبدأ بذكره.
 - والشيخ بقا بن بطو.

^(١) كذا وهناك الشيخ حياة بن قيس الحراني من أصحاب الشيخ الكيلاني، مات ودفن بحران سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥م. قلائد الجواهر، ص ١١٥ - ١١٦.

^(٢) سلمان أو سليمان ولعله سليمان بن الشيخ ماجد الكردي الذي ذكره المؤلف.

^٣ سيذكره المؤلف فيما يأتي : أبو محمد عبد الرحمن بن جيش البغدادي.

^(٤) اللُرُّ : نسبة إلى اللُرُّ أو اللور وهي قبيلة من الكرد، يقول ياقوت الحموي : اللر بالضم وتشديد الراء وهو جيل من الأكراد في جبال بين أصبهان وخوزستان وتلك النواحي تعرف بهم فيقال بلاد اللر ويقال لها لرستان ويقال لها اللور أيضا. معجم البلدان ومن مشاهيرهم تقي الدين اللُرُّ (ت: ٦١١ هـ / ١٢١٤م).

- والشيخ ماجد الكردي.
 - والشيخ احمد البقلي.
 - والشيخ محمد التركماني.
 - والشيخ هبونا.
 - والشيخ أبو العز القلانسي.
 - والشيخ عبد السميع القرشي^١ (١٥٤).
 - والشيخ شرف الدين أبو العباس.
 - والشيخ رمضان المجنون، قال: وقيل إنه كان الغالب عليه الجذبة والاستغراق. قلنا: لا مانع أن يرشد حال الصحو، وقد كان أبو يزيد البسطامي - رضي الله عنه - يغيب سبعة أيام ودونها وفوقها، وقيل: أنه غاب سبع سنين في وقت، ولا شك أنه من أكابر المكلفين والمشايخ والمُرِّيِّين.
 - والشيخ حسين الراعي.
 - والشيخ عسكر الشولي الشهير بالصرّاخ.
 - والشيخ علي بن الأصفر.
 - والشيخ يوسف البطّاحي.
- قالوا فهؤلاء السبعة عشر سلطاناً^٢ يكونون أعظم من كل شيخ تحت علم السيد تاج العارفين يوم القيامة، وإنهم ليُحشرون على نُجُب من نور مُبرّقعين ببراقع من نور، والله تعالى أعلم. ومما روينا أنه يخرج بصحبته جماعة من صدور المشايخ أيضاً غير هؤلاء. وقد عنّ لي ذكر جماعة منهم تبركاً، فمنهم:
- الشيخ محمد الحرّاني.
 - والشيخ ابراهيم الأعزب.
 - والشيخ ابراهيم الحداد.
 - والشيخ ابراهيم اللك السمين.

^١ - ورد في الهامش ما يأتي " هذا الشيخ هو عبد السميع القرشي الصوفي المشهور بابن أبي الدنيا، وليس في الدنيا من يقال له بن أبي الدنيا غير أبي بكر وهذا، وهو بصري، وكان أبوه محتسب البصرة، وكان لإبي العز هذا شعر وكلام حسن رحمة الله عليه "

^٢ - ثمة تعليقة هنا نصها " ومن حيث أن المملكة السلطنة والولاية على السالك إلى الله تعالى على بده ".

- والشيخ ابراهيم اللك ايضا وهو صاحب الترجمة الآتية.
- والشيخ اقبال.
- والشيخ عبد المحمود البقال.
- والشيخ محمود الزكي.
- والشيخ مفلح الخادم.
- والشيخ عبد الشديد.
- والشيخ زكي.
- والشيخ قطب العارفين المدفون بالبصرة.
- والشيخ عبدل باوركان .
- والشيخ موسيان (موسى) بزوزان.
- والشيخ معتوق.
- والشيخ عتبة.
- والشيخ منصور الكميماتي.
- والشيخ جبرائيل التكنة.
- والشيخ صلاح الدين البلوي.
- والشيخ خليفة.
- والشيخ حميد الطويل^(١).
- والشيخ حميد الدباس.
- والشيخ بختيار^٢.
- والشيخ علي روستان.
- والشيخ أبو الحسن والد أبي الفرج ابن الجوزي.

^(١) الصحيح حمد الطويل وهو أبو القاسم حمد بن محمد بن أبي الفُتْح بن منصور الأصبهاني الصوفي القصَّاب الطويل (ت: ٥١٧ هـ / ١١٢٣م)، روى عن أبي طاهر أحمد بن محمود و عنه أبو موسى المدني وغيره. وتوفي في رجب. أما حميد الطويل فهو الحافظ حُميدُ بنُ تَبْرَوِيَه البَصْرِي المعروف بحميد الطويل (٦٨ - ١٤٣ هـ / ٧٨٦ - ٧٦٠م). تاريخ الإسلام، ٣/١١، ١١٤٩، ٢٧٢.

^٢ - هناك فقيه كردي يقيم ببغداد وكان حياً سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م وهو أبو الخَيْر بختيار بن نامدار بن جَعْفَر الكُرْدِي و حدث ببغداد بكتاب تَنْبِيَه الغافلين لأبي اللَّيْث السَّمْرَقَنْدِي عَن أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْأَشْنَهِي. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠/٥٤.

- والشيخ تميم.
- والشيخ غفرون بنهر الملك^١.
- والشيخ أبو الحجاج المصري^٢.
- والشيخ عبد العزيز البقلي.
- والشيخ جاكير الجندي^٣ المار ذكره في قصة القائم بامر الله.
- والشيخ أبو المكارم الخالصي^٤.
- والشيخ علي بن ادريس البعقوبي.
- والشيخ عمر الكراوي^٥.
- والشيخ محمد السكران^٦.
- والشيخ أبو الحديد.
- والشيخ غراب.
- والشيخ سلمان الكحال.
- والشيخ أموك السليمانبي.
- والشيخ الياس الكردي^(٧).
- والشيخ روح الزعفراني.
- والشيخ مكي الدهلكي.
- والشيخ علي الهاري^(٨).

^١ -نهر الملك كورة ومدينة عامرة كانت على الضفة نهر بهذا الاسم، عليها جسر من سفن يعبر عليه عند طريق الكوفة، وكان النهر يأخذ مياهه عند قرية الفلوجة على الفرات. ويصب في دجلة " أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ". ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٣٢٤.

^٢ - في الهامش " وقيل: الأقصري".

^٣ - كذا و هو جاكير الكردي ويرد ذكره مراراً في الكتاب :

^٤ - في الهامش " وهو النهر خالصي".

^٥ - لم يترجم له في الكتاب، ولعله ينسب إلى (گهپاو) قرية في لحف جبل قرب مصيف صلاح الدين الحالي، اشتهرت بمن خرج منها من العلماء، وفيها مرصد لبدایات الشهور الشمسية.

^٦ - سترجم له المؤلف فيما يلي من الكتاب.

^(٧) هناك اكثر من صوفي يحمل اسم بيرألياس في التراث الصوفي الكردي.

^(٨) كذا والراجح علي الهكاري وهو شيخ الاسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الأمويّ الهكاري (ت: ٤٨٦ هـ / ١٠٩٢ م) تفرّد بطاعة الله في الجبال، وابتنى أربطةً ومواضع يأوي إليها الفقراء

- والشيخ أمير يحيى ببلدة حلوان
- والشيخ علي الهويدي.
- والشيخ أبو مسلم المكي.
- والشيخ طرخان.
- واخو الشيخ مقداد المتقدم ذكره في الاربعين، وهما الشيخ مقدام والشيخ مقداد .
- والشيخ يونس.
- والشيخ عبد الله الصامت.
- والشيخ ریحان ^(١).
- والشيخ صفا.
- والشيخ لنكين ^(٢).
- والشيخ جامع.
- والشيخ أبو الغمام.
- والشيخ علي الجوسقي.
- والشيخ سليمان الرديني.
- والشيخ محمد الاسود.
- والشيخ محفوظ.
- والشيخ مصحف.
- والشيخ زيد بن عمر.
- والشيخ سلامة.
- والشيخ أبو طالب.
- والشيخ رضوان.
- والشيخ ثابت.

والمنقطعون إلى الله. وكان كثير العبادة، حسن الزهادة صافي النية، خالص الطوية، لطيفاً مقبولاً وقوراً. قدم بغداد، ونزل برباط الزورني. ورحل، وسمع بمصر ومكة والرملة. تاريخ الإسلام / ٥٦٥/١٠ هـ وقبره وتربيته بقرية ديرش بنواحي العمادية - محافظة دهوك.

^(١) هناك الشيخ الصالح المعمر أبو الخير ریحان بن تیکان بن مؤسک بن عليّ الكرديّ البغداديّ الحربيّ المقرئ الضريّر، ولد قبل سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وتوفي سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م، تاريخ الإسلام، ٤٦٩/١٣.

^(٢) ربما شيخ لنكر، وهناك قرية معروفة تدعى شيخ لنكر منسوبة إلى رجل من الصالحين.

- والشيخ عبد العزيز ايضاً.
- والشيخ محمود الجبلي.
- والشيخ احمد المزين.
- والشيخ تكين.
- والشخ شبيب.
- والشيخ برهان.
- والشيخ الترشيحي.
- والشيخ محمد بن بلغيصا(؟).
- والشيخ عبد المحسن.
- والشيخ عبد الرشيد.
- والشيخ عبد الواحد المقري.
- والشيخ احمد القرشي.
- والشيخ أبو نصر الكرمانى.
- والشيخ أبو الهاشم.
- والشيخ أبو الحسن.
- والشيخ عبد الصمد.
- والشيخ يعقوب.
- والشيخ عبد الصمد الواسطي ايضاً. قلت: والى هذا الواسطي تنتسب والدتي، وإلى أخيه الشيخ عبد الهادي ينتسب والذي حسب ماتشهد بذلك أنسابهما، نفع الله ببركته، وله مناقب جلييلة أفردتها بتصنيف فراجعه تعرف مقام هذا السيد الكبير. ولم يحضرني الآن من المتخرجين بالسيد تاج العارفين غير هؤلاء من المشهورين، وانهم لا يحصون كثرة كما رويانا.
- رجعُ. رويانا أن الشيخ محمد التركمانى أحد الخدام الأربعة، وكان قد وقف في تطور الأحوال مدة طويلة. وكان يقول للسيد يا سيدي إلى متى؟ فيقول: حتى لا تعرف إلى متى!، فلما كان في يوم بعد الإصفرار، وقف عن بُعد بين يدي الشيخ تاج العارفين، ودمعه يذرف، وقلبه يرجف، ففهم السيد حاله، فدعاه فقال: اذهب إلى عينا خاتون فكن الليلة ضيفها، وانو بذلك زيارتها، ثم آتني فلعل الله يبلغك.

قال الراوي: فنوى الشيخ محمد زيارة عينا خاتون هذه وتوجه إليها، فلما وصل إلى المغارة التي هي بها وجدها مشغولة في عبادة، فوقف حتى أعياه الوقوف، ثم أنها تنبته له فأفهمته تيقظها له، فسلم عليها فأجابته من مكانها، ثم أشارت إليه أن ادخل تلك المغارة الأخرى، فدخل إليها منفرداً وحيداً فتعمر قلبه وازداد (١٥٥)، فلما انتهى من صلاة العشاء أحضرت إلى باب المغارة التي هو بها قرصاً من شعير وقليل لبن، فقالت: كل هذا، وتوجهت إلى ما وقفت له ووضعت عنده ابريقاً مملوء ماء، فأكل من ذلك اللبن والخبز، وشرب من ذلك الماء ثم نام، فلما كان بعد مضي الثلثين من الليل وإقبال السحر، قام إلى ورده، وكان يقوم السحر، فطلب الإبريق ليتوضأ به فلم يجده، وإذا صوتها من مكانها يا من أعمى النوم قلبه خذ الإبريق من ورائك فإنه يطلبك كما تطلبه، فتناول الإبريق من ورائه، فأسبغ الوضوء وقام السحر على العادة، ولكنه حصل له كسر زائد للكلام عينا خاتون.

فلما أصبح صلى الصبح وقرأ أوراده، ثم ودعها وانصرف راجعاً إلى السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - فلما وصل إليه قال: أزرّت المرأة يا محمد؟ قال: نعم يا سيدي، قال: فماذا كان من أمرها؟ فقص له القصة، فتبسم السيد وقال: صدقت يا محمد فإنها وهي امرأة تقوم الليل كله، وأنت رجل يقوم بعضه، والإبريق عندك يطلبك ولا تراه، وهي محجوبة عنه بالصخور، وتراه بنور القلب. قال: فجدد الشيخ محمد عزمه، وجرّد همته، وقام الليل كله، حتى بلغ أمله، فالله دره من قدم اسعد من القدم، ويد بيضاء صار بها من كان داعي المعصية داعي الطاعات، ومن كان سبب البعد عن الله سبب القربات، فلا أخلانا الله من بركاتهم، ولا حرمننا مما حصلوا عليه من لذاتهم ودرجاتهم.

ومن ذلك ما قالوا: أن رجلاً من السادة الأولياء يسمى أبا نعيم الأمدي حكى أنه فقد حاله لاخلاله بشيء من أدب الطريق قال: فسعيت في طلب رده عليّ، وأكثرت التوسل بكل من ظننت فيه الولاية، و السؤال منهم عمن يتوسم ذلك على يديه، فكلما دُللت على أحد سعيت إليه، حتى مضت عليّ عشر سنين وانتهيت إلى جبل لبنان، فوجدت به رجلاً مهوباً عليه لوائح الولاية الكاملة، فسلمت عليه، وقصصت عليه قصتي، فتألم لي كثيراً وقال: والله يا أخي إني عاجز عن ردّ حالك، ولكنني أدلك على رجل الوقت فهو بذلك أجدر من كل احد. قال: فقلت له: واين رجل

الوقت؟ قال هو مقيم بمكة، زادها الله شرفاً وتعظيماً. قال: واين مكانه بمكة؟ قال: كل مكة (٥٥ب) مكانه، ولكن صَفَّ نَيْتِكَ وأقصد ربك بقلب خالص تجده، ويدلك عليه، فودعته وتوجهت نحو مكة أجوب الفيافي والقفار، وأصل الليل في السير بالنهار، وأبأشر أهوال الطريق، وانتحي عن عرب البوادي فريقاً بعد فريق، حتى أعانني الله تعالى ووصلت مكة المشرفة، فدخلت المَطَاف، وابتدرت إلى الطواف، فلما كنت في بعض طوافي وانتهيت إلى تحت الميزاب، إذ بَصَرْتُ بسبعة رجال، عليهم ملابس الأنوار، ووجوههم كالأقمار، أنوار ولايتهم لأظهر من الشمس، فأكملت الأسبوع.

ثم أتيت اليهم وترفق^١، فسألوني، فطرحتُ نفسي بين أيديهم، وتراميت عليهم بخضوع وترفق، فسألوني عن قصتي فقصصتها ودموعي تسبقني، وفي قلبي من لواعج الحرق ما يكاد يحقني، فرق لي أحدهم، وكل منهم مُشيرٌ إليه، وأنا متحقق انه القطب يُسمَّى، ألقاه الله في خَلْدِي، فتوجهت إلى الله تعالى، وشفته تُهمهم، ثم التفت الي فكانت كِسوة الله لي ما فقدت من الحال، مقرونة بنظرته في التفاتته تلك الي، فوجدتني كأن لم أكن فقدت شيئاً من حال فحمدت الله على ذلك، وشكرته، وأقبلت على وظائف عبادتي كما كانت عادتي، ثم حسن عندي الرجوع إلى محل إقامتي، والملازمة لطريقي في عبادتي، فأستأذنت من رَدَّ الله على يديه حالي، وهو القطب حقيقته، فأذن بذلك، فودعته للإنصراف، فلما صافحته وقبلت يده أمسك على يدي وقال: يا أبا نعيم! قلت: لبيك يا سيدي، قال: أبشر فإنك ستدرك من رَدَّ عليك حالك بتولي إلى الله به في رد حالك^٢، وتتكمل على يديه. فقلت: ومن هو يا سيدي؟ قال: هو قطب يبرز بعد ثلاثة أعوام ما برز من الاقطاب بعد، ولا يبرز مثله، يكون له شأن عظيم، يلبس ثوب الشهرة، ويخرج إلى الوجود، تُزف عروس مواهبه جهراً في الوجود من غير احتجاب، ولا يكون في شهرته متعوباً قط، تنقاد إليه الملوك والأكابر، وتضيق عن حصر مناقبه الدفاتر، تستخلص من آل زين العابدين، يلقب بين الرجال بتاج العارفين، وليّ عليك عهد الله أن تبلغه مني السلام، وتسأله أن لا ينساني إذا صرتُ إلى الحمام، فقلت: يا سيدي! وفي أي بلد تكون إقامته؟ قال:

^١ - كذا في الأصل، وربما كانت: بترفق.

^٢ - كذا هي العبارة في الأصل.

يُظهر بقوسان وبلادها من أرض العراق، قلت (١٥٦): يا سيدي قد بشرتني بإدراكه،
والتكامل على يده، قال: نعم! إن عليك داغاً^١، وستصير من أصحابه، قال: فعدتُ
إلى وطني فرحاً مسروراً بردٍ حالي، وبشارة القطب لي بالتكميل، وبملاقاة هذا السيد
الجليل، فلما كان بعد ثلاث سنين، دخلت العراق لأستدل عليه، فوجدت ذكر ظهوره
قد ملأ الكون والآفاق، وقيل: أنه قد قطع بولايته بالأدلة الواضحة دون اشفاق، وقد
قُيد الجمع به فردّيه الكون على الإطلاق، وقد أنشد فيه بعضٌ من أهل الإطلاع
ماتششف به الأسماع، ثم أنشد:

موحدٌ في البرايا منذ بعثته خلفه المصطفى من خير عترته

وداعي القلوب إلى محبوبها ولكم كان السبيل لوصل في دلاته

قلت: وهي قصيدة طويلة فتأتي أبيات منها إن شاء الله تعالى في بابها فيما
نُظم فيه رضي الله عنه.

قال: فقصدته، فلما دخلت عليه، ونظرت إلى وجهه، كساني مجرد نظري له
خلعة أنس ونور امتلاً بها قلبي، ورأيت الناس يدعونه ويسمونهم بذلك اللقب، يعني
تاج العارفين، فقدمتُ إليه، وقبِلتُ يده، فقال: رحم الله من رد عليك حالك على يديه،
وقلت: يا سيدي وكَمَلني بمن أقسم به لذلك، فقال: قد كان ذلك إن شاء الله تعالى!
فسألته الصُحبة فَمَنَحنيها، وأخذ عليَّ شرط التوبة، وكان لي دليلاً فيما قصدت،
وهادياً إذا ضللت، فكان ما بشرني به القطب بمكة والله الحمد والمِنَّه، ومنه يستمد
الثبات على الدين القويم.

ومن ذلك ما قالوا عن ماجد الكردي أنه قال: قلتُ في سِرِّي يوماً وأنا في خدمة
السيد: إلى كم ولا وصول؟ قال: فلم يستتم ذلك في خاطري حتى نظر وقال: يا ماجد
ارجع إلى عيالك قد ألمهم الجوع كما ألمك ولوع الخط من بلوغ المقامات العلية، فإذا
أتممت عمل مصالح عيالك فاحضر! ولم أقدر على خلافه، ولا على فراقه، فبقيت
متحيراً، ثم غلبَ عليَّ امتثال أمره ففعلت، وتوجهت إلى خان جار^(٢)، فوجدت

١- أي علامة.

(٢) كذا في الأصل، وخانيجار هي بليدة بين بغداد وإربل قرب دقوقاء واسمها عجمي كما يقر ياقوت، معجم
البلدان ٢/٢٤١، وتعني بالكرديّة القديمة عين التين لا عين القبر كما يظن.

العيال^(١) كما أخبرني السيد، فأقمت عندهم أياماً لعمل مصالحهم، ثم عزّ لي أن أهياً لهم ما يكفيهم أياماً واتفق لخدمة السيد، ويكون قلبي قد اطمأن من قبلهم، فقصدت بغداد، فأصلحت لهم ما يحتاجون إليه لمدة طويلة، وحملته على خمس بهائم ثم قصدتهم (٥٦ب) بذلك.

فلما خرجت من حدِّ بغداد، وجدت قوماً مُتبادرين بغداد، فسألتهم عن خبرهم فأخبروني أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - قد دخل بغداد في تلك الساعة، فتركت الدواب بأحمالها من غير أن اترك عنده أحداً. ولغلبة العشق لم أشعر هل كان معي دواب أم لا؟ فلما وصلت اليه، وأقبلت عليه، وشاهدت وجهه، فلا والله ما اجتمع الوالد بالولد، بل ولا بالروح الجسد، بأكثر مسرة من سروري برويته، فلما رأني تبسم، ثم قال: يا ماجد، من تركت عند دوابك وأحمالها؟ قلت: والله يا سيدي لم أشعر إذ ذاك بها حتى اترك،^(٢) وإن رؤية لمحة من وجهك أعز عندي من ذلك، ومن أعظم منه؟ وإن صحبتك عندي خير من الدنيا وما فيها.

قال: فدعاني دعوة، ثم أخذ بيدي، وأخذ الشيخ علي بن الهيتي بيده الأخرى، وأمر مطر بن أخيه أن يكون دليلنا إلى أضرحة السادات معروف الكرخي، والجنيد، والشبلي، واحمد بن حنبل، وسري السقطي، وبشر الحافي وغيرهم، ففعل، وتوجه السيد بنا ومطر يدلنا على الطريق، حتى أتينا إلى أول مزار منها، وهو ضريح السقطي، فنظر اليّ وقال: أتخال أن تكون على قدر صاحب هذا الضريح؟ قلت: نعم يا سيدي! وقد انطقك الله بذلك، ثم كان الختام بزيارة معروف الكرخي - رحمه الله - فكان من أمر السيد تاج العارفين أن قال ما يقدم ذكره في بابه.

ومن ذلك ما قالوا: إن الشيخ جاكير^(٣) وقف بين يدي السيد أسير القلب لعدم حصوله على مقام مع كبر وجد، فلاحظ السيد عنه ذلك، فقال: يا جاكير أتصل إلى مقام من عمل له، أو تبلغ إليه من شغل به أمله، إن ذلك لعسر إلا لمن عمل لمرضاة ربه، وانفرد قلبه بحب حبه، ففهم جاكير ذلك، فأعرض عن الشغلة بالمقام بالشغلة

(١) توفي ماجد الكردي سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م أو ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م، فمتى ولد وتزوج حتى يكون له في

حياة أبي الوفا الزوجة والعيال.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أراك

(٣) سبق التعريف به

بالمقيم، وتفرغ قلبه من سوى العزيز الحكيم، فكان ذلك سبباً لاتصاله بأعلى مقام وأعلى.

وعلم أيما أنفع له التوحيد الخالص أم من صام في عمره وصلى، فلم يره (١٥٧) ولي من الأولياء إلا ورأى على رأسه تاج الكرامة، وعلم سائر رجال الله مقامه. قال الراوي: ثم ورد على الشيخ جاكير المذكور رجلاً من الأولياء، فشهد تاج الكرامة على رأسه فقال: وصلت إلى هذا التاج بأي واسطة من المشايخ؟ فداخله العجب وورى ولم يقل بواسطة شيخ أبي الوفا، فسلب التاج المذكور لإخلاله بالأدب من وجهتين، إحداهما إتباع العجب الملقى في نار الهلكة، والثاني الإعراض عن شيخه بقلبه، فبادر إلى الأستاذ من وقته، فاستغفر باكياً كئيباً حزينا ذليلاً حقيراً حاسراً رأسه محفياً قدميه، فلما أقبل على الشيخ على حالته تلك قال له: جاكير، يعني ثبت^(١)، هكذا أخبرت أنه معنى هذه اللفظة الأعجمية والله أعلم.

قال: فتنبه جاكير لما قصده الأستاذ وتيقظ من غفلته، فقبله السيد ولم يؤاخذه، ثم أمره بلزوم شيء من الأعمال، فلزمه حتى عاد إلى مقامه، وأعيد له تاج الكرامة، فصار كلما لاح له دخان العجب شد عليه بالاعتراف بالسبب ظاهراً، وكان كثيراً ما يقول ممثلاً: لم تشكرني ما لم تشكر من أسديت^(٢) له على يديه، ومن ثم تم أمر جاكير وظهر، وصار له أتباع كثير. وله قبة معروفة، وضريحه بها يُزار^(٣)، وسيأتي ذكر شيء من أمره ومناقبه وكلامه إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما قالوا: أن الشيخ منجح بن السيد يعقوب بن السيد مطرب بن أخي السيد تاج العارفين - قدس الله أسرارهم - خرج من قوسان مرة، هارباً من خارجي خرج على أهلها يسومهم بذلك، وكان أهلها قد قصدوا رؤوس الجبال، فلم يدر مكانهم، فذهب في بعض الطرق منفرداً من غير أن يعرف طريقاً، ولا يرافق رفيقاً.

(١) جاكير: والصحيح في الاسم جايگر أو جايگیر كما ثبتته حمدالله مستوفى قزويني (ت: ٧٥٠ هـ / ١٢٤٩م) (تاريخ كزيده بالفارسية، ص ٦٧٧) ويعني حرفياً بالكردية والفارسية "أخذ مكانه" أو "ثبت في مكان من سبقه" أي خلفه وصار خليفة له كما نقله المؤلف.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) يقع هذا القبر في قرية الراذان قرب مدينة سامراء في العراق، كما ينسب لصاحبه قبر آخر في حلب، وعليه جامع. وللأستاذ ربيع حسن كوكبة كتاب في سيرته بعنوان (النبع الغزير في ترجمة الشيخ جاكير) طبع في سنة ٢٠١٢.

قال: فداخلتني حيرة، ولم أدرك كيف السبيل، ولا أجد وصولاً إلى دليل، فبينما أنا كذلك إذا بفارس ذي منظر مهوب، عليه نور وجلالة، فمد رأيته قصدته متأنساً به، فبادرني بالسلام، ثم قال: يا منجج، ارجع إلى أهلك ولا تخش عليهم، ولا على مالك وأهل بلادك من شيء، فقد تلقيت العدو أنا وإثنان معي من أصحابي، وهما مطر بن أخي جدك، وعلي الهييتي، فقهرهم الله تعالى على أيدينا، وردوا خائبين، فقلت: يا سيدي، أنت تاج العارفين حتى يكون مطر وعلي بن الهييتي صاحبك؟ (٥٧ب) قال: نعم! أنا هو، قلت: يا سيدي أذكر ذلك لقومي؟ قال: نعم! طهر بذلك قلوبهم. فرجعت إلى قوسان منبسط الأمل، وأشعت هذه البشرية، فأطمأنت قلوب الناس، وتراجعوا إلى بلدهم المذكور، وحقق الله ذلك بفضلته ومنته والله الحمد.

قالوا: وكان السيد منجج فاتراً في المجاهدة والعبادة، فمن ثم اشتد عزمه، وركت همته، وشمر ذيل الهمة العلية، حتى بلغ مبالغ أبيه ولوائح جده، وانفتحت له ابواب العناية، وتوطن مراتب الولايات، وصار من ذوي الأيدي والتصرفات، والأمكنة المكيئة في تهذيب ذوي الإرادات، والاطلاع الكلي في الحقائق والمنازلات، ونفع الله به خلقاً من عباده، وتم على يده أمر رجال، فمنهم رجل سمي الشيخ عمر المكي ببغداد، وأقامه خليفة عنه بها.

وكان الشيخ عمر هذا لا يعرف العلم ولا يعرفه أحد، ففتحت من ثم عليه من العلم والعمل أبواب كل خير وسعادة، وألبسه الله ثوب شهرة عكفت بها عليه الخلق، وسارت إليه الركببان، وانتفع المسلمون به نفعاً عظيماً، وبلغ الشيخ منججاً أمره بعد مدة طويلة، وعكوف الناس عليه، واشتغاله بهم، فكتب إليه رسالة يريد بها إيقاظه وتحذيره من الاغترار، وتخويفه سطوات المؤاخذة، وتوجه بالرسالة رجل من فقرائه، فأقام ببغداد مدة ثلاثة أشهر مجتهداً على إيصال الرسالة إليه من غير أن يكون في ازدحام، فلم يتيسر له ذلك، ولا وجد سبيلاً إلى إيصال الرسالة إليه من يده في مجموع هذه المدة، في خلق من الناس، فعاد إلى السيد منجج وأخبره الخبر، فخشى السيد منجج عليه المقت، فتوجه إلى الله في سلبه ثوب الشهرة فسلب ذلك، وكان لما وضع الفقير الرسالة بين يدي السيد منجج، قال منجج: ضعها على تلك الصفة، فوضعها، فلما سلب الشيخ عمر المكي ثوب شهرته سقط، فحضر يسعى حافياً

ماشياً من بغداد إلى قوسان، فلما وصل إلى بين يدي أستاذه المشار إليه تمرغ على قدميه، وتاب واستغفر الله تعالى، فردده السيد إلى بغداد.

قال الراوي: ولقد كان الشيخ المكي بعدها يمشي في شوارع بغداد منفرداً، ويسلم على الناس فلا يكاد بعضهم أن يرد سلامه. قال: ثم أن شيخه المشار إليه أذن باحضاره، فلما أحضر أمر الخادم أن يأذن له في التخلي بناحية من الزاوية بقوسان، واحتجب شيخه عنه ثلاثة أيام، فكاد يحترق حرصاً على الاجتماع به، فلا يُمكن من ذلك، ثم مُكّن بعد ثلاثة أيام، فلما دخل على شيخه قال له: أتضجر في ثلاثة أيام ولا يضجر قاصدنا ببابك في ثلاثة أشهر؟ فكملت هذه الكلمة قلبه، وأتت فيه، ولم يكن عرف ذاك قبلها. فلما أمر بالرجوع إلى الزاوية كما كان، سأل عن الخبر، فأخبره ذلك الفقير الذي كان قاصداً إليه بما اتفق، واستأذن السيد منجح في أن يريه الرسالة، فأذن له فجاء به الخادم إلى تلك الصفة، فأخذ الرسالة بيده، وقرأ ما فيها، فلما فهم معناها، ورأى تاريخها في تلك الأيام التي كان بها على ما كان، علم بأي سبب أخذت عنه خلعة الشهرة، فعاد إلى السيد مستغفراً ذليلاً أيباً منيباً تائباً، فأدخله الشيخ دائرة المجاهدة ثانياً حتى رد إلى مقامه الأول، ورجع إليه بعض شهرة تدل عليه الطالبين طريق الله تعالى. قلت: فليتأمل العاقل الفطن في مقام ولي الله السيد تاج العارفين، وترحمه لأصحابه وذريته بعد وفاته كما يرببهم في حياته، وما وصل إليه السيد منجح هذا بالكشف له عن روحه مرة واحدة كما مر، وما وصل من نشأ عن الشيخ منجح أيضاً وعن غيره من المنتمين إلى خرقته، ومن تكمل على يده، ومن أصل فيضه على يده، أو ببشارته، أو بإشارته، نفع الله بهم آمين.

قالوا: وكان السيد منجح هذا في مكان لا يُعرف فيه مختفياً، فحضر رجل من العصاة المفسودة عقائدهم، فمر عنه، فرفس رجله برجله، فخرج في رجل ذلك العاصي من وقته خُراج مؤلم فمات به، ثم ولد لذاك العاصي ولد، فخرج برجله خُراج في ذلك المكان الذي خرج لأبيه، ثم وُلد للولد ولداً أيضاً فخرج له كذلك. قال: فذكر ولد ذلك العاصي أمرهم لبعض الأولياء، وكان قد اطلع على حقيقة الحال، فأخبره أن زوال ذلك يكون على يد من كان الأمر بسببه، فتوجه المذكور إلى السيد مُنجح، فترامى عليه، وقال: يا سيدي أنؤخذ بذنوب آبائنا؟ يا سيدي، قد جُوزي الوالد على

هَفَوْتِه، ونسألك الصفح، وأن تدعو لنا بالعافية من هذه البليّة، فقال السيد منجج: إن الأمر إنما هو بيد الله تعالى، ولكن سادعو الله لك بعد الإذن، فقام في تلك الليلة فرأى السيد تاج العارفين في المنام، فذكر له ذلك، فتلا السيد أبو الوفا قوله تعالى ﴿وَإِخْشَاؤُا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾^(١) ففهم السيد منجج الإشارة، فقام من النوم وتوجّه إلى الله تعالى حتى عوفي الرجل وولده. قال: وكان السيد منجج يقول إنا قومٌ ما عادانا أهل بيت إلا خرب، ولا ينبج علينا كلب إلا جَرَب، ومن شك في ذلك فليُجَرَّب، فليجرب، فليجرب!

قالوا: وترنّمت امرأة من محبي الشيخ أبي الذين بزین به،^(٢) وبزین هذا هو من ذرية الشيخ بزین الكبير^(٣) الذي هو من جماعة السيد أبي الوفا تاج العارفين - قدس الله سره - وكان ترنمها بذكره لكونه دليلها إلى الله تعالى، مع افتقارها في ضميرها عليه، وعدم تعلقها بأشياخه وسلفهم، فأراد الله أن يظهر لها المعرفة بأصل المدد، ويُفهمها ذلك، فأسمع الله منجج كلامها هذا وترنمها، وكان ما رأى من تحت بينها^(٤)، فنظر إلى جهتها وقال: أيها المرأة إن كنت تحبين أن ترين الشيخ بزین فابرزني لترية في هذه الساعة، وأدلي عليه جلبابك، قال: ففعلت ذلك، وخرجت إلى السيد منجج كما أمرها، ووقف الشيخ منجج ونادى: يا بزین ثلاثاً، فأجابه عند الثالثة، وحضر في الحال، فقال له السيد منجج: لم أحوجتني إلى ثلاثة أصوات؟ قال: يا سيدي، كنت في الجلسة الاخيرة من الصلاة فلم أسلم إلا مع سمع صوتك الثاني، ثم توجهت اليك، وأجبت نذاك الصوت الثالث. قال الراوي: وكان بين المسافتين عشرة أيام.

والشيخ بزین هذا هو أيضاً ممن أخذ عن السيد منجج المشار اليه.

^(١) سورة لقمان، الآية (٣٣).

^(٢) - هكذا هي في الأصل، وفي العبارة اضطراب.

^(٣) ينسب إلى الشيخ بزین هذا قبيلة كردية كبيرة تدعى شيخ بزیني ضمت فيما يبدو اتباعه وأشياخه، وتستقر في قرى كثيرة على الضفة اليسرى لنهر الزاب الصغير - الاسفل تتبع ناحيتي شوان و التون كوبري - محافظة كركوك و في قرى أخرى متناثرة بمحافظة اربيل و شيخ بزیني أيضاً من بطون القبيلة البختية - البوتانية كما في الشرفنامه للبديسي، ويقول بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) : (بزین بالموحدة والتصغير قبيلة من الاكراد)، شذرات الذهب، ٨ / ٣٣١.

^(٤) كذا في الأصل.

قلت: وفي هذه الحكاية فوائد، منها أن من جماعة السيد تاج العارفين - قدس الله سره - رجل يسمى الشيخ بزین ولم يكن ذُكر في هذا الكتاب، ولا أصوله. ومنها أن السيد منجج تأهل بتخرجه للتسليك جماعة، ومنها أنه ينبغي للشيخ أن لا يسمح بكشف الأسرار إلا لمن علم منه الصدق في المحبة، وأنه يظهر ذلك في الامتحان، فلذلك أمره حين أراد اختبار صدق محبتها بالخروج من بيتها مستتره كما مر، فمُذ خرجت وعلم منها صدق المحبة جلا عليها (١٥٩) عروس الأسرار من وجهين، أحدهما اطلاعها على حضور شيخها بزین من المسافة البعيدة في لحظة، وكان بينهما عشرة أيام، الثاني اطلاعها على مادة شيخها وإن أصل مشربته منه ومن سلفه، لترتقي من عالٍ إلى أعلى، فيكون انتهائه منه إلى المادة العليا سبباً للتلقي من المادة الأولى والمرشد إلى الحق فتأمله.

قالوا: وكان قد وليَّ عليَّ بغداد في زمن السيد منجج هذا رجل منافق يسمى قازان^١، قالوا فبينما هو ذات يوم في منامه اذ رأى السيد الكبير تاج العارفين أبو الوفا - قدس الله سره - وهو يقول: يا عدو الله وعدو المسلمين، إسلم وإلا قتلتك! قالوا فاستيقظ قازان مرعوباً لئن القلب للإسلام^(٧)، فأحب زيارة ضريح السيد المشار

^١ - هو السلطان غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو، السلطان السابع في الدولة المغولية الإيلخانية في إيران والعراق، حكم من سنة ٦٩٤ وحتى وفاته سنة ٧٠٣ هـ (١٢٩٤ - ١٣٠٣ م) تولى العرش بعد صراع مسلح مع أخيه بايدو انتهى بهزيمة الأخير وختله، ووصف المؤلف له بالنفاق مبني على أساس أن اعتناقه إياه في ٤ شعبان سنة ٦٩٤ لم يغير من عاداته الوثنية، وإيمانيه بالديانة الشامانية الوثنية السائدة لدى المغول، بل تشجيعه إياها، كما لم يغير من توجهاته السياسية وحرابه المعادية لدولة المماليك في بلاد الشام وغيرها، ومحاولاته التحالف مع القوى الصليبية لهذا الغرض. ينظر المقرئ في السلوك إلى معرفة دول الملوك ٢/ ٣٧٤، حسين الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي (بيروت: ٢٠٠٨)، ٢/ ٣٠٣.

^(٧) هناك أجماع في الروايات على أن الخان المغولي غازان، أسلم سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م على يد الشيخ صدر الدين أبو المجمع إبراهيم بن محمد بن المؤيد أبي بكر بن حمويه الجويني (٦٤٤ - ٧٢٢ هـ / ١٢٤٦ - ١٣٢٢ م)، يقول الذهبي: وفيها - سنة ٦٩٤ هـ - دخل في الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار بوساطة نوروز التركي وزيره ومدبر مملكته وزوج عمته واسمه بالعربي محمود. أسلم في شعبان بخراسان على يد الشيخ الكبير المحدث صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين بن حمويه الجويني. وذلك بقرب الري بعد خروجه من الحمام وجلس مجلساً عاماً فتلفظ بشهادة الحق وهو يتبسم ووجهه يستنير ويتهلل. وكان شاباً، أشقر، مليحاً، له إذ ذاك بضعة وعشرون سنة. وضج المسلمون حوله عندما أسلم ضجة عظيمة من المغل والعجم وغيرهم ونثر على الخلق الذهب

اليه، وكان السيد منجج إذ ذاك صاحب السجادة والمتكلم في ضريح السيد تاج العارفين وأوقفه، وكان أخوه السيد بدران وهو المدفون بفيض وادي غزالة العارف المسلك المشهور، قد توفي إلى رحمة الله تعالى وترك ولده السيد يوسف صغيراً لم يبلغ الحلم، وقيل: أن السيد يوسف توفي في حياة أبيه رجلاً، وترك ولده صغيراً فرباه جده بدران هذا، وعنه مات والله أعلم.^(١)

وقيل أن السيد يوسف توفي في حياة أبيه رجلاً، وترك ولده بدرأ فرباه جده السيد بدران هذا، وعنه مات والله أعلم.

قالوا: فلما أقبل قازان المذكور على القبة قال في نفسه: لو يلقاني السيد منجج صاحب السجادة إلى ظاهر باب الحوش فلا اعتبار بالمنام، وأعلم أنه أضغاث أحلام، ومن وساوس الشيطان، فأن جده قد جافاني، فيكون هو قد خالفه إن صافاني، وأعلم بذلك أنه خيالٌ فاسد.

قالوا: فرأى السيد منجج السيد تاج العارفين - قدس الله سره - في منامه، فأخبر بكل ما فيه قازان وحده عند لقيه^٢، فلما قدم إلى باب الحوش تلقاه بعض الفقهاء، ودخل فلم يَقم له السيد منجج، ولم يعتن به، فقال يا شيخ، إن الملك له حق، فقال السيد منجج: نعم لكل مسلم علينا حق، ولكل ملك من ملوك المسلمين، وإن آل البيت لا يبيعون الدر في غير سوقه، ولا يكون في الإسلام من يضيع حقوقه، ولولا ما توجهت إليه بنيتك، وقام من التردد بمخيلتك، مما أخبرني به من كان السبب في زيارتك، لقمنا بواجب حَقك لمعرفةنا بصدقك، وقد قال جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات. فلو كانت نيتك حسنة لقبولت بإحسان والسلام. قالوا: فبكى قازان المذكور (١٥٩)، وخضع للسيد منجج المشار إليه، ثم فهم السيد منجج منه الجزم في التوبة والإسلام، فأمر بإخلاء المجلس واحضار قاضٍ،

واللؤلؤ. وكان يوماً مشهوداً. وفسى الإسلام في جيشه بحرص نوروز فإنه كان مسلماً خيراً صحيح الإسلام، يحفظ كثيراً من القرآن والرقائق والأذكار. ثم شرع نوروز يلقي الملك غازان شيئاً من القرآن ويجتهد عليه. ودخل رمضان فصامه ولولا هذا القدر الذي حصل له من الإسلام والا كان قد استباح الشَّام لما غلب عليه، فله الحمد والمِنَّة. تاريخ الأسلام، ٦٩٠/١٥.

^(١) كذا في الأصل والصحيح بدران .

^٢ كذا في الأصل.

ثم خلا هو وقازان والقاضي، فأسلم قازان وحكم القاضي بإسلامه، ثم أخذ عن السيد منجح عهد التوبة وحسن حاله بعدها.

وفي ذلك اليوم مدَّ السيد منجح لقازان، ومن معه من العسكر، سماطاً بقبة السيد تاج العارفين - قدس الله سره - فوضع لهم طبقاً واحداً فيه هريس من عجوة، وهو ما يُهرس بالسمن، ومعه خبز قليل، وأمر بجند قازان فدخلوا أفواجاً وفرقاً، فكانت كل فرقة تدخل من باب فتأكل حتى تنتهي شعباً، والهريس بحاله، ثم توارد الفقراء والخدام والزوّار كذلك، والهريس بحاله، حتى أمر السيد بنهب الهريس المذكور ففعلوا، فلم يبق منه شيء. فقال قازان: أما والله إن جزاء من يكفي الكثير بالقليل لا ينفد أبداً.

ومن ذلك ما قالوا أن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي - قدس الله روحهما - أخبر أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - أحب أن يختبر السلاطين السبعة عشر من أصحابه تهنئياً وإيقاظاً وتنبيهاً على حقارة مقاماتهم بالنسبة إلى من فوقهم، فجمعهم يوماً في خلوة، بحيث لا يطلع عليهم الأغيار والأجانب صوتاً للسر الشريف، ثم حمد الله واثنى عليه، وقال: أيها الجماعة، من وصل منكم إلى مقام فليعرضه عليّ، حافظاً قلبه غير مغتر ولا معتز بذلك. ثم نظر إلى الشيخ علي بن الهيّتي - أعاد الله علينا من بركاته - فقال: قل أنت أولاً، فوقف بين يدي السيد - قدس الله سره - فقال: إن الله تعالى، وله الحمد والمنه، قد منَّ عليّ - بمددك وتربيتك - إلى الاطلاع على ما في الكون، حتى أنني لأسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصّماء لو من وراء جبل قاف. فقال السيد: يا أبا الحسن، إن منازل الرجال أعلى من هذا، وإن منازل القرب أعلى من ذلك، فجد واجتهد لتتل أعلى من ذلك، فقال والدي الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي رضي الله عنه: يا سيدي، إن الله تعالى وله الحمد قد جاد عليّ بفيض مددك، ونور تربيتك، أن أطلعني على كثير من المخلوقات حتى اني لأرى الأسماك في قعر البحر، وأعرف مثواها بالدجلة، ومرعاها من تكريت إلى البصرة، فقال له السيد: يا عبد الرحمن! إن مقام أهل الخصوص فوق (١٦٠) ذلك، والقصد وراء ذلك، فجد ودع الكسل والتواني، فقام أبو الغوث مطر بن أخي السيد فقال، رضي الله عنه: يا سيدي إن الله تعالى - وله الحمد - قد وهبني من فضله بمددك، وحسن عنايتك، ونور بركتك، ما أطلعني

على الأشياء الخفية، حتى إنني لأعلم وكور الطير جميعها وأنسابها ومراعيها ومثواها، فقال له السيد: يا مطر، المطلب وراء ذلك، فجد تجد الأعلى من المراتب. فقام بعده الشيخ أحمد البقلي رحمة الله تعالى عليه فقال: يا سيدي إن الله تعالى - وله الحمد - قد وهبني بمددك ومدد عنايتك، وأنفاسك وتنورك، أن اطلعني على السُّحب كلها، فأعلم إذا طلعت أين مصبها، وأعلم أي عشب ينبت على مائها، فقال له السيد: يا أحمد إن مراتب الرجال أعلى من ذلك، والقصد وراءه، فجد بالكّد والجد، تجد أعلى من ذلك، فقام الشيخ محمد التركماني فقال: يا سيدي، إن الله تعالى - وله الحمد والمنة - أمدني بعنايتك، وأفاض عليّ من نورك، فنظرت ما فوق السموات السبع من عالم الملكوت، وما تحت الأرضين السبع، وما في عالم الملك بمجموعه، فقال له السيد: يا محمد منازل الرجال أعلا من ذلك، فعليك بالجد والكّد تنل اعلا من ذلك، فالقصد وراء ذلك، فقام الشيخ هبونا فقال: يا سيدي، أن الله تعالى له المنّة قد منّ عليّ بفيض بركاتك، ومدد عنايته بك، أن أطلعني الله على بقر سائر العراقيين وأنسابها كذا وجواميسها، فاعلم ما تحلب كل واحدة منها، وما فيه رزقها واحدة واحدة من أعشاب العراقيين.

فقال له السيد: يا هبونا، هم الرجال لا ترضى بالوقوف عند ذلك وأمثاله، وإن مراتبهم أعلا من ذلك، فالقصد من وراء ذلك، فقام الشيخ أبو العز القلانسي فقال: يا سيدي، إن الله تعالى، وله الحمد والمنّة، قد أمدني بعنايتك، فقرأ عليّ من الجن أرواح كثيرة لا تحصى، وأن فيمن قرأ عليّ منهم من اسمه محمد واحمد ما يزيد على أربع مائة روح دون باقي الأسماء، وقد ختم عليّ منهم القرآن جمع كثير، فقال السيد: يا أبا العز، مراتب الرجال اعلا من ذلك، وأتم القصد وراء ذلك، فعليك بالجد والكّد تنل أعلى من ذلك. فقام (٦٠ب) الشيخ عبد السميع القرشي فقال: يا سيدي، ان الله تعالى - وله الحمد والمنّة - أنعم عليّ بفضله بمدد عنايتك وبركاتك أن أطاع لي سائر الوحوش وكل السباع بسائر الدجال، فقال السيد: يا عبد السميع جدد عزماً في العبادة تجد أعلى من ذلك، والقصد وراء ذلك، فقام الشيخ شرف الدين أبو العباس فقال: يا سيدي، إن الله تعالى - وله الحمد والمنّة - قد وهبني بمدد عنايتك ونورك أن أطلعني على الصقور كلها، فأعرف أين مثواها، ومن أين تصيد،

^١ - جمع دحلة وهي الغيل الذي تعيش فيه الأسود.

وأعرف كل طائر ووحش يُصَادُ بها، فقال له السيد: يا شرف الدين بالكد والجد وعلو الهمة ترقى إلى أعلى من ذلك، فإن منازل الرجال أعلا، والقصد وراء ذلك. فقام الشيخ رمضان المجنون فقال: يا سيدي، إن الله تعالى - وله الحمد والمِنَّة - أنعم عليَّ بمددك وفيض بركاتك وبركة صُحبتك، أن أطلعني حتى على الغزلان في الصحارى بالعراق، فأعلم أين مثاها، وفي أي بقعة ترعى، فقال السيد: يا رمضان، منازل المُقربين أعلا، فاجتهد وجد تجد، والقصد من وراء ذلك، فقام الشيخ حسين الراعي فقال: يا سيدي، إن الله تعالى - وله الحمد والمِنَّة - قد أطلعني، ببركتك ومددك وفيض نورك، على سائر أغنام العراق، فأعرف ما تضع الأغنام كلها من ذكر أو انثى أو زوج أو فرد، وأعلم ما فيها من نصيب البشر، وما فيها من نصيب السباع والوحوش، فقال السيد: يا حسين منازل العارفين أعلا وأجل، فشمر عن باع اجتهادك بالجد تجد، والقصد الأعظم وراء ذلك.

فقام الشيخ عسكر الصرّاح، فقال: يا سيدي، إن الله تعالى، وله الحمد، تفضّل عليّ ببركة تربيتك وفيض نورك، بأن أسمعني تسبيح الأملاك في الأفلاك إذا سبّحوا أو هلّلوا في كل يوم خمس مرات، وإذا رأني أحد منهم أجلني وأكرمني ووقرنني، فقال السيد: يا عسكر، منازل أهل الخصوصية أعلا وأتم من ذلك، فشمر عن باعك، وجاهد تشاهد، والقصد من وراء ذلك.

فقام الشيخ علي بن الأستاذ فقال: يا سيدي، إن الله تعالى، وله الحمد والمِنَّة، تفضل عليّ ووهبني بمددك (و) فيضك واحسانك وقوة تصرفك وعزمك، بأن أقدرني على جذب الرجل إلى حضرتك بيدي، وإن كان وراء جبل قاف، فقال له السيد: يا علي، منازل الرجال أهل الدنو أعلا وأجل من ذلك، فشمر عن باع جدك، باذلاً جميع جهدك، تجد ما هو أكمل، والقصد الجليل وراء ذلك، فقام الشيخ علي بن الأصفر فقال: يا سيدي، إن الله تعالى، وله الحمد والمنن، قد أسمعني ببركة مددك واجابة دعائك ووساطة هديك، خطاب سائر النباتات والأشجار وتسبيحها على اختلاف لغاتها، فقال يا بن الأصفر، منازل الأبطال أعلا وأكمل من ذلك، والقصد الأعظم وراء ذلك، فقام يوسف البطّاحي فقال: يا سيدي، إن الله تعالى، وله الحمد والمنن، قد أعطاني بفضلته، وعظيم مددك وعنايتك، أن أسمعني تسبيح سائر حيتان البحار، وخير مشي الحيتان وسباحتها، فقال السيد: يا يوسف، منازل أهل الخصوص فوق

ذلك، فبادر إلى الطلب الجد تجد أعلا وأتم من ذلك، والقصد الأعظم وراء ذلك كله، فقام الشيخ بقا بن بطو فقال: يا سيدي، إن الله تعالى، وله الحمد والمنة، قد أنعم عليّ بفيض مددك وتخريجك لي وعالي هممك، أن أسمعني خطاب الحيوانات والنباتات والجمادات كلها، وتسبيحها، فقال له الأستاذ: يا بقا، جد وجاهد تشاهد، والقصد وراء ذلك كله، فإن منازل الخواص فوق ذلك.

قلت، وإنما ذكر السيد ذلك تربية وتهذيباً لئلا يعجب أحد منهم بذلك، فيسقط ويُسلب، ويقف فلا يتعدى، والله أعلم.

فقام الشيخ ماجد الكردي فقال: يا سيدي إن الله تعالى، وله الحمد، قد أعطاني بمدد بركتك ونور صحبتك وتربيتك، أن أسمعني تسبيح الأملاك في الأفلاك، وخطاب الحيوانات والجماعات، والإطلاع على بعض ما يحدث من النسل في بطون الأمهات، فقال السيد: يا ماجد، جد واجتهد تبلغ اعلا من ذلك، والقصد وراء ذلك، فقال الشيخ علي بن الهيتي للسيد تاج العارفين، قدس الله سره: يا سيدي، إن الله تعالى قد أعطاك جزيلًا، واناك فضلًا جليلاً، فقال له السيد، يا علي، ما الذي أطلعت عليه مني؟ قال: رأيتك تفرش السجاد على الهواء، وتصلي فتسجد كما تسجد على الأرض (٦١ب)، يا علي إن الخفاش يطير في الهواء، مع ضعفه، فإن كنت رأيت منزلتي عظيمة بذلك فهي منزلة الخفاش، وليست من منازل الأبطال، فقال: يا سيدي، رأيناك تمر على ماء البحار ولم تبتل أقدامك، فقال يا علي، إن طيور الماء تسير على الماء ولا يؤثر في ريشها بللا، وليست هذه منازل الأبطال، فقال: يا سيدي، رأيناك مرارا تصلي الصلوات الخمس بمكة المشرفة ثم تعود وتصلي بالعراق، فقال السيد: يا علي، إن هذه الخاصية بترك مكة بكرة النهار وتصل بغداد قبل الضحى، وهذه منزلة حمامة، وليست من منازل الأبطال، ومنازل الأبطال أعلى من ذلك، فقال: يا سيدي، قد رأيناك مرارا تُخبرنا بما يتفق بمصر وأقصى المغرب ودواخل الهند وأطراف الأرض، ونحن في العراق، فقال: يا ولدي، إن الشمس تطلع في كل يوم من المشرق، وتغيب من المغرب بإذن الله تعالى، وهذه منزلة الشمس ومنازل المقربين أعلا من ذلك، فقال الشيخ علي: فما منازل أهل القرب؟ قال: القدرة للقوي في حالة أن يحمل الولي بإذن الله تعالى إذا أراد السماوات وما فيها على كاهل أهل الأرضين كخلخال عنده، وينظر خلفه كما ينظر أمامه، وترتفع الحُجُب بينه وبين مولاه، فهذه منزلة المُقَرَّب.

ومن ذلك فيما أخبرنا به، أن هلال رمضان التبس وغمَّ بالسحاب على الناس، فأصبح كثير من أهل بغداد مُفطراً، ثم ورد عليهم من أخبرهم أن السيد تاج العارفين - قدس الله سره - صائم، فأرسل إليه فأخبر أن ذلك اليوم من رمضان، فلما رجع الجواب، صادف وروده ورود ثبوت الشهر بناحية من نواحي بغداد، فقال بعض الناس: من أين للشيخ هذا العلم ما لم يكن رأى ذلك؟ فرأى القائل السيد في منامه، فقال: يا هذا إن علمي بهذا وغيره من هذا، فنظرت مع إشارته فشاهدت اللوح المحفوظ! .

ومن ذلك ما قالوا: أن الشيخ أحمد المدني - رحمه الله تعالى - كان يوماً يُسبغ الوضوء والهواء قوي عليه، فتوسل بالسيد تاج العارفين - قدس الله تعالى روحه - في سُكون الهواء، فأسكنه الله عنه في الوقت.

قال المدني: فلما أكملت الوضوء رفعت رأسي نحو السماء، فوجدت رجلاً واقفاً في الهواء ينظر إليّ، فلما وقع بصري عليه سلم عليّ، فرددت عليه السلام، ثم قلت له: أقسمت عليك بالله ما الذي أنالك هذه المرتبة، ورفعك إلى هذه المنزلة؟ قال: لقد أقسمت عليّ بعظيم، فلولا أن ربي أراد إطلاعك على حقيقة أمري، لما أطلعك على حالي، ولكن اعلم أنني لم أبلغ هذه المرتبة إلا بتوسلي بمن هو وسيلتك في إسكان الريح عنك، فقلت: ناشدتك الله كيف صورة ما وقع؟ قال: كنت ليلة عيد أتعبد منفرداً في مكان لا يطلع عليّ فيه إلا الله تعالى، قال: فبيناً أنا كذلك، إذ سمعتُ صوت شخص يقول: اللهم بحق السيد أبي الوفا عندك، وقربه منك، ثلثتني على الهواء، فنظرت حولي فلم أجد أحداً، فرفعتُ رأسي فوجدته يسجد على الهواء، كما يسجد أحدنا على الأرض، فعند ذلك غارت هممتي، فتوجهتُ إلى الله تعالى، وقلت يا خلاص ما قال، فقلت: بفضل الله ما نال، فأول أمري في حصول ذلك أن كنت في السُّجود متذللاً بين يدي العزيز، فإعزني، ومتواضعاً خاضعاً، فأرفعني، فرأيت نفسي في تلك السجدة ساجداً على الهواء، فلم يؤثر ذلك عندي شيئاً، فأبقى الله عل هذا المقام. وإني لا أدع التوسل إلى الله بالسيد تاج العارفين وأسلافه الكرام في بلوغ كمال المرام، وإني لمنتظر ذلك من فضل الله تعالى، فقلت له وهل يعرف ذلك الإنسان من مُريدي السيد تاج العارفين مثل هذا، ثم أنشد:

أيمكن حصر موج البحر كلا
 ولا عدد الرمال لم يعد
 وكم من مثلنا في الأنس للحق هدي به كالجن هم للحق يهدوا
 فقلت: أو في الجن أيضاً مريدون لأبي الوفاء؟ قال: نعم! فسمعت صوت
 جماعة من غير أن أراهم يقولون: صدقت يا أبا النور! فكاد عقلي أن يطير، فعلمت
 أنهم جن، فاستعنت بسر سيدي حتى ثبتني الله تعالى، ولم أبال بأصواتهم، ثم
 نظرت إلى الأرض متفكراً في صنع الله تعالى، فلم أرَ أبا النور بعدها.
 قلت: قد أفادت هذه الحكاية أموراً، منها: أن جماعة السيد الذين وصلوا
 بالقدوة به إلى المراتب العلية شخص يسمى ابا النور ولم يكن ممن ذكر في هذا الكتاب
 فيما مر، ولا اصوله. الثاني: إن العز والرفعة مقترنان بالذات والتواضع كما اقتضته
 الحكاية. الثالث: وهو كذلك، إن في الجن من المؤمنين من أخذ الطريق عن السيد تاج
 العارفين، وإثبات دعوى من يدعي ذلك من العلماء الصادقين لنفسه، ومن يدعي له
 من الأولياء والصالحين والله اعلم.

ومن ذلك: ما قالوا حج الشيخ العارف العلامة أبو الحسن علي بن إدريس
 البعقوبي، بالموحدة التحتانية، بعدها عين ساكنة، كذا سمعته من لفظ مشايخنا،
 نسبة إلى بعقوبا من أراضي العراق. وكان عالماً بارعاً صالحاً جليل المقدار، كما
 سيأتي في الخاتمة ان شاء الله تعالى، تخرج به جماعة من صدور المشايخ وأهل
 العلم، منهم الشيخ أبو زكريا يحيى الصرصري، ومدحه كثيراً وغيره من الأكابر، قال
 ابن إدريس: فكنت يوماً أطوف، وإذا برجل يسأل عن الوفد العراقي، فسألني
 فاخبرته إنني من العراقيين، فقال: يا أخي، قد أثلجت صدري، فهل صحبكم في
 وفدكم أحد من أصحاب السيد تاج العارفين؟ قلت: لا أعلم في الوفد منهم غيري،
 قال: أأله، قلت: نعم! إنني من أصغر اصحاب بن الهيثمي من أصحابه، فقبض على
 يدي بيده، وبكى طويلاً، ثم قبّل يدي وقال: والله لقد شممت فيك رائحة السيد تاج
 العارفين، ورأيت أنواره تعلقك، فبالله عليك ألا ما أنستني في هذا النهار بذكره، ثم
 أنشد يقول:

انتشى فؤادي في بعد بذكرهم
 كي يشتهي القلب إن لم ترفع الحُجُب
 فذكرهم كزلال ماء في ظمأ أكيد
 وهو الشفا لقلب شفه الوَصَب

١ - كذا في الأصل.

لاسيميا ذكر تاج العارفين أبي الوفا ومن كشفت في حبه الكُربُ
ثم أرق في ذكر اسلاف لحوائج عند الحبيب مطايا شفها النَّصب
محمد جده الأعلى معلمنا طرق النجاة ومن دانت له الرُتب
عليه والآل صلى الله ثم على أبي الوفا، إلهي، ما هَمَّتْ سُحُبِ

قال: ثم أجبت إلى قصده، وجلست معه برهة (١٦٣) نتذاكر شيئاً من مناقب السيد تاج العارفين، فإذا هو أحفظ مني لمناقبه، ثم أخذ يسألني أن أهبه زورة من زوراتي للسيد تاج العارفين بحجة وعمرة، فأبيت فزادني، فأبيت ثم زادني، فأبيت، حتى بلغ أربعين حجة، فأبيت، ثم قلت: يا أخي، وكم حجة حجبت حتى تهبني أربعين؟ فقال: نيفاً وأربعين حجة، فقلت: ومن أي البلاد انت؟ قال: من بلاد الغرب، فقلت: هل رأيت السيد قط؟ قال: بعيني لا بل بقلبي. قلت له: فما سبب ماذكرت؟ قال: مكثت في سفينة في البحر فرأيت حوتاً ضارياً يطلب سمكة صغيرة ليأكلها وهي تستغيث إليه، وتقول: بحق تاج العارفين أبي الوفا القوساني، ألا ماتركتني؟ قال: فرأيتته قد ولى عنها كما يولي ممن يخافه، فعلمت علو شأن السيد، ولم أسأل عنه رجال الغيب وغيرهم حتى تحققت رتبته، وعرف الله بيني وبينه، ولكنني مُقَيَّدٌ عن زيارته، وظننت اذ ظفرت بك أن أحصل على مرادي على يدك، فأبيت عليّ وأنت حقيق بذلك.

ثم ودعته وانصرفت، فمئذ دخلت على سيدي الشيخ أبي الحسن، يعني علي بن الهيثمي، عين أصحاب السيد تاج العارفين رضي الله عنه، بدا لي - بعد سلامي عليه - بأن قال: أخبرني بما كان بينك وبين المغربي بمكة، فقصصت قصتي بطولها، فقال أستاذي: والله يا علي لو لم تفعل ذلك لنودي عليك بين القوم من خص في شخصه يا بعقوبي، إنما هو ابتلاء واختبار لصدق محبتك في أستاذك وأستاذنا، ليعلم بذلك صدق محبتك في الله من كذبها، فإن الاستاذ هو السبب الموصول إلى الله، وهو دار الوصال، وموطن اللقاء، وسبب النجاة، ودليل النقاء، فلو أحببت سؤاله أسقطت أجور زيارتك، ولم تحصل على شيء مما أجبت لاجله. يا بعقوبي! من لم ير تعظيم شيخه على كل أهل الزمان لم يبلغ شيئاً من الأمان، فإنه هو الذي يرقيه إلى مقام القرب، والمفتوح له على يديه أبواب الخيرات، وإن لحظ الشيخ الأستاذ

١ - هنا طفرة في ترقيم الصفحات.

لتوصل إلى أن يصير للانسان قدرة الحج في كل عام (٦٣ب)، بل وأدى الفرائض بمكة دائماً، وذلك ناشيء عن زيارة الشيخ ولحظه، ولاريب أن زيارة يصل بها المرید إلى ذلك أفضل من مائة حجة، فضلاً عن أربعين، مع كون قلبه لاه، ويغلب عليه الكسل، فإن حج الولي في كل صلاة لا يكون إلا عن مشاهدة وحضور، بلا غيبة، وشتان ما بين هذا وذاك. قال البعقوبي: فأردت أن أكون محسوباً في الصادقين، وأن يلحقني الله بعباده الصالحين.

ومن ذلك ما روى الشيخ عدّي بن مسافر حين سلبه الطفسونجي بأمر السيد له بذلك، وأتى إلى السيد، رد الله حاله على يديه، كما مر في باب المناقب والكرامات مفصلاً، فلا حاجة إلى اعادته.

ومن ذلك أمر الشيخ تمام معه، كما مر، ومن معه من الرجال، وكانوا اربعين رجلاً.

ومن ذلك مما روي أن رجلاً كان في أول ايام السيد، قبل وصوله في الشهرة إلى ماوصل، قد أجمع الناس عليه، أي على ذلك الرجل، وكان يلقب بالمنور، ويكنى بأبي الرجال، وكان عنده أن لا أصلح منه للدلالة والتربية، فبصر به بعض الاولياء الأكابر، فاجتمع به فسلم عليه، ثم قال: أيها الشيخ! أفي الكون أصلح منك لتربية المریدين؟ قال لا، فقال له ذلك الشيخ: إنك لمحتاج إلى تربية بعض من لم تعرفه، قال: والله ما علمت بذلك، ولو علمت لما أجبتك بهذا الجواب. ثم خرج السائل من عنده، فبقي المنور مظلم القلب، لا تلوح له حقيقة من الحقائق، ولا يطلع على دقيقة من الدقائق، فخرج هائماً في بعض الصحارى، يستمطر الرحمة، وهو محترق القلب لما فاه به.

فبينما هو كذلك إذ لقيه انسان عليه أنوار الولاية، فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: يا بني ألا وكلت الامر إلى الله تعالى؟ أما ان أقرب المقربين ليكل العلم إلى الله، فلم لا اقتديت به؟ قال: فقلت: يا سيدي قد سبقت، فهل من تدارك؟ قال: نعم! ولكن بعد الاستئناف، فقلت: يا سيدي، أعلى يدك يكون ذلك؟ قال: لا بل على يد فريد العصر، قلت: ومن هو؟ قال: سيخبرك عنه أعظم مني، ثم انصرف، حتى إذا أتاني النوم رأيت في منامي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيت إليه وسلمت عليه، ووقفت ذليلاً بين يديه، فأشار لي أن اتبع هذا، فتبعت الرجل الذي

أشار إليه - صلى الله عليه وسلم - وسأل عنه، فقيل: هو زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، ففرحت بذلك، ثم لم يطل الفصل حتى التفت اليّ وقال: أتعرف تاج العارفين فريد هذا العصر؟.

قلت: لا، قال: هو أبو الوفا! قلت: لا أعرفه، قال: هو بقوسان، اذهب إليه واسترشد، فإن الله تعالى أرشده وأرشد به، ولم يخرج من ولد زيد، ابني، أعلى شأنًا منه. فاستيقظت فرحاً مسروراً بذلك، فقصدت قوسان فأخذت عنه، وأعاد الله تعالى من حالي على يده ما فقدت. قلت: و لم يعرف أيضاً أن هذا الرجل من أصحاب السيد إلا من نص هذه الحكاية.

قال الراوي: وكان بعده لايسأل عن شيء لا يتحققه غاية التحقيق، إلا وكلّ العلم إلى الله تعالى. ومن ذلك ما رواه المشايخ الثلاثة: أبو الفيض بن محمد هاني الأنصاري الصوفي، والشيخ الصالح نور الدين علي بن أيك الأفهسي المصري، والشيخ العلامة صدر الدين عبد الأحد الصيداوي، بسند متصل إلى أبي الهدى إبراهيم بن الخليل الخزرجي انه قال: كنت منذ ستة عشر سنة اتحفص علي من يدلني على الله تعالى، فأرى المنامات وتهتف بي الهواتف بالسيد أبي زكريا يحيى الصرصري، ويقال لي أنه هو الذي يدلك على ذلك، وعلى يديه تبلغ المرام، فرحت أسأل عنه حتى وصلت إلى خبره، فقصدته، فلما بلغت منزله وأردت أن أناديه وانظر من يستأذن لي عليه، إذا به قد فتح الباب وخرج اليّ، فقال: مرحباً بالولد الصالح، فقلت: يا سيدي، ومن أنا لتشهد لي بالصلاح انفذ الله اشارتك، قال لي: في ليلتي هذه رأيت السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وهو يقول لي: لم لا تهدي على طريقي وترشد - أما أرشد ابن ادريس إلى طريقي؟ فقلت بلى ياسيدي، قال: فما هذه الفترة، قلت: يا سيدي لم يسترشد بي أحد، فأعرضت عنه، فقال: انه في غد يرد عليك رجل يسمى ابراهيم بن الخليل، يريد طريق الله تعالى، وقد دلّ عليك! (٦٤ب).

قال: فقلت: ما لهذا اتيت، قال: ذلك أول حقك للقدم، وقد قضي وبقي من حقوق التربية، فاجتمع الفقراء وقرأوا شيئاً من القرآن، ثم قدمت إلى الشيخ المشار إليه فجعل يده في يدي، فأخذ عليّ عهد التوبة، وعجل لي وصية نافعة، ثم وظف لي وظائف العبادة فكان يقول: والله لم أمرك بعمل او أنهاك عن ذلك إلا بأذن السيد أبي

الوفا تاج العارفين، يطرقني مناماً وتطرقني نفحاته يقظة. قال: ولم أزل ملتزماً ما وظف لي من العبادات حتى بلغني الله مأربي ولله الحمد والمنة.

قلت: ولم أعلم بهذا الرجل ابراهيم بن الخليل من غير هذه الحكاية، إنما (في) كتاب (فخر ال زين العابدين بمناقب السيد تاج العارفين) ^(١) رجلاً يسمى ابراهيم بن الخليل فيمن روى عن البقلي، ويحتمل أنه هو هذا، وأنه عمرٌ حتى أدرك الصرصري وأخذ عنه والله أعلم. ولا أعلم فيمن أخذ عن الشيخ الصرصري المشار إليه أمثل من الشيخ شمس محمد المقرئ، المتقدم ذكره في محله كما مر والله اعلم.

ومن ذلك ما قالوا: أن قافلةً توجّهت إلى جهة الشام، فلما كانوا في اثناء الطريق، قام عليهم قوم من قطاع الطريق، فقصدوا أخذ ما معهم، فلا زالوا بهم حتى كانت القافلة بينهم كالرقعة في الثوب واحيط بهم من كل جهة، وأيسوا المال والأرواح، فنهض واحد من القافلة على ظهر الدابة، وتوجه إلى جهة الشرق ونادى: يا سيدي يا تاج العارفين، النجدة! فسمع قائلاً: لبيك يا من دعانا. ثم رأينا خيلاً تركض من الشرق، حتى التحقت بنا، فإذا عليها فرسان جياذ يعلوهم الوقار، وفيهم رجل على فرس أشهب وببده رمح طويل، فركر على قطاع الطريق، وحمل الفرسان معه، فبددوا

(١) للصوفي أبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوْبِيَّة بن عَبْدَ اللَّهِ البغداديُّ القَلَانِسي العَطَّارُ (ت: ٦٢٣ هـ/١٢٣٥م)، راجع عنه: الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٢١-٦٤٠ هجرية. ومنه نسخة خطية بالمكتبة الخالدية بالقدس بخط الناسخ حسين بن أحمد العجلوني الشافعي نسخته سنة ١١١٨ للهجرة برقم (١٠٠٦)، ومايلي وصف المخطوطة حسب ما جاء على موقع المكتبة الخالدية:

عدد الأوراق: ٧٤ : ١٩ ١٩ × ١٥ سم (١٧ × ١١ سم) الخط نسخ، والحالة جيدة، وهو مجلد بورق مقوى، والحبر أسود، والإظهارات ورؤوس الموضوعات وعلامات الوقف بالحمرة. وعلى الورقة: ٧٠ (أ) ما نصه: "على يد.. حسين بن أحمد العجلوني بلداً الشافعي مذهباً، كتبه لشيخه السيد طه سبط الدجاني الحسيني بن إبراهيم الليثي.. والحمد لله رب العالمين". وعلى الورقة: ١ (أ) ما نصه: "من كتب العبد الفقير موسى ﴿...﴾ نجل المرحوم الشيخ صنع الله ﴿...﴾ القدسي بن الشيخ ﴿...﴾ غفر لهما". وكذلك: "صاحبه الفقير موسى الخالدي بن الشيخ صنع الله الخالدي غفر له."

أوله: ... أما بعد فإن في قصص السلف الصالح للسامع المنيب آية رحمة.. ومن كثير مناقبه الصحيح والقليل موسوم بفخر آل زين العابدين بمناقب السيد أبي الوفا تاج العارفين، وقد أتعرض لذكر سلفه وذرية أخيه ومشايخه وأتباعه ومريديه وبعض مناقب خدامه.. النجل عبد الحافظ النور بجتلي أنال ونال القصد من قربه علي فأضحى على الأقوان طرا بمعربي آخره: ومن نجله فرد الزمان محمد علي وداود للقطب الكريم أحمد وجاءت لتاج الدين منهم غاية تمت النسخة المباركة...

شملهم، وفرّقوا جمعهم، ولم يذهب منا شيء، فعلم القافلة قاطبة أن أولياء من جنود الله، أرسلهم لأجل ذلك المُستصرخ، إكراما لتاج العارفين، رضي الله عنه.

ثم سأل جماعة منهم ذلك المستصرخ عما شاهدوه، أعلم شيئا من حقيقته أم لا؟ فقال: اعلّموا إنني رأيت في منامي أنني مسافر، وأن قطاع الطريق قاموا علينا كما رأيتم، وأرادوا بنا السوء، وأيسنا السلامة من أيديهم، فتذكرت أنني رجل من فقراء السيد تاج العارفين، وتذكرت قوله: حيث أيستم فاطلبوني أنجدكم، ومن لم يدركني فليلد بقبري، ومن كان بعيدا عن قبري فليتوجه إلى جهته، ولو كان بأقصى أقصى الغرب، (١٦٥) وليدعني باسمي أو بكنييتي أو بلقبتي ثلاث مرات، بقلب صادق وعزم مخلص، فإن الله تعالى يهيبه له قصده، ويقضي حاجته، فاستصرخت به، فرأيته قد أقبل على فرس أشهب في زمرة خيل، فنجونا وقد وقع الامر كما رأيت مثلما قال، قال: وهذا الفارس الراكب الفرس الأشهب، الذي في يده الرمح الطويل، هو بالسيد أشبه الناس، ما لم يكن هو بعينه، وهؤلاء هم الذين رأيتهم في المنام لا محالة! قالوا: ثم أن قطاع الطريق لما رأوا ما رأوا من ذلك ظنوا فيّ المستصرخ خيرا، ومالوا إليه، فأخذوا عهد التوبة أجمعين، وصلحت أحوالهم، والله الحمد والمنة، شعر:

هكذا همة الرجال فلا تر	كن إلى غير مثل ذا القطب الأكبر
سيد عند الملوك عبيد	وعبيد له ملوك وخطر
فهو للعارفين تاج رفيع	ويجد والجد للحق أظهر
همة قد علت وجد عظيم	خصه الله باصطفاه واكبر
فعليه والآل والصحب أركى	صلوات على المدى تتكرر

قالوا: ثم أن أهل القافلة أجمعين، وكان فيهم العاصي والطائع، تابوا عن آخرهم، وأنابوا وانخرطوا في سلك طريق أهل الوفا، وصلحت أحوالهم، فيا لفردٍ تجمعت له أسباب في سلك طريق أهل الوفا، وصلحت أحوالهم فيا لفردٍ تجمعت له أسباب السیادات، وتفرق للضلالات عنده الجمع، ويا لبشرٍ إذا حوى غيره مقاما فريداً فهو قد حوى بتفريق أنواع هدايته مقام الجمع، رضي الله عنه، ونفعنا بمعارفه، وحشرنا معه في زمرة جدّه المصطفى، وجعلنا بعهد (ألسنُ بربكم) من أهل الوفا آمين.

ومن ذلك ما قالوا عن الشيخ أبي الغيث بن رباح الأسدي نسباً الخراساني موطناً قال: كنت ذا مال جزيل، وخطر جليل، اتجر في البخور، وامتع بالبحور، فأداني الطمع إلى اقتراض مال من الناس مع مالي لطول أمالي، فسافرت بمال لي وللناس واسع، فغرقت سفينتي بالمالين الأصلي والتابع، فلما نجوت إلى البر، أخبرت بذلك أصحاب المال، فلم يرفقوا بي أصلاً، فصرت أحسو كؤوس الهموم وأملاً، ثم خرجت على وجهي في القفار، وتركت الأهل والديار، وألقتني هموم الدين وآلام البين، إلى بوادي مقفرة لا استئناس فيها بأنيس، وقفار بادية عن الأنس والتأنيس، فكنت كبني اسرائيل في تيههم (١٦٥)، ولم يجد قلبي في ذلك عن تشبهي بهم، أرعى نبات الأرض كالبهائم، ولست متطلباً شيئاً من الغنائم، إذ تذكرت الاوطان حنّ قلبي وصبا، فيحل هم الدين والبين قلبي وصبا، لا يلذ لي منام، ولا أستطيع دوام القيام، أجوب الأودية والوهاد، فلا أجد لي من مرشد ولا هاد، حتى أدتني تلك السياحة إلى واد خضيل، في ماء ومرعى وظل ظليل، فبادرت إلى بعض أعشابه فأكلت منها، ثم ملت إلى المقييل، فبينما أنا أتذكر الأهل والوطن، والدمع فائض على خدي لشدة الهم والحزن، إذ أقبلت قافلة عن بُعد، فيها رجال ونساء، فمددت اليهم طرقي ولم استطع المبادرة اليهم لضعفي، فبقي عندي لفراق أهلي ووطني، ووفور غربتي وحزني، نار لا تطفؤها البحار، وهموم لا تبلغ أعدادها أقطار الأمطار، وكأنهم قد احتاجوا إلى ماء، ولم يكن على طريقهم ما يُورد.

فانفرد منهم جماعة إلى المكان الذي أنا فيه، لأنه منهل، والمنهل العذب يُقصد. فلما دنوا مني لم أعرف منهم أحداً، لتغطية الهم على عيني وقلبي، ولم أشعر بالفرق بين أشياخهم وشبابهم، بل صارت الدهشة دأبي. فبينما أنا كذلك إذ عرفني منهم رجل، فأمر بالقبض عليّ، فتأملته فإذا هو من أرباب الديون، له عليّ ألف دينار، فسقط في يدي، ولم أدرك كيف الفرار، ولا مال قلبي إلى القرار، كيف لا ومن كان سبباً لتشتتي وغربتي وبلبتي قد وقعت في يديه، وسأقتني المقادير اليه، فأملت الهلكة تحت ضرب الوالي، لأن رب الدين المذكور من أعوانه، وقلت: لم يبق إلا التلطف به وسؤال احسانه، فأخذت بذلك، فمقتني، ثم استسلمت للمقدور، ولما إليه ربي أسلمني، فأخلصت في التوجه إلى الله بحسن نية، ثم ناديت بلساني أبي الوفا

^١ - الوصب: المرض والوجع.

تاج العارفين، فلم يكمل ندائي حتى رأيت رجلاً ازائني، فأخذ في التلطف برَبِّ الدَيْنِ، فلم يرض ترك شيء، ولا الصبر بشيء، فقال: كم لك؟ قال: ألف دينار، فقال لي: أله عليك ذلك؟ قلت: نعم، قال: خذ هذه الألف دينار فادفعها اليه، فأخذت الألف منه، فدفعتها إلى رب الدَيْنِ، وقرت مني من قبله العين، ثم قلت في نفسي: ترى، من فعل معي هذا الخير، وهل يريد على ذلك جزاءً أم شكوراً، فالتفت إليَّ قائلاً: الست مستصرخي؟ فقلت: أنت أبو الوفا؟ قال: نعم! وقد أرضينا عنك بقية أخصامك، فامض إلى أهلِكَ طيبَ خاطر، قرير العين. فقلت: يا سيدي، كيف لي ذلك واني في غاية الضعف بقلة الأكل وطول الحزن وترادف الهموم؟ قال: إليك! فإن هذه خراسان، قال: فنظرت إذا أنا انظرها عياناً، فقلت: يا سيدي، أريد الوصول إلى باب الله تعالى، فقد تفرغت له ببركتك، وأنا أرجو على يدك الوصلة به، فقال: نعم، خذ هذه الدنانير فادفعها لعيالك وأولادك نفقة، واحضر الينا مخلصاً توفى المرام إن شاء الله تعالى.

قال: فأقمت في خدمته ليلتين، ثم توجهت إلى خراسان، فوصلتها بسرعة، فلما رأني عيالي، سروا بذاك سروراً زائداً، وكانوا في ألم زائد لفراقني، فلما دخلت عليهم واجتمعت بأولادي وأقاربي، واشتهر قدومي بخراسان، أتى إليَّ أصحابي مسلمين، وأتى من جملةهم أرباب الديون، فسلموا عليَّ وشكروا لي هممتي وانصرفوا، فتعجبت من ذلك، ثم سألت عيالي عن أمرهم، فقالوا: إنا كنا في جَزَعٍ وألم لفراقك وغيبتك، وعدم معرفتنا بمكانك، فبينما نحن كذلك إذ أتانا رجل، فطرق الباب، فأجبناه وقلنا: من أنت؟ قال: أنا رجل غريب، أرسلت بمال لأصحاب الديون، فتلقيناه بالرحب والسعة، ثم أحضرنا أرباب الديون، فأوصل كل ذي حق حقه بتمامه وكماله، وخصم ما معهم من العُهد والوثائق، ثم سأله عن مقدمك، فقال: إنك تحضر الينا بعد يومين من ذلك اليوم، فسررنا بذلك. ووصفوا وجه السيد تاج العارفين - قدس الله سره وذاته الشريفة - ثم أقمت عند عيالي طمأنينة ل خاطرهم، وإطفاءً للهب شوقي إلى الأولاد أياماً، ثم تذكرت ما بيني وبين السيد من الإتفاق، وهاج سري وقلبي إليه، وكثر حبي واشتاقني، فتركت عند عيالي من النفقة ما كان أنعم بدفعه إليَّ، وتوجهت إليه بالقلب والقالب، وذلك من أعظم نعم الله عليَّ،

فوظف وظائف العبادة وأحرائني^١ من تهذيبه وتربيته على أجمل عادة، وذلك بعد أن استكتمني ما رأيت، فما أعدت ذلك مدة حياته لأحد، ولا أبديت. ثم لم يمض عليّ غير ثلاثة أيام حتى صرت لا أذكر أهلاً ولا أوطاناً، ولا يخطر على بالي سوى الله تعالى، ففقت في ذلك أقراناً، (٦٦ب) وقد منّ الله تعالى عليّ بوفاء الدين، وقرّة العين، وكفاية العيال، والوقوف لله من غير سؤال، فكان الشيخ أبو الغيث هذا يدل على طريق بباب الله تعالى، ويهدي إليه حالاً ومقالاً، وهو من المشايخ المعترين، وله كلام عال على لسان أهل الحقائق وغيره، ومكانه مكينة.

ومن كلامه نظماً في السيد تاج العارفين - قدس الله سره - :

قولوا لمن ضلّ السبيلَ وقد غدا رهنّ الهموم من القطيعة والجفا
لا تتعبنّ ولا تحرنّ واستمسكنّ بحبل تاج العارفين أبي الوفا
فرع غدا للأولياء تاجاً أتى من نسل خير المرسلين المصطفى

قلت: ولم أقع على اسم أبي الغيث المشار إليه في كتاب من الكتب المتقدم ذكرها، وهي واقعة لطيفة ينبغي أن لا يفوت، إذ أصلها صحيح، وروايتها معتد بها، فله ما أعظم شأن هذا السيد نفع الله به آمين.

ومن ذلك ما قالوا: ان الشيخ الامام العارف محيي الدين ابا صالح عبد القادر الكيلاني - قدس الله سره العزيز- كان يوماً في بداية امره بكيلان^٢ يمشي في شارع من شوارعها، إذ رأى رجلاً عرياناً، ليس على جسده غير ما يستر عورته، وهو معه من مكان إلى مكان حيث توجه، قال: فتوجهت إلى داري، فرقيت بعض سلم داري، فسمعت مشيةً ورائي، فالتفت فوجدته يطلبني، ففهمت عنه أنه يطلب شيئاً من الكسوة، لما أدى إليه فكري من كونه عرياناً، فنزعت إحدى قميصي، فدفعت إليه، فقال لي: يا عبد القادر أظننت أن الكون ضاق بكسوتي؟ قلت: فماذا تريد؟ قال جئتك ببشرى تملأ الكون عطراً، فقلت: ومن أنت يا أخي؟ قال: أنا رجل من خدام

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - كيلان: أو جيلان مدينة صغيرة تقع في شرقي طهران، وبلاد على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، فتح العرب كيلان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وهناك بلدة عراقية تسمى جيل تقع في جنوب المدائن سكنها القادمون من جيلان المذكورة، وقال ياقوت "جيلان، اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرية في مروج ينسب إليها جيلاني وجيلي والعجم يقولون كيلان"، معجم البلدان، ٢٠١/٢.

السيد تاج العارفين أبي الوفا، اسمي رمضان المجنون! قلت: فعجل بما ذكرت، وبشر بما أطمعت. قال: بينك وبين هذه البشارة أن تجتمع بالسيد، وتضع يدك في يده، وهو الذي يبشرك بهذه البشارة، فقلت: أين بغداد من كيلان، واين أنا واين تاج العارفين؟ فقال: ها هو فانظره! وأشار مع اصبعه، فنظرت مع اصبعه، فرأيت السيد أبا الوفا على منبر عال يعظ الناس، وقال لي: رمضان إنه وجهني اليك في أوائل جلوسه على هذا المنبر.

ثم أخذ بيدي فضممني في صدره، فغبت (١٦٧) عن نفسي قليلاً، ثم أفقت فوجدتني بشوارع عظيم من شوارع بغداد، فسألت عن الجامع فقيل لي هو هذا، وسمعت فيه صجّة عظيمة، فقلت: وما هذه الصجّة العظيمة؟ قيل: إن السيد أبا الوفا تاج العارفين يُذكر الناس في هذا الجامع الآن، فتقدمت إلى الجامع، فرأيت السيد بعينه على ذلك المنبر بعينه.

روينا ما أخبرنا به أبو محمد سالم بن علي الدميّاطي قال: أخبرنا الشيخان أبو الحسن البغدادي المعروف بالخفاف، وأبو الحسن الخباز، قال الخفاف: أخبرنا الشيخ أبو السعود الحرّيمي العطار، وقال الخباز أخبرنا العمران: الكيمياتي والبخاري، وأخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الداراني، قال: أخبرنا الشيخان أبو محمد علي بن إدريس البعقوبي، وأبو بكر محمد بن النخّال المقرئ، قال ابن إدريس: أخبرنا شيخنا الشيخ علي بن الهيثمي، وقال بن النخّال: أخبرنا الشيخ ماجد الكردي قال: كان الأستاذ تاج العارفين - رضي الله عنه - يتكلم على الكرسي، فدخل الشيخ عبد القادر - رضي الله عنه - عليه، وكان يومئذ شاباً^١، ولم يكن دخل بغداد^٢ قبلها، فقطع السيد تاج العارفين كلامه، وأمرنا بإخراجه، فخرج.

ثم تكلم السيد أبو الوفا، فدخل الشيخ عبد القادر ثانياً، فقطع السيد تاج العارفين كلامه أيضاً، وأمر بإخراجه فأخرج، ثم تكلم السيد تاج العارفين، فدخل الشيخ عبد القادر ثالثاً فقطع تاج العارفين كلامه، ونهض له قائماً واعتنقه، وقال: يا

^١ - سينوه باسمه كاملاً وهو أبو الحسن علي بن سليمان بن علي بن سليمان البغدادي المعروف بالخباز.

^٢ - ولد الشيخ عبد القادر الكيلاني سنة ٤٧٠ هـ أو ٤٧١ هـ ودخل بغداد أول مرة سنة ٤٨٨ هـ، فيكون حينذاك شاباً لا يتجاوز عمره الثامنة عشر.

^٣ - حسب الرواية الشعبية الكردية التي تناقلتها الألسن ان الشيخ الكيلاني التقى بأبي الوفا بقرية نيركزه جار بشهرزور لا ببغداد وهو في طريقه إلى بغداد.

أهل بغداد قوموا لولي الله! فإنني لم أمر بإخراجه إهانة له، ولكن لتعرفوه. وعزة المعبود إنني لأرى على رأسه صنّاجق تجاوزت عصائبها^١ المشرق والمغرب. ثم نظر إليه وقال: يا عبد القادر! الوقت الآن لنا، وسيصير لك، يا عبد القادر وهبوك العراق، يا عبد القادر كل ديك يصيح ويسكت إلا ديكك، فإنه يصيح إلى يوم القيامة. وأعطاه سجادته وقصعته وسبّحته وعكّازه، فقليل له: خُذ عليه العهد فأبى وقال: إن عليه داغ المخرمي^٢، قال بن التبريزي^٣: ثم أشار إلى أن اتوجه إلى المخرمي وأوصيه خيراً، ففعلت.

- رجوع :

ثم تكلم السيد تاج العارفين حتى أنهى مجلسه، ونزل عن كرسيه، فتنحّى إلى ناحية من المسجد، أخذاً يد الشيخ عبد القادر بيده وجلس معه وقال له: يا عبد القادر لك وقت، فإذا جاء فاذاك هذه الشّيبية، وقبض على كريمته، رضي الله عنه. قال الشيخ عمر البزار: وكانت سبحة السيد تاج العارفين التي أعطاهم للشيخ عبد القادر - رضي الله عنهما - إذا وضعها على أي مكان كانت تدور وحدها حبة حبة، قالوا: فتعجب الشيخ عبد القادر الكيلاني من دورانها، ولم تلج له حكمة ذلك، فعاد بها إلى السيد وقال: يا أستاذ هذه السبحة قد أشكل حالها عليّ لدوام دورانها حيث كانت، ولم أدر الحكمة في ذلك، فقال السيد تاج العارفين: يا عبد القادر، لما أكثرنا عليها ذكر المحبوب أحببت، فلذلك تدور كما تراها حبة حبة شوقاً إلى ما ألفته

^١-كتب فوقها: ذوائبها.

^٢-هو القاضي أبو سعد المبارك المخرمي الحنبلي، ولد سنة ٤٦٦ هـ وسمع الحديث الكثير على مشايخ بغداد الكبار، وتفقه على علمائها، وناب في القضاء، وعزل سنة ٥١٣، واشتهر بعلمه وصلاحه وزمده. قال أبو يعلى "كان مداوم الصيام والتهدد في الليل" وقال صاحب الحوادث "كان فقيهاً فاضلاً عالماً ثقة اشتغل بالفقه ودرس وأفتى". توفي سنة ٥١٣ هـ ودفن في مقابر باب حرب (طبقات الحنابلة، ٢/١٥٨)، كتاب الحوادث، ص ١٣٨). وهو الذي أنشأ مدرسة نسبت إليه في محلة باب الأزج ببغداد، فتولى التدريس فيها الشيخ عبد القادر الكيلاني، وذاع أمر تدريس فيها حتى عرفت باسمه، ووسعها طلبته، ودفن فيها وتحولت في العهود التالية إلى جامع كبير ما زال عامراً حتى اليوم. والمخرمي نسبة إلى محلة كانت في شمالي بغداد تسمى (المخرم).

^٣-كذا وصاحب الرواية هو ماجد الكردي.

^٤-في الأصل: كان.

ومحبَّةً، وقد أوردنا أن تكون تذكرة لقلبك المنورَ ذا اللطائف النورانية وهو احذر بسرعة تأثير العشق والمحبة فيه لتكرار الذكر عنده من حبات من خشب، وليس الجماد بمقيس على قلب مثلك، ولم ارد بها الا تذكرة وإشارة.

ففهم الشيخ عبد القادر المراد، وتوجه مستمدا من بحر الإستمداد، فروينا أن الشيخ عبد القادر لما توفي، وكان الشيخ علي بن الهيبي قد بقى بعده، فوجدها - نعني السبحة - موثقة في تكَّة سراويله، فأخذها يعني ابن الهيبي، ثم أخذها من بعده الشيخ محمد بن قائد^١ ثم فقدت، ولم توجد في تركة بن قائد ولا غيره، وكانت القصعة التي أعطاها السيد تاج العارفين للشيخ عبد القادر لا يمسه يد أحد إلا وأرجفت يده إلى كتفه.

أخبرنا أبو أحمد عبد المحسن بن عبد الحميد بن عبد الخالق الحسيني الإربلي قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو الصلاح منجج بن الشيخ الجليل أبي الخير كرم بن الشيخ القدوة أبي محمد مظفر^٢ البادراني قال: أخبرنا أبي قال: سمعت أبي - رضي الله عنه - يقول: كنت عند شيخنا السيد تاج العارفين أبي الوفا - رضي الله عنه - بزأويته بقلمينيا، فقال لي: أغلق الباب، فإذا جاء شاب أعجمي يطلب الدخول عليه، فاستأذنت عليه الشيخ فلم يأذن له في الدخول، ورأيت يمشي في الزاوية كالمنزعج، ثم إذن له، فلما رآه مشى إليه خطوات واعتنقا طويلاً، وقال: يا عبد القادر! وعزة العزيز ما منعتك من أول مرة جحداً لحقك، بل خشية، لكن لما علمت أنك تأخذ مني وتعطيني أمنت. قلت: ومعنى الخشية هنا ليست من حال الشيخ عبد القادر، فإنه (١٦٨) كان يومئذ شاباً مبتدئاً بعد كما مرَّ انفاً، ولم يبلغ إلى غاية ما بلغ إلا بعد وفاة السيد أبي الوفا، ولكن خشية أن يقع فيما لا يؤذن فيه، فإنه ظن أولاً انه يريد الاقتداء به، ولم يكن أذن له بذلك.

وأما معنى أخذه منه واعطائه فإنما هي إشارة له بأنه يصل إلى المقام الذي وصل إليه السيد بعد وفاة السيد، بدليل قوله فيما مرَّ، فإذا صار الوقت لك فاذا ذكر هذه الشبهة. فكأنه يقول تصل إلى مقام لو كنت فيه حياً واجتمعنا لأخذت فيه مني وأخذت منك، يعني كنت أكون أنا وأنت على حد سواء، لا يترجح مقام أحدنا على

^١ - هو من أتباع عدي بن مسافر الهكاري والقائدية الآن عشيرة من الكرد البيزيدية.

^٢ - كذا في الأصل وكذلك عند السخاوي، الضوء اللامع ١١/٨٤ - ٨٥: مظفر، في مواضع أخرى: مطر.

مقام الآخر، فإن من يكون مدده من شخص على يده، لا يقدر أن يأخذ منه، إذ قوة الاستاذ لا تقابلها قوة المرید، ولو بلغ ما بلغ، لأن الخلجان من البحر وإن عظمت، فكأنه أشار إلى أنه حين ظن أنه يريد الاقتداء به توجه إلى مولاه قبل دخول الشيخ عبد القادر الكيلاني حين ظهر له حقيقة أمره، وانه إنما حصل على أجر الزيارة فقط، ويحصل للسيد على أجر تمكينه من الزيارة، وحصل الإذن بدخوله في غضون ذلك المنع والاطلاع، فمكّنه من الدخول والله اعلم.

ومن ذلك ما دلّ من كلام الشيخ أبي زكريا يحيى الصرصري، ومما مر أنه كان وفياً من طريق الشيخ علي بن الهيبي، فإنه أخذ عن تلميذ الشيخ علي بن الهيبي، وهو علي بن ادريس البعقوبي المتقدم ذكره، وأنشد أبيات تدل على ذلك ستأتي في الباب الخامس إن شاء الله تعالى.

وأصرح من ذلك ما نظمه عند إجازته للشيخ الامام رشيد الدين محمد المقرئ الشافعي حين ألبس منه خرقة السيد تاج العارفين أبي الوفا المشار اليه، وسأله ان يكتبها له فكتب هذه الأبيات:

الحمد لله ذي الإحسان والمِنَّ	كما هدانا إلى الاسلام والسُنن
وقادنا برسول الله صفوته	الى الصراط القويم الواضح السُنن
واختار من نادري أعيان أمته	لنا شيوخاً على منهاجه الحسن
البست خرقتهم من يد من شهدت	له الرجال وأضحى غرّة الزمن
شيخ علي بن ادريس المبصر ذي	العزم الذي كان ينفي نازل المحن
كانت شواهد سر الله ظاهرة	عليه ثبت نقي السر والعلن
حبر عليم بآيات القران وأخب	ار الرسول ربيع القلب والإذن
وشيخه العارف الهيبي ذو النظر	البادي السنا موتم الدنيا أبو الحسن (٦٨ب)
محدث الوقت ربانيه علم الأعي	ان كنز المعاني سلوة الحزن
سهل الخليفة محمود الطريقة مأمون	الحقيقة محروس من المحن
وشيخه هو تاج العارفين أبو الوفا	سا منقي محبيه من الدرن
وشيخه ذو السداد والشنبكي أبو	محمد حبه من أمنع الجنن
تلميذ تاج العراق الرضي أبي	بكر إمام على الأسرار مؤتمن
ومن أبي بكر الصديق خرقتة	في حضرة المصطفى في اشرف المدن

اوصلتها نائباً عنه إلى وُلدٍ مباركٌ صدقه في القصد يعجبني
محمد صانه الرحمن من دَنَسٍ وطهر القلب منه من أذى الفتن
وزانه بشريف العلم مقترناً بخالص العمل المرضي ذوي الفطن
ومما أنشد من قصيدة مدح فيها النبي - صلى الله عليه وسلم واصحابه
والتابعين- ثم انتهى إلى المشايخ الصالحين فقال:
ونال من فضل ما اعطيت الك' والأبرار أصحابك الموفون بالذمم
الى اخر الابيات الآتية في الباب الخامس في محلها - ان شاء الله تعالى- وهي
أبيات من قصيد طويل.

^١- كذا في الأصل.

- الباب الخامس :

**فيما أثنى عليه، وشيء من نظمه،
وشيء مما نظم على لسان حاله، وشيء مما نظم فيه**
وهو فصلان:

- الفصل الأول : فيما أثنى عليه من معاصريه، ومن قبله بشارة به،
ومن بعده ومنامات في معنى ذلك، حسب ما يُستحضر من ذلك.
فمن ذلك ما روينا أن المشايخ بالبطائح كانت تقول عجباً لمن يذكر أبو الوفا
تاج العارفين، ويسمّي الله، ويمسح على وجهه، ويصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم، كيف لا يسقط لحم وجهه من هيئته ! وهو أول من سُمي تاج العارفين
بالعراق، وهو الذي لا يصير الشيخ شيخاً حتى يعرف من كاف إلى قاف، وقد مرّ ذكر
معنى ذلك في كلامه.

وذكر الشطنوفي^١ وغيره: إنه كان - رضي الله عنه - من أجلّ من سلف من
الأقطاب السلف، قال: وقد جُمع في مناقبه وكراماته كتب، قلت: فمنها (روضة أولي
الصفاء في مناقب السيد أبي الوفا) ومنها (أنس المريدين الواصفين لمناقب السيد
تاج العارفين)، ومنها (دليل ذوي الإصطفا من مناقب السيد أبي الوفا) ومنها (تتويج
السادة الشُّرفا بمناقب السيد تاج العارفين (١٦٩) أبي الوفا)^(٢) ومنها (فخر آل زين
العابدين بسيرة السيد تاج العارفين).

^١ - هو علي بن يوسف اللخمي، أبو الحسن الشطنوفي، بتشديد الطاء، نسبة إلى (شطانوف) قرية في
الغربية بمصر، ولد سنة ٦٤٤ ونبغ في علم القراءات، حتى صار (شيخ المقارئ المصرية) وكان -
فضلاً عن ذلك - عالماً بالفقه والنحو واللغة وتوفي في القاهرة سنة ٧١٣هـ، والكتاب الذي يشير إليه
المؤلف هنا هو (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار) وهو في أخبار الشيخ عبد القادر الجيلي ومناقبه، وقد
نشر غير مرة، آخرها بتحقيق د. جمال فالج الكيلاني.

(٢) بخلاف الكتب المعروفة التي ذكر مؤلفيها في المقدمة، لم يسم الواسطي هنا أسماء مصنفي هذه
الكتب، فتعذر الأهداء إليها وإلى مؤلفيها، فلم نقف على أثر لها.

وقد جمعت الأصول لهذا الكتاب غالب ما في الكتب المذكورة، فلذلك اعتمدت عليها رغبة في الاختصار، مع اجماع اهل الشرف على صدق وصحة ما فيها من الأخبار.

قال الشطنوفي وغيره، وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق، قلت: قد اختلفنا^١ من ذلك نبذة في بابه فراجعه.

ومن ذلك ما روي عن الشيخ الامام أبي بكر البغدادي - قدس الله روحه - أنه قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام جالساً على سرير، فأتيته وسلمت عليه وقلت: يا سيدي يارسول الله، سمعت عن عمك العباس أنه قال: إنك قلت من رأني في المنام فقد رأني حقاً. فإن الشيطان لا يتمثل في صورتني. قال: نعم قلت! وقال: إنك قلت من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله بها عشراً، ومن صلى علي عشراً صلى الله عليه بها مائة، ومن صلى علي ألفاً زاحم كتفي كتفه على باب الجنة، قال: نعم! صدق عمي العباس، هكذا سمع مني، وأنا سمعت من جبريل، وجبريل أخبر به عن رب العزة سبحانه وتعالى.

قال: فسرت بذلك، وجلست بين يديه أشاهد وجهه، فأخرج من تحت بُردته - صلى الله عليه وسلم - تفاحة فقسّمها نصفين، ومن رواية أخرى عنه قال: فأخرج طلعة من طلع النخل فقسّمها نصفين، قال: ففرّق النصف الواحد على كل من حضر، وأدّخر النصف الثاني، فهَمِمْتُ بالسؤال عن ذلك فقلت: يارسول الله، لمن أدّخرت هذا النصف بكماله، وقد فرّقت ذلك النصف على جميع من حضر؟ قال: هو لأبي الوفا تاج العارفين وقومه وأتباعهم! قلت: يا رسول الله أهو من الأولياء المقربين؟ قال: نعم! هو تاج العارفين.

قلت: يا رسول الله فما تقول في فلان من الأولياء المشاهير؟ قال: نعم من ذكرت، ولكن عليك بأبي الوفا! قلت: يا رسول الله، ففلان؟ قال: نعم من ذكرت، ولكن عليك بأبي الوفا، فمازلت أذكر له ولياً بعد ولي حتى ذكرت ثمانية وهو يجيبني بهذا الجواب، فلما ذكرت التاسع أعقب بقوله: عليك بأبي الوفا، فإنه أحسن أهل زمنه حالاً، وأغلام قيمة، وأعلام شأناً، وأرفعهم مقاماً، وأنه ليكون (٦٩ب) تحت علمه يوم القيامة سبعة عشر سلطاناً، ويقدم في جاه وجمهور، وإني لمفأخر به الأمم

^١ - كذا في الاصل، ولعل الصواب: أخذنا، أو اخترنا.

يوم القيامة، فاقول للأنبياء: هل في أممكم كأبي الوفا؟ ألا فاقتد به ان شئت تُرشد،
واغنم الأربعين يوماً التي بقيت من عمره.

قال: فقلت: أهو قريب الفناء؟ قال: نعم! يقدم علينا بعد أربعين يوماً. قال أبو بكر: فلحِصني على اللُحوق به ومُلازمته واغتنام أيامه، لعلمي أن الإشارة الشريفة لا يجوز عليها الكذب، انتبهت مرعوباً، فقصدت قلمينياً، فلما وصلت إلى السيد تاج العارفين، وسلمت عليه، قال: مرحباً بأبي بكر المُحب رسولاً من الحبيب، يا أبا بكر، أبعد أربعين يكون القدوم على الله؟ فسكتُ مطرقاً، فقال لم لا تذكر لي ذلك؟ قلت: يا سيدي، لم أؤمر بالتبليغ، ولو أمرتُ لبُلغت، ولكن ها انت قد اطلعت على ما ترومه إبلاغي. ثم أمرني بلزوم عبادات وظفها لي مدة سبعة أيام في الخلوة، ثم أذن في الخلوة، فظهرت آثار بركات الإشارة الشريفة على يد صاحب النورانية اللطيفة، فكانت وفاة السيد تاج العارفين بعد تمام الأربعين يوماً من ليلة رؤيتي.

ولقد نظر إلى يوم وصيته فنَبهني لأمر وأوصاني بها، ثم أنه ختمها بقوله: يا أبا بكر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: نعم يا سيدي، وهو الصادق المصدوق، قال: نعم! إنا لله وأنا إليه راجعون، تائبون آيبون لربنا حامدون، فلم يعلم أحد من الحاضرين معنى ذلك، وشاع اللغظ بين الناس، وتفرقت الأفهام بين المعنى المقصود حقيقة وغيره، حتى مات ودفن، فقصدت لهم ما رأيت، وما بدأتي به السيد، فعلم معنى ما أشار إليّ بذلك، قدس الله روحه، ونور ضريحه آمين.

ومن ذلك ما أخبرنا به قال: حضر رجل مجلس الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي - رضي الله عنه - فذكر أحوال الشيخ منصور وكراماته ومناقبه ومقامه الأعلى، فتعجب ذلك الرجل مما ذكره الشيخ أحمد - أعاد الله علينا من بركاته - وقال: يا سيدي هل في الأولياء مثل هذا الشيخ؟ فقال الشيخ أحمد الرفاعي: إليك يا هذا! والله إن في الأولياء رجلاً يأتي يوم القيامة ومعه جمهور عظيم، ويكون تحت علمه من مريديه عشرة آلاف سلطان، مثل الشيخ منصور، فبكى ذلك الرجل لما رأى من فاقتته وإفلاسه، ووقع في خطأ أن الشيخ (١٧٠) أحمد ابن الرفاعي يعني بذلك نفسه، ثم قال لزيادة استيقان: يا سيدي، ومن هو؟ قال: هو السيد تاج العارفين أبو الوفا - رحمة الله عليه - ثم أمرَّ يده على وجهه وسمى الله تعالى، وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: إذا ذكرتم أبو الوفا تاج العارفين فافعلوا هكذا، وقولوا كما قلت.

ومن ذلك قالوا عن الشيخ الأستاذ العارف احمد بن أبي الحسن الرفاعي أيضاً - قدس الله سره - أنه كان يوماً يتكلم على رؤس الناس في مجلس تذكير حافل، فاطرد على ذكر جماعة من الأولياء ومناقبتهم وهممهم ومواهبهم، حتى انتهى إلى ذكر السيد تاج العارفين، فذكر شيئاً من طريقته وإشاراته وعلو همته، فتغير لونه وقوى وجده، وارتفع صوته، ثم صاح: يا تاج العارفين ثلاثاً، ثم غيَّب عن حسِّه، فبقي معها ثلاثة أيام، فتعجب الناس من ذلك. فلما مضت الثلاثة أيام صاح أيضاً: يا تاج العارفين مرة واحدة، ثم رجع إلى حسِّه، فسأله بعض أخصائه عن معنى ذلك وسببه، فقال: انه لما ذُكرت الأولياء الذين ذكرتهم كنت أكون عند ذكر بعضهم خائضاً في بحرهِ إلى الخلخال، وبعضهم أكثر من ذلك، وبعضهم أعوم في بحرهِ، فأخرج إلى الساحل، حتى ألقىت بنفسي على بحر أبي الوفا، فخشيت الغرق، فصحت به ثلاثاً، فثبت في العوم، فلا زلت عائماً في لُجج بحر لا يُدرك له قعر - ولا يُعرف له ساحل، فصرخت هذه الصرخة، وقلت: يا تاج العارفين، كما سمعتم، فامتدت اليَّ يد عنايته، فبلغت الساحل، فاستيقظت من هذه الغيبة.

قال السائل: يا سيدي لو بلغ مقام أبي الوفا إلى مثل ذلك، قال أراه واعرف مقامه، فنمت تلك الليلة، فرأيت القيامة قائمة، والعرش بارز، والملائكة والرسل مجموعون، وسائر الامم في ذلك الموقف العظيم، فتأملت بينهم، فرأيت صنّاجق قد أقبلت، ومواكب قد صُفّت، ونوْبَةٌ تُضرب، وخلق مجتمعون فيهم كثرة، ورجل قائم عليهم، فظننت نبي أو ملك من المقربين بعصبتِه، فلما دنى من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خضع له وسلم عليه، فقربته، وقال: إنه ليس نبياً ولا ملكاً، ولكنه رجل من خير أمتي وأكرم عترتي. قال الشيخ: فهَرَعَت اليه، وسلمت عليه، فقال لي: يا أحمد، أدخل، فسلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخلت فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك يا أحمد، إدعُ أبو الوفا ليحضر اليه، فخرجتُ اليه، فقلت: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك، فنهض فدخل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رآه أكرمه ثانياً، وأدناه وقبَّله بين عينيه، فكأنني أنظر الآن مكان قبَّلتَه - صلى الله عليه وسلم - بين عينيه، ثم قال لي: يا أحمد أبشر أنت واحباؤك بما حصل عليه أبو الوفا وقومه، ثم التفت إلى أبي الوفا وقال: قم فادخل الجنة أنت ومن معك، فقد برز لهم الأمر بذلك من الله تعالى، فقام في موكبه فدخل هو وكل من

معه الجنة، فكأنني أنظر اليهم وهم داخلون، قال: وأن في أذني حلاوة سؤاله لربه أن يلحق به مريديه، ومريدي مريديه، ومحبيه، ومحبي محبيه، ومن انتمى اليهم، ومن قرأ شيئاً من القرآن واهدى ثواب ذلك في صحائفه، وقد أجيب إلى ذلك. ثم استيقظت.

ومن ذلك ما أخبرنا به الشيخ الصالح الورع الوريح^١ الرياني، العالم ابو عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بزعيدع، وبابن الرومي أيضاً، في سلخ شهر ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة^٢ - ١٣٠٨م - ، بالحرم الشريف، قال: روينا بطريق صحيح أن السيد تاج العارفين أبي الوفا - قدس الله سره العزيز - قال: اطلعت على اللوح المحفوظ فرأيت مكتوباً فيه ستمائة ألف سطر، فمنهم سطر واحد احتوى على علوم الأولين والآخرين، ولا يعلم في ما في سطره سواه. ورأيت مكتوباً في آخر ذلك السطر ما كان وما سيكون، وما هو كائن أبد الأبدين، ودهر الدهرين، بين حر في الكاف والنون.

ومن ذلك ما أخبرنا به عن رجل من كبار المشايخ المسلميين، إنه أدخل مريداً من مريديه الخلوة، واسم هذا المريد محمد الكوراني^٣، فعرض له في الخلوة عارض، وهو أنه رأى أنوار امتلأت بها الدنيا، وقوماً يُسبِّحون ويهللون، وهم في أنواع حسنة من العبادة فيما ظهر له، فقص ذلك على شيخه المشار إليه، فذكر له أن ذلك خاطر شيطاني، فتعجب ذلك المريد من ذلك، وفهم الشيخ ذلك^٤، فأخذ يحكي له شيئاً مما يرد على الفقير في خلوته، حتى انتهى إلى ذكر شخص اسمه رستم القيرواني من قيروان الغرب، فذكر أنه كان من مريدي السيد تاج العارفين أبي الوفا - قدس الله

^١ - كذا مكرر في الاصل.

^٢ - كذا في الاصل و ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب أنه حج سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م ثم قصد القدس الشريف.

^٣ - منسوب إلى الكوران أو الكورانية - بالكاف الفارسي - قبيلة كردية معروفة كانت تعرف بالجورقان في المصادر العربية، ومن اعلام الكوران من اسمه محمد : شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام بن حسين الكوراني المدني ثم الدمشقي الشافعي قاضي حلب (٦٢٥ - ٧٠٥ هـ). الدرر الكامنة، ٤٣٥/٥.

^٤ - في الأصل: من ذلك، ولا وجه له.

سره - وأنه كان في خلوته^١، فعرض له ذلك، فحضر إلى السيد أستاذه فقال: يا سيدي، إني رأيت، وأنا في خلوتي، نورا قد اشتهر وانتشر حتى ملأ الأرض كلها. وخُيِّل لي أنه قد سجد له كل شيء، وأردت أن اسجد معهم فلم أستطع، ورأيت كأن عاموداً من حديد قد وقف من الأرض إلى قلبي، فحجزني عن السجود فلم استطعه لذلك. فقال السيد تاج العارفين أبو الوفا: ذلك عارض شيطاني، ولولا سر التوحيد، وهمة المرید، والمدد الرحمانی، واللفظ الربانی، لسجدت، ولو سجدت لضللت وهلكت.

قال الصفوي^٢: ثم عاد رستم القيرواني بعد مدة إلى الأستاذ المشار إليه، فقال إني رأيت السموات السبع والأرضين السبع والعرش والكرسي والجنة والنار بجميع ما يحتوي ذلك عليه في قلبي كخردلة ملقاة في فلاة، فقبض السيد على يده قبضاً مزعجاً وقال له: يا رستم أنت محجوب بعد، أرجع إلى خلوتك، واعلم أن ما ذكرت من السموات والأرضين وغيرهما قيود وحُجُب تحتوي على صُور محسوسة، ولا تصل حتى لأُحس، ومعان ظاهرة، وانه لا يظهر لك حتى تخفى عنك، وصور مقصودة^٣، ولا تبلغ حتى لا تنفصل، وحدود موقفه، ولا تمشي حتى لا تقف. يا رستم! إن سبحانه يقول: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)^٤. وقال في غيره: (تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي^٥). وقال في غيره: (إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى لباسكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وحسن نياتكم، أي صفاء سرائركم من سواه)^٦.

^١ - لم يرد من بين مریدی أبي الوفا من اسمه رستم ومنسوب إلى مدينة القيروان، فالغالبية العظمى من مریدیہ وأتباعه كانوا من العراق وبلاد الجبل ولايستبعد أن يكون رستما هذا هو والد محمد بن رستم الكردي النرجسي المعروف بالشيخ جاكير.

^٢ - ربما هو الصفدي أو انه صاحب أحد الكتب المؤلفة في مناقب أبي الوفا والتي ذكرها الواسطي، لم يسبق أن أشار إليه، وأول الرواية مسنود إلى من اسمه محمد الكوراني كما تقدم.

^٣ - في الأصل: مقصود.

^٤ - يتردد هذا القول في كتب الصوفية خاصة، ولا أصل له في كتب الحديث.

^٥ - وهذا مما يتردد أيضا في كتب الصوفية، ويرى العلماء أن أصله من الاسرائيليات وهو أن موسى قال: يا رب أين أجذك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

^٦ - نص الحديث كما في صحيح مسلم: (الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

وقد ورد في غيره (أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة)^١، فما ظنك بمالك المُلْك - جُلَّ وعلا- هل يجتمع هو وغيره في محل واحد، ومرتبة واحدة، أو يحل قلباً به صورة من صور الأكوان، ألا فامحُ الغير من قلبك، واخرج عن إيجادك وسُبلك تراه واحداً فيتوحد في قلبك، ويتوحد قلبك به.

قال: ثم أن الأستاذ أعاد رستم إلى الخلوة أيضاً، فبيناً هو في ليلة جاداً فيما عُين له من العبادة، إذ رأى أن خلوته امتلأت نوراً، ودعيت إلى السجود، فهمت بأن أسجد، وإذا باستاذي تاج العارفين - قدس الله روحه - قد طرَّقني^٢، ودخل على الخلوة فرأيت ذلك النور (٧١ب) قد انقلب ظلاماً في الحال، فدنا السيد مني، وقبض لحم بطني بيده قبضاً شديداً عنيفاً، وجذبني جذباً مؤلماً بقوة الولاية، فرأيته قد أخرج من باطني خنزيراً وهو بيده تلك، فألقى به، ثم برقت على ذلك الخنزير برقة من نور السيد تاج العارفين واحرقته في الحال، فرأيت في ساعتني مشارق الأرض ومغاربها، ثم محا الله جميع الصور الحسية والمعنوية من خاطري، ولم أجد بعدها شيئاً من ذلك.

قال الصفيوي: وإن تاج العارفين هذا أعظم اولياء الله في زمانه، والأجدر بالهداية في أقرانه، وهو أعلى المشايخ في علو شأنه، وأجلهم في رفعة مقامه ومكانه، وأصرح من صرح بالحقائق، ودلَّ على الحق ببرهان، جمعني الله به في دار كرامته وإحسانه.

ومن ذلك ما أخبرنا به الشيخ العارف الرباني أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن المرحوم ناصر الدين محمد الشهير بالخطابي، نسبة إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: أخبرني الشيخ العارف القطب المحقق أبو الحسن بن الطحان، قلت، وهو من اهل زماننا لكنني لم أجمع عليه، وهو شيخ بلاد الصعيد شهير به يعرف بابن الطحان^(٣).

^١- الحديث ورد في الصحيحين.

^٢- القاف في الأصل غير معجمة، فيجوز أن تكون طرفتي أي نظر إلي بطرفه.

^(٣) لعله يقصد محمد بن أيوب بن علي بن حازم الدمشقي الشافعي نقيب السبع المعروف بابن الطحان (٦٥٢ - ٧٣٧ هـ / ١٢٥٤ - ١٣٣٦ م) وكان فاضلاً حسن الخلق لكن فيه وسوسة في المياه وكان تفقه وقرأ بالروايات ثم عجز وأنقطع بالشامية، الدرر الكامنة، ١٣٠/٥.

قال: رويت عن أشياخي بسند صحيح أن رجلاً من التجار حضر إلى خدمة سيدنا وأستاذنا وقدوتنا السيد تاج العارفين أبي الوفا - قدس الله تعالى روحه، ونور ضريحه - بزأويته بقلمينيا من أرض العراق، بسبب الزيارة والاستمداد بخاطره، واستئذانه في سفرة عزم عليها للتجارة، فلما وقع عليه بصر السيد تلى من قوله تعالى آية تدل على الصبر والثبات. قال: فلم يُعَيِّن التاجر بذلك، فقال: يا سيدي، أريد السفر عن إذنك. فقال السيد: يا ولدي، إنني لأخشى على زوال مالك في هذه السفرة، فتوقف التاجر قليلاً ثم حسب الفائدة فقال: يا سيدي لا بد لي من السفر! فقال السيد: حيثُ لا بد فلا بد! . فودّع الشيخ وانصرف، فلما سار قدر مرحلة واحدة، قام عليه قطاع الطريق فأخذوا جميع ما معه، فعاد إلى السيد، وأخبره بما حدث له، فقال: قد نهيناك فلم تنته لما كان قد قُدِّر.

فقال للسيد: ياسيدي! انظر في امري. قال السيد: إن دُنْيَاكَ، وإن عادت، فمآلها إلى الزوال، وهي قد زالت وذقت ألم زوالها مرة، وهي كفايتك، فهل لك في التوجه إلى الله تعالى، قال: نعم ياسيدي، ولكنني أريد الحج بشيء من مالي. قال السيد: فمُر بنا إن كنت تبغي الحج، فقام معه التاجر، وكان يوم عَرَفَه، فخرج به إلى الصحراء، ثم قال: قدم دُسُ بقدمك مكان قدمي، قال التاجر: فأحرَم وأحرمتُ معه، ومضى ومضيت، فكان كلما رفع قدماه أضع قدمي مكان قدمه، حتى رأيتني معه في ازدحام، فرفعت رأسي فإذا أنا بقوم أعرفهم من الحجَّاج، فعلمت أن ذلك المكان عَرَفَه، فعلمني الحج، فلما انتهى ذلك أوقفني تحت الميزاب وقال: أتحب أن ترى أحداً من الأولياء؟ قلت: نعم! قال: أولئك من الأولياء، مشيراً إلى جماعة في الحَرَم، فاستأذنته ومضيت اليهم، فلما وصلت اليهم، وسلمت عليهم، قالوا: مرحباً بك، أتركت تاج العارفين من أجلنا؟ قلت: قد قال في حقكم ما قال، قالوا: ورب هذا البيت ما منا من هو خارج عن ديوانه، فالزمه فإنه أهدى من هدى إلى الله تعالى في زمانه. قال: فرجعت إلى الشيخ فلم أجده، فتألمت لذلك غاية الألم، وأقبل علي الهَمُّ من كل جانب، فسمعت هاتفاً يهتف بي: أتروم الإقبال مع الإدبار؟ فتعلقت بالكعبة وتوسلت إلى الله بقرب أبي الوفا تاج العارفين أن يجمعني عليه، وبالغت في ذلك، فبيناً أنا كذلك إذ أتاني رجل من أكابر الحاج فحملني إلى السيد تاج العارفين - قدس الله روحه - فأخذت عنه، ولزمت خدمته. قال بن الطحان: وصار هذا التاجر من اولياء الله تعالى والله اعلم.

ومن ذلك ماروي أن أبا بدر الهبدرجي قال: إن المشايخ كلها كانت تُسَمَّى بالبدور، إلا الشيخين القطبين العارفين أبا محمد طلحة الشنبكي وتاج العارفين أبي الوفا - رضي الله عنهما - فُيُسمَّيان بالجوهرتين الكريمتين، ولقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منامي ليلة أول جمعة من شهر رمضان، فقال لي: يا أبا بدر! أوصيك بوصية فاقبلها. قلت: نعم ياسيدي يارسول الله! قال: لا تجلس في مجلس إلا وانت ذاكر للجوهرتين الكريمتين، قلت: وما هما يارسول الله؟ قال: الشنبكي وتاج العارفين، فهما في أعلى الناس درجة، وأرفعهم منزلة عندي وعند الله. قال أبو الوليد^١ فيا لها من (٧٢ب) رتبة، ناهيك بذلك شرفاً، فإن من أثبت له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقد وصل إلى أعلى المقامات، وعرفه رجال الوقت. ثم أن أبا بدر أخبر أن تاج العارفين - قدس الله سره - قطب على خمسمائة قطب، يرجع كل منهم اليه، وكل منهم يسترشده في ذلك، نشأ ذلك عن قوة الحال وتمام الزهد، ولقد كنت مكتوباً في ديوان السبعة، أنا وستة آخرون^٢ فدخلنا على السيد تاج العارفين - قدس الله روحه - فقام لي دونهم، وقال: يا أبا بدر، إن الله سبحانه وتعالى سيهدي على يديك خلقاً كثيراً! ثم أمرني بالإقامة لدعوة الخلق إلى الحق وطريقه، فتصدتُ لذلك من ثمَّه، ولقد أعانني الله كما أحب، واني كنت ارى البدور، يعني مشايخ العصر، كلهم يشيرون إلى قلمينيا، وكذا ارواح المتوفين منهم، ولا يمر رجل في الهوى، ولا يشير رجل من الرجال المعروفين، إلا ويشير إلى قلمينيا، يعني نحو السيد تاج العارفين، فكان يفهم مني الاطلاع على شيء من ذلك، فيقول: أتريد الوصول إلى مثل ما رأيت؟ قلت: يا سيدي وما منا إلا له مقام معلوم، انتهى. ومن ذلك ما أخبرنا به، حكاية عن الشيخ ماجد الكردي - رحمه الله ونفع ببركاته - أنه قال: رأيت سيدنا الخضر عليه السلام بمسجد البصرة، فسألته عن السيد تاج العارفين - قدس الله روحه - فقال: هو سلطان دولة أهل الحقيقة في زمانه، فإن رُمتَ سلوك طريق الرشاد فاسترشده، فإن الله تعالى قد أرشده وأرشد به وأعلى قدره، وأيده بنور قربه، وجعله بعظيم توحيده من خواص أحبابه، وسماه بتاج العارفين، وجعله مُقدِّم الصالحين، وأذلَّ له رقاب السلاطين، وأحرق بأنفاسه

^١ - لم يسبق أن أشار إليه، والرواية مسنودة إلى أبي بدر الهبدرجي المتقدم.

^٢ - في الأصل: آخر.

الشياطين، وتلى على شيطانه معنى أن عبادي ليس لك عليهم سلطان، فإذا اجتمعت به فابلغه مني السلام.

ومن ذلك ما أخبرنا قال: كان الشيخ أحمد ابن الرفاعي - رضي الله عنه - ليرى ما يحدث جماعته على أنهم يُكثرون من ذكر السيد أبي الوفا قدس الله سره، ويقول: وإذا ذُكِرْتُمْ فقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، مع إمرار يديكم أو ذاك على وجوهكم. وقال أن في الأولياء سبعة عشر سلطاناً، وأن الاستاذ تاج العارفين أبا الوفا - رضي الله تعالى عنه - أقواهم حالاً ويدرأ، أما وعزة من له العزة ما من رجل (١٧٣) أدركه فأتبعه أو زاره بحسن إخلاص وحسن نية، أو أحد عمَّن له إليه طريق صحيحة، أو اشتاق إليه فزار ضريحه مخلصاً صادقاً في المحبة. إلا زاحم الملائكة في طريق الجنة، وفاق على كثير من المؤمنين وقاراً. قال الهيدرجي: ويقال أن ثلاثة من الأستاذين يفخرون بتلاميذهم يوم القيامة، وهم أبو بكر بن هوارا بأبي محمد طلحة الشنبيكي، والشنبيكي بالسيد تاج العارفين أبي الوفا، وأبو الوفا بالسيد مطر ابن أخيه.

قلت قد رأينا عنوان ذلك في الدنيا، وهو أن السيد الشنبيكي حين تاب على يد بن هوارا، وإذن له في الدعوة إلى الله تعالى، تعبد ثلاثة أيام من دخوله إليه، وسئل عن ذلك فقال: سلوا طلحة! فإنه أخبر مني بما عاين. ولا يخفى على الفطن ما تضمنه ذلك من الافتخار بالشنبيكي، وأيضاً فقد مرَّ قول الشنبيكي صريحاً: كل مرید سعد بشيخه إلا أنا، فإنني سعدت بأبي الوفا.

وأما افتخار السيد تاج العارفين بابن أخيه السيد مطر، فإنه كان يقول، غير ما مرَّ، مطر بن أخي ولدي، وهو وارث حالي ومالي، ولا شك أن في هذه الالفاظ إفهام لحصول مطر على مقام السيد تاج العارفين بعده، ومن وصل إلى مقام افتخر بصاحبه فيه، فقد حصل على الفخر به فيه، كما لا يخفى من دلالة قرينة اللفظ، والله اعلم.

ومن ذلك ما أخبرنا به حكاية عن الشيخ أحمد بن الحسين الشهير بالأعزب^١ قال: سأله رجل من كبار أصحابه يسمى الشيخ إبراهيم عن السلاطين السبعة، وكان يسمعه يشير إليهم في ألفاظه كثيراً، فقال: هم السبعة الذين يحضرون حضيرة

^١ - الرء في الأصل معجمة هكذا، وربما كان الصحيح: الأعزب، كما تقدم اللفظ سابقاً.

الصدق، قال ابراهيم: فهل فيهم أحد من غير البطائح؟ قال: نعم! فيهم أبو الوفا تاج العارفين من سلاطين بغداد، وأبوبكر الهمداني من سلاطين الجبل، وسهل التستري من سلاطين البصرة. ثم قال الشيخ احمد بعد ذلك: نعم! وهو من السبعة الذين يلبسون لامة الحرب^١ وينزلون في ميدان الحب، ويتنازعون بالبصرة حتى تصير أدمغتهم كأمحاح البيض.

ومن ذلك ما أخبرنا به حكاية عن الشيخ منصور الرباني شيخ الشيخ أحمد ابن الرفاعي وخاله، أنه كان يقول كثيراً لو كان في القيامة من الاولياء رجال كثير، كأبي الوفا تاج العارفين لقل من يدخل النار من عصاة المسلمين.

ومن ذلك ما يروي عن الشيخ أحمد بن الحسين - نفع الله تعالى ببركاته - (٧٥ب) أنه قال: سمعت من الشيخ مقداد شيخ الحدادية^٢، وكان ممن يصحب السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وممن تاب على يده، يقول: ما جاء ولا يجيء كالسيد تاج العارفين، من سائر من بعد الصحابة، من العباد المشاهير. ولقد رأيت القيامة قد قامت، ورأيت تحت علم السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - عشرة آلاف مُريد له، وألف عارف، وأن له في ذلك اليوم لدولة عظيمة، رضي الله عنه وعنا ببركاته آمين.

ومن ذلك ما قالوا عن الشيخ مقداد أيضاً - رحمة الله تعالى - (أن له)^٣ عزة لم ينلها في زمنه بشر غيره، ولا قبل زمنه، بعد الصحابة، غير جده زين العابدين بن الحسين، وأن له دولة عظيمة وسرديات مضرورية، ذو سيف مشهور، وتراب خالص صاف، وانه ليقدم عرصات القيامة حين يقدم، بتاج وإكليل وشامة وعلامة وجاه وجمهور، ويكون بين عينيه شمسة تزهو على نور البدر في الصحو، ويُيسط له بساط يحسده عليه كثير من أرباب الولاية.

وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليباهي به الأمم يوم القيامة فيقول للأنبياء: هل في أممكم كأبي الوفا؟ فلم يكن فيهم غير الانبياء مثله. قلت وإن

^١ - اي بزة الحرب.

^٢ - تقدم أن الحدادية قرية في البطائح من أعمال واسط.

^٣ - اضافة يقتضيه السياق.

ما ذكره الشيخ مقداد في هذه الحكاية يحتاج لبعض ألفاظه إلى شرح، لكنه ظاهر لذوي الذوق، وغاية كل الألفاظ الإشارة إلى أعلى مقام القرب والتمكين والله اعلم. ومن ذلك ما روي عن الأستاذ أبا محمد الشنبيكي - رضي الله عنه - أنه قال: رأيت السيد تاج العارفين أبي الوفا، وقد تقدم إلى عَرَصات القيامة، ووراءه خلق كثير، وقد صاح له الشاويش^١ ونشرت أعلامه في موكب عظيم، وكان من جنوده، الوقوف حوله، عشرة آلاف سلطان، وألف عارف، وفيه امرأتان مُتَوَجَّتان بتاجي كرامته من الله تعالى، وهما في مقام الأُمريَّة على مقام الأمر.

قلت: قال: صاحب (معين الراشدين في مناقب السيد تاج العارفين) أن المرأتين المذكورتين إحداهما حسنية زوجة السيد أبي الوفا - قدس الله سره ورحمها - بنت الشيخ علي العجمي قدس الله روحه، وقبرها في عتبة ضريح السيد تاج العارفين - قدس الله سره - والأخرى عينا خاتون المصرية، التي اتفق لها مع الشيخ محمد المصري ما اتفق من الأمر الالف دينار كما مر ذكره، ثم صارت إلى مقام وفضل بسببها^٢ فيه الشيخ محمد التركماني سلطان بخارا كما مر في موضعه، انتهى.

قال الراوي: ثم روى الشيخ أبو محمد طلحة الشنبيكي في المنام بعد موته، فقيل له: كنت تقول عن السيد أبي الوفا كذا، قال: نعم! هو كما قلت، قيل: فتعرف ممن يكون تحت أعلامه يوم القيامة من السلاطين والعارفين ممن حوله الآن، ومن في خدمته أحد، قال: نعم، أعرف منهم الشيخ علي بن الهيبي، والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ مطر البادراني، والشيخ ماجد الكردي، والشيخ عسكر الشولي الصرّاح، والشيخ محمد الكامخاني، والشيخ حسين الراعي، والشيخ محمد التركماني، والشيخ محمد الرباني، والشيخ عبد الله الرباني، والشيخ إبراهيم اللك، والشيخ عثمان المعبراني^٣، والشيخ سالم العجمي، والشيخ رجب الواسطي بن عمران، والشيخ رمضان المجنون، والشيخ هبونا، ويضاف اليهم السيد سالم، وإن والده الشيخ محمد العريضي، يعني من نسل العريض الأكبر، ليدخل يوم القيامة

^١ - رتبة عسكرية تقدم معناها وتعلقنا عليها.

^٢ - كذا في الأصل.

^٣ - أو عثمان العبراني كما مر.

تحت علمه أيضاً، فيكون هو وولده سالم من حُماة زممرته لعلو شأنه عليهما عند الله تعالى.

ومن ذلك ما أخبر به المشايخ الأربعة أبو الوقت عبد الواحد النعيمي، والقاضي شمس الدين عبد الله الأزجي البغدادي، والشيخ الإمام حميد الدين بن شريك، والسيد الشريف أبو المعالي أحمد بن الشيخ زكي الدين، من ذرية السيد غانم اخي السيد تاج العارفين^١، قالوا: أخبرنا شيخ الاسلام خاتمة المتأخرين سلطان المناطق والأصوليين، قطب الدين^٢ شارح الشمسية، حين إجازته لنا بشرحه المذكور، وما له من مؤلف ومروي، قال: أخذت طريقاً لم يشابهها طريق، وأني لأرجو بانتماي إليها، وحسن ظني في أهلها، النجاة عند الله من بحار الذنوب، وأهوال الخطوب، وأحوال الكروب في الدنيا والآخره، وهي طريقة سلطان المحققين وعين أعيان المتمكنين، السيد أبي الوفا تاج العارفين - طاب ثراه وجمعنا في دار كرامته وإياه - أخذتها من طريق الشيخ أحمد البقلي، أحد خواص خدامه، واني لأرجو أنه اعلاهم. وبلغني الشيخ أن الشيخ أحمد البقلي كان يقول: إنني قد اطلعت على ديوان القدوة، وأسماء اولياء الله، فلم ار فيهم أعلا شأننا من سيدي تاج العارفين، ولا أعز مقاماً، ولا أر في مراتبه اعلا منه.

قال البقلي: ولقد كنت في أيام مجاهدتي أسمع الهواتف تهتف بأنه فريد أولياء العالم، فيزداد جدي، وتقوى رغبتي، حتى انتهيت إلى مقام تحققت فيه ذلك، فطوبى لمن اتبع طريقه، أو لبس زيقه^٣، أو حسن أتباعه، سيما إن وفق لاتباعه - جعلنا الله منهم آمين.

قلت: ولم أقف على هذه الحكاية القطبية في غير كتاب (تنويج آل زين العابدين بسيرة السيد تاج العارفين)، (كما) أن ثبتاً من أحبائي ذكر لي أنها أيضاً

^١ - لم يذكر المؤلف ان لأبي الوفا أخواً اسمه غانم ويبدو انه يقصد اخيه سالم.

^٢ - هو قطب الدين محمد الرازي المعروف بالتحفاني. إمام مبرز في المعقولات ورد إلى دمشق في سنة ١٣٦١هـ/١٧٦٣م. قال ابن السبكي: بحثنا معه في دمشق فوجدناه إماماً في المنطق والحكمة عارفاً بالتفسير والمعاني والبيان مشاركا في النحو يتوقد نكاه وله على الكشاف حواش مشهورة وله: شرح على المطالع للأرموي في المنطق وهذا شرح عظيم الشأن وله: شرح على الرسالة الشمسية للكاتب في المنطق. توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، بظاهر دمشق.

^٣ - زَيْقُ الْقَمِيصِ: جعل له زَيْقاً، أي ما يُحَاطُ مِنْهُ بِالْعُنُقِ. وهو هنا القميص مطلقاً.

موجودة بزيادة يسيرة على ما ذكرنا في كتاب (تتويج السادة الشرفا بمناقب السيد تاج العارفين أبي الوفا) والله اعلم.

ومن ذلك ما ورد عن الشيخ عبد النور بن أبي الفيض عين أهل الولاية في زمانه، وقيل أن هذا الرجل هو إلياس الكردي، وأنه أدرك تاج العارفين وصحبهم سبعة أيام، أنه قال: أطلعني الله تعالى على مقامات الرجال ومعرفة مقاديرهم، فلم أر منهم اعلا نفساً، ولا أرفع منزلة، ولا أغلا قيمة عند الله تعالى من السيد أبي الوفا تاج العارفين، قدس الله سره تعالى روحه.

ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فسألته عن أقرب من لقيناها من الاولياء إلى الله تعالى فقال: ألا تعرف تاج العارفين أبا الوفا؟ قلت: نعم! قال: إذا عرفته، فلا تسأل عن غيره، فإنه أتم أهل عصره حالاً، وأكرمهم منالاً، وأرفعهم قدراً، وأغلاهم قيمة، وأغلاهم منزلة، وأنه أرشد من أرشد إلى الله تعالى، وأن طريقه القرب إلى الله تعالى، وأن له لجاهاً عظيماً، وهو من خير أممي وخلاصة عترتي، فمن اتبعه فقد اتبعني، ومن اجتنب طريقه، أو طريقاً تشبه طريقه، فقد فارقني، وانه لمن اعظم ورثتي، وأجل ذريتي، وهو في غدٍ من ضيفاني.

قال الشيخ عبد النور: فانتبهت من منامي وقصدت السيد تاج العارفين - قدس الله سره - فلما وصلت الزاوية، قيل لي أنه مريض، وبه قد أوصى، وهو على سبيل، فدخلت عليه فوجدته في ملأ من أصحابه، ووجدته يوجد بنفسه، فعلمت أن ما اشار إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحين، قد حان، فتوجهت بقلبي اليه، وعوّلت في توجهي بكليتي عليه، ولا زلت أترقب حلول نظره عليّ، قبل مفارقتة الروح لجسده، حتى لاحت منه التفاتة، فأشار اليّ بيده أن تقدّم، فدنوت منه، فقال: صدق سيدي وقدوتي، وأصلي هدايةً ونسباً، ها انا قادم على ربي، وضيفه صلى الله عليه وسلم في دار الكرامة.

فقلت: يا سيدي أشير لي بمن اقتدي من أصحابك، فقال: (٧٦ب) خليفة جدي المصطفى في الهداية وأصحابي، وخلفاء أصحابه فهم كالنجوم تهدي بمن اقتديت منهم، فقال: يا سيدي، عين لي ليقوى جانب من تُعينه ببركة إشارتك، فعند ذلك قبض على يدي وقال: عليّ بابن أخي مطر. فنهض السيد مطر قائماً، ودنى من السيد - قدس الله سره - فسلمني إليه، وقال: يا مطر! خرج عبد النور، فإنه مُنور

إن شاء الله تعالى، فكان ذلك سبب توبتي، وسبب تخريج السيد مطر لي رضي الله عنه.

ثم أن السيد - رضي الله عنه - قضى نحبه قبل أن أخرج من المجلس، فلما تم أمر دفنه، ورجع كل إلى منزله، ورجع السيد مطر وجلس على سجادة المشيخة، دعا بي، فأحضرت بين يديه، فأخذ عليّ شرط التوبة، واعتنى بي جداً، وصرت كلما عرض لي أمر من عوارض الطريق، تمثل لي نور وجه السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - فيزول العارض، وصرت أدعى بين أصحاب السيد مطر بأبي العنايات، حتى كان السيد مطر - رضي الله عنه - يخاطبني بالمشار إليه، ويعني بذلك أن أصل توبتي إشارة السيد، ولقد قاله لي في يوم من الأيام.

وقد عرض لي عارض من عوارض الخلوة فدفت عندي من نور وجه السيد دفقة فأزلت العارض، ولم يحوج السيد مطر إلى تعب، فكان السيد مطر يقول: أراحك الله كما أرحتنا، فإن لحظ العارف لا ينصرف على معوج إلا قوم، ولا ضال إلا هادي، ولا مخذول إلا وفق، وأن تاج العارفين - قدس الله تعالى سره - لأحد بمثل ذلك، قلت: ولم أطلع على أن عبد النور هذا ممن أدرك السيد، وأخذ بشرط التوبة بأشارته إلا من هذه الحكاية، وهي مثبتة في (فخر آل زين العابدين بمناقب السيد تاج العارفين)، بل إنما كنت اعرف من كتب، ومن ألسن مشايخ من أصحاب السيد بن أخي السيد تاج العارفين من غير اطلاع على أصل الإشارة.

واعلم أن عبد النور عاش مائة وسبعة أعوام، ولقد كان من اجلاء العارفين في زمانه، وأعلا المشايخ المقربين في أوانه، فأخذ عنه عهد صحبته، وقد أدركه في آخر عمره الشيخ نور الدين عبد الصمد النطنزي^(١)، وكان شيخه الشيخ علي بن برغوش الشيرازي قد أخذ عنه قديماً لكنه لم يتخرج بغير الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي^٢ فنسب إليه.

(١) ترجم له عبدالرحمن جامي في نفحات الأنس (بالفارسية)، ص ٤٩٢.

٢ - هو الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، ولد في سهرورد سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م، وورد بغداد وهو بن ست عشرة سنة، وأخذ التصوف عن عمه عبد القاهر السهروردي صاحب المدرسة النجيبية في بغداد، كما أخذ العلم عن السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني، واجتهد في العبادة، وصار شيخ الشيوخ ببغداد، وصار له مجلس وعظ، وأقبل عليه الجمهور من الخاصة والعامة، ومن مؤلفاته كتاب (عوارف المعارف)، وهو كتاب في التصوف طار صيته في العالم الإسلامي بما تضمنه من عمق

ومن ذلك ما روي أن الشيخ (٧٥ب) عبد القادر الكيلاني - رضي الله عنه - قال: ليس على باب الحق جَلَّ وعلا كأبي الوفا تاج العارفين^(١)، قال صاحب كتاب (دليل ذوي الاصطفا من مناقب السيد أبي الوفا) هذه الحكاية بزيادة، وهو أن الشيخ عبد القادر - رحمه الله تعالى - قال بعدها: ولم يكن قبله ولياً مثله ويجيء بعده مثله، وانه لسلطان أهل الحقيقة والطريقة، لا طريق أقرب من طريقه إلى الله، حيث تعددت الطرق ولا مقصد اقصد من مقصده، حيث تباينت طرق المقاصد، جمعنا الله به لديه كما جمعنا بأرواحنا عليه، انتهى.

- الفصل الثاني: في شيء من نظمه وشيء مما نظم على لسانه وشيء مما نظم فيه على سبيل الاختصار:
فإن المنظوم بحر واسع والقصد يراد شيء منه تذكره وتبركاً إن شاء الله تعالى، فمن ذلك ما تقدمت حكاية الشيخ أبي نعيم الأمدى، حين رد عليه حاله، فأنشد القصيدة المتقدمة، أولها:

مُوَحِّدٌ فِي الْبِرَايَا مِنْذُ بَعَثْتَهُ	خليفة المصطفى من خير عترته
دَاعِي الْقُلُوبِ إِلَى مَحْبُوبِهَا وَلَكَّمْ	كان السبيل لوصل في دلالته
- ومنها :	
لَمْ تَنْظُرِ الْعَيْنُ مَاضٍ أَوْ مُضَارِعاً أَوْ	في الحال مثلاً لهذا في ولايته
بَرٌّ عَظِيمٌ وَبَحْرٌ فِي الْحَقِيقَةِ بَلْ	بَرٌّ وَلِبَرٍّ فَخْرٌ فِي إِضَافَتِهِ

في الفهم ورقة في التعبير، وتولى مؤسسات دينية ثقافية عدة، منها رباط الزوزني الواقع في جوار قصر المنصور، ورباط المأمونية، وبنى له الخليفة الناصر لدين الله العباسي رباط المرزبانبة على نهر عيسى، في الجانب الغربي، وأرسله رسولا، أي سفيراً، إلى عدة جهات، ثم اعتكف عن الدنيا واعتزلها حتى وفاته سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، وقد بلغ من العمر ٩٢ سنة، ودفن في مكان قريب من باب الظفرية الذي عرف في القرون المتأخرة بباب الوسطاني.

(١) في سعيه الحثيث لنفي الأصل الكردي لابي الوفا ولائبات انتمائه إلى أهل البيت وابعاد كل الشبهات حول ذلك، حرف الواسطي مقولة الكيلاني الشهيرة بخصوص أبي الوفا، فحذف كلمة "الكردي" منها، فهي في المصادر الأخرى "ليس على باب الحق رجل كردي مثل الشيخ أبي الوفاء"، الشطنوفي، بهجة الاسرار، ص ١٤٣-١٤٤، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، حوادث سنوات (٦٩٧-٧١١ هـ)، ص ٩٦٦، التادفي، قلائد الجواهر، ص ٨٠-٨١، الشعراي، الطبقات الكبرى، ١/١٣٥.

أبو الوفا من به في الناس قد عرفت
عين الولاية في أزمانه وإلى
ومنها:

يهدى إلى الله من يهدي إليه وعن
قد اهتدى دون شك بالعناية من
ومنها:

للاندين به عزٌّ ومكرمةٌ
كم قد غدت أسد الغابات خاضعة
وكم إليه أتى من مُقعدٍ فمشى
شفا القلوب من الأسواء حقيقة
يكسو الجلالة للعاري بلحظته
سمّاه مولاة تاج العارفين وقد
أتى على رأس قرن خامسٍ فهدي
محمد المصطفى الهادي الذي شرفت
صلى عليه إله الخلق ما اختلجت

وللشياطين نلٌ عند عزته
كذا ملوك البرايا من مهابته
وكم سقيماً به عوفي لساعته
وغير مولاة أعمى عن حقيقته
وكم تفطر قلبٌ من جلالته (١٧٦)
كساه تاج فخار مع صيانته
وناب عن جده الهادي بشرعته
به الخلائق وانقادوا لبعثته
فكر كذا الآل طراً مع صحابته

ومن ذلك ما أنشده بعض خدامه لبعض تلامذة ذلك الخادم حقاً على علو الهمة
في المجاهدة، فقال متعرضاً لذكر أستاذه:

هم الرجال سرت إلى محبوبها
رفضوا الحظوظ من النفوس فشاهدوا
خرجوا عن الكونين واستغنوا به
لهم قلوب قد أبادتها الجوى
صافت فصافاها الجليل بوصفه
يا بُعد من لم يتصف بصفاتهم
لاتنكروا حال الرجال فإنهم
من لم يذق طعم الوصال وطيبه
لولا رجال الله ما بان لنا
يا عارفين بربهم يا سادتي

فتعلقت بالذروة العليا
عين اليقين برتبة الأدباء
عما سواه فعوملوا بوفاء
فيه فداركها التقى بصفاء
فسقاهم كأس الوفا بهناء
لا يصلح البطل للامراء
فازوا بشيء ليس كالاشياء
ذا ليس يدري لذة المعناء
سُبل الرشاد ومنهج السعداء
بكمؤا سقمتُ ومنكم أدوائي

ياتاج كل العارفين اليك قد مال الضمير وصحَّ عقد ولائي
أنت الوسيلة لي إلى ربي ولا بدعاً فجدُّك خيرة الأنبياء
وإذا علوت على الورى لا غر و وإن يترك عليَّ يا ذاك للأبناء
فعليهما صلى الإله على المدى وعليك رحمته بكل مساء

ومن ذلك ما قيل أن رجلاً حضر مجلس الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - فسمع منه ما سمع حتى ذكر السيد تاج العارفين أبو الوفا - قدس الله تعالى روحه -، فأطنب في ترحمه فصاح ذلك الرجل، وتلَوْن وجهه، وماج ساعة، فأحجم ابن الجوزي عن الكلام، وما زال ذلك الرجل كذلك ساعة وأنوار وجهه تشهد له بالولاية.

ثم أنشد:

ياناقلا قول أهل الحق لي أربُّ فيه لعل به ان ينطفي اللهبُ
كرره بالله تكريراً لعلُّ به أن ينزل أو أن ترفع الحجب
لا سيما ذكر تاج العارفين عسى يشفي به قلب صبَّ شفه الوصب (٧٦ب)
فهو الدليل لمن ضلَّ السبيل به من الأنام إذا أخطأ به الطلب
من نور هادي البرايا جده امتلأت أحساسه فدنت تسعى له الرتب
ثم أقبل الشيخ أبو الفرج على الكلام برهة لم يتعرض لذكر السيد أبي الوفا، شفقة على ذلك الرجل، فشق ذلك عليه كثيراً، ثم صاح واستغرق، ثم أفاق فحمد الله تعالى على ما فتح عليه، ثم قام على قدميه فأنشد:

أفوه مدى دهري بذكر أبي الوفا إمام النقا بحر المعارف والصفاء
اليه انتمى قلبي حقيقاً ونسبتي لخرقته صحَّت وفخري كفى
أما هو تاج العارفين وقطبهم أما هو بالأحوال للرجز قد نفى
أما أشهد الطفسونجي نزع خاتم به حيث ألقاه بنار مُخوفاً
وشاهد وقت الظهر ديجور حندس^١ وعاد له نور النهار بلا خفا

قلت: أشار بهذه الأبيات إلى قصة الطفسونجي، وقد تقدمت مفصلة، وقد ذيل عليها بعض أهل زماننا، وسألني الحاقه بها فأجبتة إلى ذلك، وهو يشير أيضاً إلى وقائع أخر لم يذكرها الناظم للأبيات، أما لغلبة حال قطعت عليه ذلك، وأما لعدم

^١ - الحندس: الظلمة.

إحاطته بها علماً، وأما لأنه أخذ عن الطفسونجي، أو كان حاضراً قصته معه، والله أعلم. قال المذيل، وفقه الله تعالى وإيانا لمرضاته، أمين:

كذا خاطبت أعضاؤه وهو نائم
ومس بكشف منه عوداً وقال بس
فقسم اثلاثاً مداساً وربعه
وقد رد محيي الدين يوم قدومه
رأى مارأى منه فروي فؤاده
واعطاه ثوباً ثم أعطاه سبحة
وأعطاه عكازاً كريماً وقصعةً
وقد نظرت عيناه عزيريل قابضاً
وقد خاطب الأملك في يوم وعظه
وقد أدرك التجار لما توسلوا
وعارك حوتاً رام إقلاب سفنهم
وما كان من حلق الرأس تم حلاقه
وعاد إلى إكمال حلق متمماً
وأثره بالألف دينار أجرةً
ولا غرو إذ لم يرض أحمد جده
عليه صلاة الله ما لاح بارقٌ

رجالاً أتوا يبتغون كشفاً لما اختفى
ودس ثم مر فوق الرؤوس مشرفاً
وصندوق قبر فوق صار رفرفاً
عليه مراراً ثم اسقاه قرقفاً^١
ببشرى ففاض النور في القلب فاستفا
وسجادة أيضاً وأقراه أحرفاً
وأدناه منه في المقام وأنصفاً
لروح فتى في أرض قوسان فانطفأ
وخاطب ارواح الرجال وعرفاً
به يوم حلق الرأس في الوقت مُسعفاً
فمزقه في الحال قتلاً وأتلفاً
فلما رأى الحلاق حالاً تخوفاً
حلاقته في الوقت ثم تلتففاً (١٧٧)
على الطلق عن فضل ولم يلف مسرفاً
جميع كنوز الأرض لكن تحنفاً
وما لاح نجم في الدجنة واختفى

ومن ذلك ما نُسب إلى السيد - رضي الله عنه - أنه أنشد بعض كلام سبق في الباب الثاني، كما أسلفنا، مع أول بيت من هذه القصيدة، وقد وجدتها في ثلاثة كتب من مناقبه - رضي الله عنه - وهي شعر:

تحقق ترى حق الحقائق تنجلي
ونبه فؤاداً منك طال منامه
فمن شاء أن يحيى يمّت بغرامها
تنبه وإلا لم تنل عزّة
توجه لمولى لا سواه لأنفسِ
عليك جهاراً دون ما عندك يخفيها
فما أفسدته النفس في الدهر يكفيها
فإن ممت النفس في الحب يُحييها
فمن لم يغب عن نفسه لا يوافيها
إذ لم تعين منهج الرشدها هاديها

^١ - القرقف: الماء البارد الصافي.

ولا ترجُ غير أن ظفرت بقربه
تليقظ دواماً إن نومك لو أتى
ولا ترقُدنَّ عند الغنائم إنما
ينام عن اللذات من لا يرجيها
نفر فرد جمع الرشد والله مُحصِيها^١
ولو لحظةً يأتيك عند تجليها

ومن ذلك ما أخبرنا به، قال: سئل الشيخ الامام علاء الدين على، من ولد السيد منجج بن السيد يعقوب بن السيد مطر، عن الترقى في مقامات السلوك وعدد مقاماته، أنه قال: كنت عند السيد تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - فأتاه سائل، فمنحه ما سأل من الدنيا، فقال السائل: والله لقد وقفت كوقفتي هذه بين يدي ملوك الدنيا فرُددت، ولم يُجر الله ذلك على يدك إلا إيقاظاً وإعلاماً بأن أعظم ما ينال من الدنيا الملك، وقد عجزت من اهله عن أن يمنحوك ما طلبته منهم، وإن أعطائه ممن ظننت عدم قدرته عليه لفقره، وعدم اعتناؤه بجمع الدنيا، ولم يرد الله بذلك إلا تعريفي أن طريق الفقر هو باب الغناء في الدارين، ولكن يا سيدي! أسألك أن تأخذ عليَّ عهد التوبة، فأجابه السيد إلى ذلك، ففرَّق ما صار إليه من السيد في الفقراء والمستحقين، وأضاف (ب ٧٧) إليه جميع ما يملك غير ما يستر عورته، ثم أخذ عهد التوبة، فحَسُن حاله، وصار كل يوم في ترقى. فبينما أنا ذات يوم عند السيد، إذ دخل عليه فقال: يا سيدي ما مقامات العباد في العبادة؟ فإنه بلغني أن مقاماتهم متفاوتة، قال السيد: ذلك تعرفه بعد سبعة أيام! قال السيد مطر: فلما انقضت السبعة أيام نظرت إليه، فاذا هو كالجبل الراسخ قد زالت منه عفونات الحظوظ، وبقيت أنوار الحقوق. فقلت له: أعرف ما كنت تسأل، قال: نعم ان شاء الله تعالى، قلت: فاخبرني بما عرفت، فأنشأ يقول:^٢

قلوب لها أيدي العناية نبهت
رأت ورعاً إعراضها عن مباحها
فعدت لزهد الكون فيه فافقرت
ولما عن الفاني جميعاً تصبَّرت
فمذُ خلصت مما سواه توكلت
فإن رمت تخطي بالتقرب فاسلكن
فتابت إليه فارتقت لإنابة
وقد حاسبت ثم اختطت بالإرادة
فلم يأت غير الصدق في كل خطرة
رأت حُلُوَّ شهد الصبر إخلاص نية
فلم ترجُ غير الله في كل حالة
الى الله بالهادي لخير شريعة

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - كذا في الأصل.

وخذ عن رجال الله شرعَ محمدٍ
هو القطب تاج العارفين أبو الوفا
ولا غرُّ زين جده أشرف الورى
عليه صلاة الله ما لاح بارقُ
ورضوانه عن آله وصحابه
وأقربهم هدياً لخير طريقة
الحُسيني إمام الأولياء الأئمة
تورث هدياً بعدُ بعد القطيعة
وما غرَّدت قمرية فوق أيكَة
وكل فتى من صالح خير أمة

قلت: وقد وقفت على هذه الابيات كما هنا في بعض مناقب السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وفيها زيادة على هذه الأبيات، وهي زيادة حسنة، غير أنني لم استحضر شيئاً منها، وما أوردنا منها كافٍ، وهي منسوبة لغير منشدها المشار إليه أيضاً، والصواب ما ذكرناه انفاً والله اعلم.

ومن ذلك ما أخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ أبو النجيب عبد الاول بن شيخ الدرس بالمدرسة المستنصرية بسندٍ صحيح إلى الشيخ حميد الدبَّاس^١ - رحمه الله تعالى - أحد الأربعين الخدام. قال: وسمعت من لفظ سيدي تاج العارفين - قدس الله سره - بعد موعظة وعظنيها في أيام البداية، ثم قال منشداً (١٧٨) في غلْبة حال:

ذابَ جسمي وصحَّ صدق ولائي
وتجلت للعين شمسُ بقائي
وتنزلت في العوالم أبدي
ما انطوى في الصفات بعد صفاء
فصفاتي كالشمس ترى سناها
وجودي كالليل يخفي سوائي
أنا معنى الوجود أصلاً وفصلاً
من رأني فساجد لبهائي
أنا نور الأهل مستبين
إشهدوني فقد كشفتُ غطائي
وذيل عليها بعضهم فقال:
أنا تاج للأولياء وإمام كل
أنا من نسل خير خلق طه
فعليه الإله صلي دواما
أهل الزمان تحت لوائي
في بكور له وكل مساء
وقلت مبهتجاً جذلاً بفرط المحبة:

^١ - والصحيح حماد الدباس وهو أبو عبد الله حماد بن مسلم بن الدباس، الزاهد العارف (ت: ٥٢٥ هـ/١١٣١م)، وُلد برحبة مالك بن طوق، ونشأ ببغداد وكان أمياً لا يكتب ومن الأولياء أولي الكرامات، صحبه خلق، فأرشدهم إلى الله تعالى، وظهرت بركته عليهم وهو من أبرز شيوخ عبد القادر الكيلاني، وكان يتكلم على الأحوال، وقد كتبوا من كلامه نحواً من مائة جزء. تاريخ الإسلام، ١١/٤٢٩.

بالصدق والاخلاص بادروا الصفا	واستهد تاج العارفين ابا الوفا
خَبِرَ الحقيقَة خير بَر بحره	بالهدي والافضال دوماً قد وفى
سبحان من بالقرب منه خصّه	وسقاه كأس الأُنس مَعَهُ وقد صفا
وقد اصطفاه من سلالة سيِّدٍ	هو للإله من البرية مصطفى
صلى عليه الله ثم عليهم	ما لاح في الأفاق نجمٌ واختفى

ومن ذلك ما روينا عن الشيخ محمد التركماني، إنه أنشد في واقعتين كانت أوليهما بحضوره، وهما أمر زرع السيد النخيل بقوسان ثم قلعه، وما بلغه من أمر الشيخ محمد، وما صارت إليه عينا خاتون وقصته معها قد اسلفناه فقال:

بروق رجال الله لاحت لها لَمْعُ	بفيض لها في القلب نورٌ له نَفْعُ
وأثار أقطاب الرجال إذا بدت	يرى سرِّها العاني ويشهدها الجمع
وقد زرع القطب الشريف أبو الوفا	نخيلاً بقوسان العراق له وَقَع
لما مضى من يوم غرس نخيله	سُنون إلى الإثمار أعدادها سبع
توالى على قوسان جذب أجاجها	خلا نخل قطب الوقت ما مسّه جزع
فكانت ذوو الحاجات تَلْقَطُ تمره	ويصبح في حِمْلٍ يضيق به الوسع
أعان عُبَاداً عند محل نخيلهم	وكم جاء جمعٌ وأعقبه جمع
ولما أزال الله ضُرَّ عباده	توجه فيه القطب فاستحکم القلع
ومد يداً من نحو ألفين فرسخاً	إلى الخادم العاصي فادرکه الردع
ورد عليه المال بعد ذهابه	إلى المرأة الحسناء ففاض لها دمع
وجاءت لأستاذي فأنكحها لمن	دعته لها النفس التي لم تزل تدعو
فقامت بباب الله تسعى وجاهدت	ونالت مرأماً حين فارقتها الهجع
فطوبى لمن وافى لباب أبي الوفا	بكسر ففيه الجبرُّ والعزُّ والرفع (٧٨ب)
فبالجد نال القصد ثم أناله	وبالجد خير الخلق موطنه الجمع
عليه وكل الآل والصحب دائماً	صلاة وتسليم ومن هُم لهم فرع

ومما روي عن الشيخ محمد التركماني أيضاً هذه الابيات، وهو يشير فيها إلى أمر الشيخ عسكر الشولي الشهير بالصرّاح، حين رأى السيد وقد استنقذ بالمغرب مجاهداً من أيدي الكفار، وغلب الكفار مع المسلمين كما صرّح به في بابه، وإلى أمر

الزائر الذي أعطاه السيد الخيط عند انصرافه، فرآه الأسد الضاري فرد عنه بعد قيامه عليه، ببركة ذلك الخيط، وقد مرَّ أيضاً موضحاً في بابه، فقال، شعراً:

محبَّة أهل الحق فينا ودائع	وسر ذوي التحقيق خافٍ ودائع
ولا عيش إلا عيش أهل محبةٍ	يقطع عنهم كل ما هو قاطع
لقد أخبر الصرّاح عسكر أنه	رأى يده سيفاً بذى الكفر باتع
وقد أثنى الكفار ضرباً وردَّهم	وكانت لهم في المسلمين وقائع
ولما أفاض الله من فيض نوره	عليه به ضاق القضاء وهو واسع
وقد جاءه يوماً إلى الباب زائر	فشد عليه منه خيطاً يُدافع
فعارضه في ذلك الدرب كاسرٌ	فلما دنا منه مضى وهو راجع

ومن ذلك ما روي عن الشيخ الإمام أبي زكريا يحيى بن يوسف الوفائي الشهير بالصرصري، صاحب المدائح المتقدم ذكره، وهي القصيدة المتقدم ذكرها، وهي مما مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم متنزلاً بقوله:

ونال من فضل ما أعطيت آلك	والأبرار أصحابك الموفون بالذمم
والتابعون بإحسان ومشِيخة	الى الطريقة دلونا بهديهم
كالعارف العدل تاج العارفين	أبي الوفا وكالقطب عبد القادر العَلَم
والعارف العَلَم الهيتي ولي	النظر الصحيح كم قال من قول فلم هم
وكأبن ادريس ذي النظر الصحيح	كم قال من قول فلم يهم
ما زال متبعاً آثار ملَّتكَ البيضا	وعن حُكمها المحمود لم يجم
فهم وامثالهم أعيان امتك البرّاع	من عربٍ عرباً أو عجم ^٢
في كل عصر لنا منهم شمس هدى	إذا عري الجذب يستسقى الحيا بهم
وإن طراً حادث عُذنا بهم وإذا	حلوا قبورهم عُذنا بتربهم(١٧٩)
نصفيهمو ماحيينا ودنا وإذا	متنا نموت على اخلاص حبهم

^١ - التنزلات هي: موشحات دينية في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وفي الابتهاالات الصوفية، منها ما يلحنه ناظمها على وفق المقامات الموسيقية المعروفة، ومنها ما يتبع ألحاناً مؤداة مشهورة في عصره، وقد اشتهر هذا الضرب من النظم في الموصل خاصة، حتى وضع بن عربي كتاباً بعنوان (التنزلات الموصلية). ينظر محمد نايف الدليمي: ديوان الموشحات الموصلية^٢، الموصل ١٩٧٥.

^٢ - عرب الأولى: صاف، يريد خالص النسب.

ومن ذلك ما أنشده بعض مريدي السيد تاج العارفين ممن سلك على يد الشيخ القدوة ابراهيم اللك إرشاداً لبعض مريديه وتعرض فيها لمدح السيد تاج العارفين - قدس الله سره - مشيراً إلى شيء من مقامه - رحمه الله تعالى - في ذلك مما يزيد السالك رغبة وهمّة، قال:

فاترك رُقَاد مُكْسَلٍ بَطَالٍ	إِنْ شئتُ تَعَزَمُ عَزيمةَ الإِبْطَالِ
إِلَّا وَحَلَّتْ عُقْدَةُ الإِقْبَالِ	وَاشدَدَ عِزَائِمَكَ الَّتِي مَا حُلَّتْ
وَاسأَلُ بِهِم لِتَخْفِيفِ الأَثْقَالِ	وَاسلِكَ سَبِيلَ العَارِفِينَ أُولَى النُّهَى
وَاللِحْظُ مُضْجَعُهُ بُعِيدَ لَيَالِ	لَا كَانَ لِحْظٌ يَسْتَلْذُ بِغَمْضَةٍ
قَمِ فَاَنْتَبِهْ فَالعَمْرُ طِيفُ خِيَالِ	يَا مَنْ يَنَامُ وَلَمْ يَنْمِ عَنْهُ الرَّدَى
وَالعَمْرُ فَاتِ فَيَا شِتَاتِ الحَالِ	الْقَلْبُ مَا تَبَايَ قَلْبِي نَقْتَدِي
حَتَّى أَنُوحَ عَلَيْكَ يَا أَعْمَالِ	يَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ مَا لَكَ رَجْعَةٌ
بِأَبِي الوَفَا هُدَايَ بَعْدَ ضَلَالِ	لَكِنِّي أَرْجُو النِّجَاةَ وَإِنْ أَرَى
جَهْرًا بِابْرَاهِيمِ دُونَ سؤَالِ	وَقَدْ أَتَانَا مِنْهُ عَنَوَانَ النِّجَاةِ
سِي بِالإِسْتِخْلَافِ فِي الأَعْمَالِ	دَاعٍ مِنَ الدَّاعِي إِلَى الرَّحْمَنِ لِلدَّاعِ
مِنْ شَرَعَةِ المِخْتَارِ فِي الأَعْمَالِ	يَا رَبِّ ثَبِّتْنَا عَلَى مَا أَوْضَحُوا
وَالصَّحْبِ فِي الغَدَوَاتِ وَالأَصَالِ	وَعَلَيْهِ صَلِّ مَدَى الزَّمَانِ وَآلِهِ

ومن ذلك ما أنشد أبو المجد عبد النور الكوفي المتصوف، حين سئل عن يأخذ من جماعة السيد تاج العارفين أبي الوفا ومن يترك، فقال للسائل: يا هذا إن من ذكرت فرحهم بعتيق، وعتيقهم لايقوم عليه، وإن كلاً منهم دليل في طرق الوصول، وقصر مشيد على أحسن الأصول، وقد صدق قولي فيهم حيث أقول:

مِنْ غَيْرِ سَنَةٍ حَبِبَهُمْ خَذَ وَاتَرَكَ	وَسَوَى طَرِيقَهُمْ تَعَدَّى وَاسلِكَ
وَاصْبِرْ عَلَى فَتَكَاتِ صَارِمِ حَبِبِهِمْ	لَا فِخْرَ لِلهِنْدِيِّ إِنْ لَمْ يَفْتَكِ
وَالبَسْ بِهِمْ ثَوْبَ التَّحَوُّلِ فَإِنَّهُ	لَا يَخْلُصُ الإِبْرِيْزُ مَا لَمْ يُسْبِكِ
شَرَفَ القُلُوبِ دَخُولَهَا فِي زِيْقِهِمْ	وَالعَبْدُ يَحْوِي الفَضْلَ بِالمِتمَلِكِ
قَسَمًا بَعْزَ جَمَالِهِمْ وَبِصَوْبِهِمْ	وَبِذَلَّتِي فِي عِزَّتِهِمْ وَتَهْتُكِي
لَا حَانَتْ عَنْ شَغْفِي بِهِمْ حَتَّى أَرَى	طِيبَ الحَيَاةِ بِوَصْلِهِمْ أَوْ مَهْلِكِي (٧٩ب)
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حِمِّي نَائِي المَدَى	عَنْ أَهْلِهِ دَانَ عَزِيزِ المَسْلَكِ

من دونه للصبّ أطراف القنا
وقد صدّني التقصير عن إدراكه
لكنه مذّ علقّت آمالنا
فهو الدليل إلى النجاة مُعرّف
فعلى طريقته سلوكي دائماً
لأتمتحن نقائصي بتعلقي
ذي الفضل والجاه العظيم المرتجى
كن عون عبد النور في الدنيا

وقواضب البيض الرقاق البتّك
ومعائق التقصير ليس بمُدرك
بأبي الوفا للبين لسنا نشتكي
سُنن الهدى من جدّه الهادي الولي
وبدين أحمد لست قط بمُشرك
بالحاشمي محمد وتمسّكي
في موقفٍ لسوى الموحد مهلك
وفي الأخرى وإلا لا يفيد تنسّكي^١

ومن ذلك ما أخبرنا به أن السيد تاج العارفين أبا الوفا - قدس الله تعالى سره - أنشد في الحادثة التي حضر فيها الشيخ أبو الحسن بن الجوزي، والشيخ أبو الفتح أسعد، على ما مر ذكره في بابيه، وهو قوله، رضي الله عنه:

سر الفصاحة كامن في المعدن
والجوهر الشفاف أحسن قنية
ماذا يفيد أخوا لسان مُعرب
وإذا نطقت بسرّ ما أودعته

بسرائر الأرواح لا في الألسن
إذا كانت الأصداف مالا نقتني
إن يأت خالقه بقلب لَكن
قلت الصحيح وإن يكن بالارمني!

ومن ذلك ما قالوا: إن السيد أبي الوفا تاج العارفين - قدس الله سره العزيز - كان في مجلس تذكير، فهاج سره وأنشد، وقيل: بل..... بعض الحاضرين من مريدي السيد - قدس الله سره - فقام فأنشد بين يديه على لسان حال السيد، فأقره ولم يمنع قائله، وهو قوله:

شرفني سيدي على الناس
شربتُ كأساً من خمرة شرفت
تحت لواء الرسول مجمعنا
أسمعت منه الخطاب يذكُرني

برفع تاج الرضا على راسي
فكان كل المراد في الكاس
وأهل ذاك المقام جُلّاسي
فجزتُ قومي وفقتُ أجناس

^١ - هنا أورد بيتا ثم شطب عليه بالحبر.

^٢ - هنا كلمة لم تظهر بسبب أنها كتبت في الهامش فأجحف بها التجليد.

قلتُ: وقد نَسَبَهَا في (معين الراشدين في مناقب السيد تاج العارفين) جزماً، وقال بعضهم: إنما هو من كلام بعض المحبين على لسانه، وأما نسبته إلى السيد فهو غلط والله اعلم.

ومن ذلك ما أنشده بعض مریدی (٨٠) مریدیه، وكان يلزم ضريحه، ثم غاب وطالت غيبته، فتشوق إلى تلك المواطن، وتذكر أوقاته بها، فأنشده متعرضاً لبعض وقائع مما مر ذكره موضحاً، فقال منشداً: (٨٠ أ)

أغراه لمع البارق اللماع	بهوى الرجال فظل ذا اوجاع
وصبا إلى قلمينياً بفؤاده	فشجاه شدو الهاتف السجّاع
وأثار خفاق النسيم لظى الاسى	فجري الغرام بقلبه الملتاع
ودعا لتاج العارفين قلوب من	اصغوا له بالقلب والأسماع
من باسمه رد المهيمن حال من	قد جاء راجل وقته الاوزاع
وقبيلة لما أتاه مقعدا	يطوي رمال فداقد وتلاع
فنهاه عن رفض وقبح عقيدة	فأجابه بضميره المطواع
ودعا له بحضور قلب عامر	فامامه يعدو على الإسراع
وأرى الخليفة حمزة لظروفه	عسلاً وسمناً صبه بأواع
واتت لجاكير الرسول عناية	فأقيم في الخيرات نعم الداع
وعبور عثمان به ويقومه	بغداد في سفن بُعيد نزع
وبعبرة لي عبرة مذ قالها	عثمان سرا منه غير مُذاعي
ومقالة للعارفين بأسرهم	وقبورهم أنتم على اجماع
من جاء أو من سوف يأتي منكم	أبداً إلى إبلاغ صوت الداعي
تأييده من نور حالي دائماً	والقطب للسادات مثل الراعي
وكذاك مدّ من الطريق يداً إلى	بنت أخت معروف لصدق الداعي
وسؤال حُذّاق الجدال بأسرهم	عما أعدوا من جدال خداع
انسوا فلم ينطق فتى منهم بما	أوعاه من نص ومن ايضاع
فأبان ما كانوا أعدوه له	وأجاب عنه كمرهف قطع
هذا بتفلة جدّه خير الورى	فهو الممد لسائر الاتباع
صلى عليه الله جل جلاله	ما ساح قلب في فضا الأطماع

١ - كذا في الأصل، موافقاً للقافية، ولعله أراد: ايضاح.

ومن ذلك ما قاله بعض مريدي السيد تاج العارفين - قدس الله سره - عند حضوره مجلساً من مجالس من يدّعي ما ليس عنده، وتذكر بذلك ما عهده بين يدي أستاذه من الأوقات المخلّصة، والشراب الصافي، وصدق أهل المجلس، وفيض أنوار العرفان على القلوب الصادقة، فأنشُد شعراً: (٨٠ب)

يا غائباً ويقول إنني حاضرٌ	إن تترك الدعوى فأنت الشاطرُ
الليل يقطعه رقادا غفلةً	وأخو الصبابة والمحبة ساهر
لو عاينت عينك حال أولي الهوى	لرأيت حالاً حاراً فيه الشاعر
جسماً نحيلاً اصفرّاً وحشاشةً	فيها لهيبٌ جوى ودمع ماطر
سهروا الدجى وسقاهم محبوبهم	خمراً فمنه الكأس فيهم دائر
نادى البشير بقوله سبقت لهم	منا فهموا فرحة وتباشروا
أخبارهم تحيي النفوس وذكرهم	مسكٌ ذكيٌّ في المحافل عاطر
يا نائماً والراح تجلي قم لها	فالباب مفتوح وربك غافر
هذا بساط الأنس هذا حسننا	هل طالبٌ هل سامع هل ناظر؟
إنني مجيبٌ للدعاء وراحمٌ	إن كنت ذا كسرٍ فإنني جابر
يا شيخ شاب الزرع حان حصاده	فالى متى والموت نحوك سائر
يكفيك أنك عنهم متخلفٌ	يا غافلاً عن رُشده يا حائر
فألجا إلى طرق الوفاء وأهله	تفتح بتاج العارفين ذخائر
وانظر اذاً كيف الطريق ودع دعا	ويك الكذوبة أو ينعم الناظر
وبجده خير الأنام محمد	فاستمسكن للحشر فهو الحاسر
والجأ إلى أشياخنا نوابه	فالقلب ليس بغير شيخ عامر
فهم الذين هدوا إلى طرق الهدى	والفرد منهم للضلالة زاجر
فاخرج عن النفس الخبيثة واحضرن	يا غائباً ويقول اني حاضر

قال الراوي: ثم غلب على المنشد المذكور حاله، فتكلم بكلام عالٍ على لسان أهل الحقائق، أزعج فيه قلوباً وهيّج اسراراً، فتوجهت إلى تلقي مواعظه واقتباس أنواره قلوب تيقظت له، ثم أنه انشد:

^١ - في الأصل: الكذوبة.

طَفِ حَوْلَ كَعْبَةِ أَهْلِ الْعِزْمِ وَالْهَمَمِ	وَاسْتَسْقِ مِنْ زَمْرَمِ الْعِرْفَانِ وَالْحِكْمِ
وَاقْصِدْ مِنْهَا عِرْفَاتِ السَّائِرِينَ وَرِدِ	مَنَاهِلَ الْقُرْبِ وَالتَّمَكِينِ وَالْكَرَمِ
مَنْ مَفْرَدَ الْوَقْتِ تَاجَ الْعَارِفِينَ وَمَنْ	أَمَّتْ إِلَيْهِ وَفُودَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
وَافَتْ إِلَيْهِ رِكَابٌ قَالَ قَائِلُهَا	حَثَّ الرِّكَابَ لَهُ يَا حَادِيَ النِّعَمِ
حَبْرٌ لَهُ مِنْ جَنَابِ الْمُصْطَفَى صُلْبِيَّةٌ	وَلَمْ تَزَلْ أَبَدًا مُوَصُولَةَ الرَّحْمِ
قَطَبٌ لَهُ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ مَنْزِلَةٌ	تَاكِيدُ تَشْرِيفِهَا بِالسَّبْقِ وَالْقَدَمِ
لَوْ رَمَتْ أَحْضَرَ مَا أَعْطِيهِ مِنْ رُتَبٍ	لَمْ اسْتَطِيعَ حَصْرُ مَا أُولِيهِ بِالْقَلَمِ
فَمَوْجَزَ الْقَوْلِ فَرَدُّ لَا مِثَالُ لَهُ	مَنْ نَسَلَ خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ كَلْهَمِ (أ١٨)
صَلَى عَلَيْهِ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ	أَيْكُهُ وَمَا اشْرَقَتْ شَمْسٌ فِي الظُّلْمِ
وَالْأَلِّ وَالصَّحْبِ وَالْإِنصَارِ ثُمَّ عَلَى	قَوْمِ هَدُونَا فَكُنَّا أَشْرَفَ الْأُمَمِ

ومن ذلك ماروي عن الشيخ محمد الكامخاني - رحمه الله تعالى - أنه جلس مجلس إرشاد بين قومه، فدعى إلى الله تعالى قلوباً مُنَوَّرَةً، فأجابته دون وقفة واحتجاب، وعرف الطريق إلى الله تعالى فأنارت قلوب غلف، فانتفى عنها الارتياب، ثم أنه أنشد بديهة بأفصح لغة وأوضح عبارة:

انظر إلى حال أهل الجدِّ بالمقلِّ	وارم التواني وحط العجز أو الكسل
واسلك طريقهم تُدرِك حقيقتهم	واستعمل الصدق والإخلاص في العمل
فاز المُشْمَرُّ في نيل المراد بما	يبغي وانت من التقصير في خجل
باب المكارم مفتوح فقم عَجَلًا	ما رد من جاءه يسعى على وجل
اسرع إلى توبة يُرجى النجاح بها	واحذر من النفس والتسويف بالأجل
وقف على باب هادي العالمين وصحِّ	يا سيد الخلق إني في لظى زلل
واقصد إلى رجلٍ من خير عترته	إن رمتُ أن تقتدي منهم بخيرٍ ولي
السيد القطب تاج العارفين أبا	الوفا وشيخ ذوي التحقيق في الأزل
قطب آمال محبيه بخرقته	سعداً وأنزلهم في اشرف النُّزُلِ
يا راغبين هلمُّوا أو اسلكوا سُننًا	فيه النجاة لمن قد ضل السُّبُلِ

ومن ذلك ما أنشده بعضهم في مجلس وعظ وتذكير للشيخ الامام شهاب الدين عمر السهروردي، رضي الله عنه وعن اشيائه واسلافه ونفع بعلمه وبركاته بديهة:

طبعي على حب اهل الله محبوباً	قدماً وقلبي بهم والله مأمول
إن قال قائله قولاً احققه	قول الأكابر معقول ومنقول
او ان اتى خبر عنهم أصدقه	مهما يقال سوى الإلحاد مقبول
ياقلب كم ذا التواني والوفود سرت	نحو الحبيب وحبل الوصل موصول
نادى بشير التهاني بينهم سحراً	يا قاصدين حمانا للهدى ميلوا
فانهض فساعدك وافى واغتنم عملاً	ولا تمل لمرامٍ فيه تكسيل
واقصد حما خير خلق الله قاطبة	فإن قاصده باللطف محمول
واسترشد القطب تاج العارفين ابا	الوفى فسياف هداة الدهر مسلول
واستمطر الغيث من غوث شاهده	شواهد الحق أو يلقي بها السؤل (٨١ب)
وقيل اليك اتينا خاضعين لما	ترجو عندك كل الفضل والطول
وقد أجبنا لداعي الرشد وقد	وعدت هدياً ومنك الوعد مأمول
عليك رحمة ربي ما همت سحباً	وعند بابك سيف البعد مغلول

ومن ذلك ما أنشده بعض المسلكين على طريقة الأستاذ تاج العارفين - قدس الله سره العزيز- أخذ عنه عهد التوبة، ثم ظهر منه التواني والكسل، ولامه على ذلك، ثم انشد في كان وكان^١:

إن كنت عاشق صادق	بادر إلى أبوابنا
واهجر سوانا تحظى	بالوصل يا مغرور
تزعم بانك عاشق	اين الدموع الجارية
اين النحول الظاهر	اين الحشا المحرور
ما تستحي أنت نائم	دائم ومحبوبك معك
دع عنك دعوى المحبة	هدي المحبة زور
حبي متى ذي الغيبة	أقبل فقد أوحشتنا
والدنيا أن جئت تائب	عند اللقاء مغفور

^١ - من بحور الشعر غير المعربة، له وزن واحد وقافية واحدة، اخترعه البغداديون في القرن الخامس للهجرة، وسمي بالكان والكان لأنهم يقولون في حكاياتهم كان وكان للدلالة على أنها روايات لا سند لها، ثم شاع النظم فيه ليشمل المواعظ والرقائق والزهديات والمواعظ والحكم والأمثال. ينظر صفي الدين الطلي: العاقل الحالي والمرخص الغالي.

أطلب وصالك وتطلب	هجري فما أنصفتني
مني الوفا ويكفيك	قوس الجفا موتور
ما حيلتي قد تهدم	عمري وقلبي قد خرب
ومنزل اللهو عندي	على المدى معمور
وكلما أبيض شيبني	أسود واقبح الزلل
ايش أقدر أصنع وذا قد	جرى بها المقدور

ومن ذلك ما أنشده بعضهم يحكي بداية أمر السيد مع الشنبكي، مشيراً إلى
تطلب الشنبكي إياه، ثم اجتهاد السيد على لقاء الشنبكي - قدس الله سرهما -
وذلك قوله:

شواهدُ قلبِ الفحل لا تقبل الرِّشا	وتقبل قول الشيخ في النصح إذ وشى
وقد سمع البشرى فبادر نحوها	سريعاً واضحاً بعده الرُّبع موحشاً
يقول متى وردي مياه مُبشّري	ليروي فؤاد نحوها متعطشاً
ارى الشنبكي القطب نير قلبه	بشائره فارتاع من ذكرها الحشا
ولاحت إمارات البشارة عنده	لذي نظر ما شاب ناظره الغشا
حبا إليه تاج العارفين بفضله	وعلمه من أعظم العلم ما يشا (١٨٢)
فأضحى لأهل الأرض قطباً وعمدة	ولم يك سبباً ولا متفحشاً
بنور نبي الله أحمد جده	أرى الخلق احوالا غطاها فادهشا
عليه صلاة الله ما لاح في الفضا	سحابٌ وما هبت به الريح فانتشى

ومن ذلك ما قالوا: أن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي سئل عن أحسن الطرق
إلى الله تعالى، فقال: لاتسألني بطالاً فإن الإفادة للبطال، والتعبُ مع المستريح نقصٌ
في الهمة، وطريق هذه طريق جد بلا هزل، ولزوم بلا انفكك، فمن أراد طريق أبي
الوفا لا يركن إلى البطالة والجفا، ثم أنشد شعراً:

من رام صحبة أكرم الأبطال	لا يرتضي بعزائم البطل
لكن يسلم نفسه مُسترسلاً	راض بما يرضي من الأحوال
ماذا يروم معارضٌ في حُجبه	لمشاهد بلغ المقام العالي
ما سأم نفساً بالهوان لهونها	بل للذنو من العزيز الغالي
جات له حسنية مع كونها	أنثى نالت منه خير منال

ظفرت بوافر حظها بعناية	أدنت إليها غاية الاقبال
فانهض على قدم الوفا بصفا وقل	سبحان من قد جاد بالإقبال
من كان من نور النبي ضياؤه	فهو الذي قد حاز كل كمال
يارب صلّ على ما هبّ الصبّا	ذو الأهل والأصحاب بعد الال
واغفر لمن وافى طريق أبي الوفا	واعنه في الإقتار والإقلال

ومن ذلك ما أخبرنا به أن إنساناً أتى السيد مطر، فأخذ عنه، وتاب على يده، ثم سأله عن الفقير، فقال: تجد فهمه عند وصولك اليه، فتوصل إليه بالزهد والتقوى والاعتداء، والتفقه في الدين، والصدق في القصد، وتصفية القلب، واتباع سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وإلا فلا تُدرکه بالوصف، فإن الفقر سرٌّ مصون عن غير أهله، ويأبى الله إلا أن يضعه في محله، وأن يطلع على حقيقة غير الواصلين اليه، فأخذ بعض المريدين معنى ذلك، فأنشد شعر:

الفقر سر مصون وهو مقسوم	ووصفه بين اهل الحق معلوم
من نال منه نصيباً كان في دعةٍ	عليه داع رجال الله مرقوم
سرٌّ عظيمٌ له أهل تشاهده	وكلٌ غير أهاليه محروم (٨٢ب)
نور عظيم وعنك النفس تحجبه	فارفع حجابك تنظر فهو مرسوم
زهد الفقير وتقواه وقدوته	من نالها فهو عند الله مكروم
ومن رمى النفس في ميدان شهوتها	قادته قهراً إلى ما فيه تأثيم
والثقة في الدين رأس المال فازمتى	قد ناله وهو عند الله مرحوم
واسلك على سنن الهادي معتمداً	أبا الوفا فهو بالارشاد موسوم
سلطان دولة أهل الحق تاجهم	محقق ضد ما يبديه موهوم
من جابه المصطفى جداً وسلسلة	فكل مايرتجيه الدهر محتوم
صلى عليه إله العرش ما نفخت	ريح وما صدحت طول المدى بوم
والأل والصُّحب والأنصار قاطبة	قوم لهم في السما والارض تكريم

ومن ذلك ما أنشده بعضهم إيقاظاً لشخص من مريديه، وتنبيهها له على رفعة شأن طريقته التي يدعوه إليها، وهي طريق السيد تاج العارفين - قدس الله سره - وإشارة إلى أمور من أنواع التربية، فقال:

تدارك عظيمات الأمور الفوارط
وكن وجلاً من فجأة الموت هاجماً
اما أن ينهك عن مرح الصبا
إلى مَ عن الرشد المُبين تنيه في
أثر من مطايا العزم كل نجبية
وجِبْ عرصات البر مع كل عارف
ولا بد فيها من دليل مُبصرٍ
ولا يستقيم الأمر للطالب الذي
بزهك في الدنيا وذلك أصلها
وتعظيم سادات الشيوخ فإنهم
كتاج الرجال العارفين أبي الوفا
وإخلاصك الأعمال من كل شائب
وما ركنها إلا إتباع لسنة
فتلك التي من زاغ عنها فانه
ومن ذلك ما أخبرنا به بسنده إلى الشيخ أبي زكريا يحيى الصرصري - رحمة
الله تعالى ورضي عنه - من جملة قصيدة مطولة في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضوان الله عليهم - قال: (أ٨٣)

خلها تمرح في أرسانها
لقطع البید نشاوی كلما
كيف لاتجمع أشتات النهي
وبه امته أربت على
أمة مرحومة مخصوصة
نصر الله تعالى دينه
خيرها أربعة من صحبه
فابو بكر عتيق صدرها
والإمام المُجتبى فاروقها
ولقد خيم محمود الحجى

فتنيات الحمي من شأنها
طارحتها نفحة من بانها
ورسول الله من سكانها
أمم الاعيان في أحيائها
بوفور الأجر في ميزانها
بالكُمة الشوس من فرسانها
سادة لاريب في إحسانها
وهو الأول من أعيانها
عمر العادل في ديوانها
والتقى والزهد في عثمانها

وَالْعَدَى تَجْهَدُ فِي خِذْلَانِهَا	وَابُو السَّبْطَيْنِ نَادَى نَصْرَةً
لَا يُطَاعُ الْغَمْرُ فِي نُكْرَانِهَا	ثُمَّ لِلْسَّنَةِ أَخْلَاقُ زَكْتِ
وَالزَّبِيرِ الْبَدْرُ مِنْ شَجْعَانِهَا	طَلْحَةَ التَّيْمِيِّ فَيَاضُ النَّدَى
وَسَعِيدٌ مِنْتَهَى صِفَاتِهَا	ثُمَّ سَعْدٌ خَيْرُ رَامٍ قَدْ رَمَى
بِالْمَرْكِيِّ عَامِرٌ أَمَانِهَا	وَابْنُ عَوْفِ ذِي الْعَطَايَا وَنَخْتَمُ
وَذَوِي الْبَيْعَةِ فِي رِضْوَانِهَا	وَلَمَنْ كَانَ بِبَدْرِ شَرَفِ
سَاعَةٌ تَفَرَّدَ فِي حُسْبَانِهَا	وَلَمَنْ صَاحِبُهُ الْفَضْلُ وَلَوْ
يَوْمٌ تَبَدَّى الْأَرْضُ عَنْ أَكْفَانِهَا	ثُمَّ فِي أُمَّتِهِ الْخَيْرُ إِلَى
هَمْ حِمَاةُ الْأَرْضِ مِنْ فِتَانِهَا	مَنْ وَلِيَ عَارِفٍ أَوْ بَدَلِ
أُمُّ خَانْتِهِ فِي أُدْيَانِهَا	وَهُمْ لِلَّهِ أَشْهَادٌ عَلَى
كَانَ لِلْأَسْرَارِ مِنْ خُزَانِهَا	عَايِنْتَ عَيْنَايَ مِنْهُمْ رَجُلًا
كَانَ فِي الْأُمَّةِ مِنْ أَعْيَانِهَا	رَاجِلُ الْوَقْتِ بِنِ إِدْرِيسِ الَّذِي
كَانَ فِي الْأَقْطَابِ مِنْ أَرْكَانِهَا	وَاقْتَدَى بِالْعَارِفِ الْهَيْتِي إِذْ
عَيْنُهَا الْهَامِي فَتَى فِتْيَانِهَا	نُورَهَا فِي وَقْفَةِ مِصْبَاحِهَا
قَاهِرُ الْإِبْطَالِ فِي مِيدَانِهَا	سِرْتَاجُ الْعَارِفِينَ الْمُرْتَضَى
رُوحَهَا مَأْمُونَهَا سُلْطَانِهَا	جَاذِبُ الْأَرْوَاحِ جَذْبًا لِلْحَمَى
أَحْكَمْتُ بِالْمَسْكِ فِي بِنْيَانِهَا	هَمْ عَلَى التَّحْقِيقِ أَهْلُ جَنَّةِ
أَنْقَذَ الْأُمَّةَ مِنْ شَيْطَانِهَا	يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا مَنْ نُورِهِ
عَكَفْتُ حِينَا عَلَى أُوثَانِهَا (ب ٨٣)	قَادَهَا نَحْوَ هُدَاهَا بَعْدَمَا
كُنْتُ فِي الْأُمَّةِ مِنْ وِلْدَانِهَا	ثَبِتَ فِي الْإِسْلَامِ شَيْبًا بَعْدَمَا
تَوَصَّلَ النَّفْسُ إِلَى غَفْرَانِهَا	فَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ لِي خَاتِمَةَ

ومن ذلك ما أخبرت أن أحد ذرية أخيه من ولد السيد بدر بن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطر- أنشد واصفاً تمام حال بعض مريدي السيد تاج العارفين ببركته متعرضاً إلى ذكره^١، مُعْرِضاً عَنْ ذِكْرِ أَحَدٍ مِنْ سَلْفِهِ تَأْدِيباً وَتَوَاضِعاً، فَقَالَ: (١٨٤)

^١ - يتضح من القصيدة نفسها أنها قيلت في رمضان المجنون.

قلوب سقاها الله من منهل الوصل
فرقت وراقت واستكانت ومُذ صفت
ومن لمعة من نور أسرار اهلها
وأشهد أحوالاً وشاهد نعمة
وجال مجال العاشقين ولم يزل
وكذا رمضان جُنْ مذ غال في الهوى
وساح فيافي الارض شرقاً ومغرباً
فهداه تاج العارفين وردّه
وكم بطل قادته منه عناية
ومن كان للمختار يعزى ويقتدي
عليه من الرحمن ازكى تحية
وآلٍ وصحبٍ والقراية كلهم

شرباً طهوراً فاض من معدن الأصل
غدت معدناً للنور والسر والفضل
تكامل في أحواله أحمد البقلي
ونودي بها أهلاً لقد كنت من أهلي
الى أن قضى من غير ميل إلى العدل
فأصبح مجنوناً ضعيفاً عن الحمل
واقصى جميع المال والصحب والاهل
الى حسّه فازداد في الحال والشكل
الى المنهل الأسنى فأظفر بالنهل
به فهو من قد فاق فخراً على الكل
تفوق على عد النبات مع الرمل
وسائر أهل الحق بالعقل

ومن ذلك ما قالوا: أن بعض اصحاب الشيخ هبونا، أحد اصحاب السيد الكبير
تاج العارفين - قدس الله تعالى سره - أنشد مباحياً بشيخه، وبمن ذكر من إخوانه
ورفقته، مفرعاً ذلك على أن منشأه حسن تربية سيد تاج العارفين وفيض أنواره،
مشيراً إلى ذلك كما ستراه، وهو قوله:

أعدِ ذكراً من أهوى وكرره يا حادي
واصحاب تاج العارفين الذي به
امام غدا من نور احمد جده
فكم عنه أنشا كل فردٍ ومُرشدٍ
فذكرى لهم أنسٌ وروحٌ وراحةٌ
ومنهم هبونا كان رأساً وسيداً

فذاك الذي فيه جلا قلبي الصادي
ترجيب توفيقى ونصري وارشادي
يضيء على البادي إلى الحق والغادي
بيومٍ به جمع يخص بافراد
وخيرٌ لهم والله غايته إسعادي
ورياً وقوتاً للظمي الفاقد الراوي

الشطر الثاني؛

من كتاب التذكرة في مناقب السيد الكبير الأعظم سليل سيد المرسلين
وسلطان دولة المحققين السيد أبي الوفا تاج العارفين، تأليف العالم شهاب الدين
احمد الشهير بالواسطي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

- الشطر الثاني في ذكر والدي السيد تاج العارفين أبي الوفا - قدس الله
سره - وبعض سلفه ومشايخه وذرية أخيه السيد سالم وبعض مريديه ومريديهم،
وبعض المبشرين به، ومن بشر به السيد من الأولياء، على سبيل الإيجاز، وهو
خمسة أبواب وخاتمة، والله تعالى أسأل حُسن التوفيق للصواب، وأن يرزقنا حلاوة
القرب، ولذة الخطاب.

الباب الاول: في مناقب والديه، وبعض سلفه.

الباب الثاني: في ترجمة الشيخ الأمام الشنكي وبعض مشايخه مختصراً.

الباب الثالث: في ذكر السيد مطر بن السيد سالم، بن اخي السيد تاج العارفين

لأبيه.

الباب الرابع: في ذكر جماعة من مريديه.

الباب الخامس: في ذكر من بشره وبشر به من الاولياء المشاهير.

الخاتمة: في ذكر مريدي مريديه، ومناقب بعضهم، أعاد الله من بركاتهم.

- الباب الاول:

في مناقب والديه وبعض سلفه:

أقول هو السيد أبو الوفا محمد الشهير بالعريضي، نسبة إلى العريض الأكبر بن السيد محمد بن السيد زيد بن السيد حسن بن السيد عرض بن السيد زيد بن زين العابدين بن الحسين اشتهر بابي الوفا الكبير. هو أجل مشايخ عصره، واعلام قدرأ، وأرفعهم همة، وأكثرهم عرفانا، لم يكن في أولاد سيدنا

العريض ولا في ذرية زيد بن زين العابدين في زمنه مثله. وكان اهل زباله والهيثم ينقادون اليه، ويطيعون أمره، ويقتدون بقوله وفعله. وكان حسن الشكل بهي المنظر، فصيح اللسان، عربي الطبع، ناظماً ناثراً كاتباً أديباً لبيباً صوفياً، صنف كتاباً في أصول الدين، ورسالة تسمى بخلاصة التوحيد في قواعد التصوف^(١)، وكان يعتكف شهور رجب وشعبان ورمضان، ولا يجتمع فيها على غير الصالحين. وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق، ونظم على اسلوب رائق، فمن كلامه: ملاك الطريق التسليم للملاك. وأذا صرت بلاك اذهب عنك بلاك. ومنه: ومالك من حيلة فلا تحتفل بما ليس لك. ليس لمملوك مع مالكه ملك فلا يطمع امرئٌ بغير ما ملك، وليس لك ان تتوانى عن الخدمة ولو كنت من الملك. (١٨٦) ومنه سلم أمرك لمولك يتولاك، واصرف إليه كلك لعسى يرضاك، ولا تعط العدا قيادك يلقوك إلى الهلاك، وأن عليك هوى وشيطاناً يجرانك إلى البعد عن مولك، والذين لهما نفسك التي هي اعدى عداك، فأعبأ بنفسك واعرض عما عداك، ومن كلامه شعر:

قم تعرّض لنفح ريح التزكي
معرضاً عن ريح نَدٍ ومسك
وارق بالصدق عن حضيض حظوظ
لسما السموّ عن كل شرك

(١) طالع اسماعيل باشا البغدادي مخطوطة التذكرة واخرج منها ترجمة ابا الوفاء محمد العريض والد تاج العارفين من هذه المخطوطة، فيذكر أن العريض هو مُحَمَّدُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدَ بْنِ السَّيِّدِ زَيْدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مَرْتَضَى عَرِيضِ بْنِ زَيْدِ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْحُسَيْنِيِّ الشَّهِيرِ بِالْعَرِيضِيِّ الْبَغْدَادِيِّ كَانَ أَدِيباً لَبِيباً صُوفِيّاً تُوْفِيَ بِقُوسَانَ بِالْبَرْزِجَةِ مِنْ بِلَادِ الْاَكْرَادِ سَنَةَ ٤١٧ سَبْعَ عَشْرَةَ وَارْبَعِمِائَةَ - ١٠٢٦م - هَدِيَةَ الْعَارِفِينَ، ٨٣/٢.

وتنسك عما سواه ولكن
 كن به او فدع دعاوى هواه
 عن هواه مُحرم كل نُسك
 وتبدل ستر الغرام بهتك
 قول صبَّ عن حضرة القرب يحكي
 ما ألد الغرام فيه وأحلا

هذا ما وجدت من الأبيات مثبتاً في (فخر آل زين العابدين)، ورأيتهام مع غيرها أيضاً مثبتاً في (تتويج السادة الشرفا بمناقب السيد تاج العارفين أبي الوفا)، ورأيتهام في (أنس المريدين الواصفين لمناقب السيد تاج العارفين) لكن قال: وهي أبيات من قصيدة طويلة جيدة النظم والمعنى، وقد اشتملت على تربية وتسليك وحكم، انتهى.

قالوا: جار بعض الولاة على السادة الأشراف، وجعل أتباعه يتبعونهم، فمن وجدوه من نسل الحسين قبضوا عليه، فخشى السيد على دينه، ففر من الفتن، ولا زال حتى رمته المقادير إلى قوم من الأكراد، وهم قبيلة بني نرجس بالنون، وقيل: بالموحدة التحتانية، فبات عندهم ليلة، وكان بنو نرجس هؤلاء مشغولين بديناهم عن دينهم، فكان يمضي على بعضهم سنين لا يصلي فيها، فلزم من مبيته عندهم تلك الليلة أن أدن المغرب والعشاء والصبح، فكان العناية كانت موجهة اليهم مع أذانه وصلاته، فمالت قلوبهم إلى الصلاة، وأكبوا عليها ولازموها من ثم، وأعاقوا السيد محمد المشار إليه عندهم عن السفر عندما بلغه صلاح امرزياله والهيأثم، وهلاك من كان من يتبع الشرفاء ويؤذيهم، فأراد الرجوع إلى أهله، وولده السيد سالم ووطنه، وقالوا: قد أرسلك الله إلينا، وقد وجدتنا على ما كنا فيه من القصور وفتور الهمة عن الخير والإعراض عن العبادة، فلا يحل لك بعدها أن تتركنا ننقلب على أعقابنا، وإن أنت أبيت المقام عندنا، (٨٦ ب) فيما أرسلك الله إلينا، شكوناك لجدك صاحب الشريعة، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة، فعلق السيد الأمر بالاستخارة، فبات ثم أصبح.

وقد أذن له في المقام بين أظهرهم، فزوجه كبيرهم عمر بن شيركوه^(١) بن أبي العماد النرجسي ابنة له قالوا أن اسمها فاطمة، وقال أن اسمها أم كلثوم، وقيل

(١) شيركوه - Sherko: اسم علم شائع الاستعمال بين الكرد، كشيركو بن شادي (ت: ٥٦٤هـ/١١٦٨م) عم صلاح الدين الأيوبي وشيركو بن باخل الزرزاري من قادة صلاح الدين، ويعني أسد الجبل، أما عمر بن شيركوه بن أبي العماد النرجسي فلا يعرف عنه سوى ذلك.

كلثوم، وقال صاحب (روضة اولي الصفا) أن اسمها فاطمة، وكنيتها أم كلثوم، وهو متوجّه والله أعلم.

قال: فأقام معها مدة قريبة، ثم أنها حمّلت بالسيد تاج العارفين أبي الوفا - قدس الله سره - ثم أن والده المشار إليه مرض مرضاً يسيراً، فأيقظه الله تعالى على أنها مرضة الموت، فأوصى بما ألهمه الله تعالى من الوصايا للأكراد المذكورين، وغيرهم ممن أخذ عنه وتلمذ له، وليس غير الأكراد منهم بكثير، ثم ذكر لهم نسبه - كما مر - حفظاً لنسب ولده، وبيّن لهم هذا السبب وقال: إن هذا الحمل ذكّر، وأنه ذو شأنٍ عظيم، وسيظهر له كرامتان، وهو حمل في بطن أمه، وكرامات بعد وضعه، حتى يبلغ الحلم.

ثم قضى - رحمه الله تعالى - فاجتمع إلى جنازته رجال الغيب وسادات الأولياء، وصلى عليه من يُعرف ومن لا يُعرف، ودفن بارض مرغا^(١)، وقبره بها ظاهر يزار.

وقيل: أنه يخرج بسهل التستري^(٢)، وقيل: بل يخرج بأبي بكر بن هوارا شيخ الشنبيكي، ويكل حال فمادة ولده من مادته.

قلت: وقد أسلفنا ذكر الكرامتين اللتين ذكر الشيخ محمد المشار إليه وقوعهما لولده المشار إليه، وهو حمل، وبعض الكرامات التي أشار إلى أنها تقع بعد وضعه. وأما كرامات السيد محمد المشار إليه، فلو لم يكن منها إلا هداية الله تعالى قبيلة من الكرد، لا يعرفون الدين ولا يفهمون معاني الالفاظ، على يده، والإخبار بهذا السيد الجليل من نسله، وتحت هاتين الجملتين أفراد يطول حصرها - رحمه الله تعالى، ورضي عنه، ونفعنا ببركاته آمين.

(١) مرغا: الصحيح مهرگا Marga - بالجيم الفارسي - راجع المقدمة.

(٢) سهل التستري (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ / ٨١٥ - ٨٩٧ م): الرجل الصّالح المشهور ابو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعبود الأفعال، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات سكن البصرة زماناً وعبادان مدة ولقي ذا النون المصري بمكة. له كتاب في (تفسير القرآن - ط) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك، وهناك اختلاف في تاريخ مولده ووفاته. الصفيدي، الوافي بالوفيات (بيروت: ٢٠٠٠)، ١٦/١١، الزركلي، الأعلام، ٣/١٤٣.

قالوا: وأما والدته فكانت من الصالحات العابدات المجاهدات، تقوم الليل وتصوم كثيراً، وكان لها خلوة للعبادة، وكانت تقول في مناجاتها بين كل تسليمتين من التهجد: (يا حامل المقلين، ياراحم المستضعفين، يا قابل التائبين، ثبتني على دينك وخدمتك، وفرغ قلبي مما سواك لمحبتك، إلهي لا أرى اعجز مني (أ٨٧) ولا أقوى منك، فبقوتك أكسني حلة قوة من قوتك، تقوني بها على القرب منك، يا من هو الموجود الحق، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم).

قالوا من شعرها في الخلوة:

أنوح على ضعفي وحسبي رضاه لي بضعفي فبالرضوان أقوى وأقدر
وأبكي لفقد الصبر عنه وإنما عليه وإن قطعت أرضي واصبر^(١)

وقد تقدم ذكر مايدل على أنها من أرباب الاطلاع فيما تقدم من امر استئذان ولداها السيد تاج الدين العارفين - رضي الله عنه - لها في إتباعه للشيخ الشنكي، وما أجابته، وما شاهدت من النور حين خرجت من باب الخلوة إلى عنان السماء، كما مر في النصف الأول مفصلاً في محله.

قلت: ولم يُعلم لوالدة السيد تاج العارفين هذه مولداً، وأما وفاتها فهي في سنة تسع وعشرين وأربع مائة - ١٠٣٧م - بالاتفاق. وقيل: أنها دفنت إلى جانب زوجها السيد أبي الوفا الكبير بأرض مرغا - وقيل غير ذلك والله اعلم.

وأما ولد هذا السيد أبي الوفا الكبير، المشار اليه، أعني ولده الكبير، وهو السيد سالم أخو السيد تاج العارفين - قدس الله سره - لأبيه، فإنه كان من المتزهدين المتمسكين بباب الله تعالى، الملازمين لأداء الفرائض والسُنن، المتقللين من الدنيا، المعرضين عن الخلق، لايشغله عن الجد في الخدمة شاغل، ولا يلهيه لاه، غير أنه لم يقصد للإرشاد. وُلد في العشر الأول من القرن الرابع^(٢)، كذا ذكره منفرداً به صاحب كتاب (تتويج السادة الشرفا).

(١) من المستبعد جداً أن امرأة بدوية تنتمي إلى قبيلة كردية قحة تجيد اللغة العربية إلى حد تنظم بها الشعر.

(٢) - أشار إليها المؤلف قبلاً بشكل (مرغى).

(٣) كذا في الأصل والصحيح القرن الخامس.

قال: ولم أعلم أن والد السيد تاج العارفين حدث له قبلهما ولا بعدهما ولدٌ غيرهما. وقول من قال: إنه كان له انثى اسمها زينب غلط، انتهى.
وتوفي السيد سالم - رحمه الله - سنة سبع وثلاثين - ١٠٤٥م - ، وقيل: سنة أربعين وأربعمائة - ١٠٤٨م - .

قال في (انس المريدين الواصفين): والأصح الثاني، يعني سنة أربعين، والله اعلم.

قلت: فعلى هذا يكون سنه تقريباً نيف وثلاثين سنة. وقيل: أنه أخذ عن الشنبيكي شيخ أخيه، ثم لقي أخيه فتكلم به. وقيل: أنه لم يأخذ عن أخيه، ولا عن الشنبيكي، بل شيخ غيره ممن أخذ عن بن هوارا، ولم أقف لشيء من الأقوال المذكورة وعلى مُرَجِّحٍ، لكن أخبرنا أبو الفيض عبد الرحمن الملوّبي: أن الصحيح ما ذكر أولاً، وأنه لقي أخاه مرتين والله اعلم. (٨٧ب)

وأما والد السيد أبي الوفا الكبير المشار إليه، فهو - كما مر - السيد محمد بن السيد زيد بن السيد حسن بن العريض الأكبر، والعريض الأكبر هذا هو المرتضى الأكبر، ويسمى عرض أيضاً. كان من أجلاء أهل زمانه علماً وورعاً، وعبادة وديانة وصيانة، ويراً للفقراء، وتلقياً للواردين، ومحبةً للفقراء والمساكين، وصلةً للأرامل والأيتام، واعتناءً بخير قلوب الخاص والعام، وزهداً في الدنيا وإقبالاً على الله، أكثر الحج والجهاد مستخفياً، وعلم علوماً نافعة، ومال إلى الإنقطاع والخلوة تارة وتارة إلى الخلطة.

وكان بينه وبين ذي النون^(١) اجتماعيات^٢ ومحبة. وقال بعضهم: كان ذو النون يثني عليه خيراً. وقال بعضهم: أن ذا النون كان إذا رآه يقول: نور آل البيت لا يخفى، وجاه بيت النبوة عريض.

(١) ذو النون المصري (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) أبو الفيّاض أو أبو الفيض: ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر. نوبى الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه. ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها.

٢ - كذا في الأصل، ولعله أراد: اجتماعات.

وقيل: إن موسى الكاظم - رضي الله عنه - كان في بعض خلواته ينوّه بذكره، ويظهر منه الميل الزائد إليه، وقيل: كان يتستر بالأعمال الصالحة لتستر العاصي بالفضيحة خوف مداخلة الرياء والعجب، رضي الله عنه وعن أسلافه وأهاليه وصالحى ذريته، وهو بن زيد، وزيد هذا هو بن زين العابدين علي بن الإمام الحسين. قال بن قدامة: أعقب من ولد زين العابدين زيد ومحمد يعني هذا، ومحمد الباقر، فأما زيد بن علي فقتل، وأما محمد فكان سيداً كبيراً، ومن أولاده جعفر الصادق، وولده موسى الكاظم بن جعفر، وولده على الرضا بن موسى، كلهم أئمة مرضييون، وفضائلهم كثيرة مشهورة، وفي بعض رواياتهم عن آبائهم نسخة يرويها علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي، صلى الله عليه وسلم. قال بعض أهل العلم لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ بإذن الله تعالى.

وأما زيد فإنه كان عظيم العدد، شديد البأس، مهاباً في أعين الناس وقلوبهم، روى الحديث عن أبيه كما سيأتي. قالوا: وكان زيد بن زين العابدين مطاعاً شجاعاً مال إلى صحبته خلق كثير، وتردد إليه أكابر عصره، وسكن الكوفة، وأقبل عليه الناس، وأقبل على العبادة والخير، غير ملتفت إلى شيء (١٨٨)، حتى حسن له بعض أصحابه ما كان سبب قتله شهيداً - رضي الله عنه ورحمه - وذلك ما قال أهل التاريخ: خرج زيد على بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - بالكوفة، ودعى إلى نفسه، وتابعه خلق كثير، فلما سمع بذلك يوسف بن عمر والي العراق جمع العسكر، وقابل زيدا فأصاب زيدا سهمٌ في جبهته، فأدخل بعض الدور ونزعوا السهم من جبهته فتوفى إلى رحمة الله تعالى.

قال أهل التاريخ: ولما علم يوسف بن عمر بمقتله تطلبه حتى دُلَّ عليه، فاستخرجه وصلب جثته، وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك^١، فأمر بنصب الرأس بدمشق، ولم تزل جثته مصلوبة حتى مات هشام، وولي الوليد^٢ فأمر بحرق جثته فأحرقت. وكان عمر زيد لما قتل اثنين وأربعين سنة.

^١ - هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي، بن عمر الحجاج بن يوسف، أمير العراق وخراسان، تولى الإمارة من سنة ١٠٦ هـ. حتى مقتله سنة ١٢٧ هـ.

^٢ - تولى الخلافة من ١٠٥ هـ إلى ١٢٥ هـ.

^٣ - هو الوليد الثاني بن يزيد الثاني بن عبد الملك، تولى الخلافة من ١٢٥ إلى ١٢٦ هـ.

وأما زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فإنه كان إماماً عالماً زاهداً كريماً عابداً سيّداً شريفاً. قيل: كانت أمه أم ولد، اسمها غزالة، وقيل: سلامة، والصواب ما قاله ابن خلكان: إنها سلامة بنت يزيدجرد الملك المشهور، وقيل بل شهریان بنت يزيدجرد آخر ملوك العجم، وجميع نسل الحسين من ذريته حسب. وكان له أخ أكبر منه اسمه علي أيضاً، قتل مع أبيه.

روى زين العابدين هذا الحديث عن أبيه الحسين، وعن عمه الحسن، وعن جابر، وابن عباس، والمُسَوِّد بن محزّمة، وأبي هريرة، وحفصة، وعائشة، وأم سلمة، أمهات المؤمنين. وروي عنه جماعة منهم: بنوه زيد، وعبد الله، وعمر، ومحمد الباقر، وزيد بن اسلم، وطاووس وهو من أقرانه، والزهري، ويحيى بن سعيد الانصاري، أبو سلمة. روي أنه كان بالمدينة ثلاثمائة أهل بيت لا يعرفون من أين يجيء قوتهم، فلما مات علي بن الحسين زين العابدين فقدوا ما كان يأتيتهم، فعلموا إذ ذاك أنه هو.

واحترق البيت الذي هو فيه، وهو قائم يصلي، فلم ينصرف: فقيل له: ما بالك لم تنصرف؟ فقال: إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى! وأنه كان إذا توضئ يصفّر، فإذا قام إلى الصلاة أَرعد من الفرق، فقيل له في ذلك، فقال: تدرّون بين يَدَي من أقوم؟ ولمن أناجي؟. وأنه لما حج وأراد أن يُلَبِّي أَرعد وقال: أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك، فيقول لا لبيك! فشجعوه وقالوا: لا بد من التلبية (٨٨ب)، فلما لبّي أغمي عليه فسقط عن الراحلة. وأنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة. وقال طاووس: سمعته يقول وهو ساجد عند الحجر: عبّيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. قال طاووس: فوالله ما دعوتُ بها في كربٍ قط إلا كشف عني. وذكروا أنه كان يكثر الصدقة بالليل، وكان يقول: صدقة الليل تطفي غضب الرب. ولما مات وجد في ظهره أثر حمله الجراب إلى بيوت الأرامل في الليل. ودخل على محمد بن اسامة بن زيد يعوده، فبكى محمد بن اسامة، فقال: ما يبكيك؟ قال عليّ دين. قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار، فقال زين العابدين: هي عليّ فأوفاها عنه.

وذكر أنه كان كثير البكاء، فقيل له في ذلك، فقال: إن يعقوب عليه السلام بكى حتى أبيضت عيناه على يوسف، ولم يعلم أنه مات، وإني رايت بضعة عشر من أهلي يُذبحون في غداة واحدة، أفترّون حزنهم يذهب من قلبي أبداً؟. قال عبد الرزاق:

سكبت جارية على يد علي بن الحسين هذا ماءً ليتوضأ، فسقط من يدها الأبريق على وجهه فشججه، فرفع رأسه اليها، فقالت الجارية: إن الله تعالى يقول: (والكاظمين الغيظ). قال: كظمت غيظي، قالت: (والعافين عن الناس). قال: عفوتُ عنك، قالت: (والله يحب المحسنين) قال: اذهبي فأنت حُرَّةٌ لوجه الله تعالى! وذكر في (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول) أنه تهجد ليلة فتمثل بمحرابه الشيطان ثعباناً، وبالع في إشغاله حتى عض إبهام رجله وألمها، ولم يقطع الصلاة، لأنه تحقق أنه شيطان، بل سبَّه بعد تسليمه، وقام إلى تمام وردة، فسمع قائلاً لم يره يقول: أنت زين العابدين ثلاثاً، فكان ذلك شهرته بهذا اللقب رضي الله عنه.

وروى بن أبي الدنيا^١ أن غلاماً سقط منه سفود وهو يشوي شيئاً في التنور على رأس صبي لعلبي بن الحسين - رضي الله عنهما - فقتله، فنهض علي بن الحسين مسرعاً، فلما رأى ذلك قال للغلام: يا بني، إنك لم تتعمد ذلك، وانت حرٌّ! ثم شرع في جهاز ابنه. قالوا: وكان يلبس في الشتاء خميصة من خز بخمسين ديناراً، فإذا جاء الصيف تصدق بها، ويلبس في الصيف الثياب المرتفعة (١٨٩) ودونها، ويتلو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^٢.

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: حدثنا العلاء، حدثنا ابراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير قال: كنا عند جابر - رضي الله عنه - فدخل عليه علي بن الحسين بن علي فضمه إليه وقبَّله، وأقعدته إلى جنبه، ثم قال جابر: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليه الحسين فقال: يولد لإبني هذا بن يقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش ليقم سيد العابدين فيقوم. قال ابن كثير^٣: هذا حديث غريب جداً أورده الحافظ ابن عساكر. وكان علي بن الحسين - رضي الله عنهما - إذا مرت جنازة به يقول:

^١ - تأليف الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة المتوفى سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

^٢ - هو أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي، عالم عرف بزهده وكثرة مؤلفاته، ومنها (الإخلاص والنية) و(كتاب المطر والرعد والبرق) و(الإشراف في منازل الأشراف) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ولد ببغداد سنة ٢٠٨هـ/٨٢٤م واشتغل مؤدياً لأولاد الخلفاء، وتوفي فيها سنة ٢٨١هـ/٨٩٣م. الذهبي: تذكرة الحفاظ، الطبقة العاشرة.

^٣ - الأعراف ٣٢.

^٤ - الفقرة منقولة حرفياً من البداية والنهاية لابن كثير، ١٢٤/٩.

نراع إذا الجنائز قابلتنا ونلهو حين تمضي ذاهبات
 كروعة ثلة لمغار سبع فلما غاب عادت راتعات
 قلت: وله أشعار حسنة في الدقائق والمواعظ، وسمعت من عظماء المشايخ
 الثقات يقول: أن المخمسات التي يتداولها الناس التي أولها:
 تبارك ذو العلا والكبرياء، تفرّد بالجلال وبالبقاء

إلى آخره من جملة اشعاره، رضي الله عنه، وقد اشتهر أمره مع هشام في
 حجّته، وكون الناس كانوا يفسحون طريقاً لزين العابدين إلى الحجر إذ أراد الاستلام،
 لمجرد وقوع بصرهم عليه، وكان هشام يقصد ذلك، فيمنعه كثرة الازدحام، ويفسح
 جماعة الناس، ولا يفسحون فعجب هشام من ذلك واغضب، وسأل عنه فلم يُجبه احد
 على تسميته له، حتى انتدب منهم الفرزدق الشاعر المشهور فأنشأ قصيداً طويلاً في
 مدح زين العابدين، غير مبالٍ بهشام أولها شعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ ومنها
 هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهله بجده أنبياء الله قد خُتموا
 وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
 إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا يُنسب الكرم

قال الراوي: فلما أتم القصيد غضب منه هشام، فسجنه أياماً، فلما بلغ ذلك
 زين العابدين بعث إليه بعشرين، وقيل: أربعين الف درهماً، فأعادها الفرزدق وقال:
 لم أقل ما قلت إلا لله تعالى! فأمر بها زين العابدين ففرقت، وقال: إنا قوم إذا
 (٨٨ب) خرجنا عن أموالنا لا تعود الينا، فرضى الله عنه، على المشهور عند
 الجمهور.

وكان مولده بالمدينة الشريفة يوم الخميس الخامس من شهر شعبان سنة ثمان
 وثلاثين/ ٦٥٨ - ٦٨٩م، قبل قتل جده علي بسنتين، وتوفي في سنة اربع
 وتسعين - ٧١٢م في أولها، عن ثمان وخمسين سنة، وصلى عليه بالبقيع، ودفن في
 قبر عمه الحسن بالقبة التي بها العباس عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وألقابه
 أيضاً غير هذا: سيد العابدين، والزكي، والأمين، وذو الثفتان، كذا في (مطالب
 السؤل) رضي الله عنه. قال بن الجوزي: سُمي ذا الثفتان لأنه كان يصلي كل يوم
 ألف ركعة فصار في ركبتيه مثل ثفن البعير.

- الباب الثاني :

في ترجمة الشيخ الشنكي رحمه الله تعالى وبعض مشايخه وتلاميذته مختصراً رحمهم الله أجمعين:

هو أبو محمد طلحة الشنكي، روي أنه كان من أجلاء مشايخ العراق، وأكابر العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الطاهرة، والأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، والقمم السامية، والرتب العالية، والإشارات النورانية، والأسرار القدسية، والأنفاس الملكوتية، صاحب الفتح السنّي، والكشف الجلي، والوصف الهني، والسر المضي، له البصائر المشرقة بأنوار الغيوب، والسرائر المُجَرَّدة عن سائر الأكوان، والعزائم السامية فوق قمم صدور المراتب، والسبق إلى أعلى أطوار المعارف، والتعالّي إلى رفح مدارج المعالي والحقائق، وله التصديق في مراتب القدس، والتقديم في منازل القرب، والترقي إلى معارج الدنوّ، والقدم الراسخ في التمكين الموطّد، والباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في أحكام الولاية، والقوة السامية في إحكام النهاية، والنظر الخارق في عوالم الغيب، والمطهر العظيم بخرق العوائد، مع بداءة في المصافات، وأحوال المشاهدة، وثبات في محل الرضا على أحكام الله تعالى، واسترسال مع تصاريف أقداره، وهو أحد من أظهره الله إلى الخلق، وصرفه في الوجود، ومكّنه من الأحوال، وملّكه الأسرار، وخرّق له العادات، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه لطائف الأسرار وفنون الحكم، وأوقع له القبول التام في الصدور، والهيبة العظيمة عند (أ٨٩) الخاص والعام، وجعله إماماً للمتقين، وعلماً للمهتدين، وهو أحد أركان هذا الطريق، وأجلاء أئمتها البارعين، ورؤساء ساداتها المحققين، وأعلام العلماء بأحكامها، وأولي الأيدي والأبصار بمنهجها، علماً وعملاً، وزهداً وتحقيقاً وتمكيناً، وجمالة ومهابة. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته، وبه عُرف الأمر في تربية السالكين في عصره بالعراق، وكشف مشكلاتهم، وتفصيل أحوالهم، وتخرج بصحبته غير واحد من العظماء، كالسيد تاج العارفين أبي الوفا المشار إليه، والشيخ

^١ - كذا هي العبارة في الأصل.

منصور، والشيخ عزاز بن مستودع البطائحي، والشيخ أبي سعيد بن ماجش، والشيخ موهب، والشيخ مواهب، والشيخ عثمان بن مروزة البطائحين، وغيرهم.

وقال يارادته خلق كبير من ذوي الأحوال الفاخرة، وتلمذ له خلق كثير من أرباب المقامات السنية، وانتمى إليه جمٌّ غفيرٌ ممن له قدم راسخ في هذا الشأن من المشايخ، وأظهر الله تعالى على يديه من مريديه عدة، ممن يقتدى بقوله وفعله، ممن طبقت الأرض مناقبهم واتباعهم شرقاً وغرباً. وهو الذي قام بعد شيخه أبي بكر بن هوارا بنشر المشيخة بالعراق، ونهض بما أودعه من أسرار الكون في منهاج الحق، ودعا إلى الله بلساق الصدق، فأجابته صبابات القلوب، ولبّته معاني الأسرار، وانعقد عليه الإجماع بالتبجيل، وأشار إليه المشايخ والعلماء بالاحترام، ورجعوا إلى قوله وأقروا بمكانته، وقصده كل طالب لطريق الحق من كل قطر، وكان شريف الأخلاق لطيف الصفات، كامل الآداب، وافر العقل، دائم البشر، مخفوض الجناح، كثير التواضع، شديد الحياء، أيباً في اتباع الشرع واداب السنة، محباً لأهل الفضل، مكرماً لأرباب العلم، لم يزل به قدم، ولم يمله هوى متبع إلى أن أتاه اليقين رضي الله عنه.

وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق، فمنه: أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقوى ومحاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء، وأصل معرفة الخوف والرجاء الوعد والوعيد، وأصل ذلك الفكرة وملاكها العبرة، وحسن الخلق واحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الرحمة، ومن لم يسمع كلام الله فكيف يجيب نادية، أو قال داعية، ومن استغنى بشيء دون الله فقد جهل قدره تعالى، ومن زين باطنه بالمراقبة دين الله (٨٩ب) ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة والانس بالله تعالى، علامته الوحشة من الخلق، وعلامة الوحشة منهم الفرار إلى مواطن الخلوة والتفرد بالعبودية، ومن لم يعرف الله تعالى بالقدره فانه لايعرفه لأنه إذا عرف أنه قادر على أخذ ما معه واعطائه لغيره، ويحيطه من فضله بعد أن لم يكن له فقد عرف، ومن أراد أن يمتحن يقينه فلينظر إلى ماوعده الله به، ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق، ومن استعان بالله - عز وجل - على أمر الله وصبر لله على آداب الله فهو من أرباب المقامات. ومن قهر نفسه بالأدب فإنه يعبد الله تعالى بالإخلاص، وحجاب الخلق تدبيرهم لأنفسهم. ومن نظر الله تعالى قريباً منه بعد من قلبه كل شيء سواه، والقوم فقدوا انفسهم في المجاهدة، وفقدوا أهويتهم في المكابدة، وفقدوا إرادتهم في

المراقبة، فصارت شهواتهم في المشاهدة. ومنه لا نفر ممن ادعى مع الله حالاً خارجاً عن حد علم الشريعة، وإياك عمّن سكن إلى الرياسة والتعظيم. ومن استغنى بنفسه فهو جاهل، ومن ادعى سراً لم يشهد له به حفظ ظاهره فاتهمه. ومن سكن إلى وقته ورضي عن نفسه فمخدوع. ومن اطمأن إلى صديق فسخيف. وكل مريد مال إلى الكسل والرفاهية فلا يرجى خيره. ومن رافق من كان أكبر همّه الدنيا قسى قلبه اربعين صباحاً. ومن أدى الفرائض بالسنن وأكل الحلال بالورع واجتنب المنهي في الظاهر والباطن وصبر على ذلك إلى الموت فقد بلغ حقيقة الايمان. وصلاح القلب في بلائه، رفض الدنيا والرضى بما قسم الله، والاشتغال بطلب العلم لله، وما أخذ عنه بشهوة من الدنيا بغير العلم الا أخذ بعقوبة. وملاك السبّ إلى المعالي صلاح الباطن لموارد الحق، وإسقاط الخلق، والاعتماد على الله عز وجل لرفع الحجب. والولي في ستر حاله أبداً، والكون كله ناطق بولايته، وأقرب القلوب إلى الله عز وجل قلب رضي بحصة الفقر، وأثر الباقي على الفاني، وشهد سوابق القضاء، وأيس من أفعاله. وإذا عجزت عن كل شيء فلا تعجز عن رؤية ضعفك. والعلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوز عنها الا بإذن. وأنفع العلوم العلم بالله.

ومن كراماته ما أخبرنا أبو محمد ماجد بن محمد بن خالد العراقي الحلوي، قال: أنا الشيخ الصالح أبو بكر محمد^(١) بن الشيخ العارف عوض بن سلامة (١٩١هـ) الغراد البغدادي الصوفي^(٢) قال والدي قال سمعت الشيخ القدوة أبا محمد ماجد الكردي - رحمه الله - يقول: سمعتُ شيخنا تاج العارفين أبا الوفا يقول: كان شيخنا الشيخ الشنبكي شاطراً يقطع الطريق على القوافل في البطايح، ومعه رفقة، فاحتبسوا ليلة قافلة في قرية الشيخ أبي بكر بن هوارة رضي الله عنه، وقتلوا منها، واقتسموا أموالها، فلما جاوزوا زاوية الشيخ بن هوارة - رضي الله عنه - وقت السحر، قال الشيخ أبو محمد لأصحابه: اذهبوا! فقد أخذ الشيخ أبو بكر بن هوارة بمجامع قلبي، ولا أستطيع العدول عنه يمينا ولا شمالاً، فقالوا له: نكون معك فألقوا

(١) هو الصوفي أبو بكر محمد بن عوض بن سلامة البغدادي الغرادي (ت: ٦٤٥ هـ/١٢٤٧م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٣٣/١٤.

(٢) هو الشيخ الصالح عوض بن سلامة الأزجي القطيعي الغرادي (ت: ٥٩٦ هـ/١١٩٩م)، له رباط ببغداد. الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠٨٤/١٢.

ما معهم، فقال الشيخ: أبو بكر بن هوارا لأصحابه: قوموا بنا نتلقى المقبولين. وجرح بسهم فلما راوه قالوا له، يا سيدنا إن الحرام في بطوننا، والدماء في سيوفنا. فقال لهم: ردوها، فقد قبلتم على ما فيكم فتأبوا على يديه، وتولى الشيخ أبو بكر بن هوارا مصالحي الشيخ أبي محمد ثلاثة أيام، ثم قال له في اليوم الرابع: يا أبا محمد، اذهب إلى الحدادية فأقم بها وادع الخلق إلى الله عز وجل، فقد صرت شيخاً مكملًا.

فذهب الشيخ أبو بكر بن هوارا كما أمره، فقال الشيخ أبو بكر بن هوارا: سبحان من خص من شاء من عباده بما شاء، قد وصل أبو طلحة إلى الله تعالى في ثلاثة أيام. فتعجب الناس من ذلك، ثم سأله سائل بعد ذلك عن كيفية وصوله إلى الله تعالى في هذه الثلاثة أيام، فقال: لما قدمت عليه وأراد أن يتولى مصالحي صلى ركعتين وصليت معه، ثم أمرني أن أجعل الدنيا بما فيها كالرمانة وأرمي بها من باطني، فتوجهت إلى ذلك، فتم لي أمره، فلم يبت في قلبي من الدنيا تلك الليلة مثقال ذرة بفضل الله! .

ثم تمدد الشيخ، ثم في اليوم الثاني أمرني أن لا أعمل لشيء من الآخرة، وأن أفرغ قلبي من طلب نعيمها، والخوف من جحيمها، وأعانني الله على ذلك ببركة الشيخ، فلم يبت في قلبي في الليلة الثانية من الدنيا والآخرة شيء، فلما كان في اليوم الثالث قال لي: توجه الآن إلى الله بكليتك، فلم أجد بيني وبين توجيهي كما أمرت عائق، وتفضل الله عليّ، ومنحني بالتجرد عما سواه، فوجدته وحده من غير شريك، واستغرقت في بحار أنوار التوحيد، فعند ذلك صاح علي الشيخ، فقال ما قال آنفًا.

قال الراوي: ومن ثمّ اشتهر ذكره في الافاق، وقصده الزوار من كل فج، فظهرت (٩١ب) إمارات قربه إلى الله عز وجل، وتتابع كراماته، فكان يبرئ الله تعالى بدعوته الأكمه والأبرص والمجنون، ويبارك في اليسير.

أخبرنا الشيخ الإمام العارف عز الدين ابوالعباس أحمد بن الشيخ الجليل أبي اسحق ابراهيم العراقي الفاروئي قال: سمعت أبي يقول: سمعت شيخنا الشيخ أحمد ابن الرفاعي يقول: سمعت خالي منصوراً يقول: كان شيخنا الشيخ أبو محمد الشنبكي - رضي الله عنه - جالساً في البطيحة وحده، فاجتاز به أكثر من مائة طير، فنزلت حوله واختلطت أصواتها، فقال: يارب! أنت أعلم أنني لم أرد موتهم فقاموا جميعاً ينتفضون فطاروا. قال: ومرّ بأقوام بين أيديهم أواني الخمر وآلات الطرب،

فقال: رَبِّي طَيِّبٌ عَيْشُهُمْ فِي الآخِرَةِ كَمَا طَيَّبْتَهُ فِي الدُّنْيَا! فَانْقَلَبَ الْخَمْرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَاءً، وَتَصَارَخُوا جَمِيعاً، وَمَزَقُوا ثِيَابَهُمْ، وَانْهَلَتْ مَدَامِعُهُمْ، وَكَسَرُوا أَوْانِي الْخَمْرِ وَأَلَاتِ الطَّرْبِ، وَصَلَحَتْ أحوَالُهُمْ. وَقَدْ أَسْلَفْنَا مَا مَرَّ لِلسَّيِّدِ أَبِي الوَفَا مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ وَأَتَى بِأَهْبٍ مِنْ جُلُودِ فِيهَا لَبَنٌ، فَعَمِدَ إِلَى إِهَابِ مِنْهَا فَخَرَقَهُ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْيَا لِي الشَّاةَ الَّتِي هَذَا الْإِهَابُ جِلْدُهُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا مَيْتَةٌ، وَانطَقَ لِي الْجِلْدُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَمْ يُدْبِغْ! فَتَقَصَّ الْقَوْمُ عَنِ ذَلِكَ وَحَرَّرُوهُ فَوَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ.

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَزْجِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْخُبَّازِ بِبَغْدَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ ابْنَ إِدْرِيسَ الرَّوْحَانِيَّ ح، وَأَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ثَوْبَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّدِيقِي الْبَغْدَادِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْقُدُوءَةَ مَكَارِمَ النَّهْرِخَالِصِي قَالَا: سَمِعْنَا شَيْخَنَا الشَّيْخَ الْقُدُوءَةَ عَلِيًّا بْنَ الْهَيْتِيِّ قَالَ: قَالَ أَصْحَابُ الشَّيْخِ عَزَّازُ بْنُ مَسْتَوْدَعٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَهُ: إِذَا قِيلَ لَنَا: مَنْ شَيْخُكُمْ؟ نَقُولُ: عَزَّازُ، فَإِنْ قِيلَ: مَنْ شَيْخُ عَزَّازٍ؟ فَمَاذَا نَقُولُ؟ فَقَالَ: قُولُوا: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾^١.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ شَيْخُهُ الشَّنْبَكِيُّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمُوا بِنَا إِلَىٰ قَرْيَةِ الشَّيْخِ عَزَّازٍ، فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْ شَاطِئِ التَّقِينَاتِ، خَرَجَ الشَّيْخُ عَزَّازٌ لِلْقَائِمِ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ أَنْ أَنْزَلَهُمْ فِي مَنْزِلِهِ، وَخَدَمَهُمْ بِنَفْسِهِ عَلَى الْعَادَةِ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَعَزَّازُ، وَجَرَى (١٩٢) بَيْنَهُمَا خُطَابٌ.

ثُمَّ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ غَمَّضَ عَيْنَهُ وَتَأَوَّهَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ عَزَّازُ: أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَفَتَحَ عَيْنَهُ فِي عَيْنِهِ، فَصَرَخَ عَزَّازٌ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. ثُمَّ رَجَعَ الشَّنْبَكِيُّ إِلَى الْحَدَادِيَّةِ، فَلَمَّا أَفَاقَ عَزَّازٌ وَجَدَ الشَّنْبَكِيَّ قَدْ نَهَبَ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ، فَنَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، فَقَالَ: إِذَا قِيلَ لَكُمْ مِنَ الْيَوْمِ: مَنْ شَيْخُكُمْ؟ فَقُولُوا، الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّنْبَكِيُّ، وَعَزَّازُ أَخُونَا.

قَالَ ابْنُ الْهَيْتِيِّ: وَحَكَى لِي الشَّرِيفُ أَبُو سَعْدِ بْنِ مَاجِشٍ^٢ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَا مَرَّتْ فِي بَدَايَتِي بِالْحَدَادِيَّةِ إِلَّا وَسَمِعْتُ النَّوْبَةَ فِي الْجَوْ مِنْ زَجَلِ الْمَلَائِكَةِ،

^١ - سورة النجم، الآية (١٠).

^٢ - سبق ان ذكر أبو سعيد بن ماجش.

يسلمون عليه بالاحترام والتبجيل افواجا افواجا، وأنا الآن أسمع ذلك من آفاق العراق، وما رأيت بلاء نازلاً من السماء ومرّاً على الحدادية إلا تمزق وارتفع.

أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري، قال الحلبي: قال سمعت الشيخ القدوة أبا سعيد القيلوي - رحمه الله - يقول: بنى كبيراً من أكابر أهل الحدادية بها داراً، وشيدها وغصب في بنائها الصنّاع، وكان منهم رجل من أصحاب الشيخ أبي محمد الشنّبكي، فاجتاز الشيخ أبو محمد يوماً بالدار المذكورة، قيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾^٢ فسقطت جميعها ودكّت أساساتها. فقال الشنّبكي: لن تعلقوا أبداً إن شاء الله تعالى! فكانوا يحكمون بنائها فتهدم مراراً، ثم أعرضوا عنها.

قال: وأتاه رجل من أصحابه، فقال له: إبعث إلى السلطان يعطيني ما أقوى به على ضروراتي، فلما كان من الغد كرر السائل سؤاله فقال الشنّبكي: قد سألت الكريم في أن لا يحوجك إلى شيء، فأجاب سؤالي. قال: فكان الرجل إذا جاع ساق الله عز وجل له من يطعمه ما يشتهي، وإذا عري ساق الله له من يكسوه، وإذا احتاج إلى نقد سيق إليه من حيث لا يشعر، فبقي كذلك حتى مات. قال: وقيل للشنّبكي إذا حاضرت الملك فاسأله عن فلان، فأطرق ساعة ثم قال: لقد سألته عنه، فقال: نعم العبد، وسيرى الليلة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويخبر بذلك، فرؤي تلك الليلة - رسول الله (٩٢ب) صلى الله عليه وسلم - يقول: صدق الشنّبكي، قيل في حقه: نعم العبد، قالوا: وتزوج الشيخ أبو محمد الشنّبكي - رضي الله عنه - امرأة، وكان لها ولدٌ كبير من غيره، فشقّ على ولدها اتصال أمه بغير أبيه، وحملته الغيرة عليه أن قصد قتل الشنّبكي، فدفن له حربة ببستان، وقصد أنه إذا دخل الشيخ البستان يقتله، فاتفق أن دخل الشيخ البستان منفرداً، فبادر الصبي إلى الحربة فخرجت عليه حية عظيمة، فولى مدبراً يعدو، واستصرخ بالشيخ إذ لم يجد ثم سواه، فصرخ الشيخ بالحية فولت منهزمة، ثم عادت الحية حربة، فاذا هي الحربة التي دفنها الصبي بعينها، وكوشف الشنّبكي بحقيقة الأمر فنظر إليه وقال: يا ولد كيف تريد أن تقتل بسيفك من بيده سيف القدرة بالله؟ لولا شفقة الأبوة على النبوة لضربتك

^١ - في الأصل: فاختر.

^٢ - سورة مريم، الآية (٤٠).

ضربة تقتلتك، فتجرد الصبي عن تلك الحظوظ، وأقبل على الشيخ فتاب على يديه،
وصلحت أحواله، حتى صار بعدها من أجلاء أصحاب الشيخ.
قلت: وهذا الشيخ من الشنابكة، قبيلة معروفة من الأكراد، توطن الحدادية قرية
من العراق، ومات بها قديماً مُسنّاً، وقبره بها ظاهر يزار.
قلت ومن تلامذته، غير السيد تاج العارفين قدس الله سره، الشيخ منصور
شيخ سيدي أحمد ابن الرفاعي وخاله.

روينا انه كان من أكابر مشايخ العراق، وأجلاء العارفين، ونبلاء المحققين،
ورؤساء المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الخارقة، والأحوال الجليّة،
والمقامات السنّية، والمراتب العلية، والعزائم الموسوية، والاشارات الملكوتية،
والنفحات القدسية، والأنفاس الروحانية. وهو أحد من أظهره الله إلى الخلق، وصرفه
في الوجود، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الحكم، وحرّق له العوائد،
وتلمذ له جم غفير من أرباب المقامات العلية، وقال يارادته خلق كثير من الصلحاء،
وكانت أمه من أقارب شيخه الشنّبكي، وكانت تتردد إليه كثيراً، فلما حملت به
نهض لها عند دخولها، فأنكرت ذلك وسألت عن السبب، فقال: حملت بولد صالح
يكون له بين أصحابي شأن عظيم، وهو منهم، قلت: ومثل ذلك ما وقع للشيخ
المشار إليه عند دخول أخته عليه، وقد حملت بالسيد أحمد ابن الرفاعي، فسألته
عن ذلك، (٩٣) فقال، أخبرني أبو الوفا تاج العارفين بأنك تدخل عليّ في هذا اليوم،
حاملاً بولد صالح يظهر إلى الوجود يسمى أحمد ابن الرفاعي، ففرحت بذلك _ نفع الله
بهم آمين- وقصد بالزيارة من كل قطر. وكان جميلاً بهياً كامل الصفات، كريم
الأخلاق، دائم البشر في لزوم المجاهدات، ومعانقة طريق السلف في السراء والضراء،
واستعمال آداب الشرع في السر والعلانية، والاسترسال مع احكام الله - عز وجل في
الشدّة والرّخاء - لم يكب به جواد عن طريقه ابداً، وكان له كلام عال على لسان اهل
الحقائق منه: من عرف الدنيا زهد فيها، ومن لم يعرف نفسه فهو في غرور، وما ابتلى
الله عبداً لشيء أشد من الغفلة والقسوة. من أحبه الله تعالى أمده في اليقظة والمنام،
وكلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع، والصبر زاد المضطر، والرضا
درجة العارفين، فمن صبر على صبره فهو الصابر، ومن فرّ إلى الله عز وجل وهو

^١ - مر التعريف بها.

يتهمه في رزقه فإنما فرّ له لا إليه . وكل موجود في هذه الدنيا إذا لم يكن عوناً على تركها فهو عليك لا لك . وثلاث خصال من خصال الأولياء: الثقة بالله في كل حال، والتوكل عليه، والانقطاع إليه . ومنه نهاية الإرادة أن يشير إلى الله عز وجل فتجده مع الإشارة والتوكل رد الأمر إلى واحد، ونقصان المخلص في الإخلاص رؤية إخلاصه، والأنس بالله استبشار القلوب بقرب الله عز وجل، وسرورها به، ونظرها وسكونها إليه، واعفاؤه لها من كل من سواه، وان يشير حتى يكون هو المشير إليها .

ومن اغتر بصفات العبودية داخله نسيان الربوبية، فقد انقطع عن نفسه، وسكن إلى ربه عز وجل، فحينئذ يسلم من الإستدراج . والإستدراج فقدان اليقين، لأنه باليقين يتقيد فوائد الغيب . والكشف سواطع لمعت في القلوب بتمكين معرفة حملتها السرائر في الغيوب، من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق أياها، فيتكلم عن ضمائر الخلق . وإذا ظهر الحق على السرائر لم تبق لها فضله لرجاء ولا خوف . ومنه إذا بسط الجليل جل جلاله غداً بساط المجد، دخلت ذنوب الأولين والآخريين في حاشية من حواشي كرمه، وإذا بدأ عيناً من عيون الجود (٩٣ب) الحق المسمى بالمحسن . وأول درجات الحضور حياة القلب بالله، ثم بقاء القلب مع الله، ثم الغيب عن كل شيء بالله . والعبادة يفهمها العلماء، والإشارة تعرفها الحكماء، واللطائف تقف على السادة من الشيوخ . وكان يتمثل بهذه الأبيات، وهي هذه :

فلا دونه من بعد كل نهاية
بعجز وتقصير مع الواجب الذي به عرفوه للوجود من الورد

اخبرنا أبو المحاسن يوسف بن إياس البعلبكي قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو الفتح نصر بن رضوان الداراني بدمشق قال: أخبرنا شيخ الشيوخ أبو الحسن عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أبو البركات إسماعيل النيسابوري قال: سمعت أبي - رحمه الله - يقول: قصد جيش العجم إلى بغداد مرة في حياة الشيخ منصور، فلما تقابل الجيشان، كان الشيخ منصور جالساً بين أصحابه على تل يشرف على الجيش، فبسط يده اليمنى وقال: هذه لجيش العراق، ثم بسط اليسرى وقال: هذه لجيش العجم، ثم صفق بهما فتلاطم الجيشان، ثم قبض اليسرى وجمع بين أصابعها شديداً، فظهر جيش العجم على جيش العراق، وهُزم العراقيون، ثم بسط اليسرى وقبض على اليمنى، وجمع بين أصابعها شديداً، فظهر جيش العراق على جيش العجم، وهُزموا هزيمة فاضحة، ورجع العراقيون إلى ديارهم ظافرين مسرورين .

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي قال: سمعت الشيخ الجليل أبا حفص عمر اليزدي يحدث عن الشيخ القدوة أبي الحسن علي بن الهيثمي - رضي الله عنه - قال: كان الشيخ منصور البطائحي - رضي الله عنه - من أكابر المشايخ، نافذ التصريف، مجاب الدعوة، ظاهر الكرامات، كثير البركات، شديد الهيبة، ينفعل لدمع نظرتة ما يريد بإذن الله عز وجل.

مر يوماً في البطيحة بأسد افترس رجلاً، وقصم عضده نصفين، فجاء إلى الأسد، وقبض ناصيته، وقال: ألم اقل لك لا تتعرض لجيراننا؟ فذل له الأسد، وأفلت الرجل، فقال له الشيخ: مت بإذن الله! فوقع الأسد ميتاً، فأخذ الشيخ ما انفصل من عضد الرجل ووضعه مكانه، وقال: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والاکرام، أجز عظمه الكسير (١٩٤)، فصح له عضده كأن لم يكن شيء، وسلم الرجل جلد الأسد الذي قضم عضده بيده التي كان قضمها.

قال: وأتاه رجل من مصر فقال: ياسيدي، قد هاجرت اليك من مصر، وتركت مالي ووطني وجاهي رغبة في صحبتك، فنفخ الشيخ في صدر الرجل، فأضاءت في قلبه برقة كشفت له عن الملكوت الاعلى، وقال له: هذه بتركك المال والولد والوطن! ثم نفخ في صدره نفخة بعد شهر، محقت منه البقايا، ونسخت منه الحطوط، وقال له: هذه تبركك الجاه والرياسة، ثم نفخ في صدره بعد شهر آخر، فأشدهه مقامه بين يدي ربه، وأقيم فيه، وقال له: هذه هجرتك الي، وقد استوهبتك من الله فوهبك لي، وصرفني فيك، وجعل عطيتك على يدي، وهذه غايتك التي أنت عندها قائم. قال: ولم يزل ثابتاً على حاله هذا إلى ان مات بالبطائح رحمه الله.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد القرشي الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الخليل بن الشيخ القدوة أبو محمد عبد الرحمن الطفسونجي يقول: رأيت في زمن الشيخ منصور بلاءً نازلاً من السماء على العراق كقطيع الغمام، يعم الأديان والابدان، فاستأذن الشيخ منصور به في رفعه فأذن له، وقيل له: قد رحمت أرض أنت بها، ووهبت مساوئهم لك، فأخذ قضيباً وأشار به نحو البلاء فتفرق، فقال: اللهم اجعله علينا رحمة، فصار سحاباً وأمطر وانتفع به الناس كثيراً.

أخبرنا الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن احمد القرشي قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح الواسطي بالإسكندرية يقول: حدثني الشيخ الجليل أبو

الحسن على بن أخت سيدي احمد الرفاعي قال: سمعت خالي يقول: سُئِلَ شيخنا خالي الشيخ منصور - رضي الله عنه - عن المحبة فقال، وأنا أسمع: المُحب سكران في خمارة، حيران في شرابه، لا يخرج أبداً من سُكره إلا إلى الحيرة، ولا من حيرة إلا إلى سُكره، ثم أنشأ يقول شعراً:

الحب كالموت يغني كل شغف ومن تطعمه أودي به التلف
في الحب مات الأولى اصفوا محبتهم لو لم يُحبّوا لما ماتوا وما تلفوا
ثم نام إلى شجرة هناك خضرة نضرة، فتنفس عندها فيبيست وتناثرت أوراقها، وقال: مثّل المحبة مثل صاعقة فيها نار، وريح فيها رماد، لو وقعت على الأشجار لجفّت، ولو هبّت على الرياح لاضطربت، ولو عصفت على الجبال لهبطت، وإذا نزلت للقلوب لم يبق للكائنات أثر، ولا يسمع للأعيار خبر وأنشد شعراً:

إن البلاد ما فيها من الشجر لو بالهوى عطشت لم ترو بالمطر
وعاد أغصانها جرداً بلا ورق من حر نار الهوى يرمين بالشر
ليس الحديد ولاصم الحصا ابداً أقوى على الحب والبلوى من البشر
ثم قال لنا: انطلقوا إلى فلان، وسمّي رجلاً جليل القدر من أهل البطائح، وأسأله عن المحبة يخبركم. قال: فأتيناها وسألناه فسكت، ثم ذاب كما يذوب الرصاص على النار قطرة بعد قطرة ونحن ننظر، حتى صار كالماء، فأناه المشايخ وضمّوه في قطن، ودفنوه بمقبرة دار وردان، رضي الله عنه.

أخبرنا الفقيه أبو الفضل أحمد بن يوسف بن محمد الأزجي قال: أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الغنائم رزق الله بن محمد بن احمد قال: سمعت الإمام أبا منصور عبد السلام بن الامام أبي عبد الله عبد الوهاب يقول ببغداد: سمعت عمّي أبا اسحق ابراهيم، والشيخ أبا طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي قالاً: سمعنا جماعة من أصحاب الشيخ منصور يقولون: ذُكر الشيخ عبد القادر، وهو شاب عند شيخنا الشيخ منصور، فقال: سيأتي زمان يُفتقر فيه إليه، وتعلموا منزلته بين العارفين، ويموت وهو مُحبب إلى الله ورسوله، فمن أدرك منكم ذلك الوقت فليعرف حرّمته. سكن - قدس الله سره - نهر ذقاله^١ واستوطنها إلى أن مات بها قديماً، وقد كبر سنه، وقبره بها ظاهر يزار، ويقال أنه لما حضرته الوفاة قالت له

^١ - في الأصل نقتان على الدال، والقاف غير معجمة.

زوجته: أوصي لولدك، فقال لا بل لابن اختي أحمد ابن الرفاعي، فكررت زوجته السؤال حرصاً على ولدها، فاستدعاهما فأمرهما أن يأتيانه بنجيل عاقل^١، فذهبوا وحضر ابنه بنجيل كثير، ولم يحضر ابن الرفاعي بشيء، فسئل عن عدم مجيئه فقال: لم أجد شيئاً من النجيل إلا يُسبَّح بحمد ربه، فقال لزوجته: أفيقي لمقادير الرجال، والله قد سألتُ الله مراراً أن تكون الخليفة لابني فأبى الله إلا أن تكون لابن أختي، وإنما أنا عبد أسمع وأطيع. قلت: وهذه الحكاية كحكايتها في فعل السيد تاج العارفين أبي الوفا، وقد تقدمت في وصيته. (١٩٥)

ومن أصحاب الشنكي - رضي الله عنه - الشيخ عزاز بن مستودع البطايحي رضي الله عنه. روي أنه كان من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين، وأجلاء المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والمقامات السنية، والأسرار القدسية، والبصائر المشرقة، والسرائر المونقة، والحقايق اللطيفة، والمعارف الشريفة، والهمم السامية، والرتب العالية، والفتح السني، والكشف الجلي، والقلب المضي، والقدر العلي، والمشرّب الهني، والمعراج الأعلى في مناهج القرب، والمقرّ الرفع في محاضر القدس، والطور الأسنى في مراقي الوصل والتقدم في صدور المراتب، والسبق إلى أسماء المنازل، والقدم الراسخ في التمكين الواسع، والباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في علوم المنازلات، والدرع الرحب في معاني المشاهدات، والنظر الكاشف عن حقائق الآيات، وهو أحد من أظهره الله إلى الوجود، وصرّفه في الكون، ومكّنه من أحوال النهايات، وملكه أسرار الولاية، وقلب له الأعيان، وخرّق له العادات، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجري على لسانه الحكم، وأوقع له القبول التام عند الخلق، وملاً صدورهم من هيئته، وعمّر قلوبهم بمحبته، ونصبه قدوة للسالكين في طريق الحق. وهو أحد أركان هذا الشأن، وسادات أئمة البارعين، وصدور علمائه عملاً وزهداً وتمكيناً ومهابةً وجلالةً، وهو ممن انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في تربية المريدين الصادقين بالبطايح، واجتمع عنده جماعة من الصلحاء وذوي المراتب، وأخذوا علم الطريقة وأداب الحقيقة، وانتفعوا به، وتخرجوا بصحبته، وقال بإرادتهم جمٌّ غفير من ذوي الأحوال، وتلمذ له خلق ممن له قدم في هذا الأمر والشأن، وأجمع

^١ - كذا في الأصل.

المشايخ والعلماء على تعظيمه واحترامه، واعترفوا بمكانته، وأبرزوا عدالته، وانتهوا إلى قوله، ورضوا بحكمه، وقصد بالزيارة من سائر الآفاق، ورمته الآمال بأبصارها، وأنته الوفود من أمصارها وأقطارها. وكان المشايخ بالبطايح يلقبونه بالباز الأشهب، ويعظمون أمره، ويرفعون قدره. وكان جميل الصفات، لطيف المعاني، كامل الآداب، دائم التوجه (٩٥ب)، ظاهر الوضوء، كثير الحياء، وافر العقل، شديداً في اتباع أحكام الشرع، دائماً في اقتفاء آداب السنة، مفوضاً لأحكام الله تعالى، مسترسلاً مع أقداره، مُحباً لأهل الدين، مكرماً لذوي الفضل، مع دوام حال المجاهدة، ولزوم مقام المراقبة، ومعانقة طرق السلف في السر والجهر.

وكان له كلام على لسان أهل المعارف، منه الغفلة غفلتان، غفلة رحمة وغفلة نقمة، فأما التي هي رحمة فكشف الغطاء ليشاهد القوم العظمة والجلالة، فيذهلون عن العبودية إلا الفرائض والسنن، ويغفلون عن مراعاة السر إلا المراقبة لواردات الهيبة، وأما التي هي نقمة فاشتغال القلب عن طاعة الله عز وجل بمعصيته، اوالتفاتة إلى رؤية الكرامات غافلاً عن الاستقامة في العبودية، وبساط المجد بسط للأولياء ليأنسوا به، وليرفع عنهم بديهة المشاهدة، وبساط السطوة بسط للاعداء ليستوحشوا من قبيح أفعالهم، فلا يشاهدون ما ينتهون به، ولا يطمئنون إلى ما يأنسون به، وإذا سلمت منك نفسك فقد أدبت حقها، وإذا سلمت منك الخلق فقد قضيت حقوقهم، والعارف يخاف زوال ما أعطي، والخائف يخاف نزول الوعيد. والخوف ينشأ من لحظ سطوة العدل. والرجاء ينشأ من رتق زيقة الفضل.

ومنه: الأرواح تلطفت بالأشواق، فتعلقت عند لدغات الحقيقة بأذيال المشاهدة، فلم تر غير الحق معبوداً، أو أيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلومة، وصفات الحق واصلة اليه، فالحق أوصله ولم يصل هو بنفسه، وقلوب العاشقين طائفة إلى الحق بأجنحة المعرفة، سائرة بموالات المحبة، مجذوبة بأنوار قدسه إلى أنوار أنسه. والقلب السليم من أشار من تحته إلى الوفاء، ومن فوقه إلى الرضا، ومن يمينه إلى العطا، ومن شماله إلى المنى، ومن يمينه إلى اللقا، ومن ورائه إلى البقا. ومنه الإرادة تحويل القلب عن الاشياء إلى رب الاشياء. والتصوف الجلوس مع الله تعالى بلا هم، والتجريد برقه تحرق البقايا، وتمحو الرمق وتعصم من رؤية الكون، والوجد نور يزهو، مقرون بنيران اشتياق لحرق البقايا، يلوح على الهياكل

آثاره . والمحبة كأس لها وهج في الأسرار، إذا استقرت في القلوب قست، وإذا تمكنت من النفوس تلاشت، وإذا ما زجت الأرواح طارت، وإذا خالطت العقول دهشت، وإذا (١٩٦) لابسست الأفكار حارت. وتمام العلم انقطاع الرجاء عن بلوغ كنه صفات الجلال، ومن رفع ظل نفسه عن قلبه عاين الناس في ظله. وأفضل أوقاته وقت يسلم فيه من هواجس نفسه، ويسلم الناس فيه من سطوته وسوء ظنه، وكان رحمه الله تعالى يتمثل بهذه الأبيات:

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصدِّ والصدِّ صعب
 زعموا حين عوتبوا أن جرّمي فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
 لا وحسن الخضوع عند التلاقي ماجزاء من يُحبُّ الا يُحبُّ

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن اياس بن رجاء البعلبكي قال: أنا الشيخ الفاضل أبو الفتح نصر بن رضوان بن شروان الداراني المقرئ بدمشق، قال: أخبرنا شيخ الشيوخ أبو الحسن عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أبي البركات اسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد بن دشت زاد النيسابوري البغدادي بدمشق قال: سمعت أبي - رحمه الله - يقول: كان الشيخ عزاز - رضي الله عنه - يمشي بين النخيل الرطب، فتدلّت له عراجين الرطب حتى دنت من الأرض فأكل منها، ثم عادت إلى حالها. قال: وكانت الجن تكلمه، والأسد تأنس به، والوحوش تألفه، والطير تأوى إليه، وكان يقول: من أنس بالله أنس به كل شيء، ومن خاطب الله خاطبه كل شيء، ومن هاب الله هابه كل شيء، ومن وصل إلى الله تأخّر عنه كل شيء إجلالا له، ومن عرف الله جهله كل شيء لعظم ما أودعه.

ويقال أن الشيخ عزاز كان يخاطبه كل شيء حتى الجمادات، ويهابه كل شيء يراه، حتى يكاد يرعد من هيئته، ويأنس به جليسه أنسا ينسى به من سواه، حتى الأماكن التي كان يجلس بها يوجد فيها بعد انفصاله عنها أنس وروح. قال: وممر بأسد قد افترس شابا بالبطيحة، فقضم ساقه نصفين، وكان ذلك الاسد قد قطع الطريق وأعيى الرجال، وتضرر منه أهل البطايح، فصاح الشيخ فولى هاربا ذليلا، وجعل يمرغ خديه بين يديه، فتناول الشيخ من الأرض حصاة على قدر الفولة،

^١ - أنا بمعنى أخبرنا باصطلاح أهل الحديث.

^٢ - جمع عرجون، وهو عذق التمر من النخل.

وحذفه بها فخرً ميثاً، ثم جأ الشيخ إلى ذلك الشاب، ووضع ما انكسر من ساقه موضعه، وأمرَّ يده عليه، فاذا هو سواء، فقام يعدو إلى أهله وأخبرهم عن السبع. وجاء الناس (و) اخذوا جلده، ثم مات الشيخ بعد ذلك بمدة قريبة.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفضائل عثمان بن نصر بن يوسف بن أحمد الحسيني (١٩٧هـ) الواسطي المقرئ قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي المقرئ العدل بواسط قال: سمعت جدي أبا المظفر عبد السميع بن عبد الله بن عبد السميع الواسطي يقول: استحضر الخليفة المقتدي^١ بأمر الله الشيخ عزاز من البطايح إلى بغداد ليتبرك به، فلما أدخل القصر، واخترق الدهاليز، وجعل كلما نظر إلى سترٍ مرخي يمزق قطعاً، فلما اجتمع به المقتدي قال له الشيخ: سيقصدك ملك العجم في جيش لا قبل لك به، وقد ملكت جيشك رقاب جيشه، وملكتك من عنقه. فما كان بعد مدة يسيره حتى جاء ملك العجم اليهم في جيش عظيم، فوقع ما قاله، وأسر ملك العجم، واعتقل عليه ببغداد أياماً حتى افتدى نفسه بأموال عظيمة.

وقيل للشيخ منصور - رضي الله عنه - أن الشيخ عزازاً لما نظر إلى سُتور الخليفة تُمزق فقال: إن الحُجُب تُمزق بأنفاسه، وتُطوى بهمته، فكيف لا تمزق الستور بنظره؟ قال: وقيل له تحت جبل ما القوة في الحال؟ قال القوي في حاله من لان له كل أصم، وذل له كل صعب. ثم أخذ حجراً من الجبل الأصم فصار في يده كالرمل.

قال الشيخ الصالح أبو الجعد عبد الرحمن بن أبي السعادات احمد بن محمد بن رضوان القرشي المنصوري قال: أخبرني الشيخ العارف بقية السلف أبو الخير مكارم بن خليل بن يعقوب المنصوري البصري الوراق قال: سمعت الشيخ أبا الجليل ابا المعمر اسماعيل بن بركات الواسطي خادم الشيخ عزاز - رضي الله عنه - قال: سمعت شيخنا عزازاً - رضي الله عنه - يقول: ورد عليّ في بدايتي حالٌ استغرقت فيه أربعين يوماً، لا أكل ولا أُميز فيه، ثم رجعت إلى حسي، فذهلت عن نفسي أربعة عشر يوماً، ثم رجعت إلى حكم العادة فاشتأقت نفسي إلى خبز برٍ مُسحّنٍ وسمكة مشوية وماء عذب في إناء أحمر جديد، فيه ماء بارد والأمواج تضرب بها يمينا وشمالاً، وما زلن حتى انتهين اليّ فألقي كل منهن عليه بين يديّ، كما يضعه

^١ - تولى الخلافة من ٤٦٧ - ٤٨٧ هـ.

الانسان بين يدي الانسان، ثم أتى بالماء، فتناولت الرغيف، فإذا هو من بر ابيض حار يتصاعد هباله، فأكلته بالسمكة (١٩٧)، وشربت من ذلك الاناء، فلم أر في دار الدنيا احلى من ذلك، فامتألت شبعاً ولم ينقص من ذلك عُشْرُهُ، وتركت الباقي وانصرفت.

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن اياس البعلبكي قال: أخبرنا الشيخ أبو الفتح نصر بن رضوان الداراني المقرئ قال: أخبرنا شيخ الشيوخ أبو الحسن عبد اللطيف بن شيخ الشيخ أبي البركات اسماعيل بن احمد النيسابوري البغدادي قال: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ عزاز يقول: في سنة سبع وثمانين واربعمائة - ١٠٩٤م - قد دخل بغداد شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر سير في مهمه المقامات، ويظهر في خلاله الكرامات، ويسطو بعزة الحال، ويعلو في رفعة المحبة، ويُسلم إليه الكون وجميع من فيه من فاضل ومفضول مدة، وله قدم راسخ في التمكين بقدم لها في القدم، ويد بيضاء في الحقائق امتاز بها في الأزل، ولسان بين يدي الله تعالى في حضرة القدس، وأنه من أرباب المراتب التي فاتت كثيراً من الاولياء عنهم.

سكن شق الثقيينات من أرض البطايح، وبها مات مُسنناً قديماً، ومات قبل وفاة الشيخ منصور، وقبره هناك ظاهر. ومثل الشيخ أبي عمرو عثمان بن مروزه البطائحي - رضي الله عنه - روينا أنه كان أيضاً من أكابر مشايخ البطائح، وأعيان العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات العلية، والنهايات التي علا محلها، والحقائق السامية، والمعارف العالية. وله الأطوار الأرفع في التمكين، والمحل الأسنى في التصريف، واليد البيضاء في علوم الأحوال، والباع الرحيب في أسرار المشاهدات، والقدم الراسخ في مقامات الوصول، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرّفه في العالم، وملّكه الأسرار، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وملأ الصدر من هيئته، والقلوب بمحبته، وسارت الركبان إلى الافاق بمناقبه ومآثره. وكان المشايخ بالعراق يعظمونه، ويجلون قدره، ويشيرون إليه بالتبجيل والاحترام، ويذكرون كراماته العظيمة، ومجاهداته. وكان متأدباً متواضعاً، محباً لأهل العلم، زاهداً ورعاً، منقطعاً عن الناس، شريف الأخلاق، جميل الصفات، وله كلام في المعارف عال.

منه: الإقرار بالتوحيد، وحلاوته تحت ألسنة الموحدين، وعقده في قلوب الصادقين، ومعرفته في أسرار العارفين، وإذا انفتح القلب إلى النظر للقدرة تحرك اللسان بذكر الوجدانية، وإذا نظر المعروف إلى الفؤاد توقدت فيه نيران الأشواق، وأضاءت فيه نيران المعارف.

ومنه: قلوب الاولياء أوعية للمعرفة، وقلوب العارفين أوعية للمحبة، وقلوب المحبين أوعية للمتشوق، وقلوب المشتاقين أوعية للأنس، وقلوب المستأنسين أوعية للمشاهدة، وقلوب المشاهدين أوعية للفرائد الالهية، ولكل حال من هذه الاحوال آداب، فمن لم يستعملها في وقتها هلك من حيث يرجو النجاة.

ومنه: الحب بحر بلا شاطئ، وليل بلا آخر، وهم بلا فرح، وعلة بلا طبيب، وبلا صبر، ومراقبة بلا مخالفة، وذكر بلا نسيان، وشغل بلا فراغ، ونصب بلا صراحة، ووجد بلا هدي، وشوق بلا قرار، وأسقام بلا شفاء إلا باللقاء. والحب شغف بدايته الأسف، وغايته الدنف، ونهايته التلف، من ذاقه عرفه، ومن عرفه ألفه، ومن ألفه وصفه، والمحبون قائمون مع الله عز وجل على قدم واحد، إن تقدموا أغرقوا، وإن تأخروا حجبوا، ثم أنشد يقول:

ولما رأيت الحب قد مدَّ جسره	ونودي على العشاق قوموا بنا فاسروا
ركبت مع الأحباب كيما أجوزه	فبادرني الحرمان وانقطع الجسر
وماجت في الأمواج من كل جانب	ونادى مناد الحب قد غرق الصبر

أخبرنا أبو الفرج عبد الملك بن محمد بن عبد المحمود الربيعي الواسطي بها قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو حفص عمر بن مصدق الربيعي الشافعي، قال: مكث الشيخ عثمان بن مروزة في بدايته سائحا في البطائح إحدى عشر سنة، لا يرد فيها على أحد، ولا يأوي إلى سكن، ويأكل من المباح. وكان رجلاً يأتيه في كل أول سنة بجبة صوف، يلبسها ثم لا يرفعها ولا يخلعها إلى آخر تلك السنة. فبينما هو يتهدج ذات ليلة إذ طرقته منازل من جناب الأزل، وبدت له أنوار تجلى كمال الجلال، فوقف مكانه إلى السماء سبع سنين، لا يحس ولا يأكل ولا يشرب إلا بحاله، ثم رجع إلى أحكام بشريته، فقيل له: اذهب إلى قريتك، وطأ زوجتك فإن في ظهرك ولد، وقد آن وقت ظهوره! فأتى إلى قريته، وطرق داره فكلمته زوجته، فأخبرها بالسبب الذي جاء فيه، فقالت له: لئن فعلت وعدت إلى مكانك من ليلتك، ولم يعلم بك ليتحدثن

الناس فيّ، فصعد إلى سطح داره ونادى بأعلى صوته: يا أهل القرية، أنا عثمان بن مروزة، اركبوا فيّني ساركب! فابلق الله صوته جميع أهل تلك القرية، وأفهم مراده، فما وطئ تلك القرية أحد زوجته إلا رزقه الله تعالى ولدًا (١٩٨) صالحًا.

ثم اغتسل عثمان ورجع إلى مكانه بالبطيحة، ووقف شاخصًا إلى السماء سبع سنين أخرى، كحاله أولًا، وطال شعره حتى ستر عورته، ونبت العشب حوله، وألفت إليه السباع والوحوش، وعكفت عليه الطيور، ثم رُدَّ إلى أحكام بشريته، فقضى فرائض أربعة عشر سنة، وكانت الكلاب عنده تلعب مع السباع ولا تؤذيها.

قال أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح بن أبي الغنائم الواسطي بالاسكندرية، قال: جاء رجل من أهل البطائح بثور أعجف، يقوده إلى شيخنا أبي العباس أحمد ابن الرفاعي - رضي الله عنه - فقال له: يا سيدي ليس لي ولعيالي عمل، إلا من عمل هذا الثور، وقد ضعف عن العمل فادع الله لي فيه بالقوة والبركة. فقال له: اذهب إلى الشيخ عثمان بن مروزة، وسلم عليه عني، واسأله له بالدعاء، فذهب الرجل إلى الشيخ عثمان، فوجده جالسًا والأسد مُحدقة به، فهاب الرجل أن يتقدم إليه، فقال له، تقدم، فتقدم حتى قرب منه، فقال له ابتداءً: وعلى الشيخ أحمد ابن الرفاعي السلام، ختم الله لي وله خير- ثم أشار إلى بعض تلك الأسد أن قُم، فافترس هذا الثور! فقام الأسد فافترسه، وأكل منه، وما زال يأمر أسدًا بعد أسدٍ بالأكل حتى لم يبق من لحم الثور شيء، وإذا بثور سمين قد أقبل من صدر البطيحة، ولم يزل حتى وقف بين يدي الشيخ، فقال الشيخ للرجل: قُم إلى هذا الثور فخذ به كلفة عوضًا عن ثورك، فاخذه ذلك الرجل وهو يقول في نفسه: ثوري قد ذهب، وربما يعرف هذا الثور أحد فيأخذه مني وأوذي. ففي الوقت أقبل رجل يعدو حتى وقف بين يدي الشيخ، وقبّل يده، ثم قال: يا سيدي نذرت لك ثورًا، وأتيت به إلى البطيحة فهرب مني ولم أدر أين ذهب! (٩٨ب) فقال له الشيخ: قد وصل إلينا فانظره، فلما رآه أكبَّ الرجل على قدم الشيخ وقبلها، وقال: يا سيدي قد عرفك الله بكل شيء، وعرف بك كل شيء حتى البهائم، فقال الشيخ: الحبيب لا يُخفي عن حبيبه شيئًا، ومن عرف الله عرف كل شيء. ثم قال لصاحب الثور: أخاصمني بقلبك وتقول هلك ثوري وأخشى أن يعرف هذا الثور الآخر مني فأوذي، فبكى الرجل فقال له الشيخ: ألم تعلم أن الله قد

أطلعني على ما في قلبك! إذهب، بارك الله لك في هذا الثور، فأخذه وانصرف، ومشى خطوات ثم خطر في قلبه الخوف من أن يعترضه أو يعترض الثور أسد فيؤذي نفسه، فقال له الشيخ: أتخشي على نفسك أو ثورك من أسد؟ قال: نعم يا سيدي، فأشار إلى أسد بين يديه، فقام معي إلى أن أمنت، ولقد كان ذلك الاسد يزود عن الثور وعني الأسد وغيره كما يزود عن أشباله، ويمشي تارة عن يميني، وتارة عن شمالي، وتارة خلفي، حتى أمنت واتييت إلى الشيخ احمد ابن الرفاعي - رضي الله عنه - فأخبرته بقصتي معه، فقال: عجزت النساء أن يلدن بعد ابن مروزه مثله، ثم بارك الله عز وجل لذلك الرجل في الثور، فانتج حتى صار منه مال كثير، ببركة دعاء الشيخ عثمان رضي الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن بدر بن علي البغدادي قال: أنبأنا الفقيه أبو محمد عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات بن علي بن رزق الله التميمي البرداني قال: سمعت الشيخ الإمام العالم العامل أبا محمد عبد اللطيف بن محمد بن أحمد القرشي البغدادي الفقيه الصوفي يقول: سبعة من رُماة البُنْدُق^١ بالبطيحة التي فيها الشيخ عثمان بن مروزة - رضي الله عنه - فصرعوا طيراً كثيراً، وصار على الأرض منه شيء كثير بالقرب من الشيخ عثمان. وكان الطائر لا يصل إلى الأرض إلا ميتاً من قوة ضرب البندق، ولا يدركون زكاته، فقال لهم الشيخ: لا يحل لكم أن تأكلوا من هذه الطيور، ولا تطعموا منها أحداً، قالوا: ولم؟ قال: لأنها ميتة، فقالوا كالمستهزئين به: أحياها أنت! فقال: بسم الله، والله أكبر، اللهم أحياها يا محيي العظام وهي رميم، فقامت تلك الطيور وطارت حتى غابت عن الأبصار، وهم ينظرون، فتابوا جميعاً عن الصيد، وأقبلوا على صحبتته والانتفاع به إلى أن ماتوا رحمهم الله.

قال: وقصد (١٩٩) إليه من البطائح رجالان، أعمى وأجرب، ليدعوا لهما بالعافية، فلقيهما رجل معافى ليس به عاهة، قال لهما: أين هما قاصدين؟ فأخبراه، فقال لهما: أظننتم أن عثمان هذا عيسى بن مريم! ووالله لو شاهدته وقد أبرأكما ما صدقته، وأتى معهما إليه، فلما وصلوا إلى الشيخ عثمان، قال الشيخ عثمان: باسمك اللهم يا عمى ويا جذام انتقلا عنهما إلى هذا باذن الله تعالى، فبريا في الوقت وعمي

^١ - رمي البندق رياضة اشتهرت بين الفتيان في القرن السادس للهجرة، حتى صارت من تقاليد الفتوة، والبندق كرة في حكم البندقية يرمى بها في القتال والصيد.

المعافى وانجدم، فقال له الشيخ: إن شئت الآن فصدّق، وانصرفوا من بين يديه على هذه الحالة، وتم حالهم ذلك إلى ان ماتوا رحمهم الله.

قال أبو الحسن علي بن عبد الأبهري قال: سمعت الشيخ العارف بقية السلف أبا الغنائم مقدم بن صالح البطائحي^١ بالحدّادية يقول: جاء رجل من أصحاب السيد محيي الدين عبد القادر - رضي الله عنه - من بغداد إلى زيارة الشيخ عثمان بن مروّزه فقال له: يا هذا! من أين أقبلت؟ قال: من بغداد، من أصحاب الشيخ عبد القادر، فقال عبد القادر خير أهل الأرض في هذا الوقت.

قالوا: وكان للشيخ منصور شكاراة^٢ حنطة بأرض واسط، وكان من عاداته أن يُسامح بها، فلا يُقسم عليه أبداً، فلمّا كان بعض السنين أراد نقلها علي عادته، فمنعه حاكم واسط، وألزمه بإحضار مرسوم الخليفة بالمسامحة، وإلا فلا سبيل إلى تمكينك من شيلها. وأعجز الشيخ عثمان منصور أمره، فأرسل الشيخ منصور ولده إلى الشيخ عثمان يشكو إليه ذلك، ويسأله النظر في أمره، وأمر ولده أن لا ينفر إذا نهره الشيخ عثمان او زجره، قال: وانظر آخر أمره، وماذا يكون. فذهب بن الشيخ إلى الشيخ عثمان، وقبل يده، وقصّ عليه القصة، فزفر عليه وزمجر وقال: إن اباك يريد أن يجلس في الدهاليز المرشوشة، ويأكل لحم الدجاج، ويلبس البُنْدُقي^٣ ويحمي شكائره. فلم يتأثر بن الشيخ منصور من ذلك كله لما أرشده والده، فلما رآه لم يتأثر أمره أن يحضر ورقة من أوراق الخلفاء، فنهض بن الشيخ منصور واحضر له ورقة منها، فأخذها وكتب عليها بإصبعه بريقه ودفعها إليه، وقال: اذهب بهذه إلى أبيك الشيخ منصور، وادفنها في تراب إلى بعد سبعة أيام، ثم أخرجها من التراب وادفعها إلى حاكم واسط (٩٩ب)، فإنه ان شاء الله تعالى يُسلم اليك شكارتك. فعاد بن الشيخ منصور إلى أبيه بذلك، وفعل ما امره به، (و) بعد سبعة أيام نبشها وإذا عليه مرسوم، وعليه علامة الخليفة من غير شك، فذهب به إلى حاكم واسط فرفع عن الشكاراة وسلمها إليه.

^١ - تقدمت الإشارة إليه.

^٢ - شكارته بالكردية تعني الاراضي المزروعة بالقمح.

^٣ - ضرب من القماس الثمين، منسوب إلى مدينة البندقية.

قالوا: وعاد حاكم واسط سنة أخرى إلى التعرض إلى شكاية الشيخ منصور، فأرسل إلى الشيخ عثمان ثانياً يذكر له ذلك، فحضر الشيخ عثمان بنفسه، ووقف على غلة الشيخ منصور، وكانت قريبة من بستان هناك لبعض أهل تلك القرية، وبها أشجار يقطين كثير، فنظر الشيخ عثمان إلى تلك الحنطة وأشار إليها، ثم نظر إلى اليقطين فارتفعت الحنطة جميعها إلى أن وصلت إلى اجواف ذلك اليقطين، فحضر حاكم واسط فلم ير الحنطة، فطلب الأكارين^١، ورسم عليهم ليعلموه أين ذهب؟ فأقسموا بالله العظيم أنهم لم يعلموا أين ذهب، فلما اشتد عليهم الأمر حضر الشيخ عثمان وقال للحاكم: أنا أعلم أين ذهبت الحنطة، قال: أين هي؟ قال: في بطون هذه الرؤس من اليقطين، فشقوا اليقطين فوجدوا الحنطة بها لم تنقص شيئاً، فتأدب حاكم واسط وغيره، وتابوا جميعاً وصلحت أحوالهم، ولم يعارض شكاية الشيخ منصور بعد.

قال: مرَّ فقير يوماً على الشيخ عثمان، وهو من أصحاب رجل من أصحاب الشيخ منصور، جليل يقال له الشيخ أحمد الأقرع، وصُحبة الرجل ثور. وكان عند الشيخ عثمان أسد يتدلل بين يديه، فوثب على الثور (ف)أكله والشيخ عثمان يشاهد ذلك ولم ينه الأسد، فذهب ذلك الفقير إلى شيخه الشيخ أحمد بن الأقرع، وشكى ذلك له، فأخذه شيخه بيده، وذهب به إلى الشيخ منصور، وحكى له، فقال منصور: إن الشيخ عثمان صاحب يد، وهو من أجلاء أصحاب الشنبيكي، ولا طاقة لنا به. فقال الشيخ أحمد الأقرع: لو حضر الشيخ عثمان هنا، ووقعت عينه في عيني، جازيته. فلم يتم الكلام إلا والشيخ عثمان عنده، ثم بادر إلى الشيخ أحمد وضربه، وما كان عثمان رمى بجدار قبلها، فصرخ وتأوه، فقال الشيخ عثمان: وعزة العزيز أنت في الآخرة ناقص، كما أنت في الدنيا اقرع، (أ)١٠٠) فازداد تألم الشيخ أحمد، وجعل يبكي ويستند على نخلة بعد نخلة، فما استند إلى نخلة إلا سقطت، ثم عاد إلى الصحراء. ويقال انه اعتذر عن ذلك لبعض أصحابه بأن الأسد كان جائعاً، وان الله تعالى أطلعه على أن هذا الثور من رزقه.

قال: ولم أكن بالقادر على منع مرزوق ما رزقه الله من فضله، ولا أحيي من أماته الله، فظهر الامر بذلك. سكن رضي الله عنه البطائح وبها مات مُسناً وبها دفن،

^١ - الأكار الذي يحرق الأرض، جمعها أكرة وأكارون.

وقبره بها ظاهر يزار. وكان يقول: روعي سُدعى فتجيب، فلما حضرته الوفاة قال: لبيك ومات. ثم رآه بعض المشايخ في منامه فقال: ما فعل الله بك؟ قال: ليس لك هذا ولكن قال ربي: يا عبدي قلت لبيك! وخرجت روعي مع لفظة لبيك، فرضى الله تعالى عنهم آمين، وما أحسن ما أنشد فقير:

لطلحة هذا الشنكي مزيّة	ورتبته بين الأنام عليّة
بأصحابه العُر البدور ذوي النهى	أولي العزم والأحوال فيهم جلية
كمولاي تاج العارفين أبي الوفا	إمام له أنوار أنس سنيّة
ولمنصور والمرضي عزازا ذوي النقا	وعثمان قد كانت يدها قوية
سبحان من أولي الرجال أولى الوفا	مقامات إحسان وقصد رضيّة

- فصل:

- في ذكر الشيخ تاج العراقي، أبي بكر بن هوارا، شيخ شيخه رضي الله عنهم: رويناه أنه - رضي الله عنه - كان من عظماء مشايخ العراق، وأجلاء العارفين، وصدور المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والمقامات الفاخرة، والسرائر الزاهرة، والبصائر الباهرة، والأنفاس الصادقة، والهمم العلية، والرُتب السننية، صاحب الإشارات النورانية، والنفحات الروحانية، والأسرار الملكوتية، والمحاضرات القدسية، له المعراج الأعلى في المعارف، والمنهاج الأسنى في الحقائق، والطور الأرفع في المعالي، والتقدم في صدور المراتب، والسبق إلى أسنى المنازل، والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والباع الطويل في التصريف النافذ، والدرع الرفيع في التمكين الواسع، والفتح المتضاعف في معالي المشاهدات. وهو أحد من أظهره الله تعالى (١٠٠ب) إلى الوجود، وأبرزه إلى الخلق، وملاً صدورهم من هيئته، وقلوبهم بمحبته، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، وصرفه في العالم، ومكّنه في أحوال الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأنطقه بالمُعَيَّبات، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الحُكْم، وأحيا به ما درس من معالم هذا الشأن، ونصبه قدوة للسالكين، وحُجّة على الصادقين، وإماماً لأهل الطريق. ويقال: أنه أول من أسس المشيخة بالعراق بعد انقراض مشايخ الرسالة، ومن في طبقتهم، ومن يليهم - رضي الله عنهم - وأقام الشأن، وأوضح طريق الحق بعد ما عفى.

فمما أخبرنا به قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد قال: أخبرنا الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري قال: سمعت شيخنا القدوة أبو الحسن علياً بن إدريس البغدادي يروي عن شيخه الشيخ علي بن الهيثم - رحمه الله - قال: سمعت شيخنا القدوة العارف قطب زمانه تاج العارفين أبا الوفا - رضي الله عنه - يقول: سمعت شيخنا القدوة العارف أبا محمد الشنبكي، فذكر ذلك، وهو الذي ألبسه الإمام أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - خرقة في النوم فاستيقظ فوجدها على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، وهو الذي قال: من زار قبري أربعين أربعاء أوتي في قبره براءة من النار.

وقال: أخذت من ربي - عز وجل - عهداً أن النار لا تحرق جسداً دخل حرماً هذا، يعني تربته، فيقال: أن ما دخلها من الأسماك واللحوم لا تنضجها النار طبخاً ولا شياً، وهو أركان هذه الطريق، وصدور ساداتها، وأعيان أئمتها، وأكابر القادة إليها، وأعلام العلماء بأحكامها علماً وعملاً، وحالاً وقالاً، وزهداً وتمكيناً، وتحقيقاً وجلالة ومهابة. انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في عصره، وبه عرفت تربية المريدين الصادقين بالعراق، وحل مشكلات مواردكم، وكشف خفيات أحوالكم، وتخرج به غير واحد من الأكابر، مثل الشيخ أبي محمد الشنبكي المتقدم ذكره - رضي الله عنه - وإليه انتمى أكثر مشايخ العراق، وقال بإرادته جم غفير من ذوي الأحوال الفاخرة، وتلمذ له خلق لا يحصون كثرة من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والاحترام، والرجوع إلى قوله، والمصير إلى حكمه، وقصد بالزيارات من كل قطر.

(١٠١) وكان جميل الصفات، شريف الأخلاق، كامل الآداب، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العقل، شديد الاقتفاء لأحكام الشرع، معظماً لأهل العلم، مكرماً لأرباب الدين والسنة، محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة، ولزوم المراقبة إلى الموت.

وكان له كلام عال في علوم المعارف، منه:

التوحيد أفراد القدم عن الحدث، والخروج عن الأكوان، وقطع المحاب^١ وقول ما علم وما جهل، وأن يكون الحق مكان الجميع، وعلم التوحيد مبين لوجوده،

^١ - كذا في الاصل.

ووجوده مفارق لعلمه، وإذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد، تناهت إلى الحيرة، والتصوف أن يكون مع الله تعالى بلا علاقة، مع ذكر ياجتماع، ووجل باستماع، وتحمل باتباع.

والزهدي خلو القلب مما خلت منه اليد، واستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب. والخوف يستلزم سرعة وقوع البطش، مع مجاري الأنفس. والخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، والتواضع خفض الجناح ولين الجانب. والنفس الأمانة بالسوء هي الداهية المعينة للاعداء، المتبعة للهواء، المملوءة بأصناف الأسواء. وكلام الأنبياء - صلوات الله عليهم - بناءً على حضور كلام الصديقين - رضي الله عنهم - إشارات هي مشاهدات.

ومنه: الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المرئيين بلسان التفكير في قلوب العلماء بلسان التذكر، وفي قلوب المحبين بلسان الشوق، والصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة ولزوم المراقبة، والصحبة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باتباع سنته ومعاناة العلم، والصحبة مع أولياء الله تعالى بالإحترام والخدمة والصحبة مع الأهل بحسن الخلق. والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثمًا، والصحبة مع الجهال بالدعاء والرحمة لهم. والجمع بالحق تفرقة عن غيره. والتفرقة عن غيره جمع به. من وصل إلى وده أنس بقربه. ومن توصل بالوداد فقد صحَّ اصطفاؤه من بين العباد. وإذا كان الحق يحب واحدًا يكون طالبه وحداني الذات. والمشتاق من شاقه آثار محبوبه، وافنته مشاهداته، فتبدو لهم المعاني التي تغرب عن غيرهم، فيشير اليهم الأزل بلسان الوداد الذي! فيتغنمون بذلك، ثم يقع الحجاب فيعود الفرح بكاءً. والخوف يوصلك إلى الله عز وجل، والعجب يقطعك عنه، واحتقارك للناس مرضٌ عظيم (١٠١ب) لايداوى.

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله المقدسي قال: سمعت الأشياخ الثلاثة: الشيخ العارف أبا الحسن علي بن سليمان بن علي بن سليمان البغدادي المعروف بالخبَّان، والشيخ الصالح أبا زكريا يحيى بن يوسف الصرصري، والشيخ العالم كمال الدين أبا الحسن علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهرآباني، قالوا: سمعنا الشيخ أبا محمد علي بن ادريس البعقوبي يقول: سمعت

شيخنا الشيخ أبا الحسن علي بن الهيثمي - رضي الله عنه - يقول: سمعت شيخنا تاج العارفين أبا الوفا يقول: كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوارا - رضي الله عنه - شاطراً يقطع الطريق بالبطائح، ومعه رفقاء وكان مقدمهم، وكانوا يجلسون على ذلك المَعْبَرِ يقسمون أموال الناس، فسمع إمراة ليلة تقول لزوجها: إنزل هنا لئلا يأخذنا بن هوارا وأصحابه، فاتعظ وبكى، وقال: الناس يخافوني ولا أخاف الله، وتاب من وقته ذلك، ثم تاب أصحابه معه، وانقطع مكانه متوجهاً إلى ربه عز وجل على قدم الصدق والاخلاص في إرادته، فوقع عنده أن يُسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه تعالى. ولم يكن بالعراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق، فرأى في منامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر الصديق - رضي الله عنه - فقال له: يا رسول الله! ألبسني الخِرقة، فقال له: يا ابن هوارا! أنا نبيك، وهذا شيخك، وأشار إلى الصديق - رضي الله عنه - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق - رضي الله عنه - يا أبا بكر! ألبس سَمِيكَ أبا بكر بن هوارا الخِرقة كما أمرت، فألبسه الصديق - رضي الله عنه - ثوباً وطاقيّة، ومر بيده الكريمة على رأسه، ومسح على ناصيته، وقال: بارك الله فيك، فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر تحيي سنن أهل الطريق من أمتي بالعراق بعد موتها، ويقوم منار أرباب الحقائق مع أحباب الله تعالى بعد دروسها، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة، وقد هبّت نسمات الله لظهورك، وأرسلت نفحات الله بقيامك.

ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقية بعينهما عليه. وكان في رأسه ثؤليل فوجدها قد زالت ولم يرها، وكأته نودي في الآفاق أن بن هوارا أوصل إلى الله تعالى، فأهرع (١٠٢أ) إليه الخلق من كل قطر، وبدت علامة قربه من الله تعالى، وترادفت أخباره عن الله عز وجل، فرضي الله عنه، وهذه طريقته المتصلة من غير واسطة كما سبقت الإشارة في بيانها، والطريق الأخرى التي بالواسطة مر ذكرها.

قال الشيخ ابومحمد الشنبكي، رضي الله عنه: وكنت آتية بالبطائح، والأسد مُحدقة يتمرغ بعضها على قدميه، ورايت بين يديه أسداً عظيماً يُعفر خدَّيه في التراب على هيئة المخاطب له، والشيخ كان يردُّ عليه جواباً، ثم انصرف الأسد، فقلت: بالذي أنعم عليك ما قلت لهذا، وما قال لك، فقال لي: يا شنبكي! إنه قال ثلاثة أيام لم أذق فيها طعاماً، وقد أضرب بي الجوع فاستغثت بالله تعالى عند السحر، فقيل لي:

رَزَقَكَ اللهُ بَقْرَةً بِالْهَمَامِيَّةِ^(١) تَفْتَرَسُهَا عَلَى أُذَى يَصِيبُكَ، أَوْ قَالَ: عَلَى سُوءٍ يَنَالُكَ، وَإِنِّي لِأَخَافُ مِنْ ذَلِكَ السُّوءِ، وَلَا أَعْلَمُ مَا هُوَ، فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ جِرَاحَةٌ تَصِيبُكَ فِي جَنْبِكَ الْأَيْمَنِ تَتَأَلَّمُ مِنْهَا اسْبُوعًا، ثُمَّ يَزُولُ أَلْمُهُ، يَا شَنْبُكِي! وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي اللُّوْحِ الْمُحْفُوظِ فَإِذَا هَذِهِ الْبَقْرَةُ مِنْ رِزْقِ هَذَا، وَلَا يَدُ لَهُ مِنْهَا، وَإِذَا هُوَ يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ الْهَمَامِيَّةِ أَحَدٌ عَشَرَ رَجُلًا، يَمُوتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ، أَحَدُهُمْ يَمُوتُ قَبْلَ رَفِيقِهِ بِسَاعَتَيْنِ، وَثَالِثُهُمْ بَعْدَ ثَانِيهِمْ بِسَبْعِ سَاعَاتٍ، وَتَصِيبُ الْأَسَدُ مِنْ أَحَدِهِمْ جِرَاحَهُ فِي جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ وَيَبْرَأُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّنْبُكِيُّ: فَاسْرَعْتُ إِلَى الْهَمَامِيَّةِ فَإِذَا الْأَسَدُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابَهُ أَحَدُهُمْ بِجِرَاحَةٍ وَثِيقَةٍ فِي جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ، وَلَقِيْتَهُ يَسْحَبُ الْبَقْرَةَ مَعَهُ وَجِرَاحَهُ تَسِيلُ دَمًا، فَبِتَ عِنْدَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَمَاتَ أَحَدُ الْمَجْرُوحِينَ وَقَتَ الْمَغْرَبِ، وَمَاتَ الْآخَرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَمَاتَ الْآخَرُ عِنْدَ السَّحْرِ. ثُمَّ أَتَيْتُ الشَّيْخَ بَعْدَ أُسْبُوعٍ، فَرَأَيْتُ الْأَسَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ بَرِئَتْ جِرَاحَهُ.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْوحِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُحَمَّدِ الرَّبِيعِيِّ الْوَاسِطِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ الصَّالِحَ بَقِيَّةَ السَّلَفِ أَبَا الْعِزَّائِمِ^(٢) مَقْدَامَ بْنَ صَالِحِ الْبَطَّائِحِيِّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيِّ بِهَا قَالَ: سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّفَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِي الشَّيْخَ مَنْصُورَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: أَوَّلُ مَنْ ذَلَّلَ الْأَسَدَ وَالْحَيَاتَ لِأَهْلِ الْبَطَّائِحِ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرِ بْنِ هَوَارٍ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَرْحَلَ مِنَ الْبَطَّائِحِ وَيَسْكُنَ الْمَدِينَ، فَأَحْدَقَتْ بِهِ (١٠٢ب) الْحَيَّاتُ وَالْأُسُدُ وَالْكَرَّاسُ^(٣) وَالطَّيُورُ وَالْجَنِّ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ لَا يَرْحَلَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ أَنْ لَا يُوْذَوْنَ مَرِيدًا لَهُ وَلَا مُحِبًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَطِيعُوهُ حَيْثُ كَانُوا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا.

قَالَ: وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْبَطَّائِحِ، وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنِي غَرِقَ فِي الشُّطِّ، وَلَيْسَ لِي سِوَاهُ، وَأَنَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَقْدَرَكَ عَلَى رَدِّهِ عَلَيَّ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ شِكْوَتِكَ غَدًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ، أَقُولُ: يَا رَبِّ أَتَيْتُهُ مَلْهُوفَةً، وَكَانَ قَادِرًا عَلَى

(١) الهمامية : بلدة من نواحي واسط بينها وبين خوزستان لها نهر يأخذ من دجلة منسوبة إلى همام الدولة منصور بن ديبس بن عفيف الأسدي وهي من أعمال واسط. ويقول العماد الاصفهاني: حكي لي بعض رؤساء الهمامية من بني مروان (خريدة القصر، ٤/٢٣٣/٤٤٢٣)،

(٢) سبق ان ذكر ابا الغنائم.

(٣) الكرّس: الجماعة من الناس وقيل الجماعة من أي شيء كان والجمع أكرّاس وأكرّيس، لسان العرب، ٥/٣٨٥٤..

ردّ لهفتي، فلم يفعل. فأطرق ثم قال: أريني أين غرق ابنك؟ فأنتت به إلى السك^١ فإذا ابناها قد طفى على وجهه الماء ميتاً، فسبح الشيخ في الماء حتى وصل إليه، وحمله على عاتقه، وأعطاه لأمه وقال: خُذيه، فقد وجدته حياً. فأنصرفت، ويده في يدها، وهو يمشي معها كان لم يكن به شيء قط.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الأزدي قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الخليل بن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي الصرصري قال: أخبرنا أبي قال: سمعت الشيخ عراز بن مستودع الد...^٢ الباز الأشهب - رضي الله عنه - يقول الشيخ أبو بكر بن هوارا رضي الله عنه أول المشايخ بالعراق من بعد مضي السلف - رضي الله عنهم - وكانت الأنوار ترى تخترق البطائح ليلاً لكثرة ما يطرقتها من رجال الغيب ثم لزيارته. وكان مُجاب الدعوة دعا بالبركة للبطائح فقال: اللهم بارك في ماشيتها ونباتها وأرزاقها، فالبطائح ببركة دعوته من أخصب الأرض وأكثرها خيراً وأوسعها رزقاً وأوفرها ماشية.

وكان ظاهر التصريف إذا أجدبت قرية أتاه أهلها يشكون الجذب، ويسألونه الاستسقاء، فيقول لهم: أدركوا أهلكم! فما يلقون في بيوتهم إلا وهم يخوضون في ماء المطر، ولا يجاوز المطر تلك القرية، وربما وقع ذلك في غير أوان المطر.

قال: وزلزلت واسط يوماً زلزلاً شديداً رُجَّت منه الجبال، وتساقطت البنيان، وضجَّ الناس بالصراخ، وإذا الشيخ أبو بكر قد حضر، وكان بينه وبين واسط مسافة أيام فسكن الزلزال، وطلبوا الشيخ فلم يجده، وكان بواسط يومئذ رجل صالح فرأى في منامه تلك الليلة مَلَكَيْنِ نازلين من السماء، وأحدهما يقول للآخر: كادت هذه الأرض أن تذهب اليوم، فقال له صاحبه: فما أمسكها؟ قال: نظر الله تعالى إلى بن هوارا بينهم فرحم الخلق ورضي عنهم، واستأذن ربه في تسكين الزلزال، (١٠٣) فأذن له، فاخترق الأرضين السبع والثرى حتى انتهى إلى البهموت^٣، فقال له: أسكن يا عبدالله! قال له: ومن أنت؟ قال: أنا أبو بكر بن هوارا. فقال له: أمرت أن اطيعك ولا أطيع غيرك من أهل زمانك، وسكّن.

^١ - كذا وربما كان يريد: الشط.

^٢ - كلمة غير واضحة، وغير معجمة، ولقبه كما في كل مرة يرد فيها اسمه (البطائحي).

^٣ - اسم حوت خرافي قيل أنه كان يحمل الأرض!

قال: وتوضاً يوماً في بئر معطلة بالبطائح، فكثرت ماؤها وعذب. اخبرنا الشيخ أبو الفضائل عبد الله بن أحمد بن علي بن يوسف الهاشمي القيلوي قال: سمعت الشيخ أبا حفص عمر بن الشيخ أبي الخير سعد بن الشيخ القدوة الشريف أبا سعد بن ماجش يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا محمد الشنكي - رضي الله عنه - يقول: أوتاد العراق ثمانية: معروف الكرخي، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار، والجنيدي، وسري، وسهل بن عبد الله التستري، وعبد القادر الكيلاني - رضي الله عنهم - فقلنا له: ومن عبد القادر؟ قال: أعجمي شريف يسكن بغداد، ظهوره في القرن الخامس، وهو أحد الصديقين الأوتاد الأفراد، أعيان الدنيا، أقطاب أهل الأرض - رضي الله عنهم.

وهو رضي عنه - من الهواريين، قبيلة من الأكراد^(١) سكن البطائح، ومات بها، وقبره بها ظاهر يُزار. ويقال أنه لما حضرته الوفاة، غشيتة أنوار ساطعة يراها البعيد والقريب من أهل هذا الشأن، واشتم الحاضرون رائحة كثيرة الطيب لم يشتم في دار الدنيا أطيّب منها، ولما مات سُمع في أرجاء البطيحة نياحة وصراخ من الجن، رضي الله عنه وأرضاه.

(١) نسب احد احفاده إليه وهو محي الدين الصادق علي بن عيسى العلوي الواسطي المعروف بابن الهواري، ويقول عنه ابن الفوطي " من أولاد الشيوخ العارفين وأصله من مكة شرفها الله تعالى، وأقام بنواحي واسط. قدم مراغة سنة سبع وستين وستمائة/١٢٦٨م، واجتمع بخدمة مولانا نصرالدين أبي جعفر الطوسي وعقد مجلس الواعظ بمراغة، وتردد إلى الأمراء والخوارج، وكان له القبول التام وأسلم على يده خلق كثير من المغول والترك و تابوا على يده و صاروا يخرجون الزكوات ويوظفون على الصلوات، وكان الوزير صدرالدين أحمد بن عبدالرزاق الخالدي كثير الميل إليه و الاعتقاد فيه، وقدم بغداد وسكنها، وكان حسن السيرة زاهداً، وحصل لي بخدمته مالا يحتمل ذكره في هذا المختصر، وتوفي رجماً الله بشرويان ودفن بها ثم نقل إلى شهرزور سنة تسع وسبعين وستمائة(٢)، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقب(طهران:١٤١٦هـ)، ٨٥/٥، وهو المعروف الآن بين الأكراد بسيد صادق وسميت القرية التي دفن بها باسمه وصارت مدينة معروفة بمحافظة السليمانية .

- فصل -

- في ذكر الإمام القطب العارف سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع التستري، شيخ الشيخ أبي بكر بن هوارة ظاهراً رضي الله عنه :
ومما روينا أنه كان - رضي الله عنه - من أكمل أئمة العارفين في زمانه كالشمس الظاهرة بين أقرانه من أجلاء العلماء بالأحوال، المُكَمِّلِينَ في علوم الرياضات والإخلاص وغيوب الأفعال، له الباع الرحيب في المجاهدات وشهود المشاهد، واليد البيضاء في التصريف النافذ لعلومه لحل المشكلات، وكشف المنازلات كالبحر الزاخر الذي ليس له أول ولا آخر، يخرج بصحبته جماعة من أصحاب الأحوال الفاخرة، أهل علوم الآخرة، كالشيخ أبي بكر بن هوارة وغيره - رضي الله عنهم - وانتمى إليه جَمٌّ غفير من أصحاب الأحوال، وقال بإرادته خلق لا يحصون كثرة، وأجمعت الخلق على محبته، وانتفعوا بقوله وفعله، وقصد بالزيارات من كل جهة (١٠٣ب).

وكان له القبول التام عند الخاص والعام، صحبه خاله محمد بن سوار - رحمه الله - وشاهد ذا النون المصري - رضي الله عنه - لما خرج إلى مكة، قال - رحمه الله - كنت أقوم بالليل وأنا بن ثلاث سنين أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار - رحمه الله - وكان يقوم الليل، وربما قال لي في بعض الليالي: يا سهل اذهب فَنَمْ، فقد شغلت قلبي! وقال لي يوماً: يا سهل ألا تذكر الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك في قيام ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر اليّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك في كل ليلة تسع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال قل ذلك في كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه حتى تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لي حلاوة في سري. ثم قال لي يوماً: يا سهل من كان الله تعالى معه وهو ناظر إليه وشاهده لا يعصيه، إياك والمعصية، فكنت أخلو، فلما مرّ بي إلى الكتاب قلت: إنني لأخشى أن نتفرّق على همّ، ولكن شارطوا المعلم إنني اذهب إليه ساعة فأتعلم وارجع. فمضيت إلى الكتاب فحفظت القرآن وأنا في سن ست سنين، أو سبع سنين. وكنت

أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير، حتى بلغت اثنتي عشر سنة فوقع لي بعد ذلك مسألة، وأنا بن ثلاث عشرة سنة، فسألتهم أن يبعثوا بي إلى البصرة، وأسأل عنها، فجنّت إلى البصرة، وسألت عنها، وسألت عن علمائها، فلم يشفني أحد، فخرجتُ إلى عبّادان إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العبّاداني، فسألته عنها فأجابني، وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه، واتأدب بأدابه، ثم رجعت إلى تستر، فجعلت قوتي اقتصاراً على أن اشترى لي بدرهم من الشعير الفرق، فيطحن ويخبز لي فأفطر عليه عند السحر، كل ليلة على أوقية واحدة، بحتاً بغير ملح، ولا أدم، فكان يكفيني ذلك الدرهم، وطويت سنة، ثم أني عزمت على أن أطوي ثلاث ليالٍ ثم أفطر، ثم جعلتها خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة، فكننت على ذلك عشرين سنة، ثم خرجتُ وسحّتُ (١٠٤أ) في الأرض سنين، ثم عدت إلى تستر. وكننت أقوم الليل كله^١.

وقال رضي الله عنه: إذا لم يفتح الله على العبد ثلاث فهو مضطرب في حاله، وهي من غيوب التيقن إصلاح الباطن لمرأى الحق، وإسقاط الخلق لرؤية القرب، والاعتماد على الله تعالى لرفع الحجب،

وقال رضي الله عنه: كل فعلٍ يفعله العبد بغير اقتداء طاعةً أو معصيةً، فهو غش النفس، و(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) فإذا انتبهوا ندّموا، وإذا ندّموا لم تنفعهم ندامتهم، وما طلعت الشمس ولا غربت على أحد من أهل الأرض إلا هم جهال بالله تعالى، إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجه ودينياه وأخوته، وأدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة.

وقال رضي الله عنه: شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم، وما من قلب ولا نفس إلا والله تعالى مُطلع عليها في ساعات الليل والنهار، فأيهما رأى فيه حاجة إلى غيره سلط عليه إبليس.

وقال: الذي يلزم الصوفي ثلاثة أشياء، حفظ سرّه، وصيانة فقره، وأداء فرضه، والله تعالى قبلة النية، والنية قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة

^١- اطال المؤلف الحديث عن سهل التستري من غير مبرر ودون ان يكون للرجل علاقة تذكر بابي الوفا.
^٢ ذهب بعض المؤلفين، ومنهم الغزالي في كتبه (المنقذ من الضلال) و(إحياء علوم الدين) و(فضائح الباطنية)، إلى أن هذا القول حديث شريف، لكنه ليس كذلك، وإنما هو على التحقيق من كلام علي بن أبي طالب ع، وقيل: من كلام سهل بن عبدالله التستري. بنظر محمد زياد النكلة في موقع الألوكة.

الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا. وليس في الضرورة تدبير، فإذا صار إلى التدبير، خرج من الضرورة. ومن لم تكن ضرورته لربه عز وجل فهو مُدَّعٍ لنفسه، ومن أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون، فمن سلم من الظنون سلم من التجسس، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان.

وقال رضي الله عنه: لا يستحق الإنسان الرياسة حتى يصرف جهله عن الناس، ويحمل جهلهم، ويترك ما في أيديهم، ويبدل ما في يده لهم. ومن أخلاق الصديقين ألا يخلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون، ولا يُغتاب عندهم، ولا يُشبهون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلموا إلا والاستئناس في كلامهم، ولا يمزحون أصلاً.

وقال رضي الله عنه: ذروا التدبير والاختيار فإنهما يُكدران على الناس عيشهم. واعلموا أن هذا زمان (١٠٤ب) لا يجد أحد النجاة فيه الا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد، لفساد ما عليه أهل الزمان. وأعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يجتنب المعاصي إلا صديق. ومن ظن حُرْمَ اليقين. ومن تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق. ومن أشغل جوارحه بغير ما أمر الله تعالى به حُرْمَ الورع.

وقال رضي الله عنه: الفتن ثلاثة، فتنة العامة من إضاعة العلم، وفتنة الخاصة من الرُخْص والتأويلات، وفتنة أهل المعرفة من أن يلزمهم حق في وقت فيؤخرون إلى وقت ثان. وأصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والإقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة وإداء الحقوق. ومن أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله تعالى فهو غافل، ولقد أيس العلماء والحكماء من هذه الثلاث، فقال^١ متلازمة التوبة، وترك أذى الخلق، والبلوى من الله تعالى على وجهين، بلوى رحمة، وبلوى عقوبة، فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره إلى الله عز وجل، وترك التدبير، وبلوى العقوبة تبعث صاحبها إلى اختياره وتدبيره.

وقال رضي الله عنه: من جلى قلبه من ذكر الآخرة تعرَّض لوسواس الشيطان، ولا معين إلا الله تعالى، ولا دليل إلا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا زاد إلا التقوى،

^١ - هذه الكلمة غير واضحة في الأصل

ولا عمل إلا الصبر عليه، والايات لله عز وجل، والمعجزات للانبيا عليهم السلام، والكرامات للاولياء، والمعونات للمريدين، والتمكن لأهل الخصوص.

وقال رضي الله عنه: لا يصح للإنسان حقيقة التوبة حتى يترك أربعة، أخلاق الأبالسة، وأخلاق السحرة، وأخلاق البهائم، وأخلاق الشياطين.

وقال رضي الله عنه: العيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس، عالماً كان أو جاهلاً، زاهداً كان أو راغباً، بطالاً كان أو عابداً، في الأكل والشرب. والضرورة للانبيا عليهم السلام، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم.

وقال رضي الله عنه: أيما عبد قام بشيء مما أمر الله تعالى به من أمر دينه، فعمل به، واجتنب ما نهى الله عز وجل عنه عند فساد الأمور، وتشوش الزمان، واختلاف الناس في الرأي، إلا جعله الله تعالى يقتدى به هادياً مهدياً، قد أقام الدين في زمانه، وسارع إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهو الغريب في الزمان الذي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ).

وقال رضي الله عنه: الدنيا كلها جهل إلا العلم منها، والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله منثور إلا الاخلاص فيه، والاخلاص أنت منه على وجل، هل تعلم هل قبل أم لا، وتوبة العاصي الأمل، وبذرها الحرص، وماؤها الجهل، وصاحبها الاصرار. وقال رضي الله عنه: استجلب حلاوة الزهد بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس، وتعرض لرؤية القلب بمجالسة أهل الذكر، واستجلب نور القلب بدوام الحذر، واستفتح باب الحذر بطول الفكر، وتزین لله تعالى بالصدق في جميع أحوالك، وتحبب إليه بتعجيل الإنتقال، وإياك والتسوية، فإنه يُغرق الهلكى، وإياك والغفلة، فإن فيها سواد القلب. وإياك والتواني فيما لا عُذر فيه فإنه ملجأ النادمين، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار، وتعرض لعفو الله تعالى بحسن المراجعة، واستحباب زيادة النعيم بعظيم الشكر، واستدم بعظيم الشكر خوف زوال النعمة.

ودخل عليه بعض أصحابه يوماً، فرآه مهموماً، فقال له: أيها الشيخ، أراك مشغول القلب، فقال: كنت بالأمس في الجامع فوقف علي شاب فقال لي: أيها الشيخ! أيعلم العبد أن الله تعالى قد قبله؟ فقلت: لا أعلم، فقال: بل يعلم، فقلت: لا

يعلم، فقال ثانياً: بل يعلم، فقلت له: من أين يعلم؟ قال: إذا رأيت الله تعالى قد عصمني من كل معصية، وقد وفَّقني لكل طاعة، علمت أن الله تعالى قبلني.
وقال رضي الله عنه: لا تصح العزلة إلا بأكل الحلال، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله تعالى. ومن أراد أن يصح له التقوى فليترك الذنوب كلها. والحلال هو الذي لا يعصى الله فيه ولا ينسى. ولا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة، ولا تصح له الخلوة حتى يلزم نفسه الصمت.

وروي أنه رضي الله عنه كان لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة (١٠٥ب) عشر يوماً، وإذا دخل شهر رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال، ثم كان يفطر كل ليلة على الماء القراح.

وكان يقول: لما خلق الله تعالى الدنيا جعل المعصية في الشبع والجهل أيضاً، وجعل في الجوع العلم والحكمة. وقيل أنه كان إذا جاع قوي، وإذا أكل شيئاً ضعف.
وقال رضي الله عنه: من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع. وقال رضي الله عنه: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى، ومن خشع قلبه لم يقربه شيطان. وعلامة المتوكل ثلاث: لا يسأل، ولا يزد، ولا يجلس. وأول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالमित بين يدي الغاسل، يُقلِّبه كيف أراد، لا يكون له حركة، ولا يد، ولا تدبير. وحقيقة التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد، فالتوكل حال النبي - صلى الله عليه وسلم - والكسب سنة، فمن لم يبلغ حاله فلا يترك سنته، فمن طعن في الحركة فقد طعن في السنة. ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان. واليقين شعبة من الإيمان، وهو دون التصديق. وابتداء اليقين المكاشفة، ولذلك قال بعض السلف رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. ثم المعاينة والمشاهدة، وحرام على القلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى غير الله عز وجل.

وقال رضي الله عنه: لا يصح لأحد التعبد حتى لا يجزع من أربعة أشياء: الجوع، والعري، والفقر، والذل. ولا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى أثر المسكنة في العدم، ولا في الفناء، أثر الجود. ولا يعرف الرياء إلا مخلص.

وقال بعضهم: دخلت على سهل بن عبد الله - رضي الله عنه - في يوم جمعة، قبل الصلاة، فرأيت في البيت حية، فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فقال لي:

أدخل لا يبلغ أحد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شيء يخافه، ثم قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد، فدخلنا وصلينا الجمعة، ثم خرجنا فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون، فقال: أهل لاله الله كثير، والمخلصون منهم قليل.

وقال رضي الله عنه: لا يشم رائحة الصدق عبدٌ آمن نفسه وداهن غيره. وقال رضي الله عنه: (١٠٦أ) ما من يوم إلا والباري ينادي - عز وجل - ينادي: عبيدي ما أنصفتني! أذكرك وتنساني، وأدعوك وتذهب إلى غيري، وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا. يا بن آدم! ماتقول غدا إذا جئتني؟

وقيل أنه كان جالسا يوماً في الجامع، فوقع في المسجد حمامٌ من شدة ما لحقه من الحر والمشقة. فقال: سهل - رضي الله عنه - إن شاء الله الكرمانى رحمة الله عليه قد مات في هذه الساعة! فكتب الوقت، فكان كما قال. وسئل - رضي الله عنه - عن الولي، فقال: الولي الذي توالى أفعاله على الموافقة. وسئل عن الفتوة فقال: ما إتباع السنة. وقال رضي الله عنه: أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال، ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطراً إليه، لا بد له مما يدعو لأجله.

وروي عنه أنه ظهر بيعقوب بن الليث^١ علة أعيت الأطباء، فقيل له: في ولايتك رجل ولي يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله ان يستجيب منه، قيل: فاستحضر سهلاً، وقال له: أدع الله عز وجل لي، فقال له سهل: كيف يُستجاب دعائي فيك، وفي حبسك مظلومون، فأطلق كل من كان في حبسه، وقال: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة، وفرج عنه فعوفي من علته، فعرض عليه مالاً جزيلاً، فأبى سهل أن يقبله، فقيل له، لو قبلته ودفعته إلى الفقراء، فنظر إلى الحصى في الصحراء فإذا هي جواهر فقال لأصحابه: من يعطي مثل هذا محتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟ وقال رضي الله عنه: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير ظاهر الغناء، وجايع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين رجل عداوة، فيظهر له المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يظهر ضعفاً. وسئل

^١ - هو أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار السجستاني مؤسس الأسرة الصفارية التي حكمت سجستان وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر، بدأ حياته زاهداً، ثم توصل إلى السلطة فعظمت صولته، وهابته الملوك، وأقره الخليفة المعتمد العباسي على ملكه، ثم سعى لدخول العراق، فدافعه المعتمد في معركة شرسة عند دير العاقول، وانتصر عليه سنة ٢٦٢هـ، وما ابث أن استعاد قواه وعاد يهدد الخلافة، ولم يهدأ حتى وفاته بالقولنج سنة ٢٦٥هـ.

عن الصوفي، فقال: الصوفي الذي يرى دمه هدراً وماله مباحاً. والصوفية قوم استعانوا بالله تعالى على آداب الله تعالى، ومن قهر نفسه بالأدب، وهو يعبد الله تعالى، على آداب الله تعالى، ومن قهر نفسه بالآداب وهو يعبد الله تعالى بالإخلاص.

وقال له رجل: أريد أن أصحبك يا أبا محمد! فقال: إذا مات احدنا فمن يصحب الباقي بعده؟ فقال: الله! (١٠٦ب) قال: فليصحبه الآن، ثم قال لرجل آخر: إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبني. وسئل - رضي الله عنه - عن ذات الله سبحانه وتعالى فقال: ذات موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حدود، ولا إحاطة، ولا حلول، وتراه العيون في المعنى ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأصوار من غير احاطة ولا ادراك نهايته.

وقال رضي الله عنه: أول ما رأيت من العجائب والكرامات أني خرجت يوماً إلى موضع خال فطاب بيّ المقام فيه، وكأني وجدت من قلبي قرباً إلى الله تعالى، وحضرت الصلاة وأردت الطهور، وكان من عادتي من صباي أن أجدد الوضوء لكل صلاة، فكأنني اغتممت لفقد الماء، فبينما أنا كذلك وإذا أنا بدب يمشي على رجليه كأنه إنسان، ومعه جرة خضراء قد أمسك يديه عليها، قال سهل: فلما رايته من بعيد، توهمت أنه آدمي، حتى دنا مني وسلم عليّ، ووضع الجرة بين يديّ، فجاء اعتراض العلم، فقلت في نفسي: هذه الجرة والماء لا أدري من أين هو: فنطق الدب وقال لي: يا سهل! إنا قوم من الوحش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نودينا: ألا أن سهلاً يريد ماءً ليجدد الوضوء، فوضعت هذه الجرة في يدي، ويجنبي ملكان، حتى دنوت منك، فصباً فيها الماء من الهواء، وأنا اسمع خريير الماء، قال سهل: فغشي عليّ، فلما أفقت رأيت الجرة موضوعة، ولا ادري أين ذهب الدب، وأنا متحير إذ لم أكلمه، فتوضأت، فلما فرغت من الوضوء أردت أن اشرب منها، فنوديت من الوادي: يا سهل! لم يأن لك شرب هذا الماء بعد، فبقيت الجرة تضطرب وأنا انظر إليها، ولا أدر أين ذهبت.

وقيل لما مات - رضي الله عنه - أكب الناس على جنازته، وكان في ذلك البلد شيخ يهودي قد أناف على تسعين سنة، فسمع الصيحة، فخرج لينظر ما كان، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال: ترون ما أرى؟ فقالوا: ما الذي ترى؟ فقال: أرى أقواماً (١٠٧) ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة. ثم أنه أسلم في الحال، وحسن اسلامه.

وقال رضي الله عنه: من زهد في الدنيا اربعين يوماً صادقاً من قلبه، مخلصاً في ذلك، ظهرت له الكرامات، وإذا لم تظهر فإنه عدُّم الصدق في زهده. فقيل: كيف تظهر الكرامة؟ فقال: يأخذ ما يشاء، كما يشاء، من حيث شاء.

وقال محمد بن احمد البصري، رحمه الله، خدم أبي - رحمه الله - سهل بن عبد الله - رضي الله عنه - سنتين، فقال لي: ما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من القرآن والذكر وغيرهما، قال: فلما كان في آخر عمره قرئ بين يديه: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾^١، فرأيته قد تغير وارتعد، وكاد يسقط، فلما أفاق سألته عن ذلك، فقال: يا حبيبي ضعفنا! وسئل عن السماع فقال: هو علم استاثر الله تعالى به، لا يعلم حقيقته إلا هو.

وقال أبو نصر السراج رحمه الله: دخلنا دستر^٢، فرأينا في قصر سهل بن عبد الله - رضي الله عنه - بيتاً يسمونه بيت السبع، فسالنا الناس عن ذلك، فقالوا: كانت السباع تجيء إلى سهل - رضي الله عنه - فيدخلهم هذا البيت، يضيفهم ويطعمهم اللحم. قال أبو نصر: ورأيت أهل دستر جميعهم متفقين على هذا، وهم الجم الغفير، والعدد الكثير، الذي لا يتصور منهم التواطؤ على الكذب. وكان رجل يصحبه يقال له عبد الرحمن بن احمد، فقال لسهل يوماً: ربما أتوضأ للصلاة فيسيل بين يدي قضبان من ذهب وقضبان من فضة، فقال له سهل: أما علمت أن القضبان إذا يكووا يعطون خشاشة ليشغلون بها. وقال: أكبر الكرامات أن تُبدل خلقاً مذموماً من أخلاقك بخلق محمود. وكان - رضي الله عنه - قد أصابته زمانه في آخر عمره، فإذا حضرت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه، فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانه.

^١ - سورة الحديد، الآية ٦٥.

^٢ - كذا كتبها بالبدال المهملة، والمشهور تستر.

وقال أبو علي بن وصيف المؤدب: تكلم سهل بن عبد الله - رضي الله عنه = يوماً في الذكر، فقال: إن الذاكر لله تعالى على الحقيقة (لو) توهم أن يحيي الموتى لفعّل، ثم مسح يده على عليل بين يديه فبرئ وقام. وقال رضي الله عنه: صلاح الخلق في بلائه في ثلاثة أشياء: رفض الدنيا من حلالها، ثم الرضا بما قسم الله تعالى من الرزق، ثم الاشتغال (١٠٧ب) بطلب الآخرة، وما أخذ عن شهوة الدنيا إلا بعقوبة. وقال رضي الله عنه: أجمع العلماء أن تفسير العافية ان لا يكِل الله تعالى العبد إلى نفسه، وأن يتولاه، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تكلني إلى نفسي). وقال رضي الله عنه: الناس ثلاثة أصناف: صنف منهم مضروب بصوت المحبة، مقتول بسيف الشوق، مضطجع على بابه ينتظر الكرامات، وصنف منهم مضروب بصوت التوبة، مقتول بسيف الندامة، مضطجع على بابه ينتظر العفو عنه^١.

وقال رضي الله عنه: التائب يتقي المعصية، ويلزم الطاعة، والمطيع يتقي الرياء ويلزم الذكر، والذاكر يتقي العجب ويلزم نفسه. التقصير في كل حال اولا على نفسك، وإيثار الآخرة على الدنيا، وتضييق ما وسع عليك مما أبيع لك.

وقال رضي الله عنه: في مقبرة المرید أقوام يرون السماء، ويأتيهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيّة، وفيهم من الغم ما لو وضع بين الظهر والعصر على أهل البصرة لماتوا. قيل له: يا أبا محمد! أليس هم من المسلمين؟ قال: بلى! ولكنهم كانوا إذا أصبحوا قالوا: أي شيء نأكل الليلة؟ وإذا أمسوا قالوا: أي شيء نأكل غداً.

وقال رضي الله عنه: لله عز وجل فوائد، وللشيطان فوائد، فأما فوائد الله تعالى فالخوف والرجاء، وأما فوائد الشيطان فالأمانى والغرور. وقال رضي الله عنه: تعلموا النية الصالحة عند الشروع في أعمال الخير، وأكل الحلال، وترك أذى الخلق، كما تتعلمون فاتحة الكتاب، ليصفو إيمانكم وقلوبكم وجوارحكم، وتزكو أعمالكم. وقال رضي الله عنه: من زهد في الدنيا فقد نبّه على قدرها في نفسه، واستحق من الله تعالى أن يتخذ عنده يداً لما قدر له عنده. وقال صلى الله عليه وسلم: لو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى وزن جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرة ماء. ومن زهد في نفسه إيثاراً لله تعالى، فقد نبّه على قدر إيمانه في قلبه، واعترف برق

^١ - هذان صنفان، وقد ذكر أن الناس ثلاثة أصناف.

العبودية، لزمه عز وجل إذ لا نفس له . قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^١ أي عيشهم الفاني بالعيش الثاني . (١٠٨أ)
وقال رضي الله عنه: يتفاضل الناس يوم القيامة على قدر يقينهم، فمن كان أوزن يقيناً كان من دونه في ميزانه، وأدنى اليقين ثقة العبد بالله عز وجل، وأدنى التوكل ترك الإختيار، وأعلاه ليس له غاية.

وقال رضي الله عنه: إن الله تعالى منع الغافلين لذاتة مناجاته، فلم ترض عقولهم بمعرفته، ولا أبدانهم بخدمته، فاستدلهم فجعلهم عبداً للدنيا .
وقال أبو العباس الخوَّاص: كنت عند سهل بن عبد الله - رضي الله عنه - وكنت أحب أن أعرف شيئاً من أمره الذي كان يستره، وكنت سألت جماعة من أصحابه من أين يفتات فلم يقف أحدٌ منهم على شيء يُخبرني به، فخرجت ليلة من الحصن، وجئت إلى مسجده، فرأيتُه قائماً يصلي، فوقفت طويلاً وهو لا يركع حتى جاءت شاة، زعمت^٢ باب المسجد، وأنا أراها، فلما سمع حركة الباب ركع وسجد، وخرج إلى باب المسجد فتحه، وقدم الشاة ومسح يده عليها، وأخذ قدحاً من طاقة في المسجد، فحلب فيه ثم شرب، ثم مسح عليها، وكلمها بالفارسية، فذهبت في الصحراء، وقام في محرابه .

وقال رضي الله عنه: خلق الله هذه الدنيا لهذه النفس للطاعة، فمن كان في دنياه مطيعاً لربه عز وجل فله الدنيا والآخرة، ومن كان على غير ذلك فلا دنيا ولا آخرة. وروي أنه قال بعض أصحابه: أريد أن أخرج إلى بيت المقدس، وقد أحببت أن يكون لي بها من أنس إليه، فدلني على رجل إذا كانت لي حاجة سألته أن يدعو اليّ. قال فدله على رجل، وأعطاه علامته، وعرف موضعه في المسجد، قال: فجئت إلى بيت المقدس، ودخلت المسجد، فطلبت الرجل، فوجدته بالعلامة التي وصفها لي سهل، فسألته أن يدعو إليّ، فقال: تعرفني؟ فقلت: دلني عليك سهل بن عبد الله التستري، فقال لي: أتحب أن ترى سهلاً؟ فقلت: إن سهلاً في بلده. قال: قم فإن سهلاً خلف ذلك العمود، وهو قائم يصلي، قال: فقمنا إلى الاسطوانة التي ذكرها، فوجدت سهلاً واقفاً يصلي، فأبصرته ولم أتقدم إليه، ولا كلمته، ووقعت عليّ رعدة شديدة، فنمت من ساعتى حتى نبهوني للصلاة.

^١ -سورة التوبة، الآية (١١١).

^٢ -كذا في الأصل، وكأنه يريد: دفعت.

وقيل له: يا أبا محمد هذا الذي يقولون يكون الرجل بالغداة بالبصرة، وبالعشي بمكة (١٠٨ب)، فقال: نعم! إن لله عز وجل عبادة هم على جنب نيام، يقولون لا يحرك جنباً إلا بمصر، وإلى موضع يريدون وسكت! ثم قال: أليس ترى الملوك لهم وزراء أو وكلاء، عُرف واحد منهم بالصحة والنصيحة وصدق النية، فُدفع إليه مفتاح خزائنه، وقال له: اعمل ما شئت، فهو يعمل في خزائن صاحبه ما يريد، كذلك العبد إذا أطاع الله تعالى فيما أمره به، وفيما نهاه عنه، واجتهد فيما يُقربه إليه من طاعته. ثم قال: إنكم غافلون، وإن الدنيا راحلة عنكم، وأنتم منقولون عنها، فتيقظوا من رقدتكم، فإن الأمر قريب، ولعل القليل من أمركم إذا استقلتكم يزيد الكثير.

وقال رضي الله عنه: إن الله تعالى اصطنع إلى أوليائه ثلاث خصال، لا يطعمهم من حيث يطعمون، ويسوس عليهم تدبيرهم لأنفسهم، ولا يظفر بهم عدوهم، يريد بذلك - عز وجل - أن لا يرجوا غيره، ولا يخافوا سواه، ولأنه البار بهم اللطيف الكريم.

وقال رضي الله عنه: أيها الناس مالكم لا تقبلون حقاً، ولا تكرهون باطلاً، قد اصطلحتم على المعاصي، إن لله عز وجل يوماً لا يقبل فيه إلا الحق، ولا يسمع من مستغيث غيائه، فارغبوا إلى الله عز وجل قبل الموت، وراقبوه وتوبوا إليه واستغفروه، إنه قريب مجيب. إنه قد كان فيمن كان قبلكم رجل أسرف على نفسه في أمره، ثم إن الله تعالى له بالخروج طلباً للتوبة، فلما كان في الطريق لقيه ملك في صورة رجل، فقال له: يا عبد الله أين تريد؟ فقال: أريد من أتشفع به إلى ربي عز وجل، ليقبل توبتي، فقال له: الرجل الذي يستشفع به له عند الله جاه، وأنا لاجاه لي عند الله عز وجل، فأرسل الله عز وجل إلى الملك: صدق عبدي، لا ترده، ودله على ولي لله عز وجل ليستشفع به الي، فإنه أمل رحمتي، ورحمتي وسعت كل شيء، فدله الملك على ولي من أولياء الله تعالى، فلما جاء سلم عليه، فرد السلام، وقال له: مرحباً بحبيب الله، مرحباً بالمعتذر من ذنبه وجنابته، مرحباً بالمستقيل من عثرته. اعلم بأن الله تعالى ما رزق أحد التوبة إلا وقد علم منه خيراً، وإن الله تعالى قد قبل توبتك، فاصلح باقي عمرك، فإن الله عز وجل يغفر (١٠٩أ) لك الأول والآخر. فقال له

^١ - الأصح: لا يرجون، ولا يخافون.

التائب: فكيف لي بعلم صحة عملي؟ فقال له الولي: إنك تدعو ذلك الجبل فيجيبك! فقال التائب: أيها الجبل! أقبل إلينا، فما استتم كلامه حتى جاء الجبل مسرعاً، ثم قال له عد إلى مكانك، فعاد. فقال التائب: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولم يزل مواظباً على التوبة حتى مات، رحمه الله، فتوبوا إلى الله عز وجل توبة من ندم على فعله.

وقال رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق الخلق ولم يجلبهم عنه، وحجابهم تدبيرهم، فدع التدبير والاختيار الذي كدر على الخلق عيشهم. وقال رضي الله عنه: مخالطة الولي للناس ذلٌّ، وتفرده عزٌّ، وقل ما رأيت ولياً لله عز وجل إلا منفرداً.

وروي ان عبد الله بن صالح - رحمه الله - كان رجلاً له سابقة جليلة، وموهبة جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة، فطال مقامه بها، فقلت له: لقد طال مقامك بها، فقال: ولم لا أقيم بها ولم أر بلداً ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر منها، فأحببت أن أكون فيها مقيماً، وأن الملائكة يطوفون بالبيت الحرام على صور شتى، لا يقطعون ذلك، ولو أخبرت بكل ما رأيت لصغرت عنه عقول أقوام ليسوا بمؤمنين. فقلت له: أسألك بالله إلا أخبرتني بشيء من ذلك، فقال: ما من ولي لله عز وجل صحَّت ولايته إلا وهو يحضر هذا البلد في كل ليلة جمعة، ولا يتأخر عنه، فمقامي ها هنا لأجل من أراه منهم، ولقد رأيت رجلاً يُقال له مالك بن قاسم حلّى^١ فسألته عن حاله، ورأيت يده عمدة، فقلت له: إنك قريب عهد بالأكل، فقال: استغفر الله، فإنني منذ اسبوع لم أكل شيئاً، ولكنني أطعمت والدي، وأسرعت لألحق صلاة الفجر جماعة، وبينه وبين الوضع الذي جاء منه سبعمائة فرسخ، فهل أنت مؤمن بذلك؟ قلت: نعم! فقال: الحمد لله الذي أراني مؤمناً موقناً.

وقال أبو سعيد صاحب سهل، رضي الله عنه: بلغ أبا عبد الله الزبيري، وزكريا الساجي^٢، وابن أبي الوفا - رحمهم الله تعالى - أن سهل بن عبد الله - رضي الله عنه - يقول: أنا حُجَّة الله على الخلق، وأنا حجة عليكم. واتصل ذلك، فتواعدوا أن يخرجوا إليه، فلما اجتمعوا عنده، أقبل عليه أبو عبد الله الزبيري (١٠٩ب)، وكان جسوراً لأنه كان ضريراً، فقال له: يا أبا محمد! بلَغْنَا أنك تقول: أنا حُجَّة الله على

^١ - كذا غير معجمة في الأصل.

^٢ - كذا غير معجمة في الأصل، والغالب أنها: الساجي.

الخلق، فبماذا أنت نبي، او انت صديق؟ وبم استخرت ان تقول هذا؟ فقال سهل: لم اذهب حيث تظن يا بُني، ولكن إنما قلت هذا لأخذي الحلال، فتعالوا أكلكم بأجمعكم حتى نصح الحلال، ولا نأكل إلا الحلال، فقال له الزبير: يا أبا محمد، أنت قد صححت الحلال؟ قال: نعم! أنا صححته، ولا أكل إلا حلالاً، فقال له الزبير: وكيف صححت الحلال؟ فقال سهل: قسّمت عقلي ومعرفتي وقولي على سبعة أجزاء، فاترك حتى يذهب منها ستة أجزاء، ويبقى جزء، فإذا خفتُ أن يذهب ذلك الجزء وتلف معه نفسي، خفتُ أن يكون قد أعنت على نفسي وقتلتها ووقع أنفعا في عنقي، دفعت اليها من البلغة قدر ما يرد على الستة أجزاء، فهذا صح لي. فقال الزبير: فنحن لانقدر على هذا ولا نعرفه، ولانحسن أن يقسم عقلنا ومعرفتنا وقوتنا على سبعة أجزاء، ثم قال له الزبير: يا أبا ذمحمدا! ما تقول في القدر؟ فقال سهل: سر الله تعالى، فألح عليه، فقال: سر الله ولا يطلع على سر الله أحد، فسأله ثالثاً وألح عليه، وقال: يا حبيبي، لا تسألني عن شيء سأل عنه الأنبياء، فأسقطوا من ديوان النبوة، فقال: (ومن أسقط من ديوان النبوة؟) قال: العزيز، فقال له الزبير: أصلح لنا أصلاً في السنة نعرفه ونعتقه، فقال سهل رضي الله عنه: إن الله عز وجل خلق الخلق على معرفة، وأجرى فيهم مشيئته، ودعاهم إلى توحيدهِ، وخاطبهم بعلمه، وقهرهم بقدرته، ثم قال: العارف بالله تعالى عالم في الأصل، عادل في الفرع، لا يستغنى عن الله طرفة عين.

وقال أبو عبد الله بن درستويه: كنت مع سهل بن عبد الله - رضي الله عنه - وهو خارج من القصر^١ في يوم بارد، وعليه إزاران، وعلي جبة وقميص وريحاني^٢ وكساء، وأنا أجد البرد، وكان يوم ريح عاصف، فجعلت أتجافى وارفع الكساء لأستره من الريح، فقال: يا درست! لا تتعب نفسك واهداً، فإنني لا أجد البرد. وقال: وصحبته سنين كثيرة ما رأيت قط إلا بارزاً، وما رأيت عليه قميصاً ولا جبة ولا صدره^٣ إلا يوماً واحداً أظنهم غسلوا إزاره فلبس في ذلك اليوم قميصاً.

^١-الكلمة غير واضحة في الأصل، والعبارة غير واضحة لنا.

^٢-العبارة بين قوسين مكررة في الأصل.

^٣-لم يتضح اي قصر يعني.

^٤-ريحاني: من الواضح أنه ضرب من الملابس.

^٥-هو ما كان يعرف في العراق باسم (صديري). رداء يغطي النصف الأعلى من الجسم، مفتوح الصدر، يقفل بأزار.

وقال رضي الله عنه: يأتي على الناس زمان يذهب الحلال من أيدي أغنيائهم، (١١٠أ) وتكون أموالهم من غير وجهها، ويُسلط بعضهم على بعض، فيذهب عيشهم، ويلزم قلوبهم فقر الدنيا، وخوف شماتة الأعداء، ويجد لذة العيش عبيدهم ومماليكهم، ويكونون في بلاء وعناء وشقاء، وأما من دونهم فيكونون في فقر وخوف الظالمين وكُدِّ في المعاش، إلا منافق لا يبالي من أين أخذ، وفيه أنفق، ولا كيف أهلك نفسه، فتكون زينتهم زينة الجهال، وعيشهم عيش الفجار، وموتهم موت أهل الخسارة والضلال.

وقال رضي الله عنه: كنت يوماً بناحية ديار عاد، إذ رأيت مدينة من حجر منقورة، في وسطها قصر من حجارة منقورة سقوفه وأبوابه، تأويه الجن، فدخلته مُعتبراً، فإذا فيه شيخ عظيم الخلقة يصلي نحو الكعبة، وعليه جبة صوف فيها طراوة. قال سهل: فلم أتعب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال لي: يا سهل الأبدان! لا تخلق الثياب، وإنما يخلقها روائح الذنوب، ومطاعم السُّحت، وإن هذه الجبة علي من سبعمئة سنة، وفيها القيتُ المسيح بن مريم عليه السلام، ومحمداً صلى الله عليه وسلم، وأمنتُ بهما. وقلت له: فمن انت؟ قال: أنا الذي أنزلت في ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾^١.

وقال: في الأرض عبرة لو عاينها الجهال لاعتبروا لها، قيل له: وما هي؟ قال: هذا الماء الذي جعله الله عز وجل حياة، يزيد فلا تشكرونه، وينقص فلا تستغفرونه. وقال: من أطال الله عمره فقد أحسن إليه، فينبغي أن نقابل الإحسان بمثله من الإحسان، قيل له: وكيف ذلك يا أبا محمد؟ فقال: إن الله تعالى عز وجل قد أمهله وبسط له في التوبة، فارتفع العُذر، فإن عمل صالحاً كان من الأخيار، وإن عمل سيئاً كان من الأشرار. وقال: كم من عظيمة فزع منها صاحبها فأداه فزعه إلى الجنة، وكم من صغيرة أمن منها صاحبها فأداه منه إلى النار، فاتقوا الله عز وجل. وعليكم بالخوف فإنه يعقب الأمن، وإياكم والأمن فإنه يُخاف على صاحبه من المكر.

وقال رضي الله عنه: أيها الناس اتقوا الله عز وجل، واتقوا العداوة، ولا يقصد بها أحدكم ولياً لله تعالى، فيجعل الله عز وجل له النصرة، إنه كان لله تعالى ولي بالبصرة، فعاداه قوم في الله عز وجل، وأزروا عليه وحقروه، فغضب الله عليهم

^١ - سورة الجن، الآية (١).

فأهلكهم أجمعين. وروي أن رجلاً معتزلياً (١١٠ب) جاءه يوماً، فسأله عن مسائل من باب كرامات الأولياء، فقال سهل: لولا أنه ليس بموجود في السنة لجعلت أسير على هذا الماء الجاري، وأخرجت منه خبزاً يأكل منه المار والجائي. وقال: طوبى لمن عرف الحق وعرف أهله، فإنه أن عرفهم استدرك، وإن عجز عن ذلك كانوا له شفعاء. وقال: العصمة بالله تعالى تمنع الشيطان أن يلوذ بصاحبها، والإتكال على الله تعالى يورث النجاة. وقال: الدنيا حرام على صفوة الله عز وجل، إن ينالوا منها شيئاً وجب عليه الفدية، ومن نال من صفوته منها شيئاً وجب عليه أن يفديه بتركه، والعمل الصالح. وقال: في المخالفة فقدوا أنفسهم، وفي المكابدة فقدوا هواهم، فصارت شهواتهم في الطاعة، فكل من أقام على أدنى معصية، وهو يطلب من ذلك طاعة، فقد منع المعرفة من الله تعالى، وكان مُدْعِياً بالطاعة، ويأتي تلك المعصية من أي معصية فقد حُرِمَ المزيد من عند الله تعالى، ويُخَافُ عليه من العواقب. وقال: لا تصح التوبة حتى يتركوا كثيراً من الحلال الذي أحله الله تعالى لهم، ويمنعوا أنفسهم منها من الحلال مخافة أن يخرجهم إلى غيره. والتائب الذي يتوب من عمله في الطاعات في كل ساعة وطرفة ومحة. وقال: إذا قام العبد بالله عليه من الحقوق، فحقيق على الله عز وجل أن يقوم له بما كان العبد قائماً به لنفسه. وقال: من نظر إلى الله عز وجل قريباً منه بعد عن قلبه كل شيء سوى الله تعالى، ومن طلب مرضاته أرضاه الله عز وجل، ومن أسلم قلبه تولى الله عز وجل جوارحه. وقال: لو علمت من إذا لقيته ما سمعت به، لقصدته، ولو علمت رجلاً إذا رأيته سلّمْتُ منه، لحافظت عليه.

وقال أبو سعيد - رحمه الله - صاحب سهل: رأيت يوماً السبع وقد دخل إلى الدار، ففرعنا منه كلنا، فقام سهل إليه وأدخله إلى بيت، وأمرني فاشترت له لحماً ثلاثة أيام، ثم جاء إليه سهل بعد ثلاثة أيام، فقال: الضيافة ثلاثة أيام، فانصرف عنا، فقام السبع وخرج من الدار، ونحن ننظر إليه.

وقال رضي الله عنه: من حفظ جوارحه حفظ الله تعالى قلبه، (١١١أ) ومن حفظ قلبه أعطاه مُناه، وعرف من الله تعالى مقامه، ومن عرف مقامه من الله تعالى صيره الله تعالى أميناً من أمنائه، ومن صيره أميناً من أمنائه فهو خليفة الانبياء من بعدهم، عليهم السلام، فكل من لم يكن أميناً لم يطلع على ما في الخزائن. وقال: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه هذه الأربع خصال: أداء الفرائض

بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي في الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت. وقال: من لم يكن مَطْعَمَه من حلال لم يكشف له الحجاب عن قلبه، ولا يدفع العقوبة عنه، ولا يبالي بصلاته ولا صيامه، إلا أن يعفو الله الكريم عنه. وقال: من أحب أن يرى خوف الله عز وجل في قلبه، ويكشف بآيات الصديقين، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة، وإنما حُرِّموا مشاهدة الملكوت، وحججوا عن الوصول بشيئين: سوء الطعمة وأذى الخلق. وقال: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء عليهم السلام فليُنظر إلى مجالس العلماء، يحيى الرجل فيقول: يا فلان! أي شيء يقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا وكذا، فيقول: طلقت امرأته، وهذا مقام الأنبياء، فاعرفوا لهم ذلك. وقال: من كان له في الدنيا سبب يتعلق به غير الله تعالى أو يأوى إليه غيره، عز وجل، فهو محجوب عنه، ومن ثقلت عليه الوحدة فهو مباعد عن بابه سبحانه. ومن أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين سبحانه وتعالى، فهو غافل عنه سبحانه. وقال: أدبوا ألسنكم بثلاثة أشياء لا تتركوها: ألا تجالسوا الغافلين الذين يخوضون في حديث الدنيا، ولا يتركونها تأخذ مهنها من النوم، وامنعوها من الإسراف في الأكل والشرب، وكل هذا إذا ارادت منكم المعصية، فأما إذا لم ترد منكم ذلك، فاطعموها من الحلال ماشاءت، واتركوها تنام من الليل ما أحببت.

وسئل - رضي الله عنه - عن الصبر فقال: الصبر على أربعة أوجه، صبر على المصائب، وصبر على الفرائض، وصبر على أذى الخلق، وصبر على الفقر، فأما الفرائض فمتى ما صبرت عليها فأنت حسن المعونة من الله عز وجل، وأما المصائب فمتى ما صبرت عليها وجب الأجر من الله تعالى، وأما أذى الناس فمتى ما صبرت عليه وجب لك حب الناس، وأما الفقر إذا (١١١ب) صبرت عليه وجب له رضوان الله عز وجل، فقال المؤمنون في الكافرين قليل، والصالحون في المؤمنين قليل، والصادقون في الصالحين قليل، والراضون في الصادقين قليل، والعارفون في الراضين قليل. وقيل له: هل للعصاة أنس؟ فقال: لا ولا للذي يهيم بالمعصية.

وقال: لما خلق الله جل جلاله الخلق حكم لنفسه بالغنى، وحكم لخلقه بالفقر. وسئل عن الذي لا يأكل الطعام اياماً كثيرة، أين يذهب لهب الجوع؟ فقال: يطفئه النور. وقال: إن لله تعالى في كل يوم وليلة عطايا، وأعظم العطايا أن يلهمك ذكره.

وسُئِلَ عن حياة القلوب فقال: حياتها بذكر الله عز وجل فيها، والله تعالى حي لا يموت. وقيل له: ما القوت؟ فقال: ذكر الحي الذي لا يموت. وقال الأنفاس معدودة، فكل نَفَسٍ يخرج بغير الله تعالى فهو ميت، وكل نفس يخرج بذكر الله تعالى فهو حي موصول به عز وجل.

وقال الدنيا كلها لإبليس، والمساجد كلها لله تعالى. وقال: للخائف ثلاث علامات، يجتزئ باليسير من الأكل ومن النوم، ويقل خطر الدنيا عنده. وقال رضي الله عنه: دخلتُ البادية فرأيت شخصاً هائلاً مُنْكَرًا، فخفته وارتعدت فرائصي منه، فقلت له: أجنبي أنت أم أنسي؟ فأجابني: أمؤمن أنت أم كافر؟ فقلت: مؤمن فقال: المؤمن لا يخاف شيئاً سوى الله عز وجل. وقال: أعلى مقام الخوف أن يخاف العبد على نفسه سابق علم الله تعالى فيه، ويحذر مع ذلك أن لا يحدث منه حَدَثٌ يَجْرُهُ إلى الكفر. وقال الرجاء والخوف لا يسكنان قلباً فيه كبر. وقيل: أي شيء أشد على هذا النفس؟ قال: الإخلاص! لأنه ليس لها فيه نصيب. وقال: خيار الناس المؤمنون، وخيار المؤمنين العلماء الخائفون، وخيار الخائفون المخلصون، وخيار المخلصين الذين وصلوا اخلاصهم بالموت، ولا يعرف الرياء مخلص. وقيل له: ما أصل هذا الامر الذي نحن فيه؟ فقال: الصدق والسخاء والشجاعة. فقيل له: زدنا، فقال: التقى والحياء وطيب الغداء، فرضى الله عنه. توفي سنة ثلاث وسبعين ومايتين.

وقال الشيخ العارف أبو عبد الرحمن السُّلَمي^(١) - رضي الله عنه - في كتاب الطبقات: إنه مات سنة ثلاث وثمانين (١١١٢هـ) ومايتين، وهو الأظهر، والله أعلم.

وتربتها صوباً من المزن أجرى	رعا الله سهلا بل سقى سترأ
إماماً جليلاً كاملاً عالي الذرى	فقد أبرز الرحمن منها مُهذباً
وأبرز من قول المعارف جوهرها	أنار سبيل السالكين بنوره
مريداً فأدناه إليه وبشراً	فكم من فقير أم ابواب فضله
وكم من عمي القلب أصبح مُبصرأ	وكم غافل أصحابه متيقظاً

(١) السلمي هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م) وكتابه طبقات الصوفية، حققه: نورالدين شريفة، دار الشعب، ط ٢ (م.د: ١٩٩٨م).

وكم جالَ في الأكوان شرقاً ومغرباً وسقت له الاحوال سوقاً ميسراً
وكم خارقات العوائد أبرزت يداه لأرباب القلوب بلا امتراً
إلى أين سوار خاله ينتمي فما زال يُدنيه ويُسقيه كوثرًا
فيارب بالمختار أحمد هب لنا سبيلاً إلى المغني المعظم نيراً

- ذكر الشيخ الإمام العارف أبي الفيض ذي النون ثوبان بن ابراهيم:

وقيل: الفيض بن ابراهيم شيخ سهل لقياً وإرشاداً، وشيخ شيخه خدمة
وصحبة رضي الله عنهم، ورحمنا بهم، وسلك بنا سبيلهم.

ومما روينا أنه كان من أكابر المشايخ، وأجلاء العارفين المحققين النبلاء
المقربين الرؤساء، صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الخارقة، والأحوال الجليّة،
والمقامات السنية، والمراتب العلية، والعزائم الموسوية، والخوارق العيسوية، ملكوتي
الإشارات، قدسي النفحات، روحاني الأنفاس، له فتح موثوق، وكشف مشرق خارق
البصائر، صادق السرائر، بارق المعارف، زاهر الحقائق، محله رفيع في مراتب القرب،
محله في منازل القدس، مَورِدُه عذب في مناهل الوصل، طَورُه عالٍ في معارج الدُّنُو،
قَدَمُه راسخ في التمكين من أحوال النهايات، باعه طويل في التصريف في أحكام
الولاية، يد بيضاء في العلم بتفاصيل مشاهدات القلوب في مواطن الغيوب، وله سَبَق
إلى جليّات المفاهر والمعالي والسمو إلى درجات التقدم والتعالي والإطلاع على خزائن
الاسرار، والإنغماس في معادن الأنوار.

وهو من أجلاء من برز إلى الخلق، وتصرّف إلى الوجود، وتمكّن من الأحوال،
وملك الأسرار، وانقلبت الأعيان له، وانخرقت له العوائد، وانطقه ربه سبحانه وتعالى
بالمغيبات، (١١٢ب) وأظهر على يديه العجائب، وأجرى الحَكَم على لسانه، وأوقع له
القبول التام عند الخاص من الخلق والعام، وامتلأت الصدور بتعظيمه وهيبته،
والقلوب بالرغبة منه ومحبته، ونَصَبَه اللهُ تعالى قدوةً للسالكين، وأقامه حُجَّةً على
الناسكين، وهو من أجل اركان هذه الطريق، ورؤساء أعيان قادة ساداتها، وأكابر
أئمتها، وصدور المهديين الدعاة إليها، وأعلى أعلام العلماء بحكم أحكامها، وذوي
السؤدد الأعظم في المعرفة بمناهجها، والحدق في مسالكها.

واليه انتهت إليه رياسة الطريق الشريفة في وقته، وسُلِّمت أزمته أموراً له في عصره، وتخرَّج به غير واحدٍ من الأعيان ذوي الاحوال الفاخرة، أهل علوم الدنيا والآخرة، وانتمى إليه جمٌّ غفير من ذوي المقامات الجليلة، وتلمذ له خلق لا يحصون كثرة، وأجمع أهل عصره على تعظيمه وإجلاله واحترامه، والإقرار بمكانته والإعتراف بمنزلته، والرجوع إلى أقواله، والانات إلى أحكامه، والاقتران بأدابه. وظهر عدله، وقصده الزوار من كل فج عميق، وحملت النذور إليه من كل جهة.

وكان جميلاً بهياً، كامل الصفات، كريم الأخلاق، كثير الوفاق، دائم البشر للناس، مع المجاهدات الدائمة، ومعانقة طريق السلف الكرام - رضي الله عنهم - في السرِّ والجهر، واستعمال آداب الشرع في العلانية والسرِّ، والإسترسال مع أحكام الله تعالى في أوقات الرجاء والشدائد، لم يكبُّ به جواد عزمه، وكان أبوه نوبياً، وقيل أعجمياً، مولى اسحق بن محمد الأنصاري. وصار أُوحد وقته علماً وأدباً، وحالاً وقالاً. سعوا به على المتوكل على الله^١ فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكل وردّه إلى مصر مكرماً. وكان المتوكل إذا ذُكر بين يديه أهل الورع بكى، ويقول: يا له من رجل - يعني ذا النون - وكان نحيفاً تغلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية.

وقال إبراهيم بن يوسف: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - يقول: إياك أن تكون بالمعرفة مُدعياً، أو بالزهد محترفاً، أو بالعبادة متعلقاً. و سئل، فقيل له: ما أشد الحجاب وأخفاه، فقال: رؤية النفس وتدبيرها. وسئل عن المحبة، فقال: أن تُحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغضه، وتفعل الخير كله، (١١٣أ) وترفض كل ما يُشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الدين.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - يقول: قال الله تعالى في بعض كتبه: من كان لي مطيعاً كنت له ولياً، فليثق بيّ، وليحكم عليّ^٢، فوعزّتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له. وقال: الصوفي من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق. وسئل عن التصوف، هل

^١ - هو الخليفة جعفر المتوكل على الله بن المعتصم تولى الخلافة من (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)

^٢ - كذا في الأصل.

مشتق او لقب؟ فقال: في الاصل صوفية وستروا ذلك الصفا بالتصوف، على ستر العمل، وكناية عما يوجب الرياء. وقال: الأُنس بالله من صفاء القلب مع الله. والتفرد بالله الانتقاطع من كل ما سواه. وقال: من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيئته.

وقال: لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، وإذا لم ير غيره لم يُحرِّكه إلا حكمه تعالى. ومن أحب الخلوه فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق. وقال: من علامات المحب إلى الله تعالى متابعة حبيب الله تعالى صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسُننه. وقال: إذا صحَّ اليقين في القلب صحَّ الخوف فيه. وقال في بعض مناجاته: لئن مددتُ يدي اليك داعياً فلطال ما كفيتني ساهياً. أقطع رجائي منك بما عملت يداي. حسبي من سؤالي علمك بحالي. وقال سعيد بن عثمان: أنشدني ذو النون هذه الأبيات:

أموت وما ماتت إليك صبابتي	ولا قضيتُ من صدق حبك أوطاري
منامي المنى كل المنا أنت لي المنى	وأنت الغنا كل الغنا عند إفقار
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي	وموضع شكواي ومكنون إضماري
تحمل قلبي فيك ما لا أبثه	وإن طال سقمي فيك أو طال إضارِي
وبين ضلوعي منك شيء إذا بدا	وإن لم يبد بأذية لأهل ولا جار
ولي منك في الأحشاء داءٌ مخامرٌ	فقد هدَّ مني الرُّكن وأبنت أسراري(١١٣ب)
ألست دليل الركب إذ هم تحيروا	ومنقذ من أشفى على جُرف هارِ
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن	من النور في ايديهمي عشر معشار
أنلني عفواً منك أحيا بقربه	وغشني بيسر منك يطرد إعسار

وقال: كل محبوب بدعواه عن شهود الحق فلا يحتاج أن يدعي إذا كان الحق شاهداً له، وأما إذا كان غائباً فحينئذ يدعي لأن الدعوى تقع للمحبوبين. وقال: من أنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراغنة. ومن غُيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الاخلاص، ومن كان الله حظه من الأشياء لايبالي مما فاته مما دونه.

وقال: الصدق سيف الله تعالى في أرضه، ما وضع على شيء إلا قطعه. ومن يزين بعلمه كانت حسناته سيئات. وقال: بأول قدم تطلبه تدركه، أو تجد. وأدنى منازل الأنس أن نلقي في الناس فلا يغيب همه عن مأموله. وقال: الأنس بالله تعالى عاد^١ تركوا الذنب استحياء من نور ساطع، والأنس بالخلق عذاب واقع. وقال: لله تعالى عباداً تركوا الذنب استحياء من كرمه بعد ما تركوه خوفاً من عقوبته. ولو قال لك: اعمل ما شئت فلست أخذك بذنب لكان ينبغي ان يزيدك كرمه استحياء منه وتركاً لمعصيته، إن كنت حراً كريماً، أو عبداً شكوراً، فكيف وقد حدرك. وقال: الخوف رقيب العمل. والرجاء شفيع المحن. وينبغي أن نطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم. وقال: مفتاح العبادة والفكرة. وعلامة الهوى متابعة الشهوات، وعلامة التوكل انقطاع الأطماع. وقال: كان لي صديق فقير فمات فرأيت في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: قد غفرت لك بترددك إليّ هؤلاء السفّل أبناء الدنيا في رغبة قبل ان يعطوك. وقال له رجل: والله إنني لأحبك! فقال له ذو النون: إن كنت عرفته الله تعالى فحسبك الله عز وجل، وإن كنت لم تعرفه فاطلب من تعرفه، حتى يدلك على الله تعالى وتعلم منه حفظ الحرمة لمولوك. وقال: سبحان من حجب (١١٤) أهل المعرفة عن جميع خلقه بحجبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا.

وقال: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها، واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً، وبها طلباً، وإن كان الرجل لينفق ماله على عمله، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالا، وكان يرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره، واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر. وقال: يا معشر المريدين، من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت. وسئل عن السفلة فقال: من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ولا يتعرفه. وقال سالم المغربي: حضرت يوماً مجلس ذي النون المصري - رضي الله عنه - فقلت له: يا أبا الفيض! ما كان سبب توبتك؟ فقال ذو النون: أردت الخروج

^١- كذا في الأصل.

من مصر إلى بعض القرى، فنمت بالطريق ببعض الصحارى، ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشق الموضع، وخرج منه سُكْرُجَتَانِ إحداهما ذهب، والأخرى فضة، وفي أحدهما ماء، وفي الأخرى سمس، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت: حسبي قد بقيت، ولزمت الباب إلى أن قبلني. وقال: لا تسكن الحكمة مَعْدَةً ملئت طعاماً. وقال: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه.

وقال محمد بن أحمد السمساطي: سمعت ذا النون المصري - رضي الله عنه - يقول: بينما أنا أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية، وكأنها والهةٌ مجنونة، عليها جُبةٌ صوف، فسلمت عليها فردت، ثم قالت: يا ذا النون المصري! قلت: عافك الله، كيف عرفتنني؟ قالت: فَتَّقَ الحبيب بين قلبي وقلبك، فعرفتك باتصال حب الحبيب. ثم قالت: أسألك مسألة، قلت: سأليني، قالت: ما هو السخاء؟ قلت: البذل والعطاء، قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة، قالت: إذا سارعت إلى رضا المولى ورضائه يحصل به الجزاء، قلت: نعم للواحدة عشرة (١٤)، فقالت: مُر يا بطال، هذا فاسد في الدين قبيح، ولكن المسارعة إلى رضا المولى أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء، ويحك يا ذا النون إنني أريد أن أقسم عليه في شهوة أطلبها منذ عشرين سنة، فأستحي منه أن أكون كأجير السواد، إذا عمل طلباً للأجر، ولكنني أعمل تعظيماً لهيبته، وعزاً لجلاله، ثم ذهبت وتركتني. وقال: نظرت في هذا الأمر، فوجدت رأس الدنيا ان يعرف المرء نفسه، ونظرت فإذا معرفة الله أن يعرف المرء قدره، ونظرت فإذا أحد لا يصل إلى الله، وعليه من غيره بقية. وقال: دخلت إلى سواد نيل مصر، فجَنَّ الليل، فنمت بين أزرعها، فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سُنْبِلَةٍ ففركتها ثم تركتها وبكت، وقالت: يا من بَدَّرَه حباً يابساً في أرضه، ولم يك شيئاً، أنت الذي صيرته حشيشاً، ثم جعلته عوداً قائماً، وجعلت فيه حباً مُتراً كما، وكونته بتكوينك، وأنت على كل شيء قدير، ثم قالت: عجبت لمن هذه قدرته كيف يُعصى، وعجبت لمن هذه صفته كيف

^١-السُّكْرُجَةُ كل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها على المائدة حول الأطعمة للتشهيء والهضم.

^٢-الوَالهة: متحيرة وجداً.

يشكى . فدنوت منها وقلت: من يشكو؟ فقالت: أنت يا ذا النون إذا اعتلتت فلا تشكي علك إلى مخلوق مثلك، واطلب دواك ممن ابتلاك وعليك السلام، فلا حاجة لي بمناظرة البطالين، ثم أنشأت تقول، وهو بيت مفرد:

وكيف تنام العين وهي قريرة ولا تدر في أي المحلين تنزلُ
قال: وبينما أنا أسير في ليلة ظلماء في حِبال بيت المقدس، إذ سمعت صوتاً حزيناً وبكاءً عالياً، وهو يقول: يا وحشتاه بعد أنساه، يا غربتاه عن وطناه، وافقره بعد غناه، وا ذلاه بعد عزّاه، قال: فتبعت الصوت حتى قربت منه، فلم أزل أبكي بكائه حتى أصبحنا، فنظرت إليه، وإذا رجل ناحل الجسم، كالتبن المحترق، فقلت: رحمك (الله)، تقول مثل هذا الكلام لأي سبب؟ فقال: دعني كان لي قلبٌ فقدته، ثم أنشأ يقول:

كان لي قلب اعيش به فرماه الحب فاحترقا
فقلت: لم تشكي ألم البلاء وانت تنتحل بالمحبة، ثم أنشدته بيتين:
إن المحب هو الصبور على البلاء لمن أحبه (١١٥أ)
حب الإله هو السرور مع الشفاء لكل كربة

وسأل رجل ذا النون المصري رضي الله عنه: ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال له: ذكر المقام، وقلة الزاد، وخوف الحساب. ثم قال: لم لا تذوب أبدان العاملين وتذهل عقولهم، والعرض على الله تعالى أمامهم، وقراءة كتبهم بين أيديهم، والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأختيار والأشرار. ثم قال: مثلوا هذا في نفوسكم، واجعلوه نصب أعينكم. ثم أنشأ يقول أبياتاً:

توجع ممرض وخوف مطالب واشفاق مهموم وحزن كئيب
ولوعة مشتاق وزفرة واله وسقطة مقام بغير طبيب
وفكرة جوال وفطنة غائص ليأخذ من طبيب الصفاء نصيب
ألمت بقلبي حيرته طوارق من السوق حتى دلّ ذل غريب
بكاءً ثم وجداً لم يخفي محبته ثوت فاستكنت في فؤاد لبيب

وقال سعيد بن عثمان: كنت مع ذي النون - رضي الله عنه - في تيه بني اسرائيل، فبينما نحن نسير، وإذا نحن بشخصٍ قد أقبل، فقلت: يا استاذ شخص! فقال لي: أنظر فإنه لا يضع أحد قدمه في هذا المكان إلا صديق، فنظرت فإذا امرأة،

فقلت: انها امرأة! فقال: صديقة ورب الكعبة، فابتدر إليها، وسلم عليها، فردت عليه السلام، ثم قالت: ما للرجال ومخاطبة النساء، فقال لها، إني أخوك ذو النون، ولست من أهل التُّهْم، فقالت: مرحباً، حيّك الله بالسلام، فقال لها: ما حملك على الدخول في هذا الموضع؟ فقالت له: آية في كتاب الله عز وجل، وهي قوله تعالى ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^١، فكلما رحلت إلى موضع يُعصى فيه، ولم يهنني فيه القرار بقلب قد أذهلته شدة محبته، وهام بالشوق إلى رؤيته، فقال لها: صفي لي المحبة، فقالت: سبحان الله! أنت عارف، تتكلم بلسان المعرفة وتسالني؟ فقال: للسائل حق الجواب. فقالت: نعم! المحبة عندي أولها لهج القلب بذكر المحبوب، والحزن الدائم، والشوق اللازم، فإذا صار المُحبُّون إلى أعلاها شغلهم وجدان (١١٥ب) الخلوات عن كثير من أعمال الطاعات، ثم أخذت في الزفير والشهيق، وأنشأت تقول هذه الأبيات^٢:

أحبك حُبِّين حُبُّ الهوى	وحبُّ لأنك أهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوا	فشغلي بذكرك عمّن سواكا
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك للحُجْب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقال يوسف بن الحسين: كنت عند ذي النون - رضي الله عنه - فجاء رجل، فقال له: رأيتُ أبا يزيد البسطامي فقال: ومن أبو زيد؟ يا ليتني رأيتُ أبا يزيد. فبكى ذو النون - رضي الله عنه - وقال: إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله تعالى، فصار يطلبها مع الطالبين لها.

وقال بينما انا أسير في بعض بلاد الشام إذ أنا بعابِدٍ قد خرج من بعض تلك الكهوف، فلما نظر إليّ استتر عني بين تلك الأشجار، ثم قال: أعوذ بك يا سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوي العارفين، وحبیب التوَّابین، ومُعین الصادقین، وغاية أمل المحبين. ثم صاح: وا عمّاه من طول البكا، وا كريباه من طول المكث في الدنيا، سبحان من أذاق العارفين حلاوة الإنقطاع اليه، فلا شيء ألدّ عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدُّوس قدُّوس، فناديته، أيها العابد قف لي،

^١ - سورة النساء، الآية (٩٧).

^٢ - الأبيات لرابعة العدوية.

فوقف وهو يقول: اللهم اقطع عن قلبي كل علاقة، واجعل شغله بك دون خلقك، فسلمت عليه، وسألته أن يدعو لي، فقال: خفف الله عليك هون نصب السير اليه، وأدرك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة. ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع، وقال: لفتي من النسك: يا فتى خذ لنفسك سلاح الملامة، واقمعهما برد الظلامة، تلبس غداً سراويل السلامة، واقصر ما في روضة الأمان بمضيض^١ فرائض الإيمان، تظفر بنعيم الجنان، وجرعها كأس الصبر، ووطنها على الفقر حتى تأتمر للامر، فقال الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفسي على الفقر صبرت، وفي سربال الظلام حضرت، وابتاعت الآخرة بالدنيا بغير شرط، وتدرعت رهبانية القلق، فهرعت إلى وضح الفلق (١١٦أ)، فما ظنك بنفس في وادي الحنادس^٢ سلكت، وهجرت اللذات فملكك، وإلى الآخرة نظرت، وعن الذنوب اقتصرت، وعلى النزر من اختصرت، ولجوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى طاعته ثمة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشائش، وعملت ليوم المقدم بتوفيق الحي القيوم.

وقال: طوبى لمن انصف ربه! قيل له: وكيف ينصف ربه؟ فقال: يقر له بالآفات في طاعته، وبالجهل في معصيته، فإن أخذه بذنوبه رأى عدله، وإن غفر له رأي فضله، وإن لم تتقبل حسناته لم يره ظالماً لما معها من الآفات، وإن قبلها رأى إحسانه لما حباه به من الكرامات. وقال: أتتني امرأة فقالت لي: إن ابني أخذه التمساح، فرأيت حرققتها، فأتيت النيل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج السبي فشقت جوفه، وأخرجت ابنها حياً صحيحاً، فقالت: كنت رايتك سخرت منك فاجعلني في حل، وأنا تائب إلى الله عز وجل.

وقال خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطواف، إذا شخص متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكي ويقول في بكائه: كتمت بلائي من غيرك، وبحت بسري اليك، واشتغلت بك عن سواك، وعجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك. ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد
حسب الفراق بأن يفرق بيننا
شيئاً أمر من الفراق وأوجعا
ولطالما قد كنت منه مروءاً

^١ - المضيض هنا المشقة.

^٢ - آخر ثلاث ليال في الشهر القمري، كناية عن الظلمة الشديدة.

قال: فلم أتمالك أن اتيت الكعبة مستخفياً، فلما أحسَّت بي، تجللت بخمارها، ثم قالت: يا ذا النون غُض بصرك عن النظر، فإني حرام، فعلمت أنها امرأة. فقلت: ولم عافاك الله، أما علمت أن لله عبداً لا يشغلهم سواه، ولا يميلون إلى ذكر غيره؟ ثم قلت: يا أمة الله! لم تحوي الهموم قلب المحب؟ فقالت: إذا كان التذكار مجاوراً، والشوق مخاطراً، يا ذا النون! أما علمت أن الشوق يورث السقام، ويزيد التذكار، ويورث الحزن؟ ثم أنشأت تقول بيتاً مفرداً:

لم أذوق طيب طعم وصلك حتى زال عني محبتي للأنام

وقال أبو عصمة: كنتُ عند ذي النون - رضي الله عنه - وبين يديه فتى حسنٌ يُملي عليه شيئاً، فمرت امرأة ذات خلق وحُسن وجمال، فجعل الفتى يسارق النظر إليها، فنظر ذو النون إليه فلوى عنقه، ثم أنشد بيتاً مفرداً:

دع المصوغات من ماء ومن طينٍ واشغل هواك بحور خرد طين^١

سُئل ذو النون رضي الله عنه: ما علاقة الأُنس بالله تعالى فقال: إذا رأيتَه توحشك من خلقه، وإنه يؤنسك بنفسه، وإذا رأيتَه يؤنسك بخلقِه، فإنه يوحشك من نفسه. ثم قال: الدنيا أمة الله، والخلق خلقهم للطاعة، وضمن ارزاقهم، فحرصوا على أمتِه، وقد نهاهم عنها، وطلبوا الأرزاق، وقد تكفل لهم بها، فلا هم على أمتِه قدروا، ولا في أرزاقهم استزادوا.

وقال:

عجباً لقلبك كيف لا يتصدعُ ولركن جسمك كيف لا يتضعضع
فاكحل بمملوك السهاد لذا الرجا ان كنت تفهم ما اقول وتسمع
منع القران بوعدِه ووعيدِه مُقل العيون فلا تراها الهُجَع
فهموا عن المَلِك الكريم كلامه فهما تُذُلُّ له الرقاب وتخضع

وقال السمساطي: سمعت ذا النون المصري - رضي الله عنه - يقول: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى كُن كالطير الوجداني، يأكل من رؤوس الأشجار، ويشرب من ماء القراح، إذا جنَّه الليل أوى إلى كهفٍ من الكهوف استئناساً اليّ، واستيحاشاً ممن عصاني، يا موسى! إني آليت على نفسي أنني لا أتم لمُدبر

^١ - طين: اللاتي اجتمعت فيهن كل الصفات الحميدة.

عني عملاً، ولأقطعن أمل كل مؤمل يؤمل غيري، ولأقصمّن ظهر من استند إلى سواي، ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري، ولأعرضن عمّن حبّ حبيباً سواي. يا موسى! إن لي عبادةً إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا على أدنيتهم، وإن دنّوا مني قربيتهم، وإن تقرّبوا مني اكتنفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جاريتهم، أنا مُدبرٌ أمورهم، وسائس قلوبهم، ومتولي أحوالهم، ثم (لا) اجعل لقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكري، فهؤلاء (١١٧) سقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي، ولا يستقر بهم القرار في الإيواء إلا لي.

وقال يوسف بن الحسين: بلغني أن ذا النون تعلّم اسم الله الأعظم وهو في جيزة مصر، فأول ما رأني طويل اللحية، وفي يدي ركوة كبيرة، مُتّزراً بمُنْزراً، وعلى كتفي منْزراً، وفي رجلي تاسومة^١ استبشع منظري، فلما سلّمتُ عليه كأنه ازدرانني، وما رأيت منه تلك البشاشة، فقلت في نفسي: ترى من وقعت، فجلست عنده، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة جاء رجل من المتكلمين، فناظره في شيء من الكلام، واستظهر عليه وغلبه، فاغتممت لذلك، وتقدمت وجلست بين أيديهما، واستملت المتكلم اليّ، وناظرته حتى قطعته، ثم دققت حتى لم يفهم كلامي. قال: فعجب ذون النون من ذلك، وكان شيخاً وأنا شاب، فقام من مكانه وجلس بين يدي، وقال: إذرني فإنني لم أعرف مملك من العلم، وأنت آثر الناس عندي. وما زال بعد يُجلّني ويرفعني على جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة كاملة، فقلت له بعدها: يا أستاذ أنا رجل غريب، وقد اشتقت إلى اهلي، وقد خدمتك سنة كاملة، ووجب حقي عليك. وقيل: أنك تعلم اسم الله الأعظم، وقد جرّبتني وعرفت اني أهلٌ لذلك، فإن كنت تعرفه فعلمني إياه. قال: فسكت عني ولم يجبني بشيء، واوهمني أنه ربما علمني، ثم سكت عني ستة أشهر، فلما كان بعد ذلك قال: يا أبا يعقوب! أليس تعرف صديقنا بالفسطاط الذي يأتينا؟ وسمّي لي رجلاً أعرفه، قلت: بلى! قال: فعند ذلك أخرج من بيته طبقاً فوقه مكبة^٢ مشدودة بمنديل، وقال: أوصل هذا إلى

^١ - التاسومة: المداس ونحوه.

^٢ - مكبة لا توجد في المعاجم، وهو غطاء من قماش رقيق يوضع فوق أنية الطعام ونحوها، ما زال مستعملاً في مصر، وإن حصر معناه بما يغطى به فوهة (كنكة) القهوة غالباً.

من سمّيته بالفسطاط. قال: فأخذت الطبق لأودّيه إلى من سماه، وإذا به خفيف كأنه ليس فيه شيء، فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والجيزة قلت في نفسي: يوجه ذو النون هدية إلى رجل في طبق ليس فيه شيء، لا يعرف ما فيه، فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فأرة قفزت من الطبق فهربت فشق ذلك عليّ، وقلت: سخر بي ذو النون ولم يذهب وهمي إلى ما أراد في الوقت، فرجعت (١١٧ب) إليه مغضبا، فلما رأني تبسّم، وعلم القصة وقال لي: يا مجنون أتتمنتك على فأرة فختنتني، فكيف أتتمنتك على اسم الله الاعظم، قم فارتحل عني، ولا أراك بعدها. فانصرفت عنه.

وقال يوسف بن الحسين: جاء رجل إلى ذي النون، فشكا إليه ديناً عليه نحو سبعمائة دينار، فأخذ ذو النون حصاة من الأرض، فقال للرجل: خذها فيني أرجو أن يكون فيها قضاء دينك، قال يوسف: فحكى لي ذلك الرجل فقال: جئت بها إلى صديق لي من أصحاب الجوهر، فدفعتها إليه فقال: ليس هذا وقت بيعها فان صبرت عليها. فرجوت أن يبيعها بالضعف، قال: فغبت عنه شهراً ثم عدت إليه، فإذا هو قد باعها بألف دينار، وأربعمائة دينار.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول ما أعزّ الله عبداً لعزّه هو أعز له من أن يدلّه على ذل نفسه.

وقال ذو النون رضي الله عنه: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء: ضُعب النية بعمل الآخرة، وصارت أبدانهم رهينة لشهواتهم، وغلبهم طول الأمل مع قرب الأجل، وآثروا رضا الخلق على رضا الخالق، واتبعوا أهواءهم، ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، وجعلوا زلات السلف - رضي الله عنهم - حجة لأنفسهم، ودفنوا ذكر مناقبهم.

وقال: التقى من لا يدلس ظاهره بالمعارضات، وباطنه بالظلمات، ويكون واقفاً مع الله تعالى موقف الاتفاق، ثم أنشد بيتاً مفرداً:

ولا عيش إلا مع رجالٍ قلوبهم
تحنُّ إلى التقوى وترتاح بالذکر

وقال له رجل: متى أزهد في الدنيا؟ قال: إذا زهدت في نفسك. وقيل له: من أصون الناس لنفسه؟ فقال: أملكهم لسانه. وقال: الناس على الطريق. وسئل عن

التوكل فقال: خلع الأرباب، وقطع الأسباب. فقال السائل: زدني! فقال: إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية، وأنشد هذه الأبيات:

يجول الغنى والعز في كل موطن ليستوطن قلب امرء أن توكلًا
ومن يتوكل كان مولاه حسبه وكان له فيما يحاول معقلا
إذا رضيت نفس بمقدر حظها تعالت فكانت اكبر الناس منزلا(١١٨)

وقال: إن من اعلام اليقين قلة مخالطة الناس في العشرة، وترك المدح لهم عند العطية، والتنزه عن الذم لهم عند المنع، وثلاثة من اعلام يقين اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال. وقال: علامة المراقبة إثارة ما أثر الله، وتعظيم ما عظم، وتصغير ما صغر. وقال: ثلاثة من اعلام الرضا: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء، وقال الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه. ومن علامات الاخلاص بلائه استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الاعمال في الأعمال، واقتضاء ثواب العمل في الاخرة.

وقال: الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك عز وجل من المخالفات. والحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق. وقال: من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة لنسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء. وسئل عن الذكر فقال: غيبة الذاكر عن الذكر، وأنشد:

لا لاني أنساك أكثر ذكراك ولكن بذاك يجري لساني

وقال: علامة سخط الله تعالى على العبد خوفه من الفقر. وقال: أدب العارفين فوق كل أدب المريدين، لأن معرفته تؤدب قلبه، وإذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء.

وقال: لا تصحب مع الله تعالى الا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس الا بالمخالفة، ولا مع الشيطان الا بالعداوة، وينبغي أن تصحب من إذا مرضت عافاك، وإذا أذنبت تاب عليك. وسأله رجل عن التوحيد فقال: هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الاشياء بلا مزاح، وصنعتة للشيء بلا علاج، وعلّة كل شيء صنعه، ولا علّة لصنعه، ومهما تصوّر في نفسك من شيء فالله تعالى خلاف ذلك.

وقيل له عند النزاع: أوصنا! فقال: لا تشغلوني فاني متعجب من حسن، أو قال: محاسن، لطفه.

وقال ركضت أرواح الأنبياء - عليهم السلام - في ميدان المعرفة، فسبقت روح نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أرواحهم إلى روضة الوصال. ثم قال (١١٨ب) - رضي الله عنه - معاشره العارف كمعاشره الله، يحتملك ويحكم عنك تخلقاً بأخلاقه عز وجل. وقال أعرف الناس بالله تعالى أشدكم تحيراً فيه. فقيل: ثم عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي عز وجل. وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى. وقال: علامة العارف بلاؤه أشياء: لا يظفي نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم كما ينقضه عليه ظاهرٌ من الحكم، ولا يحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارمه، سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم: كنا عند ذي النون - رضي الله عنه - فتذاكرنا المحبة كفوًا عن هذه المسئلة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها، ثم أنشأ يقول بيتين:

الخوف أولى بالمسيء إذا ناله والحزن
والحب عمل بالتقى وبالنقا من الدرن

وسئل عن الصوت الحسن فقال: مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة، فقيل: ما تقول في السماع؟ فقال: وارد يزعج النفوس إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق فيه تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق.

وقال: أحمد بن مقاتل العكلي^١: لما دخل ذو النون - رضي الله عنه - بغداد اجتمع إليه الصوفية، ومعهم قوَال^٢، فاستأذنوه أن يلقوا بين يديه شيئاً، فأذن له، فأنشأ يقول:

صغير هواك عذبي فكيف به إذا أحبكا
وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشركا
أما ترني^٣ لمكتئب إذا ضحك الخلي بكا

^١ - كان محمد بن مقاتل العكلي والي الخليفة هارون الرشيد على المغرب، فأساء إلى الناس وظلم.

^٢ - القوال: رجل حسن الصوت كثير القول، أو هو الزجال والمنشد.

^٣ كذا في الأصل.

فقام ذو النون وتواجد وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه، ولا يسقط على الأرض، ثم قام رجل من القوم يتواجد فقال ذو النون رضي الله عنه: الله الذي يراك حين تقوم، فجلس في الحال، وقال رأيت بعض السائحين، فقلن: من أين أقبلت؟ فأنشأ يقول بيتين:

من عند من علق الفؤاد بحبه فشكا إليه بخاطر مشتاق
يبكي الوصال بعبرة مسفوحة فيها الشفاء لوامق تواق
قال: ثم مضى وتركني.

وقال أحمد بن محمد السلمي: دخلت (١١١٨) يوماً على ذي النون - رضي الله عنه - فرأيت فرأيت الند والعنبر يشجر بين يديه، فقال: أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم؟ ثم أعطاني درهماً، فأنفقت منه إلى بلخ، وجاءه فقال: ما بال المحزون إذا تكامل حزنه لا تجري دمعته؟ فقال له: إذا رق سلا، وإذا حمد سحاً، واطرق ورفع رأسه وأنشأ يقول أبياتاً:

إذا رقق قلب العبد أدت جنونه دموعاً له فيها سلو من الكمد
وان غص بالأشجان من طول حزنه علاه اصفرار اللون في الوجه والجسد
وأحمد حال الخائفين مقامهم على كمد يضني النفوس مع الكبد
لعمرك ما لذي المطيعون لذة ألد وأحلا من مناجاة ما انفرد

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون، رضي الله عنه يقول: رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت له: إنك تكثر الصلاة! فقال: انتظر الإذن من ربي بالإنصراف. ثم رأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق، انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

وقال: كنت راكباً في البحر في بعض الأوقات، فسُرقت قطيفة فاتهموا بها رجلاً، فقلت: دعوه حتى أرفق به، وإذا الشاب نائم في عباءة، فأخرج رأسه منها، فقال له ذو النون في ذلك المعنى، فقال لي تقول! أقسمت عليك يا رب أن لا تدع واحداً من الحيتان إلا جاء بجوهر، فرأينا على وجه الماء حيتاناً في أفواههم الجوهر. ثم القى نفسه إلى البحر ومضى إلى الساحل.

^١ - أي بكى.

وقال أبو جعفر: كنت عند ذي النون المصري، فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للالولياء، فقال ذو النون: من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ويعود إلى مكانه فيفعل السرير! قال: وكان هناك شاب فأخذ يبكي حتى مات في الوقت. وقال بكر بن عبد الرحمن: كنا مع ذي النون المصري - رضي الله عنه في البادية - فنزلنا تحت شجرة أم غيلان، فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب، فتبسم ذو النون: وقال تشتهون الرطب؟ قلنا: نعم! فحرك الشجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتداءك وخلقت شجرة إلا نثرتي علينا رطباً جنيماً (١١٩ب)، ثم هزها فنثرت رطباً، فأكلنا وشبعنا، ثم نمنا وانتبهنا، وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكةً.

قال نعمان بن موسى الحبري: رأيت ذا النون المصري وقد تقاتل اثنان، أحدهما من أعوان السلطان، والآخر من الرعية، فعمد الذي من الرعية إلى صاحب السلطان فكسر ثنيته، فتعلق الجندي بالرجل، وقال: بيني وبينك الأمير فجاروا بذئ النون، فقال لهم الناس: اصعدوا إلى الشيخ، فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى، فأخذ السن ثم بلها بريقه، وردها إلى فم الرجل في موضعها، وحرك شفثيه بالدعاء، قال: فتعلقت باذن الله تعالى، فبقي الرجل يفتش فاه فلم يجد الأسنان كلها الا سوى^١. وروي أنه ذكر عنده الشوق، فقال: الشوق لا يسكن جارحة إلا تركها رميمًا، ولقد حدث أن امرأة من أهل الموصل كانت تقول: كل لسانني عن ذكر ما يعنيني كما كلت ألسن المشتاقين إليك، عن ذكر كل شيء خالطه ذكر غيرك، ثم تنفس وقال^٢ ما العيس عندي إلا عيس المشتاقين، لأنهم ما داموا محبين مجردين عن لباس الشوق، فهم مكودون، حتى إذا تذرعو خلع الشوق فطاشت هموم، وريقوا في رياض السُرور، ورفعوا عنهم المكابدت، فعاشوا بروح الله تعالى في أعظم القدرة. وقال الفتح بن سخر^٣: كان سعدون^٤ صاحب محبة لله تعالى، لهجاً بالقول، صام ستين سنة حتى خف دماغه، فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة. قال

^١ - كذا في الأصل، والسياق يقتضي أن تكون العبارة: إلا ذاك السن.

^٢ - كذا والصواب: ثم تنفست وقالت.

^٣ - لم نقف على ترجمته.

^٤ - لم نقف على ترجمته.

فتح: فغاب عنا زماناً، وكنت إلى لقائه مشتاقاً لما كان يوصف لي عند غيبته من
حكمة قوله. فبينما أنا بفسطاط مصر قائم على حلقة ذي النون، رأيته وعليه جُبة
صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشتري، وذو النون يتكلم في علم الباطن، فنأدى
سعدون: متى يكون القلب أميراً بعد ما كان اسيراً؟ فقال له ذو النون: إذا طلع
الخبير عليّ فلم ير فيه الأَجبة^١، لان الجليل القدير^٢. قال: فصرخ صرخة خرمغشياً
عليه ثم أفاق، وقال شعراً:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال: استغفر الله تعالى، وقال: غلب علي حبي بجنوني فلا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم، ثم قال: يا أبا الفيض! أمن القلوب قلوب تستغفر قبل أن تذنب؟
فقال: ذنوب (أ١٢٠) تناب قبل أن تطبع. فقال يا أبا الفيض! اشرح لي ذلك، فقال:
يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين، ففطموا النفوس من بروج
الشهوات، فهم ملوك في العباد وأمراء في الزهاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم، الوثيقة
بالقدوم إلى الله تعالى شوقاً، فليس فيهم من يأنس لمخلوق ولا يسترزق من مرزوق.
قال: يا ذا النون! فهي تصل اليه؟ قال: يا سعدون صحح العزم بطرح الأذى، وسل
الذي سياسته تولى، قال فتح: فأدخل سعدون رأسه فيما بين الخلعة فما رأيته^٣.

وقال: إن الله تعالى أنطق اللسان بالبيان، وامتنحه بالكلام، وجعل القلوب
أوعية للعلم، لولا ذلك لكان الانسان بمنزلة البهيمة، يومئ بالرأس ويسير باليد.

وقال: أصحاب الذين وصفهم الله تعالى في كتابه، وهم أهل التقوى، هم على
محجة^٤، لعلك إن ترقى في ملكوت السموات والأرض فتكون للابرار جليساً، وللأخبار
في أمن ذلك المكان أنيساً. وإن كنت على التقوى عازماً فالنجاه النجاه فيما بقي من
عمرك. وقال سالم: بينما أنا أسير مع ذي النون المصري في جبل لبنان، إذ قال لي:
مكانك يا سالم حتى أعود اليك، فغاب عني في الجبل ثلاثة أيام وأنا أنتظره، إذا
هاجت عليّ النفس أطعمتها من نبات الأرض، وسقيتها من ماء الغدران، فلما كان

^١- في الأصل : الأَجبة.

^٢- كذا هي في الأصل.

^٣- كذا في الأصل، والصواب: فما رآه.

^٤- كذا في الأصل.

بعد الثالث رجع اليّ مُغبر اللون، ذاهب العقل، فقلت له بعد ما رجعت إليه نفسه: يا أبا الفيض سبع عارضك؟ قال: لا، دعني من تخويف البشرية، إنني دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل، فرأيتُ رجلاً أبيض الرأس واللحية، أشعث أغبر، نحيفاً نحيلاً كأنما أخرج من قبره، ذا منظر مهول، وهو يصلي، فسلمت عليه بعدما سلم، فردّ عليّ السلام، وقام إلى الصلاة، فما زلتُ راکعاً ساجداً حتى صلى العصر، واستند إلى حجر مقابل المحراب يُسبِّح، لا يكلمني، فبدأته بالكلام وقلت: رحمك الله أوصني بشيء، وادعُ الله لي بدعوة. فقال: يا بُني! أنسك الله بقربه. ثم سكت، فقلت: زدني، فقال: يا بُني! من أنسه بقربه أعطاه أربع خصال، عزاً في غير عشيرة، وعلماً من غير تعلم، وغنى من غير مال، وأنساً من غير جماعة، ثم شهق شهقة فلم يبق إلا بعد ثلاثة أيام، حتى توهمت (١٢٠ب) أنه ميت، فلما كان بعد ثلاثة أيام قام فتوضأ من غير ما يجنب الكهف، وقال: يا بُني، كم فاتني من الفرائض، صلاة أو صلاتان أو ثلاث؟ قلت: قد فاتك صلاة ثلاثة أيام بلياليهن، فقال:

إن ذكر الحبيب هيّج شوقي ثم حب الحبيب أذهب عقلي

ثم قال: قد استوحشت من ملاقة المخلوقين، وقد أنسيت بذكر رب العالمين، إنصرف عني بسلام، فقلت: رحمك الله، وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة منك، فقال: أحب مولاك ولا تزد بحبه بدلاً، فالمحبون لله تعالى تيجان العباد، وعلم الزهاد، وهم أصفياء الله تعالى وأحبائهم، ثم صرخ صرخة فحركته فإذا هو قد فارق الدنيا، فما كان إلا هنيئة إذا بجماعة من العباد منحدرين من الجبل حتى واروه تحت التراب، فسألت عن اسم الشيخ، فقالوا: شيبان المصاب. قال سالم: سألت أهل الشام عنه فقالوا: كان مجنوناً فخرج من أذى الصبيان، قلت: تعرفون من كلامه شيئاً؟ فقالوا كلمة واحدة كان يغني بها إذا ضجر، (إذا بك لم أجنّ يا حبيبي فبمن). قال سالم: فقلت: غمي والله عليكم. وقال: خرجت في سفره فبينما أنا أسير في برية وقد اعتكر الليل، وتغشت ظلمة الأفق، وسكنت حركات البشر، إذ أنا بشخص مار بين يدي، فلحقته فإذا رجل كهل، حسن الوجه، طيب الريح، فصيح اللسان، عذب الكلام، عليه برّه حسنة، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، فقلت له: يا شيخ! ما الذي دعاك إلى الوحدة والانفراد في هذا المكان القليل الآلاء، والبعيد من الناس؟ فقال طلب الظفرة بمن يملك رزق البشر، وهو على كل شيء مقتدر. قلت: فعلى ما أنت مقيم يومك

هذا؟ فقال: كادت عيني أن ترى أعلام المشتاقين. فقلت له: ما الذي قطع بك عن الوصول إلى ما هناك؟ فقال: يا ذا النون هائئذا دائم القلق، أضرع إليه في الراحة، وأسأله بلوغ الأمنية، وهو العليم بما تصلح به النفوس. قلت له: أفتجد على قلبك من الخلوة شدة؟ فقال: ما اظن أحداً عرف ربه عز وجل يحتاج مع أنسه إلى رؤية الأهلين، ولا من انقطع إليه يكله إلى أحد من (١٢١) المخلوقين. قلت: هل من وصية وعظة؟ قال: نعم! قلت: وما هي؟ رحمك الله، قال: مبادرتك إليه إذا دعاك، وترك التخلف عنه إذا ناداك، ودوام الإقبال عليه، مع كثرة المبادرة إليه بخلع الراحة من نفسك، وحذف كل ما دعاك إلى ما يبعدك منه، ويحول بينك وبين الظفر بالمراد، حتى لا يفقدك من عند نفعك، ولا يجدهك عند مضارك. قلت: زدني! قال: إياك أن تترك حالة له حتى ينفذ ما أنت عليه من مُرادك، فإن للعدو ها هنا مجالاً، قلت: زدني! فقال: تعلم تملقه، فإن لتملقه غداً فرحة تستوعب جميع الإخوان، وتُظفرهم بدار الكرامة والأمان، قلت: زدني! قال: حسبك يا ذا النون إن عملت بما أخبرتك، ومضى.

وقال يوسف بن الحسين: وصَفَ ذو النون - رضي الله عنه - قلوب المشتاقين، فقال: سقاها من صرف المودة شربة، فماتت شهواتهم في القلوب من خوف عواقب الذنوب، وذهلت أنفسهم عن المطاعم من حذر قوت المناعم، في دار يستطاب فيها المكارم، قد أنحلوا الأبدان بالجوع والأحزان، وصفو القلوب من كل كدر، فهي معلقة بمواصلة المحبوب، ثم قال: يا حسين! غرسوا أشجار الأشجان في رياض الكتمان، وقد نمت في صحن مروج القلوب، قد سقوه من ماء المنى، فالأحزان تهيجهم، والأشواق تقلقهم، ثم تنفس وقال بيتين:

شوق أقر بمحبة المشتاق وجرى سوابق عبرة الأماق
لعبت يد العبرات في وجناته وكذا به لعبت يد الأشواق

وقال: ليس بذئ لب من كاس^١ في أمر دنياه، وحمق في أمر آخرته، ولا من سفه مواطن حلمه، وتكبر في مواطن تواضعه، ولا من فقد منه التقوى في مواطن طمعه، ولا

^١ - كاس الرجل: ظرف وكان فطناً.

من غضب من حق قيل له، ولا من زهد فيما يرغب العاقل في مثله، ولا من رغب فيما يزهد الأكياس في مثله، ولا من استقل الكثير من خالقه، واستكبر قليل الشكر من نفسه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه، ولم ينصف من نفسه غيره، ولا من طلب الإنصاف من غيره، ولا من نسي الله تعالى في موطن طاعته، وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة اليه، ولا من جمَع العلم فعرف به، ثم أثار عليه هواه عند متعلمه، ولا من قلَّ منه الحياء من الله تعالى على جميل (١٢٢ب) ستره، ولا من أغفل الشكر عند إظهار نعمه، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته، أو صبر عدوه على مجاهدته لهلكته، ولا من جعل مروءته لباسه، ولم يجعل دينه وورعه وتقواه لباسه، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزييناً في مجلسه. ثم قال: أستغفر الله إن الكلام كثير، وإن لم نقطعه لم ينقطع، وقام.

وروى أنه دخل على مريض يعود، فرأى المريض يأنُّ، فقال: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا، ولا صدق في حبه من يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا، ولا صدق من رأى حبه لربه عز وجل. وقال: كل ذاكر ذكر الله تعالى فالله تعالى هو المحب له، وكل راضٍ عن الله تعالى فالله تعالى هو الراضي عنه. وقال: لا يزال العارف ما دام في الدنيا بين الفخر والفقر، فإذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه افتقر، ثم تأوه، وقال: الله فخرنا والله فقرنا.

وسأله صاحبه عبد الصمد، وكان يقال أنه من الأبدال، فقال: يا أبا الفيض، رحمك الله: لِمَ يُفطر الحاج بمكة؟ قال: لأنهم أضياف الكريم، والكريم لا يترك أضيافه جوعاً، معناه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أفطر يوم عرفة والناس يصومون في كل موضع، وأمر عليه السلام مناديه ينادي أيام التشريق، أنها أيام أكل وشرب. ويقال: فقال له: ولم تعلق الناس باستار الكعبة؟ فقال: هذا مثل السيد يكون عليك غضباناً، فإذا ركب أخذت بطرف ثيابه وبحقويه حتى يرضى، فجعلت الكعبة وأستارها مثلاً للسيد، قال له: فلم يطوف الناس حولها؟ فقال له: مثل ما قالت الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) فكأنه كان اعتراضاً، ثم ندمت على ما قالت، فاجتمعت الملائكة وطافت حول العرش، فلم تزل تدعو وتتضرع حتى جاءها العفو من الله تعالى. قال بن عباس رضي الله عنه: فأمر الله تعالى جبريل عليه

^١ - سورة البقرة، الآية (٢٠).

السلام فقال: بن لي بيتاً في الأرض، لأن في ذرية آدم من يجني الجنايات، فإذا عصوا وجنوا، طاف حول بيّتي في الأرض، فيتضرعون ويستغفرون ويتملقون، (١٢٢أ) أغفر لهم وأغفوا عنهم كما عفوت عن الملائكة المقربين. فقليل له: فلم صير الوقوف بعرفة ولم يجعل بالحرم، فقال: لأن الكعبة بيت الله الحرام، والحرم حجابها وعرفة بابها، فلما قصده الوافدون أوقفهم بالباب الأول، يتضرعون إليه، حتى أذن لهم أوقفهم بالحجاب الثاني، وبني المزدلفة فلما نظر إلى تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، وقضوا نفثهم، وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجاباً دونه، أمرهم بزيارة بيته على الطهارة.

وقال أبو الحارث الولاوسي: كان أشق علي من أني قصدت ذا النون - رضي الله عنه - في مسائل أريد سؤاله عنها، فلما وصلت قيل لي: أنه مات بالأمس، فجنّت القبر فصليت عليه، وقعدت عنده فغفوت، فرأيت في المنام، وسألته عن المسائل فأجابني عنها.

وقال له رجل: متى يصح صومي ويتبين لي معه قبول؟ فقال: إذا جوّعت قلبك من المعاصي، وأمتّ لسانك من الفحشاء والمنكر. وقال: تواضع للخلق في ذات الله عز وجل، إلا لمن يسألك ان تتواضع له، فإن سؤاله إياك دليل على الكبر، وإجابتك إياه عون له على التكبر. وقال: دارت رحى الإرادة على ثلاثة أنفلة، والنفال لما يطرح تحت الرحى يقع عليه الطحين: الثقة بوعده الله، والفرار لأمر الله، ودوام قرع باب الله عز وجل. وقال: لا تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم، والتزوّد لأخرتكم من دنياكم، والإستعانة بربكم عز وجل فيما أمركم به ونهاكم. وقال: لأظمأ فأفزع إلى الذكر فاجد فيه ربي، ولولا ذلك ماجسرت أجلس بين يدي الله تعالى ساعة واحدة.

وقال أبو عبد الله بن الجلا: كنت مجاوراً بمكة مع ذي النون - رضي الله عنه - فجعلنا أياماً كثيرة لم يفتح لنا بشيء، فلما كان ذات يوم قام ذو النون قبل صلاة الظهر ليصعد الجبل يتوضأ للصلاة، وأنا خلفه، فرأيت شيئاً من قشور الموز مطروحاً في الوادي وهو طري، فقلت في نفسي: أخذ منه كفاً أو كفين أتركه في كمي، ولا يراني الشيخ، حتى إذا صرنا في الجبل، ومضى الشيخ يتوضأ، أكلته (١٢٢ب). فأخذته وتركته في كمي، وعيني إلى الشيخ لئلا يراني، فلما صرنا في الجبل وانقطعنا

عن الناس، التفت إليّ وقال: اطرح ما في كُمِّك بأسره فطرحته وأنا حَجَل، وتوضّأنا للصلاة، ورجعنا إلى المسجد، وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشا، فلما كان بعد ساعة، وإذا بإنسان قد جاء ومعه طعام وعليه مِكبّة^١، فوقف ينظر إلى ذي النون، فقال له: مُر فدعه قُدّام ذلك الرجل، وأوماً بيده إليّ، فتركه الرجل بين يديّ، فانتظرت الشيخ ليأكل، فلم أره يقوم من مكانه، ثم نظر إليّ وقال: كل! قلت: وحدي؟ قال: نعم، أنت طلبت، نحن ما طلبنا، يأكل الطعام من طلبه، فأقبلت أكل وأنا مستح مما جرى مني، وقال: من نظر في عيوب الناس عمي عن ذنوب نفسه، ومن عُني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس سلّم من شرهم، ومن شكر المزيد زيد له.

وقال: كان في جوارِي رجل شاب مُسرفٌ على نفسه كثيراً (من) الخطايا فاعتل علةً، فدخلتُ عليه أعوده، فإذا هو قد مات، وأوصى أن يكتب على قبره شيئاً ذكّره، فرأيتُه في منامي فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله لي، فقلت: بماذا؟ قال: فكرت في جُرمي وفي عفوهِ، فوجدت عفوهِ أكثر من جُرمي. قال ذو النون: فلما أصبحت جئتُ إلى قبره، فإذا بيتين كتبتا عليه:

حُسن ظني بك ياربُّ هو جرّأني عليك
فارحم اللهم عبداً صار هنا في يدك

وقال محمد بن الحسين الجوهري^٢: دخلتُ، أنا وأبو الفضل، ذات يوم على ذي النون، وعنده نفرٌ من المريدين، وقد ذهب بهم الفكر، وكأن على رؤسهم الطير هيبة له، فانتفعنا برويته قبل أن نجلس، فسلمنا عليهم فردّوا السلام. ثم قال ذو النون: اللهم كما جمعنا على ذكرك فلا تُخزنا بعذابك، واجعلنا من أحبابك، واشغلنا بخدمتك. فقال بعضهم: أوصنا بوصية ينفعنا الله بها، فقال: آثروا الله تعالى على جميع الأشياء، واستعملوا الصدق فيما بينكم وبينه، وأحبوه بكل قلوبكم، وألزموا بابه، واشتغلوا به، وتوسّدوا الموت إذا نمتم، واجعلوه (١٢٣أ) نصب أعينكم إذا قمتم، وكونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا، ولا بد لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتكم، ولتُحزّنكم ذنوبكم، وليكن افتخاركم بربكم عز وجل وافتقاركم إليه،

^١ - تقدم شرحها.

^٢ - في الأصل الجوري، وسيكتبه فيما يأتي: محمد بن الحسين الجوهري.

وتواصوا بالحق، وتعاونوا على الطاعة، وكونوا من خالصي الله، ويسلم منكم الناس،
فتناولوا غدا منالكم.

ثم قال: استغفر الله! إن للكلام حلاوة في الدنيا، وما أعظم مؤنته في الآخرة،
يوم يُسأل الصادقون عن صدقهم، وفيما دون ما قلت كفاية.

وقال ابراهيم البناء البغدادي: صحبتُ ذا النون - رضي الله عنه - من إخميم^١
إلى الاسكندرية، فلما صرنا في بعض الطريق، وكان وقت إفطاره، أخرجتُ قرصاً
وملحا كان معي، فقلت: هلمَّ رحمك الله، فقال لي: ملحك هذا مدقوق؟ قلت: نعم!
فقال: ليس تفلح، فنظرت إلى مزوده وإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه كل ليلة
ما قُسم له حتى جئنا الاسكندرية، وقد تقاصرت إلى نفسي، فلما أردتُ فراقه قلت
له: يا أبا الفيض، عِظني بموعظةٍ أحفظها عنك، فقال: أنفعك؟ قلت: نعم! فقال: يا
ابراهيم احفظ عني خمسا فإن أنت حفظتهن لم تبال^٢ ماذا أصبت بعدهن، قلت: وما
هن؟ رحمك الله. فقال: عانق الفقر، وتوسد بالصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى،
وافرغ إلى الله تعالى في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والخوف والرجا
والصبر، وتورثك هذه الخمسة خمسا: العلم والعمل واداء الفرائض واجتناب المحارم
والوفاء بالعهود، ولن تصل هذه الخمس إلا بخمس: علم عزيز، ومعرفة شافية،
وحكمة بالغة، وبصيرة نافذة، ونفس راغبة، والويل كل الويل لمن يأتي^٣ بخمس:
حرمان وعصيان وخذلان، واستحسان النفس بما يُسخط الرحمن، والازراء على
الناس بما يأتي. واقبح القبيح خمس: قبح الفعال، ومساوئ الأعمال، وثقل الظهور
بالأوراد، والتحصين للناس بما لا يحبه الله عز وجل، ومبارزة الله تعالى بما يكره،
وطوبى ثم طوبى لمن أخلص عشرة: علمه وعمله وحبه وبغضه واخذه وعطاؤه
وكلامه وصمته وقوله وفعله. واعلم يا ابراهيم! إن وجوه الحلال خمسة: تجارة

^١ - مدينة قديمة في صعيد مصر، على الجانب الشرقي من النيل، عرفت باللغة المصرية القديمة باسم
Khen Min ومنها اشتق اسمها الحالي، نوهت بها المصادر الإسلامي بوصفها كورة مشهورة من
كور صعيد مصر، فقال المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) : إخميم مدينة كثيرة النخيل ذات كروم
ومزارع. وهي اليوم تتبع محافظة سوهاج. ينظر محمد رمزي: موسوعة > القاموس الجغرافي للبلاد
المصرية > القسم الثاني - ج ٣، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، القاهرة ١٩٩٤.

^٢ - في الأصل: تنال، وما أثبتناه يتفق مع السياق.

^٣ - في الأصل: يلي.

بالصدق، وصناعة بالنصح، وصيد البر (١٢٣ب) والبحر، وميراث حلال الأصل، وهدية من موضع ترضاه^١. وكل الدنيا فضول إلا خمسة: خبز يشبعك، وماء يُرويك، وثوب يسترِكَ، وبيت تسكنه، وعلم تستعمله. ويحتاج أيضا أن تكون معه خمسة أشياء: الاخلاص والنية والتوفيق، وموافقة الحق، وطيب المطعم والملبس، وخمسة أشياء فيها الراحة: ترك قرناء السوء، والزهد في الدنيا، والصمت، وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين، وترك الإِزراء على عباد الله حتى لا ترى أحدا يعصي الله تعالى، وعندها فاستقط عنك خمسا: المرء والجدال والرياء والتزين وحب المنزلة. وخمسٌ فيهن جمع لهم: قطع كل علاقة دون الله عز وجل، وترك كل لذة فيها حساب، والبر بالصديق والعدو، وحفة الحادل^٢، وترك الإِدخار. وخمسٌ يا ابراهيم يتوقعهن العالم: نعمة زائلة، أو بليّة نازلة، أو مَنِيّة قاضية، أو فتنة قاتلة، أو تزل قدم بعد ثبوتها، حسبك يا ابراهيم إن عملت بما علمتك!

وقال أبو بكر بن رِيّان الخضري: لما مات ذو النون - رضي الله عنه - بالجيزة، وحمل في قارب مخافة أن تنقطع الجسور من كثرة الناس مع جنازته، وكنت قائما مع الناس على كَوْمٍ أنظر، فلما خرج من القارب، ووضع على الجنازة، وحملها الرجال، رأيت طيرا خضرا قد اكتنفت الجنازة، ترفرف عليه، حتى عطف به إلى عند حمام الفار^٣، وغاب عني.

قال أبو بكر بن محمد بن رِيّان: فذكرت ذلك لخالي الحسن بن يحيى بن هلال بعد زمان، فقال لي: والله، لقد رأيت مثل هذه الطيور على جنازة أبي ابراهيم المُرَني - رضي الله عنه - وذكر أبياتا، وتاه بها، وهي:

ورأيتُ أعجب ما رأيت ولم أكن	من قبل ذاك رأيتُهُ لمُشيع
طيرا يرفرف فوقه وتَحَفه	حتى توارى في حجاب المضجع
ثم احتجب عن العيون ولم أحط	علما بكنه مصيره في المرجع
وأظنها رُسلُ الإله تنزّلت	والله اعلم فوق ذاك السرّج ^٤

^١ - في الأصل: ترضاه، وما أثبتناه هو الصواب.

^٢ - محفة: العناية بالحادل: وهو المخادع.

^٣ - حمام أنشأه عمرو بن العاص بعد دخوله مصر، عند مسجده الكبير في الفسطاط، عرف بحمام الفأر لصغره بالنسبة للحمامات الكبيرة التي كان الرومان قد أنشأوها في مصر من قبل.

^٤ - كذا في الأصل.

وقال يوسف بن الحسين: سألت ذا النون - رضي الله عنه - عن كمال العقل، وكمال المعرفة، فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت تاركاً لتكلف ما كفيت، فأنت كامل العقل، (١٢٤) وإذا كنت بالله تعالى متعلقاً في أحوالك لا بأعمالك، غير ناظر إلى سواه، فأنت عارف. وقال: ليس بكريم من أحوجك إلى شفيح، ثم قال: كيف يبعد عن الله تعالى من لا بد له من الله عز وجل؟ وقال: الخوف رقيب، والرجاء شفيح، إذا ذكرت ذنوبي استشفعتُ بالدعاء، فإذا ذكرتُ مولاي استشفعت بالثناء. وقال: صحبتني أسوداً في التيه، فكان إذا ذكر الله تعالى تبيضُ، وتحول لبسته، فقلت: يا أسود! أراك إذا ذكرت الله تعالى تبيضُ وتحول لبستك، فقال: يا ذا النون! أما إنك لو ذكرت الله تعالى على حقيقته لتغير لونك، ولحالت لبستك، ثم أنشأ يقول شعراً:

ذكرنا وما كنا نسينا فنذكره ولكن نسيم القرب يبدو فيبهراً
فأفني به عني وأبيع به له إذا لحق عنه مخيرٌ ومُعبرٌ

وقال يوسف بن الحسين: سألت ذا النون، رضي الله عنه: ما علامة الآخرة في الله تعالى؟ فقال: ثلاث خصال، الصفاء، والتعاون، والوفاء، فالصفاء في الدين، والتعاون في المواساة، والوفاء عند البلاء. وقال يوسف أيضاً: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - يوصي رجلاً ويقول له: لتكن أبرّ الأشياء عندك وأحبها إليك إحكام ما افترض الله عز وجل، وانتقاء ما نهاك عنه، فإنما تعتذر لله تعالى به خير لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك، وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما اشبه ذلك، وإنما ينبغي للعبد أن يراعي أبداً ما وجب عليه من فرض، فيحكمه على تمام حدوده، وينظر إلى ما نهاه عنه فينتقيه، على إحكام ما ينبغي، فإن الذي قطع العباد عن ربهم عز وجل عن أن يذوقوا أخلاق الإيمان، وعن أن يبلغوا حقائق الصدق، وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة، وما أعد الله لأولياؤه وأعدائه، حتى يكونوا كأنهم مشاهدين لهم، إنما قطعهم تهاونهم في إحكام ما فرض الله عليهم في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم والسننهم وإيديهم وأرجلهم ويطونهم وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء و أحكموها لأدخل عليهم البر إدخالاً تعجز أبدانهم (١٢٤) وقلوبهم عن حمل ما ورتهم الله تعالى من حسن معونته وفوائد كرامته، ولكن أكثر القراء والنساک حقروا محقرات

^١ - الأسود: الحية العظيمة الخبيثة، سوداء اللون.

الذنوب، وتهاونوا بالقليل مما فيهم من العيوب، فحرموا أثواب لذة الصادقين في العاجل، واستغفروا الله مما نقول ولا نفعل.

وقال محمد بن الحسين الجوهري: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - يقول: يا أيها الناس! هذا أوان يُنصح فيه الأحياء إذ الأموات في غمرتهم يعمهون، حين غدا الدين غريباً منبوذاً، وغدا أهله غريباً مهينون، قد أقبلوا على أكل الحرام، وتركوا طلب الحلال، ورفعوا المعروف، وأقبلوا على المنكر، وتركوا الجهاد، فاظلمت الأرض بعد نورها، ورضيت العلماء من العلم بعلمهم، فانتهبوا أيها الأموات أبناء الأموات، وإخوان الأموات، وجيران الأموات، وعن قليل أنتم الأموات، قد أخليتكم الدور، وعمّرت القبور، ألا فقد برح الخفاء لمن فهم الحفاء، وخافت العلماء وارتقت، وقلت الخطباء، وكثرت الدواهي، وقلت النواهي، وكثرت الأشرار، وقلت الأخيار، وانتهكوا الآثام، وقطعوا الأرحام، ورضوا بالسلام، وجلس بعضهم مجالس العلماء، يقولون ما لا يعلمون، عبيد الدنيا وهم لها متصنعون، ولها متخشعون، غنيهم فقير، وجارهم ذليل، لا يبالي غنيهم اطوى عليه جاره من جوع أو عرى، إن سألوا ألقوا، وإن سئلوا شحوا، لبسوا الثياب على قلوب الذئاب، واتخذوا مساجد الله تعال، التي يذكر فيها اسمه، لرفع أصواتهم، وجمع اهوائهم، لا تجالسهم فليس لله فيهم حاجة.

وقال محمد بن الحسين الجوهري: دخلتُ، أنا وأبو الفضل، على ذي النون فقلت له: أكرمك الله تعالى، حدّثني بحديثٍ لعليّ انتفع به واذكر به، فرفع رأسه إليّ ونظر ساعة ثم قال: وأنت تكتب الحديث؟ فقلت: ربما فعلتُ ورجوت أنك تحدّثني حديثاً في الدقائق يكون عوناً لي على هذا المذهب، فقال: للحديث رجال ولي شغل بنفسي عن الحديث، وإن كان الحديث من أركان الدين، ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقهاء لكانوا أفضل الناس في زمانهم، ولكن بدلوا علمهم لأهل الدنيا فحجّبوا، وتكبروا عليهم (١٢٥أ)، وجعلوهم خوفاً، وافتننوا بالدنيا لما رأوا من حرص أهل العلم والمتنعمين من القراء على الدنيا والمنزلة عند أهلها إذ القوم طلبوا الآخرة، وخافوا أنهم لا ينالوها، وهؤلاء طلبوا الدنيا بعلمهم، وموهوا على الناس ليظنوا أنهم يطلبون ما عند الله، فجعلوه فخاً للدنيا، فما أقبح هذا! شيء يطلب به الباقي اكتسبوا به الفاني، اللهم فلا تجعلنا منهم، لو أنهم لزموا باب ربهم عز وجل

^١- الخول: العبد والخادم.

لكفاهم وأعزهم، لكنهم انقطعوا إلى المخلوقين فوكلمهم الله اليهم واذلهم، لو رجعوا إلى الله لم يرجوا غيره احداً، ولو خافوا الله تعالى لم يخافوا احداً، ولو انقطعوا إلى الله تعالى لم يذلوا ابداً، لقد جهلوا بعد علمهم، وافتقروا بعد غناهم، وذلوا بعد عزهم، وصاروا عبيداً لأهل الدنيا بعدما جعلهم الله به أحراراً، شربوا بكأس المفتونين شربة فذهبت بعقولهم. إن العلم سلاح الدين، فإذا طلبت به الدنيا صيرته سلاحاً للدنيا. ثم قال: لقيت المسيب بن واضح^١ فقلت: نعم! أريد أن ألقاه إن شاء الله تعالى، فقال: إذا لقيته فسأله أن يحدثك عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري، عن الحسن - رضي الله عنهم - فإني أكره أن أكون مُحدثاً، فقلت له: أسمع منك فهو أحب إليّ، ولعلي لا ألقاه، فقال: انظروا إلى هذا الشاب، ما أحرصه على طلب هذا الشيء، وإني أجد له موقعاً ورقّة، اللهم اصنع له، وبلغه أمله، قد طال مجلسنا ونعود إن شاء الله تعالى.

وروي أنه أوصى أخاه ذا الكفل، فقال له: يا أخي! كُن بالخير موصوفاً، ولا تكن للخير وصافاً.

وقال يوسف بن الحسين: سئل ذو النون عن حملة القرآن، فقال: هم الذين أمطرت عليهم سحائب الاسحال^٢، فانصبوا الركب والأبدان، وتسربلوا الخوف والأحزان، وشربوا بكأس اليقين، وراضوا انفسهم رياضة الموقنين، فكانت قرة أعينهم فيما قل ورجا، وبلغ وكفى، وستر ووارى، كحلوا أبصارهم بالسهر، وغضوا عن النظر، وألزموا قلوبهم العبر، وأشعروا الفكر، فقاموا ليلهم أرقاً، واستهلت أمامهم نسقا، وتبادرت دموعهم فلم ترقى، نهارهم صيام سعباً^٣، وليلهم قيام تعباً، متبتلين في ساعات الليل والنهار، قد ضنيت منهم الأبدان، وتغيّرت منهم الألوان، صحبوا القرآن بآبدان ناحلة، وشفاه ذابلة، (١٢٥ب) ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين، وغاية آمال الراغبين، فاضت عبراتهم من وعيده، وشابت ذوائبهم من تحذيره، فكان زفير النار تحت أقدامهم، وكان وعيده نصب قلوبهم،

^١ - هو المحدث أبو محمد المسيب بن واضح بن سرحان السلمي التلمنسي (ت: ٢٤٦/٨٦١م) من أهل تل منس وهي من قرى حمص وتوفى بمصر. كان لا يحدث إلا بشيء يعرفه ويقف عليه، تاريخ

الاسلام، ١٢٥٩/٥.

^٢ - الأسحال: الدموع.

^٣ - السغب: الجوع.

ترفضهم قوارعه، وتشفيهم منافعهم، لم يشقوا بحمله، ولم يروغوا عن عدله، ولم يرغبوا عنه، آمنوا بتنزيله، وجاهدوا في سبيله، بعبرة وبيان، وحجة وبرهان، فلو رأيتهم رأيت أقواماً قد جعلوا للركب التراب مهاداً، ولجباهم وساداً، تقربوا بخالص القربان، ومضوا على شرائع الإيمان، واستناروا بنور الرحمن، فما لبثوا أن أنجز لهم القرآن موعوده، ووفى لهم عهوده، وأحلهم سعوده، فنالوا به الرغائب، وعانقوا به الكواكب، وأمّنوا به المعاطب، نظروا إلى الدنيا بأعين والهة، وأنفس مريضة، أتراهم لم يشتهوا من الاموال كنوزها، ومن المطايا عزيزها، ومن القصور مشيدها، بلى! ولكنهم نظروا بتوفيق الله تعالى ومحبتة، فرفضوا الدنيا قبل أن ترفضهم، وتركوها قبل ان تتركهم، وسمعوا صوت المنادي يقول ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١.

فما عادوا ولا انتظروا، ولا استبطأوا أنفسهم، وخافوا أن يحال بينهم وبين السباق، فشمروا وقصدوا إلى الله تعالى إيماناً به، ووفاءً بعهدته، وإيقاناً بمعرفته، كما قال تعالى: ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^٢، احتملوا في الدنيا المصائب لما يرجون في الآخرة من الرغائب، ولم يجدوا ألم البلاء، ولم يحسوا ببعض الأذى، استصغروا عند تحقق المعرفة بالله عز وجل كل ما نالهم، طيبةً بذلك أنفسهم، صحيحةً لله تعالى نياتهم، سليمةً لأولياء عز وجل صدورهم، عرفوا شدة فقرهم اليه، وقطعوا الرجاء من غيره، وغربت أنفسهم عن الدنيا، وتقطعت إلى الآخرة قلوبهم، فما نظروا إلى شيء من الدنيا نظرة راغب، ولا تزودوا منها الا كزاد لراكب، خافوا الهلاك فأسرعوا ورجوا النجاة، فأدلجوا سيراً إلى الله تعالى، لا عن العلم مقصرين، ولا غافلين، جعلوا القرآن صراطهم المستقيم، فثبتوا عليه أقدامهم، واصغت اليه، فكان لهم إلى الخير داعياً، وإلى النجاة دليلاً هادياً، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

وقال محمد بن الحسين الجوهري: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - يقول: ينبغي لمن علم أن له مقاماً بين يدي الله عز وجل ليسأله (١١٢٦) عما أسلف في هذه الدار، أن لا يؤثر الحقير القليل على الجزيل الكثير، ولا الفاني والتقصير على الجد

^١ - سورة آل عمران، الآية (١٣٣).

^٢ - سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن أيده الله تعالى منه بإتقان العلم، ولقح عقله بدلات^١ الفهم أن لا يتحير في كلمة الغفلة التي يحضر فيها الجاهلون، والعجب كل العجب فيه لأهل هذه كيف استوحشوا من طاعة الله، وأنسوا بغيره، وركبوا إلى الدنيا وتقلب حالاتها، وكثرة آفاتها، فلا زادتهم الدنيا إلا هوناً، ولا ازدادوا لها إلا إكراماً، فما مستيقظ من سنته يخلع زيغ الغل من عنقه، ويهتك جلباب الأكوان من قلبه، وأنا من أنصح النصحاء لك. يا أخي! من حملك من كفرك على المحجة، وأمرك بالرحلة، فلم يُحسن لك سوف وارجو ولعل ويكون، فما رأيت هذه الخصال تورث صاحبها إلا الخسارة والندامة، فكابدوا التسوييف بالعزم، وبادروا التفريط بالحزم، فقد وضع لكم الطريق والله المستعان والمرشد والدليل.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - يقول: حقيقة السخاء أن لا تلوم البخيل في منعه إياك، فإنك إنما لمته واشتغلت به لوقوع ما منعك من قلبك، ولو هان عليك ذلك لم تشتغل بلومه، ثم أنشأ يقول بيتاً مفرداً:

كريمٌ كصفو الماء ليس بباخل ولا مُهدياً يوماً ملاماً لباخل

وقال محمد بن الحسين الجوهري: سمعت ذا النون - رضي الله عنه يقول - إن لله تعالى عبداً، وإن له تعالى صفوة، وإن له تعالى خيرة، قيل: وما علامتهم؟ قال: إذا خلع العبد الراحة، وأعطى المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة، قيل له، فما علامته إقبال الله تعالى على العبد، قال إذا رأيت صابراً شاكراً ذاكراً، قيل: فما علامته؟ إعراض الله تعالى عن العبد، قال: إذا رأيت ساهياً لاهياً معرضاً عن ذكر الله تعالى، قيل: فما علامة الأنس بالله تعالى؟ قال: إذا رأيت الله تعالى يؤنسك بخلقه، فاعلم يوحشك من نفسه وإذا رأيت يوحشك من خلقه، فإنه يؤنسك به.

قال: إن الله تعالى لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً منه، ولكنه صان أوليائه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

وقال محمد بن الحسين الجوهري: سمعت ذا النون - رضي الله عنه - وقد سأله رجل، فقال له: يرحمك الله، ما أعون ما يجده العبد على تسكين الشهوة (١٢٦ب)، فقال: الصيام بالنهار، والقيام بالليل، وحذف الشهوات والاغفال عنها، وترك محادثة الناس بذكرها. فقال له السائل: فإن (كان) الرجل يصوم بالنهار،

^١-دلات جمع دل: السكينة والوقار.

ويقوم بالليل، ولا يأكل الشهوات، ويجد في نفسه حركة واضطراباً؟ فقال ذلك من فضل شهوة مقيمة فيه من الأول، فليقطع أسباب المادة منها جهده، ويسكنها عن نفسه بالهموم والأحزان، ويسكن سلطانها بذكر الموت، فإن القوم ما وجدوا شيئاً هو أعون لهم على الزهد فيها، والانقطاع عنها، والتخلي منها، أعظم من ذكر الموت وتقريب الأجل وقصر الأمل، وما يشغل القلوب. اقطع عن نفسك الشهوات، واستقبل المراقبة لمن هو عليك رقيب، والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب. نسأل الله عز وجل التوفيق على بلاغ الطريق، والخروج من كل ضيق، إنه قوي شفيق.

وقيل له رضي الله عنه: أي الأحوال أغلب على قلب العارف: السرور أو الحزن؟ فقال: ليس هناك حالة يشار إليها دون حال، ولا سبب دون سبب، وأنا اضرب لك في ذلك مثلاً، مثل العارف كمثل رجل قد تُوجُّ بتاج الكرامة، وأجلس على سرير في بيت قد علق على رأسه سيف بشعرة، وأرسل على الباب أسدين ضارين، يشرف ساعة بعد ساعة على الهلاك، فأتى له السرور والخوف على التمام. قال بعض: السيف المعلق فوق رأسه الإحكام، والأسدان اللذان على الباب الأمر والنهي، والله اعلم.

وقال: اعتلَّ رجل من إخواني، فكتب إليّ أدع الله عز وجل لي، فكتبت إليه، سألتني أن أدعو الله تعالى أن يزيل عنك النعم، واعلم يا أخي أن العلة يأنس بها أهل الصفا والهمم والضنا، ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهمة على أمره، فليكن معك من الله تعالى حياءً حتى يمنعك من الشكوى والسلام عليك ورحمة الله.

وقال: وُصف لي رجل بالمغرب وذكر بالحكمة والمعرفة، فأقمتُ على بابه أربعين يوماً على أن يخرج من منزله إلى مسجده، وكان يخرج في وقت كل صلاة ويرجع كالواله، لا يكلمني ولا يكلم أحداً، فضاقت لذلك صدري، فقلت: يا هذا! إنني مقيم (١٢٧) هاهنا منذ أربعين يوماً لا أراك تكلمني، فقال: يا هذا لساني سبع فإن اطلقته اكلني! قلت له: يرحمك الله، عِظني بموعظة أحفظها عنك، قال: وتفعل؟ قلت: نعم إن شاء الله تعالى. قال: لا تحب الدنيا وعد الفقر غنى، والبلاء من الله تعالى نعمة، والمنع منه عطاء، والوحدة معه تعالى أنساً، والذل عزاء، والحياء موتاً، والمباهاة حظاً، والطاعة حرفة، والتوكل معاشاً، والله تعالى لكل شدة عدة، ثم مكث

بعد ذلك شهراً لا يكلمني، فقلت له: يرحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلدي، فإن رأيت أن تزيدني من الموعظة، فقال: وما كفاك ما سمعت؟ فقلت: رحمك الله، إني رجل مبتدئ لا علم لي، فقال: هكذا؟ قلت: نعم! اعلم أن الزاهد في الدنيا قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر عورته، والخلوة مجلسه، والقرآن حديثه، والله سبحانه وتعالى أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والصمت سجيته، والخوف محجته، والشوق مطيته، والنصح نهمته، والاعتبار فكرته، والصبر رشاده، والتراب فراشه، والصديقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والحلم خليله، والتوكل كسبه، والجوع أدبه، والبكاء حديثه، والجنة منزله، والله عز وجل عون. فقلت له: يرحمك الله! فمتى يتبين للعبد الزيادة في هذا المكان؟ فقال: بالمحاسبة والمناقشة لها، حسبك الآن حسبك. وقال: من يقرب إلى الله عز وجل يتلف نفسه، حفظ الله عليه نفسه.

وقال: تضاحكت الأشياء إلى أولياء الله تعالى، العارفين بأنوار القدرة عن مليكها، لما يرون من آثار صنعته فيها، ويعانون من بدائع خلقه، فلهم في كل شيء معتبر، وعند كل شيء مُدكر.

وقال: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاء الماء ببغداد، ومن أراد أن يسمع تجريد التوحيد، وخالص التوحيد، وخالص التوكل، فعليه بالنساء الزمنى. قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: لما حُملت إلى بغداد رُمى بي على باب السلطان مقيداً، فمرَّ بي رجل مُتزر بمنديل مصري، متعمر بمنديل ديبقي^١، بيده كيزان خرف رقاق، وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقى السلطان؟ فقييل: لا بل هذا ساقى (١٢٧ب) العامة، فأومأت إليه اسقني، فتقدم وسقاني. فشمتت من الكوز رائحة المسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً، فأعطاه ديناراً، فأبى أن يأخذه وقال: لا آخذ شيئاً، فقلت له: ولم؟ قال: أنت أسير، وليس من المروءة الأخذ من الأسير، فقلت: هذا قد كمل الظرف. وإذا إنسان يكلمني من ورائي، فالتفتُ فإذا امرأة زُمناة^٢

^١ - ينظر ابن الجوزي: أخبار الطراف والمتماجنين ص ٦٨.

^٢ - أورد ابن الجوزي هذا النص في مناقب بغداد ص ٣١ باختلاف يسير، وفيه " رجل متزر بمنديل ديبقي بيده كيزان.."

^٣ - الزُمناة هي المريضة بمرض يدوم زمنًا طويلاً.

في كوخ تتصدق، فقلت لها: أنا مظلوم، قالت: فاقبل الآن مني، إذا دخلت على هذا الرجل فلا تهبه، ولا تظن أنه فوقك، فإنكما مخلوقان من نطفة ومن طينة، وهو فقير إلى من أنت فقير إليه، ولا تحتج عن نفسك مُحَقًّا كنت أم متهمًا، قلت: ولم؟ قالت: إن هبته تسلط عليك، وإن احتجيت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وِيَالاً، لأنك تباهت الله تعالى فيما يعلمه منك، وإن كنت بريئاً فادع الله لك ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها. قال ذو النون: فلما دخلت عليه سلمت بالخلافة، فقال لي ما يقول فيما قيل فيه، ثم قال لي: لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إن قلت لا أكذبت المسلمين فيما قالوه، وإن قلت نعم، كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله عز وجل مني، فافعل ما ترى، فإنني غير منتصر لنفسي. فقال أمير المؤمنين: هذا رجل بريء مما قيل فيه، ثم قال: عَظْنَا عَافَاكَ اللَّهُ، فقلت يا أمير المؤمنين: رجل يعلم أن الله خلقه، وخلق الجنة من أجله إن أطاعه، وخلق النار من أجله إن عصاه، لا يكون على مثله ما رميت به من البدعة، ولا مثل ما أنتم عليه من الغفلة، فحَلَّ عني. فخرجت إلى العجوز فقلت لها: جزاك الله عني خيراً، فقد امتثلت ما أمرت به، فمن أين لك هذا؟ فقالت من حديث الهدهد ما خاطب به سليمان بن داود عليهما السلام. فقلت: ادعي الله لي! فقالت مُرْ جَعَلَك اللهُ مسلماً.

وقال محمد بن زيد التميمي: كنت مع ذي النون فنظرت إلى دار تبني شاهقة في الهواء، وإذا شاب في ظل فنائها يأمر وينهي، فقال ذو النون: أيها المغرور بدار الغرور، واللاهي عن دار البقاء والسرور، كيف لا تشتري من مولاك داراً في دار الأمان، لا يضيق فيها المكان، (١١٢٨) ولا ينزعج منها السكان، ولا تشعثها حوادث الأزمان، ولا تحتاج إلى بناء وأطيان، ويجمع هذه الدار حدود أربعة، فالحد الأول ينتهي إلى منازل الراجين، والحد الثاني ينتهي إلى منازل الخائفين، والحد الثالث ينتهي إلى منازل المحبين، والحد الرابع ينتهي إلى منازل الفائزين، ويشرع لهذه الدار شارع إلى خيام مضروبة، وقباب منصوبة على شاطئ أنهار الجنان، في ميادين قد أشرفت، وغرف قد رُفِعَتْ فيها سُرُرٌ قد صُفَّتْ عليها فرش، قد نضدت فيها أنهار من ألبان، قد علاها كتبان مسك وزعفران، قد عانقوا خيرات حسان، هذا ما اشترى العبد المحبور من الملك الغفور، واشتريت منه هذه الدار بالتنقل من دُل المعصية إلى عز الطاعة، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من دَرَكَ فبنقض العهود، وحل العقود،

والشهود عن المعبود، شهد على ذلك البيان، وما نطق به محكم القرآن، بقول الملك الديان: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^١.

فلو نظرت إليها وقد برزت من قصور الدر والزبرجد والعقيان، وقد خطرت في رياض المسك والزعفران، وهي تنادي بصوت حسن رخيم: من يخطبني في الظلام؟ من الحي الذي لا ينام؟ نحن الناعمات نحن الشكلات، نحن الذين لا نموت، وخاطبنا لايموت، يتلذذ بنا من لايموت، في جوار من لايموت، بقدرة من لايموت، يمشيان جميعاً في رياض الورد والشقائق والريحان، فتقول له: ألسنتك كنت تحسن تقرأ القرآن؟ فيرفع صوته فيقرأ على شاطئ أنهار الجنان ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ﴾.

ثم يقول له: يا من خطبنا في الظلام، من الحي الذي لا ينام، سألتك بالذي جمع بيني وبينك في غبطة وسرور، هل نقصك مولاك شيئاً مما ضمن لك؟ فيقول: لا والله! قال ذو النون: فإن المطيعون بظل طوبى مع قرب سيدهم الأعلى.

وقال كانت العلماء يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث (١١٨ب): من أحسن سريرته أحسن الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه. وقال: رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة، وقد نحل جسمه، واصفر لونه، ودق عظمه. فقلت: أمحب أنت؟ قال: نعم! قلت: حبيبك منك قريب أم بعيد؟ قال: قريب، فقلت: موافق أم غير موافق؟ فقال: بل موافق. فقلت: يا سبحان الله حبيبك منك قريب، ولك موافق، وانت على هذه الحالة؟ فقال: يا بطل، أما علمت أن عذاب القرب والموافقة أشد علي من عذاب البعد والمخالفة. وقال: ما شبعنا من الطعام إلا عصيت أو هممت بمعصية!

وقيل له: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس، استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تُحاسَب. وقيل له: هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل؟ فقال:

قد بقينا مُذْبذِبِينَ حَيَارَى نطلب الصدق وما إليه سبيل
فدعاوى الهوى تحفُّ علينا وخلاف الهوى علينا ثقل

^١ -سورة التوبة، الآية (١١١).

وروي أنه خرج بمصر يستسقي، فاستعان بمفلوج قد قطع الجذام يديه ورجليه، وسأله ان يستسقي فنظر المفلوج إلى السماء وضحك، وقال: بقرب ما كان بيننا البارحة، ثم قال: إلهي! خلقتني وسترتني عن العباد بفضل ما خولتني، أعنتني، وإذا مرضت شفيتني، وإذا ما دعوت أجبتني، وإذا هربت رددتني، وإذا زلت اقلتني، وإذا عصيت رحمتني، وإذا أطعت جزيتني، يا سيدي كن راضيا عني فقد أرضيتني. ثم قال يا ذا النون: إن الله تعالى يريد قرب القلوب لا عمل الجوارح. قال: فأمطرنا كأفواه القرب، وقال: كن عارفاً خائفاً، ولا تكن عارفاً واصفاً، ولكل شيء عقوبة، وعقوبة المحب انقطاعه عن ذكره تعالى.

وقال: الحمد لله الذي جعل أنس الذاكرين بحلاوة ذكره، وأرهب قلوب المتفكرين من مخافة مكره، ووهب المريدين فضل المزيد من شكره، وحيأ أهل المعاصي تكرماً من خفي ستره. وقال: حقيقة المعرفة اطلاق الحق (١٢٩أ) على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار، وأنشد في المعنى شعراً:

للعارفين قلوب يعرفون بها نور الإله بسر السر في الحجب
صم عن الخلق عمي من مناظرهم بكم عن النطق في دعواه بالكذب

وقال: حقيقة المعرفة تخلية السر عن كل ارادة، وترك ما عليه العادة، وسكون القلب إلى الله تعالى بلا علاقة، وترك الالتفات منه إلى سواه، توفي رحمه الله ورضي عنه سنة خمس وأربعين ومائتين - ٨٦٠م - ، وقيل سنة ثمان وأربعين ومائتين - ٨٦٣م - .

- الباب الثالث :

في ذكر السيد مطر بن أخي السيد وبعض ذريته :

أقول: هو السيد مطر بن سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن حسن بن المرتضى الأكبر عرض بن زيد بن زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

روينا أنه كان من أجلاء مشايخ العراق، وسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والمقامات السنية، والهيم الفخيمة، صاحب الفتح المؤنق، والكشف المشرق، والتقدم في مراتب القرب، والتقدير في مواطن القدس، والترقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، له الباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في أحكام الولايات، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطور السامي في الثبات والتمكين، وهو أحد من ملك أسرارها، وقهر أحواله، وغلب على أمره، وهو أحد أركان هذه الطريق وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، واعيان العلماء بها علماً وعملاً، وحالاً وقالاً، وزهداً وتحقيقاً ومهابة، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ومكنه من الأحوال، ونطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد، وأجرى على لسانه ويده الفوائد، وقلب له الأعيان، ونصبه قدوةً للطلابين، وحجةً على السالكين.

وكان شيخه محمد تاج العارفين أبو الوفا يثني عليه كثيراً، وثبته على فضيلته وتقدمه. وروينا أنه قال في حقه مطر وارث حالي ومالي، لما سبق بيانه. وكان يُكنّىه بالجبل الراسخ، ويدعوه بالمشيخة، فيقول له: يا شيخ مطر! انتهت إليه رئاسة هذا الشأن، وبه عُرف الأمر في تربية المريدين المحققين بباذراي وما يليها، وتخرج به غير واحد من رؤساء العراق وغيرهم (١٢٩ب)، مثل الشيخ أبي الكرم، والشيخ تميم الحلاوي، والشيخ أبي العز النهرملكي وغيرهم رضي الله عنهم، والشيخ أبو الكرم هذا أدرك السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - إلا أنه أحاله على الشيخ مطر من أهل الطريق، وانتمى إليه خلق من الصلحاء، وأجله المشايخ

^١- هكذا كتبها بالذال المعجمة، وقد سبق أن كتبها بالذال المهملة.

والأولياء، واعترفوا بفضلته، وأقروا بعلو مكانته وقصد بالزيارات، وحل المشكلات من أحوال القوم، وكان ظريفاً جميلاً متواضعاً كريماً متأدباً، ومما أنشد فيه:

قد بارك الله في أرض بها مطرٌ
قطب تصرّف في رجل الجراد وفي
جرادة حملت شخصاً تسير به
لما أتى باذراي اغتاله مطرٌ
أما الجراد فأضحى ميتاً رمماً
ولم يزل ذلك رد الشيخ حالته
وقد أتاه سَواديُّ وقال له:
والكل من جده خير العباد بدى
صلى عليه إله العرش مانفخت

وقد تزايد فيها الزرع والشجر
من كان يقدمها سلباً كما ذكروا
والرجل تتبعه تنهى وتأتُر
قهرًا فخر سلبيا وهو محتقر
مُبداً أماله شرٌّ ولا ضرر
فطار حتى اختفى عن له اشتهروا
زادت عليّ ديونُ أهلها حضروا
من دونه الشمس في الانوار والقمر
ريحٌ وما اختلجت في الخاطر الفِكرُ

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها مناقبه وكراماته شيئاً كثيراً، وقد مدح مدائح كثيرة تحتاج مع بقية ما اشتهر من مناقبه إلى مجلد كبير. وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق.

منه: لذة النفوس معرفة الرفيق الأعلى، ومناجاة العظيم جل وعلا، ولذة القلوب مزامير أنس، ونظر في مقاصد قدس بألحان توحيد، في رياض تمجيد بمطربات المعاني في تلك المثاني، الجاذبة لأهلها إلى القسم الثاني، الرافعة لرايتها في مدارج المعاني، إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولذة الأرواح الشرب بكأس المحبة من أيدي عرائس الفتح اللذاني، في خلوة الوصل على بساط المشاهدة، والهيام بين معالم الكون حيرة في نور العزة، وقراءة ما كتب على صفحات ألواح نسيمات ذرات الوجود، بقلم التوحيد. كلا! بل هو الله العزيز الحكيم، ولذة الأسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة، الوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر القلوب، والمعاناة بالأفكار (١٣٠أ) لسائر الأسرار، ولذة العقول ملاحظة أسرار الملكوت الخفية عن الابصار، بالسرائر المحيطة بالأفكار، فتعابن القلوب حقائق الغيوب، وتصحبه قبول شواهد الأسرار، فتلج الضمائر بحار الأفكار، وتطمين النفوس إلى ما لحقت به من العالم المحجوب، فكلمنا كشف عن الغيوب أذيال دلالتها على اتقان صنع، وابداع فطرة، قابلتها من العقول فكرة وهيبة، ومخرج الاعتبار من القلب، فاذا كان القلب طاهراً نفذ الاعتبار

بالشواهد، وسَمَّتْ به الهممة، وترقى به الفكر، ولم يمنعه مانع، فالفكر طريق إلى الحق،
 ودليل على الصدق، والفكر أصل ثمرته المعرفة، والمعرفة ثمرة طعمها العمل، والعمل
 طعمة لذتها الاخلاص، والإخلاص لذة غايتها النعيم، والنعيم غاية ليس لها انقضاء،
 وأيدي العقول تُمسك أَعِنَّة النفوس، والنفوس مُسَخَّرَةٌ للعقل، والعقل يستمد من الأنوار
 الالهية، وعنه تصدر الحكمة التي هي رأس العلوم، وميزان العدل، ولسان الايمان،
 وعين البيان، وروضة الأرواح، ونور الأشباح، وجيد المحاسن، وميراث الحقائق،
 وأنس المستوحشين، ومتجر الراغبين، ومنية المشتاقين. والحكمة إصابة الحق، فإذا
 وردت على القلب دلت على مكامن الهدى، وجَلَّتْ أحذية القلوب، وأماتت عيون
 البواطن.

ومنه: كل ما قام بغيره فالضرورة تسمه، وكل ما كان بالجسم ظهوره
 فالعرض يُلزمه، وكل ما كان بالأدوات اجتماعه فقواها تُمسكه، وكل ما جمعه وقت
 فرقه وقت، وكل ما آواه محل أدركه اين، وكل ما كان له جنس لازمه نوع، وكل ما
 كان له عرض فالطول مساحته، وكل ما يخطر به الوهم فالتصوير يرتقى اليه، وكل
 من سكن جَوْاً غاب عن جَوْ، وكل ما كان له جُرم كان له وزن، وكل ما يسكن
 يتحرك، وكل ما يستمد من شيء فالفاقة تلحقه، وكل من يذكر بمادة فله النسيان،
 وكل من يفكر فمشغول، وكل من يشاور أو يوارد فناقص، وكل هذه النعوت من
 أوصاف الخلق والقديم - سبحانه وتعالى - باين بذاته وصفاته عن خلقه، منزه عن
 ذلك كله. وكان يتمثل بهذه الأبيات:

سَهَرْتُ الليلَ من وجدي بمياً	وأذكرها فتجري مُقَلَّتياً (١٣٠ب)
أضم جوانحي بيدي شوقاً	فيشتغل الزفير براحتياً
ويُسكِرُنِي مُدام الحُب تَيْهاً	ومن يصحو إذا شرب الحميا
وما خوفي من السكر اختبالاً	ولكن أن أبوح بسر مياً
فجودي وارحمي يا مَي صَباً	كواه البين والهجران كياً
ورقي للذي أمسى كئيباً	من البلوى تسامرته الثريا

أخبرنا أبو محمد طه بن محمد بن خالد الحلواني الصوفي قال: أخبر الشيخ
 الصالح أبو بكر محمد بن الشيخ عوض بن سلامة الغراد الصوفي، قال: أخبرنا والذي

قال: مرت ببازراي رجل^١ عظيمة من جراد، يقدّمها راكب على جَرادة منها، ينادي بأعلا صوته: لا اله الا الله محمد رسول الله، كل نعمة ونقمة فمن الله والجراد يتبعه حيث توجه، فخرج السيد مطر إلى ظاهر زاويته ونادى: يا جراد ارجع من حيث جئت، فنكص الجراد على عقبه، مُدبراً جميعه، وانقض الراكب من الهواء كالعُقاب حتى سقط بين يدي السيد مطر، فقال له: ما حملك على هذا؟ أن تمرّ عن بلدٍ أنا فيها بغير إذني؟ فأكبَّ الرجل على قدميه يقبلهما ويستغفر، ويسأله أن يتوجه في رد حاله ان قد سلبه ان ذاك، فتوجه السيد مطر حتى عاد حال ذلك الإنسان اليه، ثم قال له: قم فانهب! فمرَّ الرجل في الهواء كالسهم، وتساقط الجراد في بلاد العراق ميتاً، وأكل منه من شاء الله، فقال السيد مطر: أتى ليصيد فصيد.

أخبرنا أبو محمد علي بن يوسف التميمي البغدادي قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو هاشم أكمل بن مسعود الهاشمي البغدادي قال: سمعت الشيخ أبا أحمد عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي الصوفي الخرصي يقول: كان الشيخ مطر البازرايي - رضي الله عنه - من أجلاء مشايخ العراق، ما وقع نظره على عاصٍ إلا صار طائعا، ولا على ناسٍ إلا صار يقظانا، ولا حضره يهودي ولا نصراني إلا أسلم، ولا مر بأرض جرز^٢ إلا ربت وانبتت العشب والكلأ، ولا دعا في شيء بالبركة وغيرها إلا ظهرت شواهد الإجابة فيه. وحضرتُه مرة وقد أتاه سَوادي من أصحابه ملهوف، وقال: يا سيدي! إن أرضي خَسُرَ (١١٣١) زرعها في هذا العام، ولم تُخرج لي سوى ستين كارة، والكاراة حمل غلّة، وكانت تخرج في كل عام ثلاثمائة كارة، وعليّ دين سبعون كارة، فأتى الشيخ مطر إلى بيّدره^٣ فجلس عليه، وقال: بسم الله! كيلوا، فكالوا منه ثلاثمائة كارة، ثم نزل عن البيدر فكالوه، فإذا هو خارجاً عما كيل أولاً ستون كارة.

قال: وقدمتُ عليه مرة ومعني خمسُ نفر، فرحبَ بنا، وأخرج لنا إناء فيه لبن قدر ثلاثة أرتال، فشربنا حتى رُوينا، ثم حضر سبعة نفر أيضاً، فناولهم الإناء، فشربوا حتى رُووا. والله إن اللبن لأكثر مما كان أولاً.

^١ - رجلُ الجراد: الطائفةُ الكبيرةُ منه.

^٢ - جرز: مجدبة

^٣ البيدر موضع يُجمع فيه القمح ونحوه ويُدرَس بالنورج.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفضل رزق الله عبد الصمد بن احمد بن محمد الهاشمي الكرخي الصوفي قال: سمعت الشيخ العارف أبا طاهر الخليل بن أحمد الصرصري، تحدّث عن أبيه - رضي الله عنه - قال: شممت ليلةً عند السحر بباذراي رائحة تكاد تقلع الأرواح من الأشباح لذة، وتغيب العقول سُكراً، ثم أعقبته بركة من نور أضاءت الأفق، فقيل: قد تجلّ الحق الليلة على قلب عبده الشيخ مطر بن أخي السيد تاج العارفين، ثم احتجب عنه فتنفس حسرة على دوام تلك المشاهدة، فما شممت ممن طيب نَفْسَه، ونظرت إلى الوجود بعين الحيرة في طلب التجلي، فما رأيت من نوره نظرة، فبكرتُ إلى زيارته، فرأيت عُشْباً على باب زاويته كنت أعده بالأمس يابساً، فإذا هو أخضر، ورأيتُ رجلين في زاويته كنت أعرف أحدهما بالأمس أعمى والآخر مريضاً، فإذا الأعمى بصير، والمريض معافى سوي، فسألت أصحابه عن ذلك فقال لي: بات الشيخ البارحة في وسط العُشْب، وفرشنا للمريض والأعمى في طَرْف العُشْب، فأصبح العُشْب مخضراً والأعمى والمريض كما ترى.

أخبرنا أبو سعيد عبد الغالب بن أحمد الهاشمي قال: أخبرنا أبو الحسن الخبّاز البغدادي قال: سمعت الشيخ أبا القاسم عمر البزاز قال: حدثني الشيخ أبو الخير كرم بن الشيخ القدوة مطر الباذرايي - رضي الله عنه - قال: لما حضرت والدي الوفاة قلت له: أوصني لمن أصحب بعدك؟ قال: اصحب عبد القادر الكيلاني، فكررتُ وكررتُ ثلاثاً، ثم قال: فإنه بعد عم أبيك، يعني أبا الوفا تاج العارفين رأس الاقطاب، قلت: وقد روي عنه من غير هذا الطريق، قال: عبد القادر ريحانة الله في الأرض تنشق منها أسرار الأولياء ريح روح القدس، وهو متكلم الحضرة، وسيف النعمة، إلى آخره. قالوا: وكان الشيخ عبد القادر في كل صبيحة يتوجه بوجهه إلى جهة باذراي، فيشتم ريحها، ويقول: إني لأتروّح بريح السيد مطر واشتم منها روائح عمّه.

ومما روينا أنه كان في ابتداء أمره بزيالة والهيّاثم، القريتين اللتين ولد بهما، وذلك بعد وفاة والده السيد سالم أخى السيد تاج العارفين أبي الوفا، وكان قد صار بالقريتين المذكورتين وما حولهما إلى ما صار إليه ابوه السيد سالم، من الفخامة ونفوذ الكلمة، ثم بلغه ظهور عمه، وبلغته شهرته بالهداية والإرشاد، فبادر ومعه من حَفَدَتِه وعُصْبَتِه ثلثماية فارس، فلما راحا بإقلمينيا استأذن خادم السيد عمه عليه

فأذن له، فلما تلقاه بالإكرام وأدنى مجلسه، فقدم السيد مطر إليه هديه، فقال: إن كنت جئت مهاجراً مهتدياً، قبلناك وقبلنا منك، وإلا فلا حاجة لنا بذلك.

فقال: ياسيدي، بل مُسَلِّمٌ اليك أمري، ومطيع لما تأمرني به، قال: إن كنت صادقاً يا مطر، فدع كل ما معك ومع حفتك من الخيل، وكانت الخيل كلها مُلكاً للسيد مطر، فأمر بها فذُبِحَتْ وُفِرقت للفقراء والمستحقين وغيرهم. ثم...^١ السيد مطر فوضع يده في يد عمه، فعاهده عهد التوبة وبيعة الثلاثمائة، وقال السيد أبو الوفا: يا مطر! إنك قد فارقت عوجات النفوس، ودخلت في معارج الأرواح، اكسر نفسك ما استطعت فكسرها، اكسر ظفرك بعين الشهادة، واعرض عن عزك متعوضاً عنه بالذل، فالذل في طريقنا أعظم سيادة، وأخدم من سبقك، والطف بمن لحقك. ثم أمره في الحال بالإحتطاب، فقام من وقته ماشياً حافياً فاحتطب، وأراد تحميل الحطب على دابة معه، فرأى الأسد قد افترسها وهو يأكل منها، فألقى في خاطره أن حَمَلَ الأسد الحطب حتى وافى الزاوية، فبَلَّغوا عمه ذلك، فنهزه بسببه، وحجر عليه أن لا يقع فيما يكون له به شهرة قبل تكمله، وقال: إن من عباد الله من لو أشار إلى جميع سبب الأرض أن يحتطب لم تخالفه، فما تم الكلام إلا وأقبلت طائفة من السباع وفي أفواهها الحطب فوضعتها بباب المطبخ وانصرف (١٣٢أ)، فعند ذلك جدَّ السيد مطر توبته وطرح نفسه، ولزم خدمة عمه، ثم توارَدَ الفيض والفتح والمواهب.

وروي انه رأى عمه السيد تاج العارفين - قدس الله روحه - في صورة شجرة عظيمة كثيرة الأغصان، وعلى كل غصن منها رجل من أصحاب السيد تاج العارفين، فقصَّ عليه منامه، فقال السيد: يا مطر! أنت خليفة تلك الشجرة، أدع الله وأقم ببازراي، فاستوطنها حتى مات قديماً مُسنناً قبل وفاة الشيخ بقا بن بطو، وقبره ببازري ظاهرٌ يُزار - رحمة الله عليه - وكان له من الأولاد يعقوب ومكارم المار ذكره وغيرهما. ولم يعقب منهم غير يعقوب.

أقول: هو يعقوب بن مطر المشار إليه بأنه الناطق بالحكمة، الفاضل الأصولي اخذ عن بعض الشافعية علوماً نافعة - ثم توجه إلى علم التوحيد والخلوات

^١ - هنا كلمة ناقصة ربما كان: فقام، أو فنهض.

والمجاهدات، وكان يكنى بأبي الرجال، توفي - على خلاف فيه - في سنة ست وتسعين وخمسمائة - ١١٩٩م - ، قال صاحب (فخر آل زين العابدين): لو لم يغلب عليه التصوف لعد في الطبقات مع أجلاء أصحابنا، يعني الشافعية. وقال الشيخ أبو القاسم عمر البزاز: إن السيد يعقوب بن السيد مطر البادراني كان صالحاً عابداً زاهداً، ولد له أولاد أعقب منهم رجالان أحدهما السيد بدران، والثاني منجح المار ذكره في الشطر الاول.

اقول كان كل منهما جليل المقدر وافر القسم والخطوة، مؤملاً منه قبول الدعوة، قصدهما الناس بالزيارة، واتفقا على السجادة بعد والدهما، ثم توفي السيد بدران المذكور- ودفن في فيض وادي غزالة بالعراق، فاستبد السيد منجح بالأمر، هو وذريته، وبقي ذلك بأيديهم إلى وقتنا هذا.

ثم نشأ للسيد بدران المذكور ولدٌ يسمى يوسف، فعاش عمراً يسيراً، وسلك على يده سبعة أنفار، منهم ولده بدر، ثم توفي، فخلفه ولده هذا، وهو السيد بدر المدفون بوادي النسور ظاهر القدس الشريف، الرجل العظيم، المشهور بالقبطية في زمنه.

قال صاحب (روضة أولي الصفا): كان قطباً عارفاً متمكناً، خضعت له أولياء زمنه، وهرع إليه الخاص والعام، وانقاد إليه كل طائع وعاص، وقصده بالزيارة القريب والبعيد، وتواضعت له الملوك حياً وميتاً، وأطاعته السباع والوحوش، ولها إلى زيارته ترددٌ إلى يومنا هذا. ولقد أخبرني جماعة يوثق بهما أن الأسد يزور قبره في بعض الليالي، وأنهم شاهدوه (١٣٢ب) يُمرغ وجهه عند باب ضريحه.

وكان له كلام حال على لسان أهل الحقائق، ومن كلامه: دوام ذكر الله عز وجل حجاب بين العبد وبين الخطايا، ومفتاح لأبواب الأجور والعطايا، فما دمت تذكر الله تعالى وقلبك مشغولاً بذكره ولا يميل إلى غيره، لأن الله عز وجل لا يجتمع هو وغيره في قلب واحد.

قلت: وما أشار إليه إنما هو ذكر نهايته، وأما بداية أمره فإنه حين نشأ بين يدي عمه، وعظم عند بعض أهل قوسان، وطلب لتولي أمر مقام جدّه وعمّه، خشى الشغلة عن الله بذلك، فأحب الفرار من ذلك، فاستشار رجلاً من خُدّام والده يسمى

الشيخ إبراهيم الهدمة^(١)، فحسّن ذلك عنده، واتفق رأيهما على الحج الشريف، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، والخليل عليه السلام، والمسجد الأقصى، فاستخار الله تعالى، ثم توجه وصحبته الشيخ فحجاً، وزار النبي صلى الله عليه وسلم. ثم عاد إلى الخليل عليه السلام، فسمعا عن بعد صوت بكاء، فسأله إبراهيم عن ذلك، فقال: السيد بدر رجل مات شيخه فهو يبكي عليه، وبيننا وبينه ثلاثة أيام، وقد أوقع الله في خاطري إدراكه، وأطفأ لهب لهفه، فضع قدمك مكان قدمي. قال إبراهيم: فوضعت قدمي مكان قدمي سيدي بدر، فوافيناه في خطوتين، فإذا هو على البكاء، فنظرت فإذا دمعه قد جرح خديه، فلما رأى السيد بدر اطمأن إليه وانس به، فهداه السيد بدر فهدي، ثم أخذ بيدي وأخذني بالأخرى، فتوجه بنا إلى ضريح سيدنا الخليل عليه السلام، فزرناه وأقمنا لديه مدة أيام، ثم قصدنا السفر، وبتنا ليلة متأهين لذلك، فرأى كل من السيد بدر والشيخ علي البكاء والخليل عليه السلام في منامه، فأمر الشيخ علي البكاء بالإقامة في خدمة ضريحه، وأمر السيد بدر بتمكينه من ذلك، فأصبح كل منهما مسروراً بالتعويض على خدمة الخليل عليه السلام عن خدمة شيخه، ومتألماً لفراق صاحبه، فتوادعا، وودّع الشيخ علياً، وانصرف السيد بدر بالشيخ إبراهيم إلى زيارة الفيض عليه السلام بجبل صغير، فزاره، ومالا إلى غار في الجبل المذكور، فباتا به، فبينما هما في أثناء منامهما إذ رأيا الخليل عليه السلام أيضاً فأمرهما بإقامة الشيخ إبراهيم في ذلك الغار، وأن يتوجه السيد بدر حيث وجهه الله، ففعلاً ذلك، فأدت السيد بدر سياحته إلى عين ماء قريباً من قرية كفر صوم ظاهر القدس الشريف، فغسل ثوبه، وتوضأ من العين، وصلى على صخرة. فأنت نساء القرية يستقين، فوقع من بنت معهن سوء أدب لجهلها بالسيد، وطرحت ثوبه عن مفسدة، فلما انتهت (١٣٣) صلاته أخذ الثوب وقصد الوادي، وكان كثير الوحوش والسباع، فأمكن هلاكه، ثم مضين فنظرن على الوادي،

(١) الشيخ الصالح الفقير العابد إبراهيم بن عبد الله الكردي المشرقي المعروف بالهدمة، كان عبداً زاهداً، صابراً لفقره مجاهداً، منجماً عن الناس، منقطعاً عن مخالطة الأنداس، انقطع بقرية بين القدس والخليل، فأصلح لنفسه مكاناً وزرعه وغرس شجراً أشمر وتأهل بعد ١٢٨١/٥٦٨٠م وجاءته الأولاد وقصد بالزيارة، وظهرت علامة كرامته والأمانة، وحكى عنه كرامات عدة، وجليت من بركاته ليالٍ مسودة وتوفي سنة ١٣٣٠/٥٧٣٠م. الصفدي، اعيان العصر، ٨٠/١، الوافي بالوفيات، ٢٨/٦.

إذا هو قائم يصلي والوحوش حوله يحجب بعضهم بعضاً، فخشين على البنت من سطوته، وأن يكون ما وقع منها سبباً لشقاوتها، فاستحال سبب لسعادتها، وذلك ان النسوة قصصن القصة لرجالهن فتألموا لذلك، وتوجهوا إلى فم الوادي، فاطلعوا عليه من العلو، إذا به كما قيل، فتحيروا في التوصل إليه بأي سبب، وضاعت حيلتهم، ومنعهم خوف ما حوله، وما في ذلك الوادي من الوحوش، وخوف المؤاخذة عن النزول إليه، فبينما هم كذلك إذا رجال طلوعوا من الوادي، على وجوههم أنوار الولاية وخفة القلب، فتعلقوا بهم، وسألوهم أن يجمعوهم على السيد، فاعتذروا لهم عن ذلك في ذلك اليوم، ووعدوهم بما طلبوه في يوم آخر مُعَيَّن، وذكروا أن لهم عنده كل جمعة يومين، ولا يقدر على التهجم عليه في غير يوم عادتهم، فانتظروا اليوم المُعَيَّن حتى أتى، فجلسوا على فم الوادي ينتظرونهم، حتى أتوا، فاستأذنوا السيد فأذن، فأحضرهم بين يديه، فوقفوا ذليلين خاضعين، ولم يؤاخذهم الشيخ، بل تطف بهم وتودد، فقال بعضهم لا يتحقق الرضا من الشيخ حتى تقبل منا البنت التي أساءت الأدب زوجة فتوجه إلى الله مستأذناً ثم قال: قبلناها على بركة الله تعالى، فعقد عقده عليها وولدها اولاد، وبرز من نسله منها إلى الوجود جماعة فتحرب بهم الأرض في كل زمان، فإنه منذ توفي السيد بدر، لم يزل يظهر من نسله المذكورين في كل زمان رجل أو رجال من الأولياء المشاهير، والأكابر المعترين، إلى يومنا هذا.

ولما أقام وتزوج وظهر من أمره ما قص آنفاً، توفي - رحمة الله عليه - على خلاف فيه، سنة خمسين وستمائة^(١) - ١٢٤٨م - وقيل: بل سنة خمس عشرة - ١٢١٨م - ، والله أعلم. قلت: وأخبرتُ عن شاهد شجرة الرمان التي نشر السيد بدر عليها ثوبه هائلة بحملها، ولم يكن أوان ذلك، وأن سؤالهم السيد في تزويج البنت إنما هو سبب ما رواه في منام، وهو أنهم رأوا جماعة ذُكر عنهم الولاية، فقصوا قصتهم مع السيد بدر، فأشاروا عليهم بذلك. قال المُخبر: ولما وقع في اليقظة مما وقع مما قُصَّ آنفاً، نظروا فإذا الذين رأوهم في المنام وقوف خلف السيد (١٣٣ب).

قال: وصار أبوها وأمها من خدام السيد بدر رحمه الله.

^١ - كذا، وهي غير معجمة في الأصل. ويقتضي السياق: ولا تخلو منهم الأرض.
^(٢) تاريخ غير دقيق بالمرّة وخادمه إبراهيم الهدمة توفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م كما مرّ.

ثم إن السيد بدر اشتهر أمره وقصد بالزيارة، وربى المريدين، وعزت به رتب التربية، وعلت به همم المربين، وزاره ملك عصره، قيل: بيبرس، وقيل: غيره، وانتهت إليه رياسة هذا الشأن في زمانه، ثم انتشرت ذريته، ووصل منهم إلى درجة المشيخة جماعة لا يحصون، ولهم أضرحة تزار وتقصد في المهمات. ومما أنشد في السيد بدر:

دقت بشائر عزة الإقبال	للشيخ بدر واعتلى بكمال
وأناه ساويش الوصال مبشراً	بالقرب والإسعاد والإفضال
لما رأوه طائعا مسترسلا	في الحكم راض سائر الأفعال
ادنوه من باب الرضا بقضائهم	متبرئاً من سائر الأعمال
فرضى بما يرضون من إبعاده	أو قربه صدقاً بغير سؤال
فرضوا عليه وقربوه ومكنوا	تمكينه من سائر الأحوال
فرقى إلى اعلا مقامات العُلا	فخراً على الأقران والأشكال
وغدا بنور الله بدرًا كاملاً	سامي السنن متجلياً بجمال
وبجده القطب الكبير أبي الوفا	عن جده الهادي احتظى بنوال
لما اقتدى بمحمد هادي الوري	في سيره نال العزيز الغالي
لولا سنا أنواره ما استكملت	أنوار أقطاب ولا أبدال
صلى عليه الله ما انهل الحيا	والصحب والأتباع بعد الأمل

- ذكر السيد داود بن عبد الحافظ بن محمد بن بدر هذا - رحمهم الله تعالى - :
 روى أنه كان من أجلاء المشايخ العارفين المتصرفين، الأخيار العلماء بأمور الدين، المتوجهين إلى الله، المتوكلين عليه، تخرج به جماعة، وانتمى إليه خلق كثير، وكان من أكمل الكاملين، وأعمل العاملين، وانتهت إليه رئاسة أهل هذه الطريق في زمانه. وكان أول أمره أن ارتحل من وادي النسور حين ضاقت منازلها بذرية سيدي بدر، ايثاراً لهم، وأعرض عما يتحصل منها، وأقام بقريّة شفرات، وقيل: شرفات،

¹ - قرية قريبة من القدس تقع في غرب بيت صفافا وشمال بيت جالا، جيلو والتي اقيمت على أراضي القرية وأراضي بيت جالا. يبلغ عدد سكانها مايقارب ١٥٠٠ نسمة وهي تعد من القرى القديمة في القدس حيث يوجد فيها مسجد قديم يسمى (مقام البرية) وتتفق رواية المؤلف هنا بما ورد في (انس الجليل من القدس إلى الخليل) من ان رجلاً صالحاً علويّاً تدعى ذريته ال بدر، اتي هو وعائلته وحول بعض سكان القرية من النصارى إلى الإسلام، بينما هاجر معظمهم إلى قرى قريبة والوديه المحيطة بها.

ظاهر القدس الشريف، وكان بها قليل نصارى يزرعون أرضها، وليس فيها مسلم غيره وغير أتباعه وعباله، وصار يتستر بالعبادات حتى أظهره الله وصار إلى ما صار إليه. قلت: وأخبرني من يعرف حقيقة ذلك أن الأول هو اسم هذه القرية، وإنما أطلق الاسم الثاني عليها من حين مصيرها إلى السادة الأشراف أولاد السيد أبي الوفا المشار إليهم، اشتقاقاً من سكانها الشرفاء، وما زالوا يشرفون البقاع، نفعم الله ببركاتهم، والله أعلم.

وكان أول أسباب ظهوره أن النصارى بقرية شرفات المذكورة، كانوا(١١٣٤) يعتصرون الخمر ويبيعونها للفساق من المسلمين وغيرهم، فشق ذلك على السيد داود المذكور، فتوجه في ذلك إلى الله، فكان بعدها لا يعصر النصارى المذكورون خمراً الا انقلب ماءً، فارتحل النصارى عن القرية وشق ذلك على مُقطعها، فبلغ السيد داود ذلك فأرسل إليه فاستاجرها منه، وابتنى بها زاوية وقبة هي مدفنه ومدفن جماعة من ذريته، واتفق أن القبة لما عُقدت أتاها رجل طائر في الهواء فأشار إليها فسقطت، وظن البناء أنه طائر، فذكر ذلك للسيد داود فسكت، ثم أمر ببنائها ثانياً، فلما انتهت أتاها الطائر فسقطت ثانياً، فأخبر السيد ثانياً فأمره ببنائها ثالثاً، فلما انتهت حضر السيد داود فأتى الطائر فأشار السيد داود بيده فسقط ميتاً في دار خلف الزاوية، ثم أمر أصحابه بإحضاره إليه فأحضر، فإذا هو رجل كامل الخلقة، نير الوجه، له شعر طويل، فغسل وكفن وصلى عليه، ودفن في القبة المذكورة. ثم قال السيد داود: رجل بعثه الله لحتفه، فقيل له: هل تعرفه؟ قال: نعم! هو بن عمي اسمه محمد الطير أحب أن يطفئ الشهرة بهدم القبة، فلم يرد الله إلا الشهرة، وجعله الله اول من يُدفن في القبة، فساقه إلى حتفه - رحمه الله ونفع به -.

قلت: وقد بلغني من ثقات أن جد السيد محمد أعني الطائر المذكور طري في قبره، وأنه دفن عليه صغير من ولد عمه من مدة قريبة، فشاهده الذي دفن الصغير كما وضع، لم يبل شيء من جسده. قالوا: وكان رجلاً عظيم الهيئة يأتي ليلة عاشوراء من كل سنة إلى زيارة السيد داود، فيصلي معه المغرب، ثم يأمر السيد خُدامه، فيحضرون له مأكلاً يكفي مائة نفر، فيأكله بكماله. فسئل السيد عن ذلك فقال: إنه لا يأكل في السنة غير هذه الأكلة.

^١ - تعرف هذه الزاوية بمسجد البرية، وتعد أقدم الشواهد التاريخية في القرية.

قلت: وبلغني من ثقات أن الأسد يزور قبر هذا السيد ويتردد إليه. وقال لي واحد منهم: أنه رأى أسداً دخل الزاوية ولم يخرج منها، ودخل الزاوية فلم يجده. توفي السيد داود هذا (١٣٤ب) في سنة احدى وسبعمائة - ١٣٠١م. قالوا: وكان له ولدان أحدهما يسمى أحمد والثاني يسمى شمساً، وكان أحمد أول أولاده، وكان والده قد خرَّجه وتكمل في زمانه، وكان يشير في بعض الحوادث إليه، ويعرض إليه أمر بعض المريدين، فخلفه من بعده. وكان شمس عند موت والده طفلاً ثم كبر وتخرج بأخيه المشار إليه، ثم مات قبل أخيه. هذا ما علمناه بطريق الفحص والإخبار والله اعلم.

- ذكر السيد أحمد بن السيد داود من ذرية السيد بدر الشهير بالكريدي الملقب بالكبريت الأحمر رحمة الله عليه :

روي أنه كان من أجلاء المشايخ الكاملين، والمحققين المتمكنين، انتهت إليه رئاسة هذا الشأن، ووضع الله له القبول عند كل إنسان، وأوضح على يده البرهان، وسماه رجال عصره بالكبريت الأحمر، لعزة وجود مثله في زمانه. وتخرَّج به جماعة لا يحصون كثرة من ذوي الأحوال، وانتمى إليه خلقٌ كثير، وكان ممن تخرَّج أخوه والشيخ العارف أبو المحاسن يوسف البربري نسبة إلى قرية بربرا^١ من أعمال غزة قريباً من عسقلان، وقبره بها ظاهر^٢. والشيخ الصالح القدوة على المؤمنين صحبه وغيرهم، وذكرت عنه القطبية.

من كراماته ما روي أن ولداً من أولاده توفي، فأمر الحفار أن يحفر له قبراً في مكان كذا، فتوجه الحفار إلى ذلك المكان، فحفر قليلاً ثم وقع على صخرة صماء فأعجزته، فذكر ذلك للسيد، فوقف السيد عليها وضربها بعكازه فصارت تتفتت كأسهل ما يكون، ثم قال: احفر باسم من يلين الجلود، فحفرها كما يحفر أرضاً لاصخر فيها ولا حزن. ومنها أن خادماً له كان في قرية فأتى إليها مقطعها ليأخذ متحصله منها، وهي له طعاماً، فلما أراد تقديم الأكل إلى المقطع تقدم الخادم فبدد جميع ما في الأواني، فوشى به إلى المقطع، فأحضره وأراد تأديبه، فانفلت منهم

^١ تقع بربرة على الطريق الرئيس بين غزة وبيافا، إلى الشمال من الأولى بنحو ٢٠ كيلومترا من غزة.

^٢ يقع ضريحه في فناء جامع قديم. قال المقدسي الحنبلي صاحب الأنس الجليل " وقبره في بربرة ظاهر."

ومضى إلى المكان الذي كان فيه الأكل، فقلت حصيرة كانت تحت الأكل، فخرج من تحتها ثعبان عظيم، ففر منه من حضر، فتقدم الخادم إلى الثعبان فعضه في يده فلم يؤلمه، ثم أن الخادم قبض على الثعبان قبضة شديدة فمات لوقته، ثم ألقاه وانصرف، فحصل للمقطع وغيره ممن حضر وكانوا خلقا كثيرا حُسن ظن ومحبة في الخادم، فلما وصل الخادم إلى بين يدي السيد أحمد لأمه على ما وقع من التجريء، وأخرج يده فرأى فيها عضة (١٣٥أ) في مكان العضة منه.

ثم ولد للسيد أحمد المشار إليه خمسة أولاد، منهم ذَكَرنا وثلاثة إناث، أحد الذكور السيد علي، والثاني السيد محمد البها. أقول: أخبرني من رأهما من الثقات أنهما كانا من رجال الوقت وعارفيه، وكان لهما خوارق ومكارم أخلاق وبر، وكان أعمدة الأراضي المقدسة وما حولها تخشى منهم المناحيس، وتأوي اليهم الفقراء، ويرد على موآئدهم الخاص والعام، ويقصد بركاتهم في المهمات الجم الغفير. تخرَّج منهم جماعة من الصالحين، وبرزت على أيديهم المكنونات. وكان الغالب على السيد علي الصحو والحضور، وعلى الشيخ البها الاستغراق والغيبة، وكان جماعتهما وخدمهما والمنتمون اليهما يرونهما كرجل واحد. ثم توفي السيد عن ولدين، فرباهما السيد علي. وفي أيامهم وقف منجك^١ نائب الشام عليهم قرية شرفات المذكورة، فتوقف في أمرها ثم قبلها ليصير بها مرعى اغنامهم وتكون من أشجارها احطابهم.

قلت: وأخبرني ثقة من أصحاب السيد علي - رحمة الله عليه - أن سلطان مصر طلبهما في حياة أبيهما ليتبرك بهما، فلما حضرا إلى مصر أنزلا قريبا من القلعة، ورتب لهما ولأصحابهما كفايتهما وكفاية دوابهما مدة، فغار منهما رجل أعجمي كان خصيصا بالملك، واخذ ينقصهما من عين الملك، فلا يقبل الملك منه ما لم يبين وجهها نقصهما به، فألزم بذلك، وتوجه إلى المطبخ فأمر بشيء من الحرام فطبخ على حدة، وبشيء من الحلال، فطبخ على حدة، وغرّف كل قسم في أوان مُعلّمة، ثم أحضر اليهما السماط بحضرة السلطان ليفضحهما العجمي عنده، فلما مد بين يديهما نهض السيد علي قائما، فقال: أيأذن لي أيها الملك أن أفرد سماطا للفقراء من هذا الطعام المهيا لهم؟ قال: نعم! فنظر إلى شخص من الحاضرين فقال:

^١ - الأمير سيف الدين منجك اليوسفي نائب الشام إلى سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م. ينظر بن كثير: البداية والنهاية ١٤/ ٢٦٠.

خُذْ هذا فضعه هنا وهذا هنا، وهكذا حتى أفرد الحلال من الحرام، ثم أمر بالحلال فوضع بين أيدي الفقراء، وأعرض عن الحرام، فلما أكل الفقراء ما أفرد لهم، ورفع السماط، التفت السيد علي إلى أخيه السيد البها، وخاطبه بلسان حاله، فنظر نظرة شزراً إلى الأعجمي الذي تولى أمر امتحانهم على ما مر ذكره آنفاً، فصاح الأعجمي وارتفع من الأرض ثم وقع ميتاً، (١٣٥ب) وضج الناس، وخضع السلطان، وهاج الفقراء، وطاشت عقول من حضر، وأقبل السلطان عليهم يسترضي خواطرهم. ثم وقف عليهم ثلاث قرى كانت في يد بعض المقطعين، فانتزعها منه ولم يعلم بذلك، وهي أعظم قرى جبل بيت المقدس الشريف، ثم ودّعاه وتوجه راجعين إلى القدس الشريف، فلما انتهينا إلى قريب من قرية شرفات، وتلقاهما جماعة والدهما، أقبل عليهما خادمه الكبير فقال: إن الشيخ يأمركما أن لا تأتيا، فشق عليهما ذلك وسألا عن السبب، فقال: إنه يقول: إنكما قتلتم النفس، وافشيتم السر، وقبلتم وقفاً غصب من مستحقه، فأقبلا على الخادم يسألانه ويتوسلان إليه في استعطاف خاطر والدهما، والاعتذار عن قتل الأعجمي بأنه كان يعمل السموم للملك، وانه قتل بذلك غير واحد، فاخذ منه الثأر بذلك. وأما الطعام فأن كشف أمره ضروري، ولو لم يعلم لأكل الناس الحرام بعلمنا وإثمتنا. وأما الثلاث قرى فلم يعلم أنها غصبت، وذكرنا له أنه يمكن ردّهما، فرجع الخادم إلى أبيهما، وأعاد عليه كلامهما، فرضى أبوهما بذلك، بشرط ان يحضرا حاسري الرؤس والأقدام معترفين بذنبيهما، تائبين منه، ففعلا ذلك، وحضرا إليه فوقفا بين يديه على حالتهم تلك، حتى أذن له في العفو عنهما، فأقبل عليهما ووجههما إلى عمل يُحبط عنهما ماراه ذنباً في حقهما، فصار كل منهما إلى ما صار إليه. ولم أعلم تاريخ وفاة السيد محمد البها، وأما السيد علي فأخبرني ولده المشار إليه في افتتاح الشطر الأول، الأذن لي في تأليف هذا الكتاب نفعنا الله والمسلمين به، أنه توفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة - ١٣٥٥م - وقد اناف عن خمسين سنة، رضي الله عنه وعنا به آمين.

قلت: وكان ولده هذا اعظم عنوان لمكتوب سرهم، وأتقى أمين في التسليك على إيصال برهم. وقد تقدم ذكر صبابة من نجز مدائحه، أحياه الله أطول الأعمار، وجعله على الوصول إلى الله أعظم الدالين والأنصار آمين، وقد رأيت من فروسية هذا السيد ما لا أظن إلا كرامة، وهو أنه يسوق الفرس ويلتقط أحجاراً من الأرض والفرس

في قوة جرية^١، ولا زال في خاطري معرفة سبب ذلك حتى وقعت بمن كان (١١٣٦) يحمله في صغره من خُدام أبيه الصالحين، فأخبرني أنه حين صار يُحسن ركوب الخيل وقعت وقعة بين المسلمين والفرنج في بعض أطراف الغرب، فكشف الله عنهم، فبادر في الحال فركب فرساً، وصار يناوله الأحجار من وادٍ يُسمّى بوادي الضرار، وهو يسوق فرسه ويرمي بها في الكفار، حتى بدد شملهم، ولم يطلع على ذلك منا غير رجل من أرباب الإطلاع، وأخبرنا بذلك تحريضاً لنا على الإحتفاظ به، وتنبيهاً لمريديه على رفعة قدره، ومن ثم صار يتكرر منه ذلك.

قال: وغضب على إنسان ينظر اليه، وكان صغيراً، وكان المنظور كهلاً محترماً، فارتعدت فرائصه من هيبة نظرته، وظن أنه هالك لا محالة، فقال: يا سيدي! ناشدتك الله إلا ما صرفت هذه النظرة إلى مطيبي، فكان حلول أجلها مقترناً بنظرتي، ثم وهب مالها بعد أيامٍ بعض دراهم فضة، فاشترى بها شاة كانت عجفاء فطابت وسمنت، ثم ظهرت حاملاً فوضعت اثنتين، ثم كبرتاً وحملت بها، ثم حملتا وأمهما، وكل بطن ولد توّما حتى صار له منها غنم كثير. فقال له السيد مماًرحاً: أتأخذ لك جمَلين وتعطينا الغنم؟ قال: حاشا أن يخرج آل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ويعودون فيه، وقد أخبر بذلك جدّك جدك زين العابدين. فتبسّم الشيخ، ودعا له بالبركة، قلت: وقد نظمتُ نسبته وسلسلته في أربعة أبيات، وهي:

أبو الوفا مطر يعقوب بدران	فيوسف ثم بدر سادة كانوا
محمد وبعبد الحافظ انكشفت	عن قلب داود أستار لها ران
وللشهاب الكريدي الذي ظهرت	أسراره بعلي وهو عنوان
وبعده الشيخ تاج الدين سيدنا	أبداله الصرف والعرفان قرآن

وقال بعضهم في السلسلة المذكورة:

ألذ وأحلا من شمول وشمال	وأطيب من ذكرى حبيب ومنزل
مديح رسول الله أفضل من مشى	ومن هو في الأخرى عليه مُعولّي
شفى القلب حار فيه طبيبه	سوى ما يراه من نعيمٍ مؤجّل
ففي كتب الله القديمة نعته	وقد بان في توراة موسى المَبجّل

^١ كذا في الأصل.

وليلة وافى شُقَّ إيوان فارس يش
وفي أربع من عمره حُصَّ صدره
وكان بن خمس والعمام تظله
وفي الخمس أيضاً كان يصبح داهناً
فلما استتم الأربعين أناله
ومن بعده كان الخليفة في الورى
وأجمع من يرضى علي وغيره
ومن منه أولى وهو أول مسلم
وما طلعت شمس النهار ولم تغب
كمثل أبي بكر حديثٌ مجودٌ
ولو كان مختاراً خليلاً لنفسه
ونال بن هوارا به كل بغية
وسائر أصحاب النبي كأنجم
وجابر أنصار النبي فإنه
وجابر هذا قد أفاض علي أبي
وأبدا الي نحو بن حية إشارة
وذو النون أعطاه الكريم كرامة
ولابن سوار في المراتب رفعة
وللتستري القطب سهل منازل
ونال بن هوارا به طاهراً سناً
وهذا عد للشنبيكي مسلكاً
ونال به القطب الشريف أبو الوفا
وفي مطر بدا عجائب سره
وبدران روي منه وارتاد يوسفاً
ومن نجله فرد الزمان محمداً
وداود القطب الكريدي أحمداً
وجات لتاج الدين منهم عناية

ونيرانها كيدت بطفني مُعجَل (ب) (١٣٦)
الشريف بشرح فهو من دَنَسِ خَلِي
إلى أن بدا للراهب المتبتل
صقلاً ولم يدهن ولم يتكحل
الأمين تبعث المنعم المتفضل
أبا بكر الصديق أفضل من ولي
عليه فقد صحت بأصل مؤصل
وأول صديق له متبتل
على أحد بعد النبيين فاقبل
رواه أبو الدرداء عن خير مُرسَل
لكان أبا بكر ومن شك يسأل
وألبسه في النوم ثوباً فما بلي
أضأت فأبدت كل خافٍ ومُشكل
غدا في سنا الآثار بالجد يعتلى
رجاء فأضحى وهو بين الورى علي
فقام مقام الأفضل المتكمل
فأضحى له فضل السباق المحصل
وفي الليل بالتقوى له شاهدٌ جلي
وقد كان في التقوى كثير التجمل
ففاضت به الأنوار وهو بها ملي
فأضحى بأبكار المعارف يختلي
مقاماً على الإيضاح غير مؤول
وأشهد بعقوباً و لم يتقلل
وأبدا لنا بدرأً له الخلق يجتلي
على النجل عبد الحافظ النور ينجلي
أنال ونال القصد من قربه علي
فأضحى عن الأقران طراً بمعزل

الباب الرابع:

في مناقب بعض مريديه

اعلم إننا قدّمنا في الشطر الأول ذكر جماعة من مُريدي السيد أبي الوفا تاج العارفين، (١١٣٧أ) ومريدي مُريديه وخدامه، رحمهم الله ونفع ببركاتهم. وقد أن أن نذكر شيئاً مما يُستحضر من مناقب بعضهم تبركاً وتنبها على عظم قدرهم، وقدر استاذهم، والله الموفق للصواب.

ذكر الشيخ علي بن الهيّتي، رضي الله عنه: رويّا أنه كان من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الخارقة، والأحوال الجليلة، والمقامات السنية، والهمم العلية، والأوصاف الشريفة، والأخلاق الرضية، صاحب الفتح الطالع، والكشف اللامع. وله الدرجات المنيفة في المعارف، والإشارات اللطيفة في الحقائق، والطود الرفيع في المعالي، والمحلّ الأحمّد في القرب، والمنهل الأحلى من الوصل، واليد المبسوطة في التصريف، والباع الرحيب في التمكن.

وهو أحد من ذُكرت عنه القطبية، وهو أحد الأربعة الذين كانت مشايخ العراق يُسمّونهم البررة، على أنهم يُبرؤون الأكمه والأبرص ويحيون الموتى بإذن الله تعالى، وهم الشيخ عبد القادر والشيخ علي بن الهيّتي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعيد القيلوي رضي الله عنهم، فيما أخبرنا به أبو الفرج عبد الحميد بن معالي الصرصرّي قال: أخبرنا الشيخ علي الخباز قال: سمعت العُمريّن الكميّماتي والبزار يقولان: أدركنا أعيان المشايخ الأربعة، وذكرهم بأسمائهم البررة للمعنى المتقدم الذي ذكرناه.

وقال الشيخ أبو الفرج الصرصرّي: كان الشيخ علي البغدادي المعروف بالواعظ - رحمه الله - عند الشيخ علي الخباز، وهو يذكر ذلك، وكان به صمم عظيم، فقال لرجل إلى جانبه: ماذا يقول الشيخ علي الخباز؟ فأعاد عليه ذلك، وأخبره به، فتوجّه وقال: اللهم إني أتوسل اليك بهؤلاء الأربعة أن ترد عليّ سمعي، فأزال الله تعالى صممه في الحال عاجلاً، فعاد يسمع تناجي (١٣٧ب) الرجلين. قال وأنا رأيته اصم، ورأيته يسمع التناجي.

وكانت عنده - رضي الله عنه - الخرقتان اللتان ألبسهما الإمام أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - للشيخ القدوة أبي بكر بن هوارا في نومه، فلما استيقظ وجدتهما عليه، وهما ثوب وطاقية وصلتا إليه من شيخه السيد تاج العارفين أبي الوفا، وإلى السيد تاج العارفين أبي الوفا من الأستاذ أبي محمد الشنكي، وإلى الشيخ أبي محمد الشنكي من الأستاذ القدوة أبي بكر بن هوارا رضي الله عنهم، ثم انتقلت بعده إلى مريده أبي الحسن علي بن ادريس البعقوبي، ومن ثم فقدت فلم يعلم لهما خبر.

وهذا الشيخ علي بن الهيتي هو الذي إياه الخطاب: يا ملكي تصرف في ملكي. وأشتهر عنه أنه مكث ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل، بل ينام بين فقراء السيد تاج العارفين، وهو أحد من أظهر الله تعالى إلى الخلق، وأوقع له عندهم القبول العظيم، وقر صدورهم من هيئته وقلوبهم من محبته، ونطقه بالمغيبات، وخرق له العادات، وأقامه حجة وقدوة.

وكان الشيخ محي الدين عبد القادر - رضي الله عنه - يثني عليه كثيراً بأمور جليلة عظيمة ويعظه، ويحب ذكره، ويرفع شأنه ويقول: كل من دخل بغداد من الأولياء أجمعين من عالم الغيب والشهادة فهو في ضيافتنا، ونحن في ضيافة الشيخ أبي الحسن علي بن الهيتي، خادم السيد تاج العارفين قدس الله سره.

وقال في حقه: انفتق رتق قلب علي بن الهيتي منذ كان عمره سبع سنين، ولم يُعلم أن أحداً من المشايخ الذين عاصروا الشيخ عبد القادر كان أكثر وداً له من الشيخ علي بن الهيتي - رضي الله عنهم - ولم يكن لأحد من مشايخ العراق في عصر الشيخ علي بن الهيتي فتوح أكثر منه، فكانت تأتيه النذور من كل بلد، وكان يرسل إلى مشايخ العراق كلهم في يوم معلوم، حتى سماه بعضهم خازن دار القدرة، ولم يكمل لأحد منهم في كل يوم ديناراً، سوى للشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

وأخبر أبو محمد رجب الداري قال: سمعتُ الشيخ أبا الحسين علياً الخباز قال: سمعتُ الشيخ علياً الجوسقي يقول: قال يوماً بحضوري الشيخ عبد القادر: إن لي في كل طويلة فحلاً لايقاوى! فقال له الشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي: أنا وأصحابي في الخدمة، وكان قد انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في تربية المريدين الصادقين، (١١٣٨) وكشف مشكلات الأحوال ومنازلات الموارد بأعمال نهر الملك وما يليها،

ويخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، مثل الشيخ أبي محمد علي بن ادريس البعقوبي، وتلمذ له جماعة كثيرة من ذوي الاحوال الفاخرة، وانتمى إليه أمة من الخلق. وأجمع المشايخ والعلماء على تبجيله واحترامه. وكان شيخه السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - يثني عليه كثيراً ويقدمه على غيره، وينبئه على فضيلته، وبعث معه طاقية إلى الشيخ جاكير وأمره أن يلبسها، وأقامه مقام نفسه. وقد مدحه الشيخ يحيى الصرصري بأبيات، فرضي الله تعالى عنهم أجمعين، وهي:

عبث ببرد شبابه الفضفاض	غير أحن سواده ببياض
فهمت شأبيب جفنه لما بدا	برق المفارق ساطع الإيماض
أسفاً على عمر مضى مُتَصَرِّمًا	ببطالة لو كان يرجع ماض
فارتاح من مرح الشباب وتيهه	خطماً ونعم الذخير للمعتاض ^١
مستدركا فرطاته متتبعا	كمطالب لغريمه متقاض
كشفت له الدنيا القناع فعافها	زهداً واعرض غاية الإعراض
نهضت عزائمه به نحو العلى	أكرم به من عازم نهاض
حتى انتهت علياء همته الى	بحر العلوم الزاخر الفياض
عذبت مذاقه وردة تألقت	أنواره على أعين الاعراض
أخلاقه ابهى وأحسن منظراً	من صفو ما بين خضر رياض
علم الهدى بحر الافادة معدن الأسـ	رار والقلب المنير الراضي
طوبى لمن علقت حباثل ودّه	لولا هذا العارف المتعاض
يقضي ويصفح لا يجازي من اسا	حليماً ويغمض أحسن الإغماض
وفيه ايضاً :	
لبي واسرع غاية الإسراع	لما دعي للمجد أصدق داع
فطوى مراتبه بأقدام المنى	والصدق لا بالمنص والإيضاع
ما صدّه عن قربه تيه ولا	ثنت الزخارف قلبه بخداع
جمعت له غرر المقامات العلى	همم له محمودة ومساع
لما تفرّد بالتقى في عصره	عقدت عليه مسائل الإجماع

^١ - خطماً: قهراً، أو ألحق به عاراً.

أضحى ربيعاً للقلوب وسنة	للمقتفي ومعونة للساعي (١٣٨ب)
تبع الورى بدلالة مَرَضِيَّة	أكرم بها من مُرشد نَفَّاع
هو عُمدَةُ السُّلاك والغوث الذي	يحمى به والذخر للأتباع
عدم الموارد والمصادر عنده	مستودع الأسرار غير مُداع
حَسُنَتْ خلائقه وطاب سناؤه	طول الحياة وعند نعي الناعي

وكان له كلامٌ عال نفيس على لسان المحققين منه :

الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما حصل التعريف، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة، والشريعة وجود الافعال لله عز وجل، والقيام بشروط العلم بواسطة الرُّسل، والحقيقة شهود الاحوال بالله تعالى، والاستسلام لغلبات الحكم بتقرير لا بواسطة.

ومنه: ما دام التمييز باقياً كان التكليف متوجهاً، وعلامة صحة الحال أن يكون صاحبه محفوظاً في أحوال غلبته كما كان في أوقات صحوه، والباقي بربِّه تعالى، هو من يحقق بحقوقه، ويمحض في دوام شهوده. والأحوال كالبروق ولا يمكن استجلابها إذا لم تكن، ولا استيفاؤها اذا حصلت، إلا أن تجعل بعض الاحوال غيراً لأحد فيرتبَّه الحق فيه فيصير وطناً له ومثوى.

ومنه: الحق وراء ما أدركه الخلق بأفهامهم، او أحاطوا بعلومهم، واشرفوا عليه بمعارفهم، وكل من كوشف بالحقيقة، او شاهد الحق، أو مُصْطلم غتغ بسُلطان الحقيقة، أو متجلى به الحق بجلال الحق، او اختطف عن شاهده بوجود الحق، او استهلك في غير الجمع أو ليس يشهد شيئاً سوى الحق أو يحسن إلا الحق، او هو محو في حق الحق، إلى اخر ما عبَّر عنه مُعَبِّر، أو أشار إليه مشير، وانتهى علماً إليه علم، فإنما هي شواهد الحق، وحق من الحق، وكلما بدّل على الخلق، فذاك مما يليق بالخلق، وهو من حيثُ الخلق، وجميع منا تحقق بوصفه خلق فهي أحوال، والأحوال من صفات أهل المعرفة، ولا سبيل لمخلوق إلى الأحوال، والتنقي عن الأحوال، حالة من جملة الأحوال، والتوفيق فوق المعارف، وكان يتمثل بهذه الابيات:

إن رحّتْ أطلبه لا ينقضي سَفْري	او جنّتْ أحضره أوحشتُ في الحفرِ
فما أراه ولاينفك عن نظري	وفي ضميري ولا ألقاه في عمرِ
فليتني غبتُ عن جسمي برويته	وعن فؤادي وسمعي وعن بَصْري (١٣٩أ)

ومما أنشد فيه مُريد مُريدَه الشيخ يحيى الصرصري:

مقامُ العُلا صعبٌ عزيزُ مرامه	حرامٌ على غير الشجاع استلامه
سبي الذابلات السُّمر دون قتابه	وبالمرهقات البيض تحمي خيامه
فهل خاطب بكر العوالي مغماس	يَهونُ عليه في الوصال حمامه
أخو زُحلٍ نجم السما سميره	ومؤنسه عقر الفلا ونعامه
يُلاث على حُسن العفاف إزاره	وعن شاهد البشرى يُماط لثامه
يطيب مع السفر الكرام ثناؤه	ويُحمد في الحَي الحلول مقامه
له الصبرُ درعٌ في نوازل دهره	وهُمَّته في الحادثات حسامه
فلم ينبُ في الهيجا بضرب سيفه	كلا ولو طاشت بمرمى سهامه
يداه مداد للوفودٍ وعرضه	يصون ولم يخفر لجار ذمامه
ويُسفر بشراً وجهه لِعَفاته	إذا اغبرَّ من جدبٍ واقتَر عامه
هو العارف القطب الفريد الذي به	إذا ما دجى خطبٌ تجلَى ظلامه
أبو الحسن الهيتمي خادم شيخنا	وصاحبه المأمون ثم غلامه
إذا كان في وقت فذلك عنيته	يُعظمه في كل عصر كرامه
نحاً الزهر الحسان فما التوى	إلى البدع الشنعا يوماً زمامه
واني ينال الزيغ قلبٌ دليله	أمين المقفى والكتاب أمامه
علا قدره إن كان من أمة الرضا	أبي القاسم الشافي الصدوق كلامه
فيا ملك الأسماء انت مؤكلاً	بقبر شريف ضاع طيباً رُغامه
تُبَلِّغه التسليم مني فلا عدا	حماك من الله العظيم سلامه
وقل يا رسول الله يا أشرف الورى	أبو أحمد الداري زاد غرامه
فسل ربك الرحمن إيصاله إلى	حماك ليروي بالدنو أوامه
وسل ربك النصر العزيز لامة	تَكَنَّفها وقت شديد عَرامه
فليس لها جار سواك ومن يعد	بجاهك لم يرهب مساً بأيامه
فأنت إلى الرحمن أنجح شافعٍ	وجاهك باقٍ ليس يخشى انصرامه
عليك من الله السلام ولا عدا	حمال فرادى فضله وتوأمه

قالوا : وأول أمر الشيخ أبي الحسن علي بن الهيتمي - رضي الله عنه - وصحبته للسيد الامام تاج العارفين، أن السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - كان

يوماً جالساً وأصحابه خلفه وأمامه وحوله، إذ نظر إليهم، وقال: يا قوم! إن طائراً جليلاً عظيم (١٣٩ب) القدر قد لاح صيده، فقوموا بنا لنصيده قبل أن نُسبِقَ إليه، ثم بادر إلى القيام، وتبعه غالب أهل المجلس، وخرج بهم من قوسان إلى دورة بغداد، مكان معروف مسافة خمسة ايام، فلما انتهى إلى هناك، وإذا بابن الهيتي وهو يومئذ شاب وصحبه حمل جمل بطيخ، وهو ملاقيهم ذاهباً في الطريق، فلما رأى السيد تاج العارفين ألقى الحمل جميعه، وترامى على أقدام السيد، ثم أشار إلى القوم أن كلوا ما شئتم من هذا البطيخ، فأبى القوم لمكان صباه وغربته ومصادفته بالطريق، وقالوا: لا نأكل لهذا الشاب شيئاً.

فقال السيد: يا قوم! إن هذا البطيخ وصاحبه لنا، فمن شاء أن يأكل فليأكل، ولا يتوقف أحد، فأكل القوم ما بدا لهم، واستصحب السيد ابن الهيتي صُحبته، وعاد من هناك به إلى قوسان، ولم يتقدم خطوة بعد لقائه إلى جهة بغداد، فقال له بعض القوم: يا سيدي! قد وصلت إلى هنا ونعود ولم تدخل بنا بغداد. فقال: إنما قصدي هذا وقد حصل، ولأجله خرجت، وهو الطير الذي أشرت اليكم بالسفر من أجله خوفاً أن أسبق إليه. ثم لما عاد السيد به إلى قوسان تولى مصالح الشيخ علي بن الهيتي بنفسه الكريمة، وأخبره بكرامات خارقات تحدث على يده، وعجائب أحوال وأمور عظيمة، وكان مما قاله: يا أبا الحسن! إنك ستغتسل من عارض جنابة في ليلة واحدة أربعين مرة، فاتفق له أن قام في ليلة شتائه في إيوان كسري يتعبد من أول الليل، وذلك بعد وفاة السيد بمدة، ففي أثناء قيامه جلس مراقباً فسرقته عينه فاجتنب، فبادر إلى دجلة واغتسل، ثم عاد، فاتفق له كالأول، فبادر إلى دجلة واغتسل، ثم عاد إلى عبادة ربّه، فاتفق له كذلك فعاد إلى دجلة واغتسل، ولم يزل مرة بعد مرة إلى أن أكمل الأربعين، فذكر قول السيد، وحمد الله تعالى، وقال الحمد لله الذي كان كذلك، ولم يكن على غير هذه الصفة شيء من كراماته رضي الله عنه.

^١ - هذه أول إشارة إلى منطقة (الدورة) الكائنة في جنوبي بغداد، وواضح أنها سميت بهذا الاسم نسبة لشكل نهر دجلة الدائر حولها في شبه جزيرة هناك، وهي أرض زراعية واسعة، من معالمها اليوم مصفى النفط الذي يحمل اسمها، وقد قسمت تدريجياً إلى أحياء سكنية، فاكتظت بالسكان والمنشآت التجارية المختلفة.

أخبرنا أبو الحسن بن نُجَيْم الحوراني، وأبو حفص عمر بن مزاحم الزيدي، قالوا: سمعنا الشيخ علي بن إدريس البعقوبي، وأخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي قال: سمعتُ الشيخ العارف أبا حفص عمر الزيدي قالوا: سمعنا الشيخ علي بن الهيثي يقول: (١٤٠أ) لو دَبَّتْ نَمْلَةٌ دَبًّا عَلَى صَخْرَةٍ صَمَاءَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ، مِنْ خَلْفِ جَبَلٍ قَافٍ، وَلَمْ يَعْلَمْنِي بِهَا رَبِّي مِنْهُ الْيَّ بِلَا وَاسِطَةٍ وَيُطْلَعَنِي عَلَيْهَا عَيَانًا، لَتَفْطَرْتُ مَرَارَتِي.

قالوا: وركب دابته مرة، وأتى إلى بلدة من أعمال نهر الملك، ونزل على بعض أهلها، فاحتفل به الرجل احتفالاً عظيماً، فقال له الشيخ: إذبح هذه الدجاجة، وهذه، وأشار إلى دجاج بين يديه، فذبحها ذلك الرجل وأمر بطبخها له، فلما شُفَّتْ بين يديَّ الشيخ علي بن الهيثي، خرج من بطونها حَبَاتُ زَهَبٍ، فبهت الرجل، وكانت لأخته عشرون ذهب، فانصرمت من حيث لم تشعر، والتقطها الدجاج، وفقدت، وأساء الظن بها أهلها من أجل ذلك، وهموا بقتلها تلك الليلة، فقال الشيخ: إن شاء الله تعالى وله الحمد، أطلعني على أمر أختكم هذه، وعلى ما في نفوسكم، وعلى ما في بطون هذه الدجاج، وإنني استأذنت ربي تبارك وتعالى في أن اكشف لكم هذه القضية، وانقذكم من هذه الهلكة، فأذن لي. قال: وسرنا معه مرة أخرى في قرى نهر الملك، فوجدنا أهل قريتين قد شهروا سيوفهم وتوجهوا للقتال، وبينهم قتيل مطروح، وكلُّ من الفريقين قد اتَّهم بقتله، فجاء الشيخ أبو الحسن إلى ذلك القتيل، ووقف عند رأسه، وأخذ بناصيته، وقال: يا عبد الله أخبرني من قتلك باذن الله؟ فاستوى القتيل حالاً وفتح عينيه، ونظر إلى الشيخ، وقال بلسان فصيح سمعه كل من في الحي: قاتلي فلان بن فلان! ثم طفا ميتاً كما كان أول مرة.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن علي النطفي قال: أخبرنا الشيخ علي بن سليمان الخباز قال: سمعتُ الشيخ أبا الحسن الجوسقي يقول: حَضَرْتُ سَمَاعاً مَعَ سَيِّدِي الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ الْهَيْثِيِّ بِزُرَيْرَانَ، وَكَانَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَشَائِخِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ

^١ - بلدة سيذكر المؤلف أنها من أعمال نهر الملك، وكانت تقع في الضفة المقابلة للمدائن، في جنوب بغداد. قال ياقوت: قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ على جادة الحاج إذا أرادوا الكوفة من بغداد (معجم البلدان، ٣/ ١٤٠). ووصفها بن جبير بقوله أنها "أحسن قرى الأرض، وأجملها منظراً، وأفسحها مساحة، وأوسعها اختطاطاً، وأكثرها بساتين ورياحين، وحدائق نخيل، وكان بها سوق تقصر عنه أسواق المدن". وقال "ومن شرف هذه القرية أيضاً أن يازائها، لجهة الشرقية منها، إيوان كسرى".

والفقراء، فلما أخذ الشيخ والفقراء بحظهم من السَّماع أنكر عليهم الفقهاء ببواطنهم، فقام الشيخ علي بن الهيثي وطاف عليهم، وكان كل قائل منهم رجلاً نظر اليه، ففقد جميع ما في صدره من العلم والقرآن حتى أتى على آخرهم، وانصرفوا ومكثوا كذلك شهراً، ثم أتوا كلهم اليه، وقبّلوا رجليه، واستغفروا له. قال: فأمرني، فمددت لهم سماطاً (١٤٠ب)، فأكلوا، وأكل الشيخ معهم لُقمة، فوجد كل منهم ما فقده، مع تلقيم الشيخ له تلك اللقمة، وانصرفوا مسرورين.

قال: ورأيت يوماً، من حيث لم يشعر في ظني، جالساً تحت نخلة من قراح^١، فرايت النخلة قد امتلأت عراجين تمر، وتدلت حتى دنت منه، وجعل يتناول من التمر ويأكل، ووالله ما في العراق ثمرة على نخلة ولا هو أوان حمل النخل، ثم انصرف وجئت على إثره إلى مكانه، فوجدت ثمرة فأكلتها، ووالله ما أكلت ثمرة من تمرات الدنيا يشبه طعمها.

قال: ورأيت يوماً على شفير بئر يستقي منها دلوً ليتوضأ، فطلع له في الدلو ذهبٌ، فقال: يارب! أريد ماء أتوضأ. ثم أفرغ الدلو في البئر واستقى ثانية، فطلع في الدلو فواكه، فقال: يارب! أنت أعلم إنما أريد ماء أتوضأ، ثم أفرغ الدلو في البئر، واستقى الثالثة فطلع له في الدلو ماء فتوضأ، ثم أكب رأسه في رأس البئر، فطلع الماء إلى رأسها حتى شرب، وكانت بعيدة الرشا.

أخبرنا أبو محمد رجب الداري قال: سمعتُ الشيخ العارف أبا محمد مسعود الخادمي يقول: كان لشيخنا علي بن الهيثي امرأة تخدمه اسمها ريحانة، وتلقب بسبت البهاء، فمرضت مرضها الذي ماتت فيه، وقالت للشيخ علي بن الهيثي: يا سيدي اشتهي رطباً، ولم يكن في ذلك الوقت بزيران رطب.

وكان بقطيعنا رجلٌ صالح اسمه عبد السلام بن عبد الله القطفتي، وكانت له نخل رطب تأخر عنده من رطبهن، فحول الشيخ علي وجهه إلى قطغينيا ووجهتها،

^١ - القراح الارض المنخفضة كثيرة المياه.

^٢ - كذا كتبها هنا، وبعد سطرين كتبها (قطغينيا). والراجح عندنا أنها قطفتا، بدلالة نسبة عبد السلام القطفتي إليها كما سيلي، وهي محلة من محال الجانب الغربي من بغداد. قال ياقوت "هي محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربي من بغداد، مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي بينها وبين دجلة أقل من ميل، وهي مشرفة على نهر عيسى، إلا أن العمارة بها متصلة إلى دجلة، بينهما القرية محلة معروفة"، ويوافق محلها اليوم الأرض المحدودة بين مقبرة معروف ومحلة السيف

وقال: يا عبد السلام، احمل إلى ريحانة رُطْباً من رُطْبِكَ. فاسمع الله تعالى عبد السلام صوت الشيخ فأخذ الرُطْبَ وسافر إلى زبيران وقدم بين يديها الرطب، فأكلت منه والشيخ بن الهيتي عندها، فقال لها عبد السلام: يا سيدة بين يديك ما هو أطيب من هذا! فقالت: يا عبد السلام أكون خادمة الشيخ علي بن الهيتي ويفوتني شيء من الدنيا أو الآخرة؟ اذهب فلتتنصرنَّ ثم ماتت. وذهب عبد السلام يطلب بغداد، فرأى في طريقه نُسوة نصارى فافتتن بإحداهن، وسألها أن تتزوج فأبت إلا أن يتنصرا، ففعل وأقام عندها في بلدها مدة، وولدت له ثلاثة أولاد، ومَرَضَ مَرَضَةً شديدة أشرف فيها على الموت، فقيل للشيخ علي بن الهيتي في ذلك، فقال: إني قد غضبتُ لغضب ريحانة، وقد رَضِيَتْ فَأَتُونِي بَعْدَ السَّلَامِ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يُحْشَرَ عَبْدُ السَّلَامِ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. وقال الشيخ علي بن الهيتي للشيخ عمر البزار، وكان عنده زائر في ذلك الوقت، اذهب إلى قرية كذا، وادخل على عبد السلام وصَبَّ عليه جِرَّةً من ماءٍ، وأتني به، فذهب الشيخ عمر إليه فوجده مدنفاً بالمرض، فصَبَّ عليه جِرَّةً من ماءٍ، فقام وأسلم، وأسلمت زوجته وأولاده وجميع من في داره، وشفى من مرضه في الحال، واتوا كلهم إلى الشيخ علي بن الهيتي، ورجع إلى عبد السلام كلُّ ما كان مشتملاً عليه من الخيرات.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي، قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر، قال: سمعنا المشايخ الأجلاء أبا محمد علي بن ادريس، وأبا الحسن الجوسقي، وأبا حفص عمر الزيدي يقولون: كان شيخنا الشيخ علي بن الهيتي يخرج من زبيران لزيارة الشيخ عبدالقادر في رجلين من أصحابه، فإذا دنا إلى بغداد أمر أصحابه أن يغتسلوا في دجلة، وربما اغتسل معهم، ويقول: نظفوا قلوبكم، واحفظوا خواطركم، فإنا نريد أن ندخل على قطب، فإذا دخل بن الهيتي بغداد تلقاه الناس وهرعوا إليه، فيقول لهم: عليّ بالشيخ عبد القادر، فإذا وصل إلى باب مدرسته يناديه عبد القادر: اليّ اليّ! ويتلقاه ويجلسه إلى جانبه ويقول له: يا شيخ علي أنت شحنة العراق^١؟ فيقول له: وأنت سلطان لوائه.

من محلات الكرخ الحالية. كتاب الحوادث المنسوبة لابن الفوطي، بتحقيقنا بالمشاركة، هامش ص ١٤٦.

^١ - الشحنة: الوالي أو رئيس الشرطة.

وقال، وكان يوماً بزريران، وصاحب الديوان بين يديه، وخلق كثير، فأتاه شيخ، وسارَه في أذنه ثم انصرف، فقال الشيخ علي للأولياء في هذا الوقت: أرسل الي الخضر يطلب مني ثورين لحمامه^١، وأنا أحب ان أجهز بهما.

أخبرنا ابو حفص عمر بن مزاحم الدنيسري قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن الخفاف البغدادي قال: سمعت أبا المسعود بن أبي بكر الحرّيمي العطار^٢ قال: جاء الشيخ علي بن الهيتي - رضي الله عنه - مرة إلى الشيخ عبد القادر، فوجده نائماً، فأردنا أن نوقظه فمنعنا الشيخ علي، ثم قال: والله أشهد (١٤١ب) عند الله أن ما في الحواريين مثله، فلما استيقظ قال: أنا محمدي والحواريون عيسويون! ثم تكلم الشيخ عبد القادر بكلام عظيم، فأعجب الشيخ علياً اعجاباً عظيماً.

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ أبو عبد الله محمد المقدسي قال: أخبرنا القاسم هبة الله بن عبد الله المنصوري قال: سمعتُ الشيخ أبا عمرو عثمان الصريفي يقول: قصد سلطان العجم مرةً بغداد بجيشٍ عَرمَ عظيم، وعجز الخليفة يومئذ عن مبارزته، وظن زوال مُلكه، فجاء للشيخ عبد القادر يستغيث به في ذلك، فوجد الشيخ علي بن الهيتي وقال: يا أبا الحسن! انظر في ذلك، فقال: إن شاء الله تعالى. ثم نظر الشيخ علي بن الهيتي إلى خادم من خدامه وقال له: اذهب إلى جيش العجم وامتر^٣ فيه إلى آخره، فإنك ستجد إذا انتهيت إلى آخره، مئزراً^٤ مرفوعاً على عصا كالخيمة، وتحتة ثلاثة أنفس سلم عليهم، فإذا ردوا عليك السلام قل لهم: يقول لكم علي بن القيسي ارحلوا عن بغداد واذهبوا من حيث جئتم، فان قالوا لك: إنا لم نأت إليها إلا بإذن، فقل لهم: وأنا لم آت اليكم إلا بإذن، فانصرف خادم الشيخ علي بن الهيتي إلى العجم، فوجدهم لا أول لهم ولا آخر في كثرة عظيمة، ولم يزل يخوض فيهم حتى وجد المئزر المنسوب، والثلاثة أنفار الذين وصفهم له الشيخ علي بن الهيتي، فسلم عليهم وأبلغهم ما قاله الشيخ علي بن الهيتي، فقالوا: إنا لم نأت إلا بأمر، فقال لهم الخادم: وأنا لم أتكلم إلا بأمر! فعند ذلك مدّ أحدهم يده إلى تلك

^١ - لم نفهم علاقة الثورين بالحمام، إلا أن يكونا لغرض رفع المياه بواسطة كرد على النهر إلى ذلك الحمام.

^٢ - في التادفي: قلائد الجواهر، ص ٢٠ ابوالسعود العطار.

^٣ - المئزر: خرقة تلف على وسط الإنسان لستر عورته. ويستعملها المؤلف هنا بمعنى الراية.

^٤ - متر الشيء: قطعه.

العصا، وطوى الآخر المنزر وانصرف الثلاثة نحو بلاد العجم، فأقسم بالله، أنهم لم يمشوا خطوات حتى رأيتُ جيش العجم عن آخرهم قد ألقوا خيامهم وضجوا ضجة واحدة وتبعوهم. فرضى الله عنهم أجمعين.

سكن - رضي الله عنه - زُريران، بلدة من أعمال نهر الملك، وتوطنها إلى أن مات بها في سنة أربع وستين وخمسائة - ١١٦٨م - وقد علت سنه علي مائة وعشرين سنة، وبها دفن، وقبره بها ظاهر يزار^١.

وكان - رضي الله عنه - بهياً وسيماً ظريفاً جميلاً، يلبس ثياب أهل السواد، وقد حوى مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وأجل المناقب. وكان من أكرم الناس نفساً، وأكثرهم عطاءً ويساراً، ومآثره مشهورة. وكان أصحاب السيد تاج العارفين يُعظمون أمره، (١٤٢أ) ويذكرون عنه في سلوك هذا القدم، واقتفاء هذا المنهاج، أمراً عظيماً. وزريران، بزاي وبعدها راء مهملته مكسورة وياء آخر الحروف، وبعدها راء مهملته مكسورة، وألف ونون، على وزن فقيران.

ومرض الشيخ علي بن الهيبي - رضي الله عنه - مرضاً شديداً، فعاده رجال ذلك الوقت، الشيخ عبد القادر، والشيخ عبد الرحمن الطسفونجي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ ماجد، والشيخ علي بن الجوسقي واقفاً بين يدي شيخه، فنظر الشيخ علي بن الهيبي إلى خادمه الشيخ علي الجوسقي، وأشار إليه أن اصنع بين يدي القوم شيئاً مما يؤكل، لئلا يفترقون الا عن ذواق، فمد بن الجوسقي سِماطاً، ثم أحضر ما تيسر من الخبز، وأراد وضعه، ثم وقف متفكراً والخبز في يده، لا يدري بمن يبدأ في وضع الخبز بين يديه، إجلالاً لهم جميعاً، وخشية من تضييع الأدب، حيث لزم من مصطلح القوم أن يبدأ بأجلهم مقداراً، والجميع أجراء عظاماً، أنه نثر الخبز نثراً، فبادر كل رغيف إلى أن استقر بين يدي شيخ منهم، من غير أن يسبق رغيفاً رغيفاً.

ثم أشار إلى الأصح^٢ فتقدمت جملة من غير أن يسبق صحنٌ صحناً، فعجب القوم من قوة حال هذا الخادم. ونظر الشيخ عبد القادر إلى الشيخ أبي الحسن على

^١ - قال ياقوت في وصف قبره "بها قبر الشيخ الصالح الزاهد العابد علي بن أبي نصر الهيبي، وعليه قبة عالية تزار ويُندَر لها، وله الكرامات، وكانت وفاته في سنة ٥٦٤هـ، معجم البلدان، ٣/ ١٤٠.

^٢ - جمع صحن.

بن الهيتي وقال له: جزاك عن حسن تربيتك خيراً، ولنعم الخادم خادم يمد السُّفرة في مثل هذه الحضرة بالحال. فقال له الشيخ علي بن الهيتي: قد وهبتك هذا الخادم يا سيدي! فلما سمع أبو الحسن الجوسقي ذلك اعتزل إلى زاوية يبكي ويشتد، فلما نظر إليه الشيخ عبد القادر وعلم ما يريد، قال للشيخ الهيتي يا أبا الحسن، إن خادمك بن الجوسقي يحب أن لا يُفارق الثدي الذي تربى عليه، وقد أعدناه اليك برضا، ففرح بن الجوسقي بذلك، ثم قبّل يده ولزم خدمة سيده الشيخ علي بن الهيتي إلى أن مات رحمهم الله تعالى ورضي عنهم اجمعين، ومدّحه الصرصري أيضاً، هو وسلمان وحذيفة بن اليمان في أبيات^١، فقال: (١٤٢ب)

سلمان يا كعبة العراق ويا من	كان بالفضل سابق الفرس
وأنت بالله يا حذيفة بالسر	المصون المحفوظ من لبس
كن شافعاً عند ذي المعارج إن	تعمر منا القلوب بالأنس
وانت يا بن الهيتي يا واضح السر	وضوحاً أسنى من الشمس
سل ربك الواحد المهيمن أن	يعيدنا من غوائل النفس

وأُنشد أيضاً قصيداً مديحاً من جملتها:

تبارك ربنا هادي الحيارى	إلى قصد السبيل وعزّ جارا
ومن بأحمد الهادي علينا	فساد لنا بملته منارا
محمد المصطفى من قريش	به أريت على العرب افتخارا
له وجهٌ يفوق البدر ليلاً	وشمس الصحو إن طلعت نهارا
كساه الله رب العرش نوراً	وغشاه السكينة والوقارا
نبي خير من صلى وزكى	وصام وخير من أعطى النصارا
وأكرم مُرسِل لبي بحج	وأفضل من سعى ورمى الجمارا
وأُمته فإن الفضل باق	بها ما عاقب الليل النهارا
يكون على المدى فيها رجال	حماء إن طغى خطبٌ وصارا
إذا ما مات شخصٌ قام شخصٌ	إلى أن يعكس الشمس المحارا
رأيتُ بمقلتي منهم رجالاً	ثناؤهمو قد انتشر انتشارا

^١ - يقصد الصحابي الجليل سلمان الفارسي، وقبره مشهور في المدائن، وفيها أيضاً قبر الصحابي الكريم حذيفة بن اليمان، ووجه مدحهما هنا أن قبريهما كانا يقابلان زيربان من الناحية الأخرى من دجلة.

تضوع نشرتهم في كل قطرٍ	يفوق ريحه مسكاً وغارا
فمنهم نجل ادريس عليّ	سما بالحال واشتهر اشتها
وكان بوقته علماً رفيعاً	ونوراً من نحاء فلن يُجارا
وذو العمر المبارك كان لاقى	رجالاً في سياحته كبارا
رَضُوا بالعارف الهيتي شيخاً	عليهم كآثر معنا داوارا
ومن يكن الفتى الهيتي رداءً	له في الحادثات فلن يُضارا
إذ ما أمه الزوار يوماً	وحلوا ربعة حمدوا المزارا
ذكرتُ مشايخي ولهم شيوخُ	رأيتُ ثنوا على النظم اختصاراً ^١
أحبُّهم وأهوى كل شيخٍ	حمى إن جيشَ حادثة أغارا
لقد ربحتُ تجارة من تلاهم	وأصبح كسبُ شائهم خسارة
فأحمد ذا الجلال كما هداني	بحبهم وبارك لي وخارا
وصلى الله مولانا على من	به الإسلام شرفٌ مُستناراً(١٤٣أ)
رسول الله والأصحاب طراً	صلاة ما بدا نجمٌ وغارا

- ذكر الشيخ القدوة عبد الرحمن الطفسونجي^٢، رضي الله عنه :

روينا أنه كان من أكابر مشايخ العراق وأعيان العارفين، وصدور المقرّبين، صاحب الأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والمقامات العليّة، والأفعال الخارقة، والمعارف الجليلة. والحقائق السنية. له الكشف الجلي، والتصريف النافذ، والبسطة العظيمة في أحكام الولاية، والتمكن المكين في الحول، والنهاية والدرجات الرفيعة في القرب والتمكين، والطور العلي في المقامات، وهو أحد أوتاد هذه الطريقة، وأعلام العلماء بها، وأئمة ساداتها المحققين، ورؤسائها المفتيين، وهو أحد من أظهر الله

^١ - ثنى الشيء ثنياً: عطفه ورد بعضه على بعض.

^٢ - ضبط اسم طفسونج في الهامش بقوله : بالطاء والسين المهملتين، بينهما فاء ساكنة، وبعد الواو نون وحيم، وسيكتبها هكذا فيما يلي من النص، والذي في معجم البلدان لياقوت: ضبطها طفسونج، بتأخير الفاء، وقال: قرية كبيرة في شرقي دجلة مقابل النعمانية بين بغداد وواسط وبها آثار خراب قديم، قال حمزة: وأصلها طوسفون فعربت على طيسفون وطيسفونج، والعامّة لا يأتون إلا طفسونج، بغير ياء، وقد نسب إليها قوم، وزعم أنها إحدى مدائن الأكاسرة. وقد أبقينا على الاسم على ما ضبطه المؤلف.

تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وقَلَب له الأعيان، ونطقه بالمُغيبات، وأوقع له القبول العظيم في القلوب، والهَيبة التامة في الصدور. وهو الذي قال: أنا من الأولياء كالركي بين الطيور، أطولهم عُقْناً، وهو الذي قال: أيما مرید لي كانت على عنقه كارة فليضعها على بابي.

ورأى بعض الصالحين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام، فسأله عنه، فقال: عبد الرحمن من المتكلمين في الحضرة القدسية. وكان الشيخ عبد القادر يثني عليه كثيراً، ويرفع شأنه عظيماً، ويوصي على تعظيمه واحترامه. وقال في حقه الشيخ عبد الرحمن: جبلٌ راسخٌ لا يتحرك.

وكان فقيهاً فاضلاً فصيحاً، ظريفاً شيخاً كريماً، معرافاً زاهداً محققاً. وكان يتكلم بطسفونج في علم الشريعة والحقيقة على كرسي عال، ويحضره المشايخ الاجلاء والأكابر، ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، حتى انتهت إليه تربية المریدين الصادقين بطسفونج وما يليها من الأعمال، وتخرج بصحبة غير واحد من الأعيان، وتلمذ له جماعة من أصحاب الكرامات، وانتمى إليه عددٌ كثيرٌ عظيم من الخلق. وأشار أكابر المشايخ والعلماء له بالتعظيم والتبجيل، وقصد بالزيارات من كل مصر، وكان يتكلم بلسان المعارف والتحقيق كلاماً جليلاً، منه:

المراقبة لعبد أحبَّ الحق بالحق، وتابع المصطفى صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأخلاقه وأدبه، والله عز وجل قد خصَّ أحبائه وخاصته بأن لا يكلمهم (١٤٣ب) في شيء من أحوالهم إلى نفوسهم، ولا إلى غيرهم، فهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها. والمراقبة تقتضي حال القرب، والله عز وجل أقرب القلوب إليه بما هو قريب منها، فهو يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده، فانظر بماذا يقرب من قلبك، وحال القرب بمقتضى حال المحبة، وهي تتولد من نظر القرب إلى الله عز وجل وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته. فطوباً لمن شرب كأساً من محبته، وذاق نعيماً من مناجاته، فامتلاً قلبه حباً، فطار بالله سبحانه طرباً، وهام إليه اشتياقاً، فما له من رامق أنس بربه، وكلف دنف بحبه، ليس له سکن ولا مألوف سواه، فهو مُحِبٌ خَرَجَ من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة، من حيث كان له المحبوب في الغيب، ولم يكن هو بالمحبة، فإذا

^١ - في الأصل: فأقرب ولا وجه لها.

خرج المحب إلى هذه النسمة كان مُحباً بلا علة، والمحبّة تقتضي الذكر، فلا يزال المحب يذكر ربّه عز وجل، ويدخل الخلل في ذكره لنفسه، حتى يصير الغالب عليه ذكر ربه عز وجل، فيُقال اندرَج في رؤية مذكورة، ويقال: فني عن نفسه، ويقال: بقي بربه، ويقال: فني عن فنائه، أي عقل عن ذكر عقلته عن نفسه باستيلاء ذكر ربه عليه، وصار ليس يشهد غيره، وها هنا يكون مُصطلحاً عن شاهده، مختطفاً عن نفسه، ممحواً عن جملته، فانياً عن كله. وما دام هذا الوصف باقياً فلا تميز ولا إخلاص ولا صدق، وهذه جمعُ الجمع، وعين الوجود، وهذا هو الوصول الذي يرد إلى أحوال التميز والتكليف، فتحجب عن هذا الوصف بنوع ليقوم بحق الشرع، والمغالط ها هنا كثيرة، والمحفوظ من رجع إلى أداء أحكام الشريعة.

ومنه: مَنْ اشتغل بطلب الدنيا ابتلى بالذل فيها. وَمَنْ تعامى عن نقائص نفسه طغى. ومن تزين بزائل فهو مغرور. وأنفع العلوم العلم بأحكام العبودية، وأرفع العلم معرفة التوحيد، ولا يضر مع التوحيد بطاله إذا قام بالواجبات والسُنن، ولا ينتج مع الكبر عمل مندوب ولا مستحب، وإن أقامك ثبت، وإن قمت بنفسك سقطت، وكان يتمثل بهذه الأبيات الثلاثة:

حاضرٌ في القلب يُعمرهُ لستُ انساها فأذكرهُ (١٤٤أ)
 إن يصلني كنتُ في دعةٍ أو جفاني ما أغيرهُ
 فهو مولاي أدل به وكما أرجوه أحذرهُ

وروي عنه أنه عمل سماعاً برباطه بطسفونج، فأنشد القوال هذه الأبيات التي ذكرناها فطاب الحاضرون وغمرهم الوجد، ودخلت عليهم الأسد واختلطت بهم، ومات منهم رجل. أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي القرشي الأزجي قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الخليل ابن السيد الجليل أبا العباس أحمد بن علي الصرصري قال: سمعتُ أبي يقول: كان الشيخ عبد الرحمن الطسفونجي من أجلاء مشايخ العراق، وكان مبارك اليد، فما أمرها (على) سقيم إلا عوفي، ولا أكمه إلا أبصر، ولا مقعد إلا مشى. وكان مُجاب الدعوة، فما دعا بأمر إلا انفع. وشهدته مرة وقد أتاه رجل من أصحابه وقال لي: يا سيدي! إن لي نخلاتٌ لا تثمر منذ إحدى عشر سنة، وبقرات لا تنتج منذ ثلاثين سنة، فادع الله فيهن بالبركة، فدعا له بالبركة، فأخرجت نخلاته التمر من عامه ذلك، وكانت من

أفخر تمر العراق وأكثرها خراجاً، ونتاجت بقراته في شهره ذلك، حتى كان من أكثر الناس ماشية ودرّاً، وكان نافذ التصريف، ظاهر الفعل، عظيم الهيبة. وكنت عنده بطسفونج يوماً، فقبل له أن فلاناً، وسمي له أحد مريديه ببلدة أخرى، يقول إنه أعطي مثل ما أعطاني، ثم قال: سأرميه بسهم، وأطرق ساعة ثم قال: رميت بسهم فتلقاه، ثم أطرق ساعة وقال: قد رميته بسهم آخر فتلقاه، ثم قال: سأرميه بثالث، فإن تلقاه فقد أوتي مثل ما أوتيت، وأطرق ساعة ثم قال: رميته بسهم فمات! فأسرعوا إليه فوجدوه ميتاً في بلده، في داره، وأنا ممن صلى عليه.

قال: وسمع يوماً رجلاً يترنم بالشعر، والمؤذن يؤذن، فأمره بالسكوت فلم يسكت، ثم قال له: اسكت فلا تتكلم حتى أمرك، فأخرس الرجل، ولم يستطع نطقاً، ومكث كذلك ثلاثة أيام، حتى جاء الشخص واستغفر له، فقال: اذهب فتوضأ (١٤٤ب) ففعل، فتكلم.

قال: وحكى لي بعض أصحابنا الصُّلحاء أنه كان يوماً بين يديه، وبيده مَكْحَلَةُ الكُحْلِ منها بمرودٍ واحد، فسألته أن يكحلني بيده، ففعل، فكشف لي عن أمور جلييلة بمرود واحد، ونظرت من الفرش إلى العرس^١.

أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن سلمان الأنصاري الواسطي قال: أخبرنا أبو نصر صالح بن أبي المعالي بن أحمد الأنصاري الطسفونجي قال: سمعتُ أبي يقول: كان شيخنا الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي كثير الإخبار بالمغيبات، وكان لا يُخبر بشيء إلا وَقَعَ كما أخبر على ما وصف، ولو بعد أربعين سنة. وكان يُخبر أصحابه بتفاصيل أمورهم وجريان أحوالهم. وكان إذا قعد مُريد له في خلوة، يُنزله كل يوم منزلة من منازل الطريق، ويُخبره بها وبجميع أحكامها قبل أن يجدها المرید، ثم لا يزال يُرقّيه درجة بعد أخرى حتى يقول له: غداً تنال مُرادك! فإذا انتهى إلى مقام الوصول قال له: هائنت ومحبوبك.

قال: وكنت يوماً في صحراء من صحارى العراق، فقال: سبحان من سَبَّحْتَهُ الوحوش في القفار، فإذا بين يديه وحوش عظيمة قد ملأت البطحاء، وهي تُرْتَمُ بلغتها، وتهمهم بأصواتها، وامتزجت الأسد بالأرانب والضبا، وجاء بعضها يتمرغ على قدميه، ثم قال: سبحان من سَبَّحْتَهُ الطيور في أوكارها، فإذا على رأسه في الهواء

^١- كذا في الأصل.

طبورٌ كثيرة من كل جنس قد سدَّت الفضاء، وهي تلحن بانغامها وترجع بأصواتها، ودنَّت منه حتى عكفت على رأسه، ثم قال: سبحان من سبَّحته الرياح العواصف في هبوبها، فهبَّت رياح مختلفة من كل جهة، لم أرَ أكثر منها ولا ألطف نسيماً، ولا أرقَّ هبوباً، وما كانت قبل كلامه ذلك. ثم قال: سبحان من سبَّحته الجبال الشوامخ، فاضطرب الذي كان تحته وسقطت منه صخرات.

وأخبرنا أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن سلمان الأنصاري قال: أخبرنا خالي أبو النصر صالح بن الحسن الطسفونجي قال: سمعتُ الشيخ عبد الرحمن الطسفونجي يقول: خرج والدي يوم الجمعة من داره ليركب بغلته ويذهب إلى صلاة الجمعة، فوضَّع رجله في الرُّكاب ثم نزعها - ووضَّعها على الأرض ساعة، ثم ركب وانصرف (١٤٦أ)، فلما انقضت الجمعة سألتُه عن ذلك وسببه، فقال: رأيتُ الشيخ عبد القادر - رضي الله عنه - يريد أن يركب بغلته في ذلك الوقت ببغداد وينصرف إلى الجامع، فاردت ان لا اتقدم عليه في الركوب أدباً، فإنه قدَّمه الله تعالى على أهل زمانه، وفضَّل منزلته على منازلهم. قال: وخرج يوماً يريد السفر فوضع رجله في الركاب ثم نزعها، ودخل داره، فقلتُ له في ذلك فقال: يا بني لم أجد في الأرض موضعاً يسع قدمي. ثم لم يخرج من طسفونج حتى مات.

وأخبرنا أبو الفتح الواسطي عن خاله أبي نصر الطسفونجي قال: سمعتُ أبا الحسن بن أحمد الطفسونجي قال له ولده: أوصني، قال: احفظ حُرمة الشيخ عبد القادر، والوقوف عند أمره، ولزوم خدمته، فلما توفي جاء ابنه إلى الشيخ ببغداد، فأكرمه الشيخ وألبسه خرقة، وزوَّجَه ابنته، فكان يلبس لباس العلماء، فجلس يوماً في مدرسة الشيخ عبد القادر، فجاء فقير مؤلِّه، وجلس إلى جانبه وجعل يقلب أكمامه ويقول: ما هذه أكمام الشيخ عبد الرحمن! بل أكمام بن هُبيرة الوزير، فقام بن

^١ - هو الوزير العالم المصنف أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الملقب عون الدين الشيباني، ولد في بلدة الدور سنة ٤٩٩ هـ وتعلم صغيراً وتهذب شاباً حتى "كانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض، وتفقه وصنف في تلك العلوم، وكان متشديداً في اتباع السنة وسير السلف" - ووزر للخليفة المقتفي سنة ٥٤٤ هـ، وعمل من خلال منصبه هذا القضاء على النفوذ السلجوقي في العراق، فكان جزاؤه أن اغتيل مسموماً سنة ٥٦٠ هـ، أثنت معاصروه على حسن إدارته وضبطه وعلمه، وكان للزهد أميل، وأنشأ في الجانب الغربي من بغداد مدرسة للحنابلة. بن العماد الأصفهاني: خريدة القصر، قسم العراق ج ١ ص ٩٦ و بن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٥٤ وابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٦٠

الشيخ عبد الرحمن ودخل إلى داره وخلع ثيابه ولبس مسحاً، وخرج من بغداد. ولم يُعلم له خبر، ولم يُوقف له على أثر، وتأدّت بنت الشيخ عبد القادر لفعله، فقال الشيخ عبد القادر لرجلين من أصحابه: اذهبا إلى عبّادان تجدان بن الشيخ عبد الرحمن الطسفونجي بها، فإذا وقع نظركما عليه صار في أسركما فأتيا به، فذهب الرجلان خلفه، فلما دخلا عبّادان سألا عنه بعض رجال عبّادان المقيمين على شاطيء البحر، فقالوا لهما: أنه كل يوم يأتي إلى شاطيء البحر يتوضأ، وله هدير كهدير الأسد، يكاد البحر يضطرب لهيبته. فما لبثا أن جاء على ذلك الوصف، فلما نظرا قالوا له: أجب للشيخ عبد القادر، فقال لهما: قد أسرتما في قبضة من أرسلكما، سمعاً وطاعة، فكانا يمشيان وهو خلفهما، يمشي إذا مشياً، ويجلس إذا جلسا، حتى أتى به بغداد، فجلس بين يدي شيخنا عبد القادر مُطرقاً بأدب، فنزع عنه الشيخ عبد القادر ما كان عليه من المسموح، والبسه ثوبه الأول وأدخله على زوجته رضي الله عنهم.

قالوا: وأول بداية الشيخ (١٤٦ب) عبد الرحمن الطسفونجي وسبب توبته، أنه كان شاطراً، وصُحبتة جماعة من الشطار، فاتفق أنه أخذ هو ومن معه قافلة، فسبق منهم نذير استصرخ قومه وغيرهم من الخفراء بتلك النواحي، فأدركوا عبد الرحمن وقومه، وقتلوا منهم رجالاً، واستصحبوا الشيخ عبد الرحمن أسيراً موثقاً مكتوفاً، فأنحل من غير أن يحلّه أحد، وانفتح له بابٌ في حائط ياذن الله تعالى، فدخل منه وعاد الحائط كما كان، وطلبه القوم فما وجدوه. ثم إن صاحب الدار التي دخلها عبد الرحمن من الحائط داخل داره، فوجده بها، فغضب على زوجته غضباً عظيماً، وسألها: من الرجل؟ فأقسمت بالله العظيم أنها لم تعرفه، ولم تعلم من أين دخل، فسأله صاحب الدار عن خبره، فقص عليه الشيخ عبد الرحمن القصة بحروفها، فأوقع الله صدقه وقبول قوله في قلب صاحب الدار، فأكرمه وأذن له بالمقام عنده أياماً، ثم تواءت قضيته وبرّد أمره وتركه طالبوه، فأخذه صاحب الدار وذهب به إلى الحاكم، فأرضاه عنه، وصالح عنه غرمائه، فلما تمّ أمره وحصل الأمان، صنع صاحب الدار وليمة، ودعا فيها المترفين والأكابر ورؤساء زمانه، ومدّ لهم أنواع

^١ - الشاطر، وجمعه شطار: لفظ اتخذ معاني شتى، وأصله. الرجل المتصف بالدهاء والحكمة، والخبيث الفاجر، ولكنه اتخذ معاني اصطلاحية شتى، أهمها وأجمعها: الرجل الخارج على القانون.

الأطعمة، ثم أحضر لهم أواني من خمور على عادتهم في ذلك الزمان، فتعاطاها غالب من حضر المجلس، فبينما هم كذلك وإذا بطارق يطرق الباب، ويدعو عبد الرحمن، فبادر إليه مجيباً له، فلما فتح له الباب وخرج، فتح الباب ودخل، وجد فقيراً واقفاً بهي المنظر، زائد الجمال والكمال، فلما رآه عبد الرحمن صار قلبه أسيراً في يده، وقال له: ماذا تريد؟ فقال: يا بطل نتولاك في مثل هذه الشدة، حتى ينجيك الله على أيدينا من القتل، ويحل وثاقك، ويفتح لك باباً في حائط، ويدخلك تلك الدار، ويعيد الحائط إلى حاله الأول كما كان، وتخلص زوجته من التهمة تلك، ويحنن الله تعالى صاحب الدار عليك إلى أن قبل عذرك، وأحسن إليك وأكرمك إلى ملقى^١ أخذه وأرضى عنك السلطان في الأخصام، ومع ذلك لم تتب وتبارز؟ فقال: يا سيدي من أنت؟ قال: خادم السيد تاج العارفين الذي أدركك في شدتك ياذن ربّي، فقال: يا أستاذ خذ علي شرط التوبة، فقال: إنما يأخذ عليك السيد - رضي الله عنه - وجذبه، فما رفع من يده حتى مال إلى طريق الله تعالى، ثم طلب الأستاذ تاج العارفين وقصده، وأم قوسان، وسمع صوتاً ينادي الحق بقلمينيا، فعاد الشيخ عبد الرحمن إلى ندمائه بصفة لا يعلمها منه أحد منهم، وأنوار الولاية تلوح عليه، وقال لهم (١٤٧أ): فيكم من صحبنا في حال البطالة، فهل فيكم من يصحبنا الآن إلى حضرة السيد تاج العارفين، سبيل النجاة والسلامة؟ ثم قص لهم القصة فقام القوم عن آخرهم معه، منيبيين مذعنين، فلما وافوا قلمينيا في صحبة الشيخ عبد الرحمن، قاصدي التوبة على يدي السيد تاج العارفين، أكرم ملقاهم، وبشّر^٢ لهم، وأخذ عليهم جميعاً شرط التوبة، وصحبوه وانتفعوا بصحبته، ولزموه إلى ان ماتوا رحمهم الله أجمعين.

ويقال أن اسمه حبيب، ولكن قيل له: مرحباً بعبد الرحمن فتسمى بذلك، سكن طسفونج، بلدة من العراق، وتوطنها إلى ان مات بها، وقبره ظاهر يُزار، رضي الله عنه، ونفعنا به بمحمد وآله، وأنشد فيه شعر:

بطسفونج بدر الهداية طالعٌ وفي حياها نور المعارف ساطعُ
حبر تقي فاق علماً وسؤداً وأضحى لأنواع المجالس جامع

^١ - كذا هي العبارة في الأصل، وفيها اضطراب.

^٢ - هذه الكلمة غير واضحة في الأصل.

^٣ - يمكن أن تقرأ: وبشّر.

بتهديب تاج العارفين وسره
 إذ قرَّب الرحمن بالجُود عبده
 وكان مجاباً للدعاء إذا دعا
 فأقبل في عامٍ وأينع مُسرفاً
 كذا بقراتٍ من ثلاث سنين لم
 فلما دعا فيها المهيمن أقبلت
 وكانت سهاً الحال منه مصيبة
 وأسكت إنساناً ترنم شاعراً
 فأخرسه الرحمن دهرًا ولم ينطق
 وأكحل إنساناً بمرود كُحله
 ومُد سبج الرحمن في القفر مرة
 وسبج حتى جاءت الطير في الهوا
 وسبج فارتجت جبالٌ لذكره
 ومن كان بالهادي البشير محمد
 وفي النفس حاجات وما لقضائها
 فكُن جابراً كسري بجاهك انه
 عليك صلاة الله ما هبت الصبا

أشارت إليه في السلوك الأصابع
 وصرفه في الكون فالكون طائع
 دعا لنخيل ما حل وهو مانع
 وقلمت به للناس طراً منافع
 تكن أنتجت شيئاً وهُن رواتع
 ودرت وجاء الخير وهو متابع
 وكان كسيفٍ وهو ماضٍ وقاطع
 وقد جاء صوتٌ للمؤذن نابع
 على النطق حتى جاءه وهو خاضع
 فأضحى له سرا علا وهو تابع
 أته وحوش القفر وهي خواضع
 لها رَجَل بسبج على القلب فارع
 وكان عليها وهو باك وخاضع
 يحاول شيئاً فهو لا شك واقع
 سواه إلى الرب المهيمن شافع
 لجاه له رب الخليفة رافع
 وما لاح نجمٌ في السما وهو طالع

- ذكر الشيخ العارف بقا بن بطو رضي الله عنه ونفعنا ببركته:

(١٤٧ب) رَوينا أنه كان - رضي الله عنه - من أعيان مشايخ العراق، وأجلاء العارفين، وأكابر الصديقين، صاحب الأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، والكرامات الباهرة، والأفعال الظاهرة، صاحب المعارف السننية، والحقائق العلية، والإشارات اللطيفة، والمعاني الشريفة، وله المحل العالي في التمكين، والمقر السامي من القرب، والباع الطويل في الكشف، والقدم الراسخ في التصريف. وهو أحد أركان هذه الطريق، وأوتاد هذا الشأن، وصدور ساداته، ورؤساء أئمة، وأعلام العلماء به. وهو أحد من

^١- كذا في الأصل، ويمكن أن تكون: وبدت.

^٢- كذا في الاصل.

أظهره الله إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه من الأحوال، وخرق له العادات، وقلب له الأعيان، وأوقع له القبول التام العظيم، والهيبة الوافرة في القلوب، وهو أحد الاربعة المسمّين بالبرّة على ما تقدم بيانه.

وكان الشيخ محيي الدين عبد القادر يثني عليه كثيراً، ويُعظّم شأنه. وقال في حقه: كل المشايخ أعطوا بالكيل إلا الشيخ بقا بن بطو فإنه أعطي جُزافاً، انتهى إليه الزهد وعلم الأحوال، وكشف مشكلات موارد الصادقين بنهر الملك وما يليه، ويخرج بصحبته غير واحد من أهل الطريق، وانتمى إليه جماعة من ذوي الأحوال، وتلمذ له خلقٌ من الصُلحاء، ويجلّه المشايخ والعلماء وغيرهم، وقصد بالزيارات والندور. وقد ذكره الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري - رحمه الله - في قصيدة أولها شعر:

واعلم بأن الهوى عن يمنة العلم	هذي تُهامه فاجلس غير مُتَّهم
له ندا الشهر فضلاً غير مُنخرم	وقد كسوت بقا حلة جَمَعَت
لما رفعت له في الناس من علم	تومه زُمر الزوار طالبة
من صدق وعدك في الأنباء والحكم	وقد حلت بمغناه على ثقة

وكان هذا الصرصري رأى ليلةً زيارته للشيخ بقا في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عليه السلام: من أراد زيارتي فليأت قبّة الشيخ بقا بن بطو - رضي الله عنه - فأنشد يقول هذه الأبيات:

ارجاءه أرجأ من عرفه الصِّلف ^١	فحلّ ريعُ غرسه فكسى
أن صار عين يقين عند مُعترف	وكان علم يقين بالسماع إلى
بوعد كفو مليء بالنجاح وفي (١٤٧أ)	فكيف لا يقصد الزوار واثقه
لرفع وزري وما ألقى من الكلف	يا سيدي يا رسول الله يا وزري
ياعدّتي في مقام الرّوع والأسف	يامنتهى أملي في منتهى أجلي
نار المجوس فولى وقدها ^٢ وطفى	يامن على نوره في وقت مولده
الأصنام تنكيس مقبورٍ ومختطفٍ	يا من لمبعثه الهادي تنكست
من السما إذ زيد عن أطرافها ونفى	وحار مسترقّ السمع الغوى

^١ - الصلف: ما لا ماء فيه ولا خير.

^٢ - كذا في الأصل.

والناس من سَفَهٍ على شفا جُرْف	يا فاتح الخير والأبواب مغلقة
والناس من تبع الأهوال في سَرَف	يامن اتى بالهدى والحق مبعثه
فأصبحوا وهم في روضةٍ أنف	اتيتهم وهم في جدب غيهمى ^١
من التشريف زيقا رفيعاً سابل الطرف	لقد خلعت على هذا الولي
اظهار دُرّ صفا في باطن الصدَف	أظهرته بين أرباب القرى علماً
ومن يكن ضيف حامي برِّكم يُصَف	وقد أتينا نرجو من فضائله

وكان له كلام عال على لسان اهل الحق منه :

الفقر تجرد القلب عن العلائق واستقلاله بالله تعالى، والتخلي من الأحوال احد اوصاف الفقر، لأنها شواغل وقواطع إذا سكن اليها العبد، فإذا تجرد عند نقلته من الأملاك، ولم يتغير عليه الحال، لوجود الأسباب وعَدَمها لا في القوة ولا في الضعف ولا في السكون ولا في الانزعاج، ولم تؤثر فيه المهالك، فقد صحَّ فقره وصاراً حُرّاً لتأسره الأسباب ولا يهزه وجودها، ولا يهزه عدمها، فإن ملك فكأن لم يملك، وإن لم يملك فكأنه ملك، فلا يرى لنفسه في الدنيا والآخرة مقاماً ولا قدراً، وكما لا يرى لا يطلب، وكما لا يطلب لا يتمنى، فهو مُشتغل واقف بلا طمع، لا يسقط بالرد، ولا ينهض بالقبول، من غير أن يعتقد في طريقه فضيلة على غيرها، وهو موقف رفيع، والأمر فيه رقيق، وما لم يصل العبد إلى ربه عز وجل لا يصل إلى حقيقة هذا الوصف. والفقر وصف كل مُستغن عن غيره، وكل مستغن عن غيره مستقل به، ولا يكون صادقاً في فقره ما لم يخرج عن فقره بانتفاء شهوده لفقره، ونعت الفقير الصادق كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢ وصفته ما قاله عز وجل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وعلامته ما قاله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٣.

ومنه: انصف من نفسك، واقبل النصيحة (١٤٧ب) ممن دونك، تدرك شرف المنازل، ومن لم يجد في قلبه زاجراً فهو خراب، فإذا سلا القلب عن الشهوات فهو معافى، ومن لم يستغن بالله على نفسه صرَعته، ومن لم يقم بأداب أهل البداية كيف تستقيم له دعوى مقامات أهل النهاية.

^١ -مظلم.

^٢ -سورة الحشر، الآية (٩).

^٣ -سورة الحديد، الآية (٢٣).

- كراماته :

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي القاسم الأزجي قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفتح أن أحمد الدفوفي، خادم الشيخ الجليل العارف النبيل أبي زكريا يحيى بن محمد الدوري المرتعش، قال سألت شيخنا الشيخ يحيى عن ارتعاشه، هل سببه مرض أو عارض من غير مرض؟ فقال: مررت يوماً في الهواء على قرية الشيخ بقا بن بطو، فرأيت رجلاً جالساً على مزبلة فقلت: يا جالساً على هذه المزبلة قم فإنه لا يجلس على المزابل إلا من منزلته صدور المراتب. فرفع رأسه ونظر إليّ فإذا هو الشيخ بقا بن بطو! فأخذني الارتعاش من هيبتته إلى يومنا هذا.

قال: وكان يوماً يتحدث في كرامات الأولياء، وعنده رجل من ذوي الأحوال والكشف والفتح، فقال ذلك الرجل: وفي زمننا هذا من إذا استسقى من بئر طلع له في الدلو ذهب، وإذا توجه إلى جهة وصلها لوقته، وإذا وقف يُصلي رأى الكعبة أمامه، وكان هذا حال ذلك الرجل المتكلم، فنظر إليه الشيخ بقا ثم أطرق ساعة فسلبه حاله، فلما فقد ذلك الرجل جميع أحواله، وتوارى عنه جميع ما كان يشهده ويجده، جاء إلى الشيخ مُستغفراً، فقال له: ما مضى لا يعود!.

قال: وزاره ثلاثة من الفقهاء وصلوا خلفه العشاء، فلم يقوم القراءة كما يريد الفقهاء، فساء ظنهم به، وباتوا في زاويته، فأجنب الثلاثة وخرجوا إلى نهر على باب الزاوية، ونزلوا فيه يغتسلون، فجاء أسدٌ عظيم الخلق، وربض على ثيابهم، وكانت ليلة شديدة البرد، فأيقنوا جميعاً بالهلاك، وإذا بالشيخ بقا قد خرج من الزاوية، فجاء إليه الأسد، وتمرغ على قدميه، فجعل الشيخ يضربه بكُمه ويقول: لم تعارض ضيوفنا وإن أساءوا الظن بنا! فولى الأسد ذاهباً، ثم طلعوا من الماء واستغفروا له، فقال لهم: أنتم أصلحتم ألسنتكم، ونحن أصلحنا قلوبنا.

أخبرنا أبو محمد خليل بن صالح بن يوسف بن علي الزيراني قال: أخبرنا الشيخ أبو المحاسن فضل بن الامام أبي بكر عبدالرزاق، قال: سمعت الشيخ الجليل أبا محمد علي بن إدريس البعقوبي يقول: وقع حريق فضيع في قرية الشيخ بقا، وهي (١٤٨أ) باب نوس^٢، وفشا واستطار في أرجائها، فقام الشيخ بقا بن بطو إلى النار،

^١ - سيأتي أن هذه القرية هي باب نوس، وأنها من قرى نهر الملك.

^٢ - باب نوس : من قرى نهر الملك، ونهر الملك كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال إنه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية. معجم البلدان.

فوقف بينها وبين المواضع التي لم تصل إلى النار وقال: إلى هنا يا مباركة، فخدمت النار مكانها في الحال.

قال: وخرج يوماً يسقي أرضه، ولم يكن معه في ذلك الوقت أحد من أصحابه، ولم يستطع ان يحول الماء من النهر إلى الارض لضعفه، فنظر إلى الجو وليس فيه سحب، فجاءت سحابة تسير من جهة المغرب، حتى حاذت رأسه، وأمطرت أرضه خاصة، وصار كلما تحوّل إلى بقعة من أرضه محتاجة إلى الرّي تحولت السحابة معه، حتى إذا عمّ الرّي جميع أرضه وجلس، ذهب السحابة وانقطع المطر.

قال: وكان يوماً جالساً على شاطيء نهر الملك، فمرّت به سفينة فيها جُند، ومعهم خمر وفواكه ونساء متبرجات وصبيان ومغاني، وهم في غلّبة من اللهو والطفيان. فقال الشيخ بقا للملاح: أتق الله! واقدم إلى البر ومُر من معك يكفوا اعمالهم فيه، فلم يلتفت إليه أحد، ولم يقبل له قولاً، فقال الشيخ: أيها المُسَخَّر! خذُ الفَجْرَةَ، فنما الماء عليهم حتى طلع إلى السفينة، وأشرفوا على الغرق، فضجّوا ضجة واحدة، واستغاثوا بالشيخ بقا، وأعلنوا بالتوبة، وصدقوا في قلوبهم، فأشار الشيخ بقا، ودعا لهم ورحمهم، فعاد الماء إلى حالته الاولى، وخرجوا من تلك السفينة تائبين، وحسّنت توبتهم، فكانوا يكثرّون زيارة الشيخ بقا بعد ذلك رضي الله عنه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الياصري الحنبلي قال: سمعت الشيخ الأصيل أبا بكر أحمد بن الشيخ الجليل أبي الغنائم، ثم اسحق بن بطو النهر ملكي قال: سمعت أبي يقول: كان الشيخ عبد القادر الكيلاني يزور الشيخ بقا، فيرعد الشيخ عبد القادر، ويرى الدم أياماً من هيبة أخي. ثم بعد مُدة، بقي أخي يزور الشيخ عبد القادر، فيرعد أخي من هيبة الشيخ عبد القادر، ويرى الدم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أخبرنا أبو المعالي صالح بن يوسف بن عجلان الغساني القطفتي قال: أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد الغني بن أبي بكر بن لطفه قال: سمعت شيخنا الشيخ أبو عمرو عثمان الصريفيّني يقول: كان الشيخ بقا بن بطو (١٤٨ب) والشيخ علي بن الهيّتي والشيخ أبو سعيد القيلوي - رضي الله عنهم - يأتون إلى مدرسة الشيخ عبد القادر ويزورونها ولا يدخلون عليه إلا بإذن، وإن دخلوا عليه يجلسون إلى جانبه

^١ - في الأصل: أعمامهم.

ويتأدبون معه كثيراً، وينهاهم عن ذلك، وهم يقولون بمثل الأدب معك يتقرب إلى الله عز وجل.

سكن باب نوس، قرية من نهر الملك، وبها توفي قريباً من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة- ١١٥٨م- تقديراً، وقد نيف على الثمانين سنة، وقبره بها ظاهر يُزار. وكان من أكرم الناس وأجلهم صفات، وأشرفهم أخلاقاً وأكثرهم محاسن، رضي الله عنه. وبطو بفتح الباء ثاني الحروف، وتشديد الطاء المهملة وضمها، وبعدها واو ساكنة، على وزن: مَدُّوا وشَدُّوا. ونُوس بنون مضمومة، وواو ساكنة، وسين مُهملة، انتهى.

- ذكر الشيخ أبي سعيد القيلوي :

روينا أن هذا الشيخ كان من أجلاء المشايخ بالعراق^١، وأكابر العارفين وأئمة المحققين، صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والحقائق الزاهرة، والمعارف الباهرة، صاحب الفتح الموثق، والمقام المرموق، والكشف الجلي، والسر المضيء، له المنزلة المصدرة في القرب، والمكان المكين في المعالي، والمعراج العالي في أحوال النهاية، والطور الرفيع في منزلات الولاية، والقدم الراسخ في التمكين، والباع الطويل في التصريف، واليد البيضاء في شرائف الأخلاق، ومحاسن الصفات. وهو أحد الأربعة المُسمَّين بالبررة- على ما بينا- وهو أحد الفقهاء المُعتبرين، أفتى ببلده وما يليها، وهو أحد أوتاد هذا الشأن، وإن كان ساداته وصدور القاده اليه، وأعلام العلماء به، وكان إماماً في حل الأحوال، وكشف حَفِيَّات الموارد. واليه انتهى الزهد والمعرفة وتربية المريدين بقيلويه وما يليها من الاعمال.

وتَخَرَّجَ بصُحْبته غير واحدٍ من الأكابر مثل الشيخ أبي الحسن علي الفراتي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد المدني، والشيخ خليفة بن موسى، والشيخ

^١ - نقل ابن تغري بردي نسب حفيد له بخطه وفيه نسب أبي سعيد المذكور كالآتي: أبو سعيد القيلوي بن محمد بن المحسن بن يحيى بن جعفر بن محمد علي الأشقر بن جعفر بن علي الزكي بن أبي جعفر محمد بن علي الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط الرسول صلى الله عليه وسلم، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٢٦١/٧.

مبارك بن علي الجميلي، والشيخ محمد بن علي بن القندي^١ وغيرهم - رضي الله عنهم - وتلمذ لجماعةٍ فيهم كثرة من الأعيان، وانتمى إليه جمٌ غفير من الصلحاء. وكان جليلاً، وانعقد عليه الإجماع بالتبجيل والاحترام. وهو أحد من أبرزه الله تعالى (١٤٩) إلى الخلق، وأوقع عندهم القبول التام، والهيبة العظيمة، وصرفه في الوجود، ونطقه بالمغيبات، وخرق له على يده العادات، وأقامة حجة على العاملين، وإماماً لأهل الطريق، وكان يتكلم بقلوبه على علوم الشرائع والحقائق على كرسي عال. وحضر مجلسه المشايخ والعلماء، وانتهت إليه رئاسة هذا الأمر وجلالته، وقصد بالزيارات من كل فج:

أبو سعيد نشأ في معدن التحف	وسار في زيب التكريم والشرف
وأفاه رافضه يوماً لمحنته	بلتي قصب مختومتي الطرف
إحداهما ضمها طفل تكسح من	عهد القماط فمد فك الختام شفي
وضمن تلك صبي سالم فغدا	مكسحاً جدلاً في ظلمة السجف
وأعجب لقوم دعوه في جماعته	إلى طعام حرام زائد الترف
ففرق القوم عنه ثم أنفذه	أكلاً وصرفه والحال غير خفي
دعاؤه مستجاب دائماً وإذا	عاد العليل فللداء الجسيم كفي
تصريفه فيهم قد قالوا وما نظرت	عين الرضا منه قلباً في لظى الوجف
الا وأعمره حقاً ولا نظرت	عيناه في غضب قلباً على قرف
الا وأخربه قهراً بهمته	وصار في الأسر مضغوطاً كمختطف
وأذن الظهر اعلى صخرة عظمت	فقطعت قطعاً من صوته الصلف
ورد زمانه زادت حموضتها	مد مسها حلوة تبرئ من اللهف
وبعد تكسير إبريق لخادمه	أعاده سالماً من ثلمه الشقف
كذلك تفاحة أخرى بعودته	أجرته من غير تقدير ولا سرف
ومن له مدد من النبي فلا	يزال فوق متون الفضل والزلف
صلى عليه الخلق ما نفحت	ريح وما سار في طرق النجاة وفي

^١ - غير معجمة في الأصل، ومن المحتمل أن تكون: القيدي.

وكان له كلام عالٍ في علوم الحقيقة، منه:

الفقر هو ان لاتملك شيئاً ولايملكك شيء، ويصفو قلبك من كل دنس، ويسلم صدرك لكل أحد، وتسمح نفسك بالبذل والإيثار والتصوف لأقوام أعطوا حتى بسطوا، وأمتعوا في الوصل حتى فقدوا، ثم نودوا من أسرار قربه، فقالوا: لبيك اللهم. ومعنى التصوف التبرّي عمّن دونه، والتخلي عما سواه، وحُسن الإرادة، والدخول في كل خلق سيء^١، والخروج (١٤٩ب) من كل وصفٍ دنيء، ومراقبة الأحوال، ولزوم الآداب في كل نفس. والإقبال على الله سبحانه وتعالى يمحو السرف، وإسقاط الكلف. والتوكل الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر ومراعاة السر، والتخلي من الكونين، والتشبث بالحق والصدق، والإستتار^٢ عن الخلق بلوائح الوجد، والإختفاء عن الكون بشمائل القصد، والتوحيد غض الطرف عن الأكوان بمشاهده من هو مُنزّه عن كل نقص، والعارف وحداني الذات، لا يقبله أحدٌ ولا يقبل احداً، ومبني الأحوال كلها على ثلاثة خصال: التمسك بالفقر، والافتقار، والتخليق بالذات، والايثار وترك التعرض والاختيار، وعلامة الصادق في صدقه في طريقه أن يفتقر بعد الغنى، وبذل بعد العز، ويخفي بعد الشهرة. وعلامة الكاذب في دعواه أن يستعني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء. وإذا رأيت الرجل يسمى الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمذموم طيبة، واتباع الهوى إبتلاء، والرجوع إلى الدنيا وصولاً، وسوء الخلق صولة، والبُخل جَلادة، والسؤال لخلق الله عملاً، فقد هدم أركان الطريق، ومحا رسومها، وبدل سبلها، وغير معانيها، وسقط من عين الله عز وجل. وكان يتمثل بهذه الأبيات:

لي حبيبٌ يزَارُ في الخلواتِ	حاضرٌ غائبٌ عن اللحظاتِ
ما تراني أهفو إليه بسري	لا أعي ما يقول من كلمات
حاضر غائب قريب بعيد	وهو لم تحوهِ رسوم الصفات
هو أدنى من الضمير إلى الوهم	وأخفى من لائح الحظرات

أخبرنا أبو الفتوح عبد الحميد بن معالي بن عبد الله الصرّصري قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو حفص عمر بن الشيخ الجليل أبي الخير سعد بن الشيخ القدوة

^١ - كذا هي العبارة في الأصل، ولم يتوضح لنا المقصود بها.

^٢ - في الأصل: الإس.

أبي سعيد القيلوي قال: سمعتُ أبي يقول: كان والدي - رضي الله عنه - يوماً يتكلم بقيلويه على الكرسي، فأتى بسلتين مختومتين يحملهما جماعة، فقطع كلامه وقال للذين أتوه بهما: إنكم رافضة، جئتم تمتحنوني بما في هاتين السلتين، ثم نزل عن الكرسي وفتح إحدهما، وإذا بها صبيٌّ مُكسَّحٌ، فأخذ بيده وقال: قُم بإذن الله، فقام يعدو كأن لم يكن به شيء، وكان به ذلك من عهد قماطه في مرابطه. ثم فتح الأخرى وإذا به صبيٌّ سليم، فنهض ليقوم، (١٥٠أ) فأخذ الشيخ بناصيته وقال: أقعد! فتكسَّح. ثم تاب أولئك الجماعة عن آخرهم على يده من الرفض، وأقسموا أنهم لم يُعلموا بحالهم أحداً أبداً.

قال: ودعاه قوم إلى طعام، فانصرف إليه في جماعة من أصحابه، وأتى واحد منهم، فلما جلسنا في منزله، وضع بين أيدينا طعاماً جزيلاً مترفاً ذا ألوان، فنهانا الشيخ عنه، وأقامنا من حوله، فلم يأخذ منا منه شيئاً، وأكله الشيخ جميعه بمفرده، وخرجنا من المجلس، فلما وصلنا ظاهر قيلويه قال: إني لم أمنعكم من أكله إلا لأنه حرام، ثم تنفس فخرج جميع ما أكله من نفسه، أو قال: من فمه دُخاناً عظيماً كالعمود، ولم يزل يتصعد حتى غاب عن أبصارنا، ثم قال: هذا الذي رأيتموه هو ذلك الطعام الذي منعتكموه، لم يخالط أجسامنا.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو الفضائل تمام بن أحمد بن محمد بن علي العلي قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفضل إسحق بن أحمد بن غانم العلي قال: سمعتُ الشيخ العارف أبا محمد طلحة بن مظفر العلي يقول: كان الشيخ أبو سعيد القيلوي - رضي الله عنه - من أجلاء المشايخ وذوي التصريف الخارق، ما دعا بأمر إلا نفذت دعوته، ولا عاد مريضاً إلا عوفي من يومه إن كان له أجل، ولا نظر بعين الرضا إلى قلب خراب إلا عمّر، ولا نظر بعين الغضب إلى قلب عامر إلا خرب. وكنت معه وقت الزوال بظاهر قيلويه فطلع على صخرة عظيمة وإذن قال: الله أكبر! انفلت الصخرة على خمس قطع. وخيل لي أن الأرض اهتزت من هيبة تكبيره. وكنت عنده يوماً بقيلويه، وقد أهدي إليه رمانٌ حلو وحامض، ففرقه على من حضره، وناولني واحدة فكسرتها فإذا هي شديدة الحموضة فقلت: لو كانت! فقال الشيخ: ناولنيها، فناولته إياها، فقلبها بيده، وأكل منها وقال: خذها! فأخذتها وإذا بها شديدة الحلاوة.

^١ - لعل الصواب: انفلقت.

قال أبو محمد الحسن بن القاضي أبي عمران موسى المخزومي الصوفي: سمعتُ
الشيخ العارف أبا الحسن علي بن الفرنثي يقول: خرج سيدي أبو سعيد القيلوي -
رضي الله تعالى عنه - يوماً ليقضي حاجته، وتبعته بإبريق مملوء ماء، فسقط
الإبريق من يدي وتكسّر، وتفرقت شقفه، ولم يكن معنا يومئذ إبريق غيره، ولا ثمَّ ما
سوى ما كان فيه، فجاء الشيخ ولمَّ أجزاءه بيده، وأمر يده عليها، فإذا هو إبريق
صحيح مملوء غير مثلوم (١٥٠ب)، ولا شيء من شقفه كحالته الأولى. قال: وحكى
لي الشيخ محمد بن المديني قال: استأذنت شيخنا الشيخ أبا سعيد القيلوي -
رضي الله تعالى عنه - في المسير إلى دمشق، فأذن لي وأعطاني تمرتين وقال: كل
أحدهما في ذهابك والأخرى في إيابك، ولا تاكل غيرهما، فو الله! لقد كانت إحداهما
زادي من العراق إلى الشام، فكننتُ كلما رجعتُ أكلت منها شبعي، ولا أقدر على
استيفائها، فإذا جعتُ ثانياً وجدتها صحيحة كما كانت أولاً كأن لم تمسسها يد. فلما
وصلتُ إلى دمشق أكلتها، وكانت الأخرى زادي من دمشق إلى العراق، على الصفة
التي ذكرناها، قال: وكان أبو العباس الخضر عليه السلام يأتي الشيخ أبا سعيد
كثيراً.

وكان رضي الله عنه شريفاً من ذرية الحسين الشهيد سبط رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - وكان يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويركب البغلة. وكان ظريف
الشمائل بهي المحاسن شريف الأخلاق، رضي الله عنه. قالوا: وكان شيخه السيد
تاج العارفين - قدس الله تعالى روحه - يُحبه كثيراً ويُقدِّمه على غيره.

أخبرنا أبو الفرج عبد الحميد الصرصري قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن
الشيخ أبي الخير سعد بن الشيخ القدوة أبي سعيد القيلوي قال: سمعتُ أبي يقول:
لما حضرتُ والدي الوفاة قلتُ له: اوصني! قال: احفظ حُرمة الشيخ عبد القادر.
فقال له الشيخ محمد المدني: يا سيدي، أخبرنا عن حاله، فقال: يا محمد! الشيخ
عبد القادر ريحانة أسرار الأولياء في هذا الزمان، وأقرب أهل الأرض إلى الله عز وجل،
وأحبهم في هذا العصر. فلما توفي جئتُ إلى الشيخ عبد القادر، وأكرمني وألبسني
قميصاً وطرحه، فكان - رحمه الله - يلبس مريداً الخرقه القادرية للشيخ عبد القادر،
وما زال على ذلك حتى مات، رحمة الله عليه أمين.

أخبرنا ابوالفتوح نصر الله بن يوسف بن خليل الأزجي المعروف بابن البطال قال: سمعتُ الشيخَ المعمرَ أبا المظفر منصور بن المبارك الواسطي الواعظ المعروف بجرادة، وأخبرنا أبو عبدالله محمد بن الشيخ أبي العباس الخضر بن عبد الله الحسيني الموصلّي قال: أخبرنا أبي قال: سمعتُ المشايخ تيجان العراقيين الشيخ إبا السعود المدلل، والشيخ عمر (١١٥١هـ) البزار، والشيخ ناصر بن فايد الأواني رضي الله عنهم: اجتمع الشيخ عبد القادر، والسيد بقا بن بطو، والشيخ أبو سعيد القيلوي، والشيخ علي بن الهيّتي - رضي الله عنهم - بدار بباب الأزج، فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي بن الهيّتي: تكلم! فقال: لا أتكلم في حضرتك، فقال للشيخ بقا: تكلم! فقال لا أتكلم في حضرتك، فقال للشيخ أبي سعيد: تكلم فتكلم يسيراً ثم سكّت وقال: هذا امتثالاً لأمرك. ثم تكلم الشيخ عبد القادر، ثم استأذنهم في سماع موالٍ حاضر، فأذن المشايخ الأربعة له، فأنشد القوال هذه الابيات:

وبدا له من بدء ما اندمل ^٢ الهوا	برق تألق مؤهن لمعائنه
يبدا كحاشية السرد أو دونه	ضعف الذرى متمتع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق	نظراً إليه وردّه أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه	والماء ما سمحت به أجفانه

فعلا الشيخ عبد القادر عن الأرض، وجعل يدور ويعلو، وطلع من سماء^٣ الدار، وذهب أصحابه إلى مدرسته فوجدوه بها سكن رحمه الله تعالى. قِيلَويه بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وبعده لام مضمومة مفتوحة، وتاء تأنيث على وزن حَمْدَويه: قرية من قرى نهر الملك، قريبة من بغداد، حتى توفي بها سنة سبع وخمسين وخمسمائة - ١١٦٢م - تقديراً، بعد أن علّت سنّه، وقبره بها ظاهر يزار، وينسب اليها قيلوي، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم اجمعين.

^١ - في الأصل: باب الأزج، والأزج البيت يبني طولاً، محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد، أنشأ فيها القاضي أبو سعد المخرمي مدرسته التي درس فيها الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفيها دفن، وقام ضريحه وجامعه، فعرفت المحلة باسم باب الشيخ نسبة إليه.

^٢ - اندمل: شفا وأصلح.

^٣ - سماء الدار هي الفناء المفتوح الذي في وسط الدار، ويعرفها البغداديون المحدثون باسم السماية.

- ذكر الشيخ ماجد الكردي رضي الله عنه :

رَوَيْنَا أَنَّهُ - رضي الله عنه - كان من أعيان مشايخ العراق، وأكابر العارفين، وصدور المُقربين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والمراتب السننية، والمواهب الجسيمة، وله الحقائق والمعارف، والدقائق واللطايف، وله التقدم في مراتب القرب، والتصدير في منازل الحضرة، والرِّي من مناهل الوصل، والسُّبُق إلى حلية المعاني، والأخذ بأزمة أحوال النهاية، والإبداء بمُبهجات أسرار الولاية، ونَيْل درجات العُلَى من التمكين الموطه^١ والصعود على مراقي التصريف الخارق، والسمو في (١٥١ب) مدارج المعالم القدسية، والمعاني النورانية. وهو أحد أركان هذه الطريقة، وأوتاد هذه الطائفة في وقته، علماً وعملاً، وحالاً وقالاً، ورفعة ورياسة. وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرّفه في الكون، وأظهر على يده العجائب، وأطلع على الأسرار، وقلّب له الأعيان، وخرّق له العادات، ونطقه بالحكم، وأراه شواهد الغيب ومعاني الأقدار، وآيات الملكوت، مع قدم راسخ في العباد، وتأدّب في المجاهدة، وتجوال في المشاهدة. وقد وضع الله تعالى له القبول العظيم في القلوب، والهيبة العامة في النفوس، ونصبه قدوة لسالكي هذه الطريق وطلابها، وانتهى إليه هذا الشأن، وبه عُرف الأمر في تربية المريدين الصادقين بالجبل وما يليه، وتخرج بصُحبته جماعة من أعيان أهل العراق، وتلمذ له خلق من الصلحاء، وانعقد عليه اجماع المشايخ وغيرهم بالتعظيم. وقُصد بالزيارات، وضربت أباط الإبل من كل أفق، مع ما جمع الله فيه من الصفات الشريفة، والاخلاق الرضية، والآداب الكاملة، والتواضع العظيم، وفيه أبيات:

أنظر إلى ملة المختار من مضر	هادي الخليفة طراً سيد البشر
منه به قامت الأشياخ ترشدنا	وتستبين سبيل اليسر والظفر
لولاه ما كان تاج العارفين غدا	بين الرجال كمسكٍ فائحٍ عطر
قُطب سقى ماجداً كأساً فأشهده	مقام أنس سهى زاهر نظر
أعار ركوته شخصاً يلم به	يبغي الحجاز له عزمٌ على السفر
أغنت عن الزاد من حمرتين ثم الى	أقصى المشاعر في ورد وفي صدر
يلقى بها الماء إن أودى به عطشٌ	أو إن أراد وضوءاً فاستمع خبّري

^١ - كذا في الأصل.

أو جاع يلقي جليسا سفايغا عجباً^١
أيضا ويلقى سويقاً في جوانبها
وقد روى نجله سلمان قال أتت
فقال سلمان قم وادخل لخلوتنا
وما عهدت بها شيئاً فقامت لها
أقرى الجميع وأرضاهم واغضبهم
ومذرى خادماه الحال شابهما
وقال لي قم ذات يوم قم إلى جبل
سل عن حوائجهم منهم فقامت إلى
أبلغتهم قال لي منهم فتى عنبا
واختار ثالثهم رمانة حليت
عرفته قال خذ من تلك ما طلبوا
أديته فوجدت الكل مجتمعاً
قطعته وقصدت القوم مبتهجاً
فاستبشر اثنان بالمطلوب غير فتى
ثم اعتلوا في الهوا إلا الذي ردَّ
عاد إليه وجاءوا نحو سيدنا
أولاهم الشيخ ما يبيغون من ارب
يارب يارب بلغنا المراد بهم
صلى عليه اله العرش مانفحت
والأل والصُحب والأنصار قاطبة

فاسمع حديثاً من الكذب القبيح بري
مُشاب بالسُّكر المنجي من الضرر
أبي ضيوف وما عاينهم عُمرى
واقري الضيوف سريعاً ياأخا النظر
واقبت فيها طعاماً زائد الكسر^٢
قوم وقوم ونقريهم ولم نسدد
شيء فأرماهما بالحال في شرد(١٥٢)
تجد ثلاثة أنفار إلى شجر
تلقاهم فلهم^٣ ابهى من القمر
وقال آخر تفاحاً روى وطَّر
فعدت للشيخ إسراعاً على أثر
يعني عريقاً بلا زهر ولا ثمر
في عرقه فاعترني سائر العسكر
أعطيتهم قصدهم في ظلمة السحر
التفاح آثرني فاغتلت في الغير
تفاحتي انحط في بحر من الخطر
ومؤثري جاء خجلاناً كمُعتر
وكان ماجدٌ فيهم خير مقتدر
بجاه هادي البرايا الهاشمي المضري
ريح تزد على الأوراق والمطر
وكل عبد بأمر الله مؤتمر

وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق، منه:
قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى، فإذا تحرك فيها الإشتياق أضاء نوره
ما بين السماء والأرض، فيباهي الله عز وجل بهم الملائكة ويقول لهم: أشهدكم انني

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - كذا هو في الأصل.

^٣ - لعل الصواب: فقامت إلى تلقيهم.

إليهم أشوق. ومن اشتاق إلى ربه عز وجل أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب قرب، ومن قرب سار، ومن سار حار، ومن حار طار، ومن طار قرّت عينه بالاقتراب، فالزاهد يعالج الصبر، والمشتاق يعالج السكر، والواصل يعالج الولاية. والشوق نار الله عز وجل تضطرب في قلوب الأحباب، فلا يهدى إلا بقاءه، والنظر اليه. والهيبة تذيب القلوب، ونار المحبة تذيب الأرواح، ونار الشوق تذيب النفوس.

ومنه: الصمتُ عبادةٌ من غير عناء، ورئاسةٌ من غير حلى، وهيبةٌ من غير سلطان، وحسنٌ من غير سور، وراحةٌ للكاتبين، وغنيةٌ عن الاعتذار. وكفى بالمرء علماً أن يجتبي الله، وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه. والعجب فضلُ حُملٍ يغطي به صاحبه عيوب نفسه، فلم يدرك أين يذهب به فيصرفه إلى الكبر. وما خلق الله سبحانه وتعالى من عجيبة إلا ونفسها في صورة الأدمي، ولا أوجد أمراً غريباً إلا وسلكه (١٥٣) فيها، ولا أبرز سراً إلا وجعل فيها مفتاح علمه، فهو نسخة مختصرة من العالم.

ومنه: السكرُ غيبةُ العبد بوارِدٍ يشغله عن رؤية غيره، فيظهر كل يوم مكتوماً من الأسرار لغلبة سلطان الموارد. والاسم والسكر اسم لشاربه إلى سقوط التمالك في الطرب، وهو من مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلم لا تبلغه. وللسكر ثلاث علامات، الضيق عن الاشتغال بالسوء، والتعظيم قائم، واقتحام لجة الشوق والتمكين دائم، والغرق في بحر السرور والصبر قائم، وسوى ذلك فنقائص في البصائر كسكر الحرس، وسكر الجهل، وسكر الشهوة. ومن كانت سكرته بالهوى كان صحوه إلى الضلالة.

أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح بن يحيى القرشي البغدادي قال: أخبرنا شيخ العالم محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي البغدادي المعروف بالتوحيد قال: أخبرنا الشيخ الفاضل العارف أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي حفص عمر الواعظ المعروف بابن الغزال^١ (و) الشيخ القدوة مكارم، وكان من أجلاء مشايخ العراق، وائمة الطريق، وكانت له ظاهرة^٢ وأحوال فاخرة، ومقامات سنوية، ومعارف جليلة، وقدم راسخ في هذا الشأن، وتصريف نافذ في أحكام الولاية، وله تلامذة

^١ - فقيه و محدث وردت تراجم شيوخه مرارا في تاريخ الاسلام للذهبي.

^٢ - سقطت كلمة لعلها (كرامات) قبل قوله: ظاهرة.

وأتباع. وكان من أخص أصحاب السيد تاج العارفين، وأجلاء مُريديه، وقدماء خُدامه.

وهو من أهل قوسان^١، قرية من أعمال العراق، وبها توفي. وله بها شهرة عظيمة حياً وميتاً - قدس الله سره - قال: وجاء رجل من أصحابنا إلى الشيخ ماجد الكردي مُودعاً حاجاً في غير أشهر الحج، وقال له: قد عزمْتُ على السفر إلى الحج على قدم التجريد والوحدة، من غير زاد ولا رفيق، فأخرج له الشيخ ماجد ركوة وأعطاهها له، وقال: تجد في هذه ما إن اردتَ الوضوء، ولبن إن عطشت، وسُويق إن جعت. فكان الرجل منذ سافر من جبل حميرين إلى مكة، ومدة إقامته بمكة، ومدة رجوعه من الحجاز إلى العراق^٢ إذا أراد الوضوء توضعاً منها بماءٍ مالِحٍ عذب، وإذا أراد الشُّرب شربَ منها ماءً أحلى من ماء الفرات، ولبناً أحلى من العسل، وأشهى من سائر أطعمة الدنيا، وإذا جاع خرج منها سُويقاً مُشاباً بالسُّكر.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الله الارزي السروي (١٥٣ب) الصوفي قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو محمد عاس^٣ بن الشيخ الجليل أبي النجاة سلمان بن الشيخ القدوة أبي محمد ماجد الكردي رضي الله عنه وقال: أخبرنا أبي قال: كنتُ عند والدي في خلوته، ولم يكن فيها شيء يؤكل ولا يُشرب أبداً، فخرج وجلس على بابها وأنا معه، فقدم عليه عشرون نفرًا فقال: يا سلمان! أدخل هنا، يشير إلى الخلوة وأتنا بطعام، فلم أستطع مخالفته، فدخلت ودخل معي خادماه، وإذا فيها أواني مملوءة طعاماً، فأخرجناها لهم، وأتوا عليها أكلاً، حتى لم يتبق منها شيء وذهبوا، ثم دخل علينا خمسة عشر نفرًا: فقال والدي: يا سلمان أدخل هنا وأتنا بطعام أيضاً لهؤلاء، فما استطعتُ خلفه، فدخلت أنا والخادمان أيضاً، وإذا بها أواني غير تلك مملوءة طعاماً غير الطعام الأول، فأخرجناها لهم فأكلها القوم جميعها، بحيث أنه لم يبق منها. ثم دخل علينا ثلاثون نفرًا، فقال والدي: يا سلمان أدخل هنا وأتنا بطعام أيضاً، فدخلتُ أنا والخادمان، وإذا فيها أوان كثيرة غير الأولى

^١ - يبدو مما سبق من حديث المؤلف في الجزء الأول ومما يذكره هنا عن جبل حميرين، ان ماجد الكردي لم يكن من أهل قوسان وإنما من أهل خانيجار القريبة من جبل حميرين وسوف يذكر انه من قرية سنجر وهي من قرى المناطق القريبة من جبل حميرين.

^٢ - في الأصل: من العراق.

^٣ - كذا في الأصل. والأرجح: عباس.

والثانية، مملوءة طعاماً غير ذلك كله، فأخرجناها وأكل الجميع. ثم أن والدي نظر إلى الخادمين فخرّاً مغشياً عليهما، ورفعا إلى منازلهما كالخشبتيين لاينطقان ولا يتحرك فيهما سوى أعينهما، وأقاما على ذلك ستة أشهر، فجاء إلى سيدي أمأهما تبكيان وتشكوان حال ولديهما، فقال لي والدي: يا سلمان! اذهب فأتني بهما، فذهبت إلى أحدهما وقلت له: إن أبي يدعوك، فقام في الحال كأنه لم يكن به بأس أبداً، وكذلك اتفق لي مع الآخر، وأتيت بهما إليه، فقاما في الاستغفار زمناً، ثم أقبل عليهما، وعفا عنهما، ولم أزل بهما حتى أخبراني، فقال أحدهما: لما أخرجنا الطعام مرة بعد مرة هالني ما رايت في المرة الثالثة، ووقع في قلبي أن هذا ربما يكون من السحر، وقال الآخر: وأنا خطر لي ذلك، ربما أتى به جنّي. وأقسم كل منهما أنه لم يُظهر على ما في خاطره أحداً أبداً، ولم يعلم به إلا الله عز وجل، وأنه ردّ عن ذلك الخاطر، وانثني عنه، واستغفر منه، وعلم أنه خاطر سوء فما كان بأسرع من حصول ما رأيت.

وقال والدي لي يوماً: يا سلمان، اذهب إلى ذلك الجبل تجد في آخره ثلاثة نفر^١ تحت ثلاثة أشجار، فقل لهم: والدي يُسلم عليكم، ويقول لكم: ماذا تشتهون؟ فأتيتهم (١٥٣ب) وقلت لهم ما قال لي والدي، فقال أحدهم: عنباً! وقال الآخر: رمانة!، وقال الآخر: تفاحة!. فعدت إلى والدي وأخبرته بذلك، فقال لي والدي: اذهب إلى تلك الشجرة، يعني عريقاً يابساً بالقرب منا، وأجزل لهم^٢ منها ما سالوه، فلم أستطع أن أراجعه، وأتيتُ عرق تلك الشجرة، وإذا هي خضراء مُورقة، ووجدتُ عليها رمانة وتفاحة وقطف عنب لم أر مثلاً ذلك في عمري كله، منظرًا ورائحةً، فأنبأتُ والدي بذلك، فقال: اذهب إليهم وأعطِ كلاً منهم ما سأله، فذهبت إليهم وأعطيتهم ذلك، فسُرُّوا بذلك خلا صاحب التفاحة، فإنه لم يأخذها وقال: آثرتك بها! فوجدتُ في نفسي من ذلك، ثم أنهم قاموا جميعاً ومشوا خطوات، وأنا تابعهم، ثم مروا في الهواء، وصاحب التفاحة لم يطق النهوض معهم، وجعل كلما أراد الارتفاع عن الأرض حط، فلما رآه أصحابه كذلك عادا إليه وقالا له: هذا بامتناعك من أخذ التفاحة، وقصدوا والدي ورؤسهم مكشوفة، فتلقاهم بالرحب والسعة، وقال لصاحب التفاحة، ما منعك من قبول كرامتي وموافقة صاحبك؟ فأكبّ على قدميه يقبلها ويسأل العفو، فقال

^١- في قلائد الجواهر للتادفي، ص ١٠٧ "ثلاثة نفر من رجال الغيب السيارة".

^٢- في الأصل: أجزلهم.

والدي: لا بأس عليك، ثم قال لي: يا سلمان، اين التفاحة؟ فناولته إياها، فكسرها
أجزاء وأكل منها جزءاً وأطعمني جزءاً، فإذا هي لاعجم لها، وقال صاحب العنب
والرمانة أنهما كانا كذلك في الهواء. ثم إن والدي دفع بيده بين كتفي الرجل، فمر مع
صاحبيه في الهواء كالسهم المَنون، فسألته عنهم، فقال: هؤلاء من رجال الغيب
السيارة، وأخذ عليَّ العهد أن لا أخبر بذلك أحداً ما دام حياً.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن قوفا الحريمي قال: أخبرنا جدِّي محمد
بن دُلف قال: أخبرنا الشيخ الفاضل أبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة البغدادي
البرزاري، المعروف بابن الدبقي^١ قال: سمعتُ أبي يحيى يقول: سمعتُ الشيخ ماجد
الكردي يقول: الشيخ عبد القادر إمام أهل الطريق، وشيخ شيوخنا في هذا الوقت،
وبنوره يستضيء أهل القلوب في أحوالهم، وبهجة سريرته تتبع أسرار أهل الحقائق
في معارفهم.

فسألته عن ذلك، فقال: لأن له (١١٥٤) في كل قلب نوراً يعلو إشراقه على أنوار
ذلك القلب، فإذا أمعن القلب في السير في طريق العُلا لم يثبت بين يديه سوى ذلك
النور.

وله أيضاً: في سر كل صاحب سر مطالعة للشرف^٢ عليها من نظره بالله، فإذا
وردت على ذلك السر منازل من مواجيد القدس الأشرف اتسع مقر الحقائق من ذلك
السر، وظهرت كمائن المعارف من مكامن تلك الاسرار النازلة، باستشراق تلك
المطالعة، ونوره مضيء من النور النبوي، وبه فوته وبهجه مستمدة من ذلك الأصل
النبوي، وبه قوامها وعليه عمادها.

قالوا: أول حال هذا الشيخ ماجد أنه كان من أكابر أصحاب السلطان سيف
الدولة^٣ ملك بغداد في ذلك الزمان، وكان ممن يُحب السيد تاج العارفين، ويتردد إليه

^١ - هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة بن محفوظ، بن الدبقي البغدادي البرزاز الصوفي (٥٢٨-
٦١٢ هـ/١١٣٢-١٢١٥ م)، والدبقيية من قرى نهر عيسى. تاريخ الاسلام، ٣٣٢/١٣.

^٢ - كذا في الأصل، ويناسب أن تكون: ويستشرف كما سيأتي اللفظ في السياق.

^٣ - الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس الأسدي (٤٧٩-٥٠١ هـ/١٠٨٦-١١٠٧ م)، أمير العرب
وصاحب الحل وبنائها، فعرفت بالحلة السيفية وكانت والدته وزوجته من بني ورام الجاوانية، وكانت
حاشيته و جيوشه تضم أعداد كبيرة من الكرد الجاوانية والبشيرية والنجسية وغيرهم وقتل بن خاله

كثيراً، ويسمع في مجلسه، ويسأله مراراً أن يدخل في طريقه، وينعم عليه بزيقه، فامتنع الشيخ من ذلك وقال: يا ماجد لم يأت وقتك بعد. فلما جدَّ ألحَّ على السيد في ذلك، والشيخ مستمرٌّ على منعه، ويقول: ما جاء وقتك بعد. قال ماجد: يا سيدي! فمتى يأتي وقتي؟ قال له السيد: إذا قُتل سيف الدولة! وانزعج لذلك (انزعاجاً) عظيماً وقال: يا سيدي، ومن يقدر على قتل سيف الدولة؟ قال: يا ماجد ربما يقتله السلطان مسعود^١ إن أذن له، وربما يحضر بعسكره ويبدد عسكركم، ويقطع الله على يده أثاركم. فقام ماجد من المجلس وهو لا يعي من عظم ما شقَّ عليه ذلك، وربما استبعد ذلك بخاطره لوثوقه بشدة بأس سيف الدولة، وقوة عسكره وكثرتهم، وتوجَّه وهو لا يدري الطول من العرض، ولا السماء من الأرض، فلم تمض مدة قليلة إلا وقد دهم السلطان مسعود البلاد بعساكره، فتهيأ له سيف الدولة وعارضه، فلما التقى العسكران، ضعف السلطان مسعود وعسكره في أعين الناس،^٢ السلطان سيف الدولة وعسكره وحملوا عليهم يداً واحدة (١٥٤ب) مستضعفين لهم، فما كان بأسرع من كُرِّ سيف الدولة، وقتله وقتل جماعةً مُستكثرةً من جنده وعساكره، وهرب الباقون.

وأصاب ماجداً جراحات كثيرة شديدة، وطلبه القوم حاثين على قتله، فألقى نفسه في ماءٍ واختفى فيه، وإذا بشيءٍ يخوض الماء إلى جهته خوفاً، وكلما به يتقارب إليه قال ماجد: فطار عقلي خوفاً، وما شككت أن القوم أحسُّوا بي وقصدوني، ولم أجد لي سبيلاً إلى الهرب ولا مُتجهاً، فلما اتَّصل الحس اليّ وأيقنت أنني أدركت حقيقة، واني سأقتل نظرت، وإذا بثور أبيض وعليه رجلٌ راكب، فلما وصل اليّ، نزل بين يديّ وأنا في أشد شدة من ألم الجراحه وشدة الخوف، وقال: أتطبيق النهوض يا ماجد؟ قلت: لا والله فاخذني بيدي واركبني على ذلك، واطلَّعني من الماء، وسار بي إلى بلد من تلك البلاد، وكان غالبُ أهلها يعلنون بالرفض، فلما

١- أبا النجم بن ورام الجاواني في معارك سنة ٤٩٩ هـ/١١٠٥م، ويقول ابن الأثير إن صدقه قبيل مقتله " وَعَدَ الْأَكْرَادَ بِكُلِّ جَمِيلٍ لِمَا ظَهَرَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ ". الكامل، ٨/٥٥٥.

٢- السلطان السلجوقي الذي حارب الأمير صدقة المزيدي وقتله سنة ٥٠١ هـ/١١٠٧م هو محمد بن ملكشاه (٤٩٨- ٥١١ هـ/ ١١٠٤- ١١١٧م) وهي السنة التي توفي فيها أبو الوفا، أما السلطان مسعود بن محمد فحكم خلال سنوات (٥٢٦- ٥٤٧ هـ/ ١١٣٢- ١١٥٢م).

٣- هنا اضطراب في العبارة لسقوط شيء منها.

رأوني سألوني عن اسمي، فأخبرتهم أن إسمي علي، خشية من شرهم، وتقرباً عليهم. ثم أوتي إلى عجوز منهم فألهمها الله تعالى أن داوت جراحي، وشدته وعطبته. ولم ازل عندها أياماً، فلما كان في أثناء هذه المدة، كبس السلطان مسعود الراضة الذين أنا في فرقتهم، فهرب أهل القرية عن آخرهم، ونهب ما فيها، وضربت طوابل السلطان مسعود على باب دار العجوز التي أنا عندها، وكان لها ألف رأس غنم، فأدخلت أغنامها عندي إلى دارها، وهي خائفة علي وعلى أغنامها أعظم خوف.

قال: فدخل علي وعلى الغنم (التي في) الدار كثير من عساكره، فأعمى الله تعالى أبصارهم، ولم يروا الأغنام، ولا رأني منهم أحد، وسمعتهم يقولون: لم يبق (من) أهل الدار بها أحداً ولا دابة ولا شيئاً إليه. فلما دخل العسكر، وعاد أهل القرية إلى أوطانهم، فقد الجميع ما كان لهم من دواب وأموال وحلية وغير ذلك عن آخره، خلا أغنام تلك العجوز، فإنهم لم يفقدوا لها شيئاً أبداً، فاعتقد أهل القرية تلك العجوز، وعظموها وجعلوا يسألونها عن ذلك، فقالت: والله إنني لا أرى ذلك إلا من بركة هذا الرجل وبركة إحصاني إليه، فإنه فقير كسير، فندم القوم على تقصيرهم في الإحسان إلي، وما زلت عندها حتى برئت جراحاتي، وتوجهت إلى خدمة السيد تاج العارفين - قدس الله روحه - فلما نظر إلي قال: الآن أن أوان توبتك، تقدم إلى الحضرة، هلم إلى التوبة، إدن من سبيل الجنة.

فتبت على يد السيد تاج العارفين (١٥٥هـ) ذلك اليوم، وعدت إلى جهة أهلي، وكانوا بأرض سنجر،^٢ فلما وصلت إلى أهلي تعاضم سرورهم بسلامتي وتوبتي وانتمائي إلى السيد تاج العارفين.

وأقمت عندهم أياماً، فقال لي أهلي وأهل بلدي: يا ماجد! إن هنا بهذه الأرض سبع عظيم قطع السبل على المارة، وضيق علينا المسالك كلها، فلك أن تذهب إلى السيد تاج العارفين وتدعوه لنا، وسنتوسل إليه، لعله أن يحضر إلى أرضنا ويذهب الله تعالى على يده عن المسلمين هذا السبع ببركته، ويتوب الجميع منا على يده.

^١ - جمع الطبل، وهي من الآلات الموسيقية التي تستخدم في الحرب أيضاً .

^٢ - سنجر أو سنكور قرية لاتزال عامرة تابعة لداقوق القريبة من جبل حميرين، وأهلها من الكرد الكاكية وهناك قرية بنفس الاسم تابعة للدينور في إقليم الجبال، ذكرها السلفي (ت: ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م) في معجم سفره، وهي بلدة سنقر أو سنكور الحالية، أما سنجار فهي مدينة معروفة، وسبق وأن ذكر المؤلف أن أولاد ماجد الكردي يقيمون بخانيجار ثم ذكر أن ماجد الكردي من أهل قوسان.

فرجعت إلى السيد تاج العارفين، فلما رأني نظر إليّ ملياً وقال: يا ماجد! إن سلك قومك إليّ يدعوني إلى بلادهم لأجل السبع المؤذي لهم. فلما بادأني بذلك، ذهَلْ عقلي، ثم قلت: نعم يا سيدي هو والله ما ذكرته، فقال: ووعدوك بأنهم يتوبون جميعاً على يدي؟ قلت: نعم يا سيدي، وأنا أسألك بالله في إجابة الدعوة. ولم أزل اتملق له، وأتوسل إليه، حتى أنعم، ثم قال: يا ماجد! من أرسل لك الثور الأبيض في الماء عند شدة ضيق المناهج وأنت مجروح مطروح؟ ومن أعمى الله عنك عساكر السلطان مسعود، وعن أغنام المحسنة اليك ببركة دعائه دون جميع من بتلك القرية؟ فقلت: اللهم نعم! وعلمتُ من ثمَّ أن جميع ما حصل لي بعنايته.

ثم أن السيد خرج معي بجمع من أعيان أصحابه، فلما قدمت به على أهلي تبادر الناس إلى لقائه، وسُرُّوا به سروراً عظيماً، وتاب على يده غالب من بتلك البقاع بعيدها وقريبها، وامتلأت قلوبهم خيراً وفرحاً، فلما كان بعد ثلاثة أيام من مقامه عندهم، اجتمع إليه أشرف الناس وشكوا له ضرر السبع، فنظر السيد إليّ وقال: يا ماجد، قلت لبيك! قال سمعت ما شكاه قومك: قلت نعم، قال: اذهب إلى هذا السبع الذي شكاه قومك ولا تخش منه أبداً، وقل له بلا جزع: يقول لك: يا كلب الله اذهب عن هذه الأرض، ولا تسلك فيها بعد اليوم أبداً، فذهبتُ إلى ذلك السبع وخلفي من قومي (١٥٥ب) عددٌ كثير، فرأيتُه سبعا عظيماً لا سبيل إلى وصفه لعظم خلقته، وهو في المكان الذي وصَّفه لي قومي.

فلما رأني ابتدرني، فقلت له: أنا رسول السيد تاج العارفين اليك، فتوقَّف وجعل ينظر إليّ، فأبلغته رسالة السيد كما أمرني، من غير زيادة ولا نقص، ورجعت إلى السيد، والقوم من بعيدٍ ينظرون، فلما أبعدتُ عنه اجتمع بي رفاقي، وسألوني عن إبلاغي له الرسالة، فأخبرتهم بما أبلغته بكماله، فبينما أنا أحدثهم ويتحدثوني، إذ نظر أحدهم خلفي وقال: يا ماجد، إن السبع تابع لنا من ورائنا! فنظرتُ وإذا به يمشي لصوبنا، فما تمثلتُ بين يدي السيد إلا هو بين يديه، فتفرَّق الناس يمينا وشمالاً من حوله، ووضجوا بالصراخ ضجّة واحدة، وجعل ذلك السبع يُمرِّغ وجهه على قدّمي السيد كالمسلّم عليه. فقال له السيد: يا كلب الله! اذهب من هذه الأرض بسلام، فليس لك في هذه الأرض مقام بعد اليوم. فقام الأسد يمشي الهويناً حتى توارى عن أعين الناس، ولم يعد أبداً.^١

^١ - ثمة قصة مشابهة حول الأسد تنسب إلى الشيخ الشنكي.

فتباكى القوم وزهد غالبهم في الدنيا، وصلحت أحوالهم، ولزموا أنواع الخيرات، وحصل بتلك البقاع لأجل ذهاب السبع عنهم تهليل وتكبير، وسجدوا شكراً لله تعالى. ثم أن ماجداً من ذلك اليوم وجماعة من قومه سالوا السيد الصُّحبة ولزوم الخدمة، فأذن لماجد في الصُّحبة والخدمة، ولزم ذلك إلى أن مضت سبع سنين.

وفي هذه السبع سنين لم يضع الركوة ماجد على الأرض لحظة، لعزة مقام السيد، بل إن كان قائماً فالركوة في يده، أو نائماً فهي على صدره، أو جالساً فهي على ركبته. ولم ينظر ماجد، منذ توجه للخدمة هذه السبع سنين، وجه السيد أبداً، فلما كان بعد هذه السبع سنين دخل على السيد يوماً خادماً الجليل العارف أبو الحسن علي بن الهيتي ليسكب الماء للوضوء، وتناول الركوة من يد ماجد، وأخذ في الصَّب على السيد وهو يتوضأ، وماجد خلف الباب ينظر ذلك، فلما كشف السيد عن جبهته ليغسل وجهه، نظر إلى جبهته ماجد فرأى عمودَ نور من جبهته إلى عنان السماء، فصرخ صرخة عظيمة وخرَّ مغشياً عليه، فوقع على جانب الباب، فانطبق الباب انطباقاً (١١٥٦) مُزعجاً، فالتفت السيد نحو الحِس وقال: ما هذا؟ فقال له الشيخ علي بن الهيتي: هو ماجد يا سيدي.

فقال: ماجدنا؟ قال له الشيخ علي بن الهيتي: نعم يا سيدي، ماجدنا! فلما دخل قول السيد تاج العارفين ماجدنا، وقول علي بن الهيتي ذلك في سمع الشيخ ماجد، طرب لذلك طرباً عظيماً، وأفاق به من غَشَوته تلك على قَدَميه حتى صار شيخاً كاملاً مُكَمَّلاً. وثمَّ في تلك الساعة فتحه، ومن ثمَّ سمع تسبيح الأملاك في الأفلاك، وخطاب الحيوانات والجمادات، ومازال بعد ذلك في خدمة السيد يخدمه بالحال ثلاثاً وثلاثين سنة^١.

ومات ماجد على راس مائة وعشرين سنة، منها أربعون سنة ذهبت في خدمة السلطان سيف الدولة، والأربعون منها، وهي الوسطى، في خدمة الشيخ تاج العارفين، والأربعون الأخيرة كان فيها شيخاً مُكَمَّلاً يدعو الخلق إلى الحق. سكن رحمه الله جبل حميرين، واستوطنها إلى أن مات بها سنة إحدى وستين وخمسائة - ١١٦٥م - ، وقبره بها ظاهر يُزار، رحمه الله تعالى ورضي عنه، ومدَّحه بعض مُحبِّيه في أبيات:

^١ - كيف؟ وابو الوفا توفى كما ذكرنا في السنة نفسها التي جرح بها ماجد الكردي .

يا ماجداً ماله في ملكه ثاني	هب ماجداً قصده من كل إحسان
في جنة الخلد وارفح قدره فلقد	نال العلو على صحب وأقران
في خدمة السيد القطب الفريد	أبي الوفا أفضل من وafa ببرهان
فياله خادم قد باع مهجته	فاعتاض عن كل ما في الكون من فاني

- ذكر الشيخ القدوة جاكير :

روينا أنه كان من أكابر المشايخ، وأعيان العارفين المقربين، وأئمة المحققين البارعين، صاحب الكشف الطالع، والكشف اللامع، والبصيرة الخارقة، والسريرة المشرفة، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات السنوية، له المنازل الرفيعة من مراتب القرب، والتصدر والتعالي في مجالس القدس، والسبق إلى جليات التصريف، والسمو فوق ذرى قمم التمكين، والترقي في درجات المعاني النورانية. وهو أحد من أنوار الله تعالى إلى الوجود، وصرّفه في العالم، ومكّنه من إحكام الأحوال، وقلب له الأعيان، وخرق العادات، وأظهر (١٥٦ب) على يديه العجائب، ونطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وأوقع له القبول عند الخلق، وملاً الصدور من هيّبه، والقلوب بمحبّته. وهو أحد أركان الشأن، وأئمة الطريق، وأعلام العلماء بمناهجها معرفة وعلماً وشهوداً وتحقيقاً وحالاً وجلالة.

وكان شيخه السيد تاج العارفين - رضي الله عنه - يثني عليه كثيراً، ويُنوّه بذكره، وأرسل إليه الطاقية على يد خادمه الشيخ علي بن الهيّتي في أول مبادئ أمره، وأمره أن يلبسه إياها نيابة عنه، ولم يكلفه الحضور إليه. وقال في حقه: سألت الله تعالى أن يجعل جاكيرا من مريديّ فوهبه لي. وكان المشايخ بالعراق يقولون الشيخ جاكير انسلخ من نفسه كما تُسلخ الحيّة من جلدها. وهو الذي يقول: ما أخذت العهد على أحد حتى رأيت اسمه مكتوباً على اللوح المحفوظ، أنه من جُملة مريديّ.

وقال أيضاً: أوتيتُ سيفاً ماضي الحد، أحد طرفيه بالمشرق والآخر بالمغرب، لو أشير به على الجبال الشوامخ لهوت. انتهت إليه رياسة هذا الشأن في بلاده وما يليها، وانتفع به جماعة فيهم كثرة. وانتمى إليه خلق من الصلحاء، وبجله المشايخ واعترفوا بفضله. وكان جميل الأخلاق، ظريف الشمائل، كامل الآداب، شريف

الصفات، ظريف المعاني، مع ما أيده الله تعالى به من لزوم أدب الشريعة، وحفظ قانون العبودية. وهذه أبيات فيه:

رعى الله جاكيراً لقد كان كاملاً
وكان له كشفٌ وسيفٌ وقوةٌ
رأى عجلةً في جوف أحشاء أمها
وعجلاً رآه في حشا الأم أحمرًا
وعين يوم النذر والوَضْع ثم من
وجاء الذي أبداً مُحَقًّا مُبِينًا
وشهوة الضيف لحم الضبيّ تم التي
قم واذبح الضبيّ واصنع ما تشاء به
ولم يكن قبلها ضبيٌّ ألمٌ به
والواسطي الذي قد صار مُتَجَرًّا
لما رأى الموت نادى الشيخ ملتهفاً
أومى إلى الريح فاستهدت وطاب له
وكلُّ من كان تاج العارفين له
هذا بنور نبيٍّ ما له أبداً
صلى عليه إله العرش ما طلعت
والأل والصحب والأنصار قاطبة

وجاهدَ في المولى فأضحى مُكَمَّلًا
وكان فضيلًا جميلًا فاضلاً ومُجَمَّلًا
له نذرت نذرا صحيحاً مُوجَلًا
على اسمه أيضاً وكان مُحَجَّلًا
له فيها رزقاً به قد سهلاً
تعالى الذي أعطاه فضلاً فآخراً
ضبي إلى الحي قال الشيخ قد حملاً
وصرف الضيف مهما شاء ذا اكلاً
سبحان من بعنايات له شمالاً
في البحر فاختلفت منه الرياح ولا (١١٥٧)
فاجتاز في البحر يسعى نحوه عَجَلًا
ريح الجنوب ونال الأمن واتصلاً
شيخاً فذاك الذي فاق واكتملاً
مثلٌ وفي طيبةً بالجسم قد نَزَلًا
شمسٌ وما لاح نجمٌ في الفضا وعلا
والقطب والنجباء يا رب والبُدَلًا

وكان له كلامٌ عال على لسان أهل الحقائق، منه:

المشاهدة ارتفاع الحُجُب بين الرب وبين عبده، فيطلع بصفاء القلب على ما
أخبر من الغيب، ويشاهد الجلال والعظمة، وتتغير عليه الأحوال والمقامات، فتداخله
الحيرة والدهشة، ثم تُخرجه الحيرة إلى البهتة، فتراه شاخصاً بالحق إلى الحق، فتارةً
يُشاهد الجمال، وتارةً يطالع اللطف والبهجة، فهذا يُيسطه، وهذا يُنقصه، وهذا
يطويه، وهذا ينشره، وهذا يفقده، وهذا يوجدّه، وهذا يعيده، وهذا يُبقيه، وهذا

^١ - في الأصل: فاجرلاً.

^٢ - على الهامش شطر بديل هو: والتابعين وأهل الحق والبدا.

يَنفِيهِ، فهو زائل على نعوت البشرية بصفات العبودية، لا يخشى بالأغيار، ولا يشهد إلا عظمة الجبار.

ومنه: إذا قُدِحَتْ نار التعظيم مع نور الهَيْبَةِ في زناد السِّرِّ تَوَكَّدَ منها شُعاع المشاهدة، فمن شاهد الحق عز وجل في سِرِّهِ، وسقط الكون من قلبه، فإذا تَوَالَّت المشاهدة على القوم، تولاهم الحق سبحانه وتعالى بأمثال التولي، ثم يجيبهم عن رؤية المتولي، فيجذبون من الحيرة في نور المشاهدة إلى الحيرة في نور الازل، واختطفوا من الدهشة في قدس الأنس إلى الدهشة في غير الجمع، فمن حائر بين الاستتار والتجلي، ومن هيام بين البعد والتداني، ومن ساكن بين الوصل والتعالي، وهو محل الإستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة، ليس فيها سوى الذبول تحت موارد الهيبة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾^١ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^٢.

قيل معناه استقاموا على المشاهدة لأن من عَرَفَ الله تعالى لا يهاب غيره، ومن أحب شيئاً لا يطالع سواه.

وكان رضي الله عنه يتمثل بهذين البيتين: (١٥٧ب)
الشوق والوجد في مكان قد منعاني من القرار^٣
هما معي لا يفارقاني فذا شعاري وذا دثاري

أخبرنا أبو الحسن علي بن الشيخ الصالح أبي محمد الحسن بن الشيخ الصالح أبي الصبر يعقوب بن علي الحميدي السامري قال: أخبرنا أبي: قال سمعت والدي - رحمه الله تعالى - يقول: كانت نفقة شيخنا الشيخ جاكير من الغيب، وكان نافذ التصريف، خارق الفعل، متواتر الكشف، يندر له كثيرا. وكنت عنده يوما، فمررت عَنَّا بَقَرَاتٍ مع راعيها، فأشار إلى إحداهن وقال: هذه حامل بعجلة صفتها كذا وكذا، وتضع في وقت كذا وكذا، وهي نذر لي، ويذبحها فلان من الفقراء يوم كذا، ويأكلها فلان وفلان من الفقراء، ولكب أحمد فيها رزق.

^١ - سورة الأحقاف، الآية (٢٩).

^٢ - سورة فصلت، الآية (٣).

^٣ - كذا في الأصل، والأصح: الفرار.

وهذه حاملة بعجل أحمر مُحَجَّل صفته كيت وكيت، تضعه أمه في يوم كذا، ويأكله فلان وفلان. فو الله لقد اتفق ما ذكَّره بحروفه، ولم يخلَّ شيء، ولقد رأيت كلباً أحمر قد دخل واختطف قطعة من لحم العجلة وذهب بها. وقال: وأتاه واردٌ وقال له: يا شيخ جاكير! أحبُّ أن تطعمني في هذا اليوم لحم ضبي، فأطرق الشيخ جاكير ساعة، ثم رفع ساعة، وقال: لعل الله أن يطعمك ما تُحب. وبعد قليل نظر القوم وإذا بضبي قد جاء سعياً إلى حضرة الشيخ جاكير، فقال للوارد: قد منَّ الله بما أحببته، ودَبَّح ذلك الضبي ووضِع بين يدي الضيف، وقال: كل ما تُحب. ولقد كنتُ في خدمته منذ بضع سنين، ما رأيتُ في زاويته ولا حولها ضبياً غير هذا.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن بركات بن مسعود بن كامل العباسي التكريتي قال: سمعتُ الشيخ العارف الغرز بن الشيخ القدوة جاكير^٢ يقول، جاء تاجر إلى والدي^٣ من أهل واسط، وكان يُحبه وله فيه عقيدة سالحة، فاستأذنه في ركوب بحر الهند بتجارة له، فأذن له، فلما ودَّعه قال والدي: إذا وقَّعت في شدة لا تقدر على دفعها استغث بي ونادني باسمي.

ثم سافر ذلك الرجل، فلما كان بعد ذلك بستة أشهر وتب والدي قائماً، ونحن عنده، وصفَّق بكفيه وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^٤، (١٥٨) ومشى خطوات يميناً وشمالاً ونحن نشاهد ذلك، ثم جلس، فسألناه عن ذلك، فقال: كاد التاجر الواسطي أن يغرق في هذه الساعة فأنقذه الله تعالى على يدي، فأرحنا ذلك اليوم، ثم بعد سبعة أشهر وصل التاجر وجعل يُقبِّل أقدام والدي ويقول: جزاك الله خيراً، لولاك ياذن الله لهلكنا جميعاً في الماء ذلك اليوم، فتبسَّم وقال: أحمد الله! فإنه الفعَّال لما يريد، فلما خلَّونا بالتاجر سألناه عن أمره فقال: إننا توغلنا في لُجَّة في البحر في طلب بلاد الصين، وضللنا عن الطريق، وأيقن كلُّ من في السفينة بالغرق، فلما كانت ساعة كذا من يوم كذا، وذكر ذلك الوقت الذي أرخناه، وعصفت علينا

^١-مكررة في الأصل.

^٢-لم يتزوج جاكير الكردي قط كما أكد الذهبي وخلفه في مشيخته أخوه أحمد وأبناؤه وأحفاده والغرز هذا هو الغرس- غرس الدين الحاجي بن أخيه أحمد، تاريخ الإسلام، ٩٠٦/١٢، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، ٤٠٧، ١٠٥/٢.

^٣-الصحيح إلى عمي.

^٤- سورة الزخرف، الآية (١٣).

الرياح العواصف من جهة الشمال، فهاج البحر واشتد الحال، فناديت: يا شيخ جاكير! أدركنا، فلم استكمل كلامي حتى رأيتَه قائماً في السفينة، فأشار بيده إلى جهة الشمال فسكنَ الريح لوقته، ثم وثبَ فإذا هو على ظهر البحر، فصفق بيديه قائلاً: سبحان الذي سخر لنا هذا.. الآية، ومشى على الماء يميناً وشمالاً، فهدأ البحر، ثم نظر إلى جهة نحو الجنوب فهبت علينا ريح طيبة اقتلعتنا إلى جهة قصدنا، ثم لم نزل نلاحظه بأعيننا وهو يمشي على الماء حتى غاب عن أبصارنا.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الداري قال: سمعت الشيخ العارف مسعوداً الحارثي يقول: حضرت الشيخ جاكير والشيخ علي بن إدريس مجتمعين، فتجارياً ذكر المشايخ ما سلف لهم في صحبتهم، فقال جاكير: لم يظهر في الوجود من المشايخ بعد السيد أبي الوفا تاج العارفين أفخر حالاً، ولا أنفذ تصريحاً من الشيخ عبد القادر، وانتقلت القطبية عنه إلى الشيخ علي بن الهيتي، فسئل الشيخ علي بن إدريس عن ذلك، فقال: أخبر جاكير عما شاهد ونطق بما سمع، وهو العدل المبرز الرضي في أقواله وأفعاله، قالوا: توجه جاكير إلى زيارة شيخه الأستاذ تاج العارفين أبي الوفا، وكان حياً، فلما دنى من قلمينيا لقيه الشيخ ابن الهيتي - رضي الله عنه - فلم يعرفه جاكير، فسلم عليه ابن الهيتي فقال: وعليك. أتعرف خبر أبي الوفا؟ قال: هو في زاويته.

فهم جاكير بالإنصراف نحو الزاوية، فلم يمس فرسه، فتنبّه وتأمل وجه ابن الهيتي فعرفه، فنزل عن جواده، واعتذر له عن عدم معرفته مع كون السيد كان قد جعله (١٥٨ب) نائبه في أمره، ووجه إليه التاج على يده. ثم أمره ابن الهيتي بالتوجه إلى السيد، وذكر له أن السيد إنما أرسله لتلقيه، فسُرَّ بذلك، وذبح جواده شكراً لنعمة اغتناء السيد به، وفرقه في الفقراء. وأقام في خدمة السيد وتجديد العبادات والتوبة مدة زمانية، ثم أذن له في العود إلى أهله، فسأل ابن الهيتي في فضلات سفرة السيد أبي الوفا ليصحبها معه إلى أهله، ففعل ذلك واستمد من السيد تاج العارفين وانصرف.

وبلغ السيد استصحابه الفضلات فتبسّم، وقال: وعزة من له العزة ليكون لجاكير سباط ينتفع به خلق كثير، ويقصد بالزيارة من أطراف الأرض، وينفع الله به خلق كثير.

قلت: وجاكير هذا من أكابر الأكراد، سكن صحراء العراق قريباً من قنطرة^١ الرصاص، على مسافة من سامراً، واستوطن بها بعد ما تقدم ذكره آنفاً. وقد مر في الشطر الأول أن اسمه محمد القادري^٢، نسبة إلى القادر بالله أمير المؤمنين، والد القائم الذي اتفق له مع السيد ما اتفق، كما أوضح هنالك سبب تلقيه بجاكير، أنه لما فقد تاج الكرامة حين ظن استغناؤه عن أستاذه تاج العارفين، فكاد يموت غيباً وأسفاً، فأطلع الله الأستاذ عليه، فقال له: جاكير، وهي لفظة كردية معناها أثبت، كما مر.

فاشتهرت هذه الكلمة فصار لا يُعرف إلا بها، ولم يزل مستوطناً بالأرض المذكورة حتى مات^٣، وكان قد طعن في السن ودفن بها، وقبره يُزار، وأمر الناس حوله قرية كبيرة. وله مريدون كثير، نفع الله تعالى به.

- ذكر الشيخ أحمد البقلي، رحمة الله عليه :

يروى أنه من أجلاء العارفين وأعيان المتصرفين، صاحب كرامات عالية، وأنفاس زكية، وأخلاق رضية، وأفعال وأقوال مرضية، وهِمَمَ سنية، وقُرب جلي، ودلالة واضحة. انتهت إليه رياسة طريقه، وعكفت الخلائق على لبس زيقه. له علم ومعرفة، وجلالة ومهابة وتمكين، ولم يبلغنا منه إلا اليسير، وأحوال نفيسة.

تلمذ له خلقٌ كثير، وهدى الله على يديه إناس كثير، حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم، منهم الشيخ علي الشهير بالبقلي نسبة إليه، واشتهر أيضاً بالبقال لكونه كان يتبع شيخه في اجتلاب البقل، فيقتات به في بدايته طلباً للحل. له وقائع لطيفة مُرشدة، منها أنه كان يوماً بالقاهرة بالمدرسة السُيوفية^٤، فدخل (١٥٨ب) عليه

^١ -قنطرة الرصاص قنطرة من حجر على النهران، لا أثر لها الآن، وإن كان موقعها معروفاً.

^٢ -راجع تعليقنا المتقدم عن هذا اللقب..

^٣ -توفى جاكير الكردي في سنة ١١٩٤/٥٩٠م أو التي بعدها ووجه ابن تيمية رسالة إلى بيت الشيخ جاكير ذكرها تلميذه ابن قيم الجوزية في قائمة بمؤلفات شيخه.

^٤ -من المدارس المهمة في العصر الأيوبي، وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي على المذهب الحنفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م وكانت سابقاً من جملة دار الوزير المأمون محمد بن فاتك البطائحي، وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية في مصر وعرفت بالمدرسة السُيوفية لأن سوق السُيوفيين كان في ذلك الوقت على بابها، وتعرف اليوم هذه المدرسة باسم جامع الشيخ مطهر وموقعه بأول شارع الخردجية على يسار الداخل إليه من جهة شارع السكة الجديدة، عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص ٢٧١-٢٧٢.

الشيخ أبو حفص عمر بن الفارض السعدي^١ - رحمه الله - إلى المدرسة، فوجد الشيخ يتوضأ، وكان يتطلب من يفتح له على يده، ورآه لا يُرتب وضوءه، فدخله الإنكار وقال: يا شيخ، أنت في هذه السن، وبمصرٍ عظيمٍ كثير العلماء ولا تحسن الوضوء، ولا تتعلم؟ فتبسم الشيخ وقال: يا عمر لا يفتح عليك إلا بمكة، قال بن الفارض: وأين أنا من مكة؟ فقال: هذه مكة! فشاهدها جهراً، ثم أخذ عنه وسأله الملاحظة، واستأذنه وتوجّه^٢ إلى جهة مكة، ولاحظه حتى وصل إلى مكة المُشرّفة، وتابع الفتح عليه حتى صار إلى ما صار إليه، بحيث أجمع عليه أولياء عصره، ومن بعده رحمة الله.

قالوا: واحتضر البقلي ولم يَعْلَم به بن الفارض، لما أنه كان في بعض صحارى الحجاز هائماً، فبينما هو (في) تلك الساعة مُستلقياً على ظهره، وقع على وجهه رشّة ماء، ففتح عينيه، فوجد رجُلين في الهواء، أحدهما يتوضأ والآخر يصب عليه الماء، فسألهما عن حالهما فقالا: إن البقلي قد احتضر، وقد سأل الله تعالى أن يحضر وفاته أربعون رجلاً من أرباب الأحوال، وقد استكملوا بنا تسعة وثلاثين، فهل لك في إكمالك أربعين بك؟ قال: نعم! ثم توجّه معهم، فعمّا قليل بلغوا مصر سالمين فنظر البقلي إلى بن الفارض نظراً خاصاً، وقال: عمراً! أعلم أنني سألت الله في حضورك، وأن في حرفتي^٣ ثلاثة دنانير أحببت أن لا أجهز عند موتي بغيرها، فإذا أنا مُت فتول تجهيزي بها، واقصد بي ذيل الجبل المقطم، تحت العارض، واصبر ولا تضجر وإن ضجر الناس وانصرفوا، حتى ترى في ما يريك الله من عجيب الصنع، فأجاب بن الفارض بالسمع والطاعة، وقضى البقلي في الحال، (و) جهزه بن العارض كما أمره به، فلما وُضعت الجنازة، وفرغ (من) حفر قبره، وأرادوا دفنه، إذا حيّة عظيمة في القبر توسّدت، فأعرضوا عنه إلى قبر ثانٍ، فوجدوا حيّة أعظم منها، فقصدوا ثالثاً، فوجدوا به أعظم منها، فعادوا إلى الأول فوجدوه على حاله، فأدركهم المساء إلا قليلاً منهم، ووقعوا فيه، فأشار بن الفارض بانصراف الباقيين، وإن هم عنده يحرسه

^١ - هو الشاعر والمتصوف المعروف شرف الدين أبو حفص وأبو القاسم، عمر بن علي بن مرشد بن علي بن الفارض الحموي (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ / ١١٨١ - ١٢٣٤ م) الملقب بسُلطان العاشقين، الأعلام، ٥٥/٥ - ٥٦.

^٢ - في الأصل: توجهته .

^٣ - الحرفة بحسب السياق هنا كيس النقود، ولا وجود لها في المعاجم ويجوز قراءتها: خرقتي.

إلى الغد، فأطاعهم الله له في ذلك. فبينما بن الفارض قد انفرد عنده، وهو في فكرة طويلة، اذا برَجَل طيور عظيمة، فنظروا (١٥٩أ) إذ هي هبطت من السماء. قال بن الفارض: فأقبل مُقَدِّم الطيور، فصلّى على الشيخ، وصلّى بقية الطير خلفه كما يصلي الانسان، ثم ذهبوا وأتى غيرهم فصلّى، ثم ذهب، وهكذا طال الأمر جداً، وكدتُ أغيب عن حَسِّي، ولا زلتُ كذلك حتي أصبحتُ، فإذا أنا برجال لا أعرفهم، فأيقظني حضورهم، فجددت الوضوء، وصلوا الصُّبح فصلَّيتُ معهم، وأمّ بنا وبهم، رجلٌ أبله ممن يُصَفِّع قفاه في الأسواق، ثم صلوا على الشيخ ثم انصرفوا، ووقف أمامهم المذكور، ثم ارتفع إلى أثناء الجبل، وجعل ينظر إلى السماء تارة، وإلى الأرض تارة. وإذا طائر عظيم أخضر قد نزل من الجو، فنقض بمنقاره عُقْد الكَفَن، ونزع القطن من منافذ الشيخ، ثم ابتلعه وطار به، فمضى الأبله وتبعته، فأقسمت عليه وهو مُسرِع ألا ما يوقف حتى ألحقه، ففعل، فأقسمتُ عليه بالله أن يُعلمني بأمر الطائر، وما هو؟ فقال: أما سمعتَ أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خُضر؟ قلت: هذه أرواحهم فما بال أبدانهم؟ قال: أرواح شهداء السيوف في حواصل طيور خُضر في الجنة، وأما شهداء المحبة فكُلُّهم^١. ثم نظرتُ فلم أجده فعدتُ ولا رجلٌ لي تسعى ولا يد، فوجدت بعض أصحاب الشيخ قد حضر، فطمَّ حُفرة من تلك الحُفر، وبنينا عليها صُفَّة قبر، ليكون تذكرة لزواره ومُحبِّيه. وجعلتُ كَفَنه لي قميصاً أتبرِّك به، فقال بعضهم: ولما توفي بن الفارض كُفن فيه ودفن به والله أعلم. ولم اتعرض إلى ذكر شيءٍ من مناقب الشيخ أحمد البقلي غير ما ذكر، لِمَا لا يخفى أن من أعظم المناقب أن ينشأ عنه مثل من ذكر. وقد تخرَّج به عن الشيخ المذكور جمعٌ كبير، وخلق كثير، نفع الله بهم آمين.

- ذكر الشيخ رمضان المجنون رحمة الله عليه :

رُوي أنه كان شيخاً جليلاً عارفاً كبير المقدار، طاهر الوضاعة والأنوار، بادي البُرهان والأسرار، ظاهر البركات، متواتر الحالات، نافذ التصريف، طويل الباع، عميق الإطلاع على أسرار القلوب، وأدلة أسرار الغيوب، حافظاً لودِّ الإخوان، مراعيّاً لأداب الشريعة على ممر الزمان. لم يمل به (١٦٠أ) هواء، ولم يكبُّ به جواد، محفوظاً

^١ - كذا في الأصل، وواضح أنه ثمة قطع في العبارة.

من كل بدعة وزَّيغ وتحريف وضلالة. وهو الذي تبع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهو يمشي في طُرق كيلان إلى باب داره، وكان له معه من الأمر ما قُصَّ في الشطر الأول.

قالوا: عرض للشيخ رمضان في سلوكه عارض أوجب تجديد توبته، وذلك قبل وفاة السيد أبي الوفا تاج العارفين فيما أنه كان بعيداً عنه، وعنَّ له أن يكون ذلك بحضرة الشيخ زكريا خليفة السيد أبي الوفا تاج العارفين قدس الله تعالى سره. قال رمضان: فبينما أنا في هذه الفكرة بالبادية، إذ لقيني فارسان عظيمان، فسلماً عليّ فرددتُ عليهما السلام، ثم قال لي أحدهما: يا رمضان! هل في نيتك تجديد توبتك؟ قلت: نعم! ولكن على يد السيد تاج العارفين أو خليفته، لأنه أستاذي. فقال: هذا رفيقي هو تاج العارفين، فنظرتُ إلى رفيقه إذا هو سيدي بعينه، فقَبَلْتُ يده، ووقفتُ بين يديه موقف الذل، فقال: يا رمضان تأدَّب مع هذا (الذي) تكلمت معه، فهو جدي علي بن أبي طالب، فبادرتُ إلى الإعتذار، فَبَشَّ لي وقال: قص ما عندك، فقصصتُ لما مرَّ بي، فقال: لا بأس عليك، جدد الآن توبتك على يد أستاذك، فجددتها بحضرة علي كرم الله وجهه، ثم مسح بيده على صدري، فامتألتُ نوراً بحيث دهشت عن نفسي، وغبتُ عن حسي، فلما عدت لم أجدهما، فبقيت هائماً حتى لقيني أستاذي فسكن روعي، وعدتُ إلى حسي، ثم أمرني فعدتُ إلى أهلي، وسكنت الدور على العادة، وبنيتُ داراً لعيالي، وزاوية للفقراء. واتفق أني كنتُ ذات يوم جالساً بالزاوية، وإذا الشيخ إقبال، أحد خدام السيد أبي الوفا تاج العارفين، قدم علي بمبلغ كبير ذهباً، وقال لي: يارمضان! هذه تُحفة بعث بها أستاذك اليك، فتوجَّهتُ إلى جهة السيد لأرى سبب ذلك، فإذا صوته في أذني يقول: يا رمضان! إقبَل من خادمي وأرضه، فقدَّمتُ له بساطي ثم أثوابي ثم أغنامي ثم داري، ثم جميع ما أجد، وقلت له: والله لو كانت روعي في يدي لوَهَبْتُهَا، فلم يقبل مني شيئاً إلا بشرط أن أقصَّ له قصتي، فقَصَصْتُهَا له، فقبل ما قدَّمته، ثم قال: دَع ذلك عندك وتمتع به، وأنت وليي فيه. ثم ودَّعني وذهب (١٦٠ب).

قالوا: وكان الشيخ رمضان هذا بعد وفاة السيد بمدة طويلة يبني في شيء يتعلق بالزاوية، وعنده العمَّالون والصناع، فأتى جماعة من فقراء سيدي أحمد ابن الرفاعي - قدس الله روحه - وكان بعث بهم لاختبار حال الشيخ رمضان، وكانوا نحواً من أربعمئة، فمالوا إلى ضيافته، فتلقاهم أحسن تلقاً، وبسط لهم بساطاً،

وأحضر دَسْتًا^١ فملاه ماءً، وألقى عليه قليل أرز، ونصبه على ثلاثة أحجار كبار بغير نار، ثم نفخ تحته قليلاً، فاشتعلت تحته نار بلا حَطَب، وذهب إلى عمارته وفَعُوله^٢ وهي عنده من الصُّنَاع، فلما نظر القوم إلى ذلك تعجبوا منه، ثم قالوا: أتعجب من إيقاد النار بلا حطب، أم أن دَسْتَه ليس فيه غير الماء، وهو في حاجة إلى الطعام. فبينما هم في فكرة إذ أقبل الشيخ رمضان من العمارة بقصاع كثيرة، فَعَرَفَ بيده أرزاً وسَمَنَ ولحم^٣ كأحسن ما يكون، فأكل القوم، فكان يحلف بعضهم لبعض أنه لم يأكل في عمره أحسن منه. فتأدَّبوا ثم ودَّعوه وعادوا، فأخبروا ابن الرفاعي بما كان من أمرهم معه، فقال: تأهَّبوا فعن قريب يطرقكم، فتأهَّبوا له في شيء كثير اعتماداً على أنه يحضر بأصحابه، فعَمَّا قليل قدم عليهم فتلقوه أحسن تلقً، ثم قدموا له ما أعدَّوه، فأتى عليه بأجمعه، واستزاد فزادوه، ثم استزاد حتى أعياهم أمره. فتلافى ابن الرفاعي خاطره، وسأله الصَّفْح، وتبسط معه، فقال رمضان في مباسطته للقوم: اشبَعَكُم اللهُ على يدي في قرية صغيرة ولم تشبِعُونِي في مصركم، فأقروا له بالمكان والتمكن، وتوادعوا مُتحابين. وانصرف راجعاً إلى وطنه آخذاً بقلب سيدي أحمد وجماعته.

قالوا: وكان من اصحاب ابن الرفاعي (من) يُسَمَّى الشيخ علي بن نعيم، جليلاً متصرفاً عارفاً، فقليل له أن من أصحاب السيد أبي الوفا رجلاً موجوداً مُعَمَّرًا يسمى رمضان، بنى زاوية قريبة من زاوية ابن الرفاعي بالبطائح، فخطر في باله أنه يقدر على إطفاء اسم الشيخ رمضان، أو ذهابه بالكلية، فاجتمع في خلق عظيم من أصحابه وتوجهوا، فبينما هم في أرض شهربان، إذ جازوا عن الشيخ فرج المقبور من أصحاب السيد أبي الوفا، فلقيهم مستخبراً، فلما عَلِمَ ما هم فيه، نظر إلى بن نعيم وقال: لا يتعدى هذا المكان ولن يتعداه أبداً، وهل يقاوم رمضان بتلك؟ (١٦١أ) قال الراوي: فما أمكن ابن نعيم تعدي ذلك المكان حتى مات، ودفن في أرض شهربان، رحمة الله عليه.

^١ - الدست : القدر.

^٢ - يعني: الفعلة، وهم عمال البناء، والمعماريين فيه.

^٣ - كذا في الأصل، يريد: وسمناً ولحماً.

^٤ - في الأصل: أحداً.

قالوا: وكان الشيخ رمضان يوماً مستلقياً على قفاه فوق سطح داره، فقصده رجال ممن ينتمي إلى الشيخ منصور والشيخ أحمد ابن الرفاعي، يُريدون قلع زاويته وداره من غير إذن الشيخين المذكورين، فأحس الشيخ رمضان بذلك، فتوجه إلى روح السيد تاج العارفين، فأدركته روحه وأرواح رجال من أصحابه، فحُمي، وهلك من قصده بسوء رحمهم الله ونفعنا بهم.

- ذكر الشيخ زكريا من أصحاب السيد رضي الله عنه:

وهو خليفته المتقدم ذكره آنفاً. كان من أجلاء المشايخ وأعظم العارفين، وأئمة المحققين، ذوي الأسرار المضيئة، والأخلاق الرضية، والكشوفات الجليلة، والأحوال الباهرة، والعلم الشافي بالأحكام الباطنة والظاهرة، واليد البيضاء في التصريف النافذ، والبصيرة الخارقة في معاني المشاهد، والدربة بالسلوك. وكان مقيماً بقريّة تسمى مرج باذراي، وبها توفي، وقبره ظاهر يزار، رحمه الله ورضي عنه، وفي كونه خليفة للسيد تاج العارفين أعظم عتبه عن كل منقبة، رحمه الله ونفع ببركاته أمين.

- ذكر الشيخ هبونا رضي الله عنه :

رُوي أنه كان من أكابر العارفين، وأجلاء البارعين، وأعيان أهل القرب والتمكين، وصدور الأئمة المحققين، ورؤوس العلماء المدققين. له هم تسمو على غالب أقرانه، ويد بيضاء في التصريف النافذ في زمانه، وباع طويل في غوص بحار التوحيد على لآلئ الفرائد من معدنها، وقدم راسخ في السلوك إلى معارج الحقائق والتوطن في ما فيها، يخرج بصُحبته جماعة من ذوي الأحوال. وانتمى إليه جماعة من العلماء والأكابر، وسارت بذكره الرُكبان، وأوضح الطريق إلى الله وأبان، وعُمّرت بمحبته وهيبته القلوب والصدور، وكان له كلام عالٍ على لسان أهل العرفان، وكان يتمثل بهذين البيتين وهما:

شربنا من محبته شراباً
وعرفنا الدليل إليه فضلاً
فملنا والهين به سكارى^٢
ولولا فضله كنا حيارى

^١ - هكذا يكتبها المؤلف هنا، وهي بادرايا وقد تقدمت.

^٢ - الوله والولهان: المتحير من شدة الحب والوجد.

قال بعض المشايخ كان سيف حال هبونا أقطع (١٦١ب) سيوف مشايخ عصره، وكان له أمٌ نافذ في أكثر من ستين فرسخاً، ولم يكن ولي في زمانه إلاّ وله منه مدد. وحكى بعض السلف أن السيد تاج العارفين أبا الوفا - قدس الله سره - ذكر الشيخ منصور شيخ ابن الرفاعي وخاله بخير، فمما قاله: إن من أجل من يظهر بعدي في التصدر للتخريج منصور البطائحي، فإذا تصدّر فبادروا اليه، فإنه مُحَقٌّ. فقال بعض الحاضرين: يا سيدي ومن يُعرِّفنا به؟ قال: هبونا! وكان هبونا حاضراً فقال: يا سيدي، إنني لا أعرفه، فقبض السيد على يد هبونا فهزّها، ثم أطلقها. فقال له: أنظر هكذا، فنظر إلى الجهة التي أشار اليها السيد تاج العارفين فرأى الشيخ منصوراً وعرفه، وقال: قد أحسستُ أن حُجُب الغفلة تقطعت عن قلبي بقبضه على يدي.

وقال أبو البدر الهبدرجي: رأيتُ يوم موت هبونا ملائكة وجناً يُصلُّون معنا، ورايته في المنام قد انفتح بسببه أربعة وعشرون باباً من قصور الجنة، وسمعت عند وفاته منادٍ في السموات: هَلِّمُوا يا ملائكة الله لتلقي روح هبونا صاحب أبي الوفا تاج العارفين.

قالوا: وسُئِلَ الشيخ منصور يوماً عن علامة المحبة، فقال: عليكم بهبونا من أصحاب السيد أبي الوفا تاج العارفين، فهو أعرف أهل الزمان بها، قالوا: فقدِموا على هبونا ليسالوه عن ذلك، فلما راهم قام على قدميه، وأمسك بيده شجرة خضراء، وتنفس الصُّعداء، فاحترقت في الوقت ويبست. ثم قال لهم: هذه من علامات المحبة، فإنها نار تضرم في القلوب فتحرق بها الأعيان، والأكباد لها تذوب.

قالوا: وكان عند هبونا ومن يحضره من الأضياف من حليب بقرة ملكها من جهة حل، فكان لا يحتاج لنفسه ولا لمن يرد عليه، ولو كثر الوارد مع لبنها، غيره. قال الشيخ عبد المنعم الباذرائي من أصحاب الشيخ هبونا: حضر الي الشيخ هبونا ذاك يوم أحد عشر رجلاً، فحلبتُ لهم البقرة فكفى عشرة لا غير، وبقي الحادي عشر بلا شيء، فشقَّ على الشيخ بُطلان عادته، فتأمل قليلاً ثم قال للواردين: هل فيكم أحد من غير مِلَّة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ليس فينا من لا نعرفه (١٦٢أ) غير الذي لم يفضل له شيء، فقال: هو غير مسلم، فسئِلَ ذلك الانسان عن ذلك فأقر بأنه نصراني، ثم أسلم في الوقت، وحسُن حاله، رحمهم الله اجمعين.

- ذكر الشيخ أبي البدر الهنرجي^١ رحمة الله عليه:

يروى أنه كان من أجلاء العارفين، وأكابر المحققين، وأقوى المتصرفين، وأثبت المتمكنين، صاحب الكرامات المشهورة، والمآثر الماثورة، واليد البيضاء، والقدم الراسخ، والسبق إلى أعلى منازل التصدير، والجاه العريض بين الأولياء الأكابر. له برهان واضح، ودعاء ناجح، وقدم راسخ. قصد بالزيارة من كل جهة، وتوجهت إليه قلوب الاولياء، وانتصب للدلالة على الله تعالى، وشاع خبره في البلاد. وقالوا: كان في ابتداء أمره مجذوماً بقرية بهندف^٢ من أعمال بغداد، فأقصاه قومه فراراً من العدوى، فلما كان في بعض الليالي وقد تزايد ضرره وألمه، واشتدت حاجته إلى الله تعالى، فلا زال متوجهاً إلى الله حتى الصباح، فأخذته سنة من النوم، فرأى فيها على بن أبي طالب كرم الله وجهه، فأقبل عليه، وبكى بين يديه. فقال علي: أبشِّر! فإن الله قد سمع بكاءك واستجاب دعائك، ووجه لك الشفاء على يد رجل من ذريتي اسمه أبو الوفا تاج العارفين، فقال له أبو البدر: يا سيدي فمن انت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فاستيقظ من منامه، فتوجه قاصداً إلى السيد تاج العارفين، فبينما هو في أثناء الطريق قريباً من باذراي، إذ رأى جماعة كثيرة مقبلين عليه، فلما دنوا منه إذا هو بأبي الوفا وقومه، فأقبل عليه كما أقبل على جدّه علي في المنام، فوقف السيد به في أرض مزروع فيها بصل، للشيخ سليمان من أصحاب السيد تاج العارفين. وكان في الأرض ماءً مجموعاً لسقاية الأرض، فأطعمه بصله، وأخذ من ذلك الماء المجموع، فصبّه على جميع جسد أبي البدر قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، فبرئ في وقته من الجذام، فبادر إلى التوبة على يد السيد، وحسن حاله، ثم لم يزل في ترقى حتى بلغ من المعرفة والقرب على يد أستاذه المشار إليه، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهما.

- ذكر الشيخ أبي العز القلانسي رحمه الله تعالى :

رُوي أنه كان من أجل الاولياء بين العباد (١٦٣أ) وأكابر العباد والزهاد وصدور العارفين، وأكمل البارعين، وأعيان المحققين الأوتاد، ورؤساء المهذبين، وأئمة

١ - وسبق أن أشار إليه باسم (البدر الهنرجي).

٢ - بهندف تقدم التعريف بها.

المساكين، والأدلة المحققين، والدعاة إلى طريق اليقين، الجاذبين إلى الحق من شاء الله من الخلق. وكان له الباع الطويل في المعارف، واليد البيضاء في التصريف النافذ، وحل المشكلات من المنازلات والواردات. انتهت إليه رياسة أهل الطريقة، وأوضح منازل السلوك حتى غاص في بحار الحقيقة، وأخذ عنه الجَم الغفير، وانتفع به خلق كثير، وهو الذي قال: ختم عليَّ القرآن من الجن ممن اسمه محمد وأحمد خاصة اربعمائة.

قالوا: وُزِفَتْ في عصره امرأة بديعة الجمال إلى رجل، فلما أدخلت البيت دخل الرجل فلم يجدها، فتألم لذلك، وتالم له اقاربه وجيرانه وأصحابه، فدله بعض الناس على الشيخ أبي العز، فقصده، وذكر له ما تمَّ، ثم قال له: اذهب إلى السوق الفلاني فإنك تراها ككلبٍ أسود في رأس ذنبه بياض، فدس على ذنَّبه مرة ومرة حتى يتبعك، فإن خرج به إلى مكان خال، فاقصص له قصَّتكَ، وادفع إليه هذا العَظْم. قال الزوج: ففعلتُ ما أمرني به الشيخ أبو العز، فلم أشعر وأنا بالصحراء إلا وقد حَضَرَت الزوجة من حيث لم أشعر، والكلبُ واقف، فشكرت الله على ذلك وأخذت بيدها وهي مرعوبة ترتعد، حتى واتيت بها المنزل، والكلب يهاذينا كالحارس لنا، ثم تلطفت بها أياماً حتى اطمأنت، ووجدتها بكراً لم تُصَب، فأخذت عن الشيخ أبي العز وصَحْبته حتى قضى رحمه الله، وتبعني جماعة من أقاربي فنفعهم الله به، والله أسأله حُسن العافية.

- ذكر الشيخ أبي بكر البتي^١ رحمة الله عليه:

رُوي انه كان من أجلاء المشايخ المشهورين، والناس العارفين، ذوي البصائر الحاذقة، والتصرفات الخارقة، والوقار والسكينة، والمكانة المكيّنة، والهمم العالية، والأنوار السنية، واليد البيضاء، والباع الطويل، والتصدير في مراتب القُرب، والترقي إلى قِمَم المقامات العلية، والكمال التام، والفضل العام. وكان من أتم الناس علماً وقالاً وعملاً، وأكثرهم عبادة وعملاً، وحالاً وقالاً، وزهداً وتمكيناً (١٦٣ب) وجلالة، ومهابة وسيادة وارشاداً، وأكثرهم معانقة لطريق السلف، تخرَّج به خلق كثير، وانتمى إليه الجَم الغفير. وأجمع ذوو الألباب على مَحَبته، وقبول نصيحته.

١- في الأصل غير معجمة، وهي نسبة إلى قرية البت من أعمال النهروان، في نواحي ديالى.

قالوا: وكان ابتداء أمر الشيخ أبي بكر المذكور أنه لما ولد لسلطان خطأ وختن^١، وكان جماعة من الاولياء اختطفوا من ذرية خطأ وختن غير واحد، وخرَّجُوهم، ونتج أمرهم^٢.

وكان السلطان المذكور لا يطلع عليهم عند أخذهم من يؤخذ من اطفاله، غير أنه يعلم بهم بعد مصيرهم إلى حالة لا يُمكنه تحويلهم عنها إلى ما يريد من أمر الملك، فأحب أن يحتفظ بهذا المولود ليكون خليفته، ووارث مُلكه، ووَكَّلَ مَنْ يحفظه. فبينما ذات يوم في أمره ونهيه إذ غَصَّ قلبه، وكان له عادة أن يُغَصَّ عند فقد كل ولد، فدخل فلم يجد الولد، أعني أبا بكر البتي، فسأل كلَّ من وُكِّلَ به، فقال: والله لم أعلم كيف كان ذلك، ولا بَرِحْتُ من مكاني هذا، فقال الملك: إن الله إذا اصطفى ذُرِّيَّتي، وأردت غير ذلك لا يخرج من يدي. ووَجَدَ في قلبه طمأنينة، فسَلَّمَ ورَضِيَ بما قُدِّرَ.

وكان الأخذ له الشيخ باولين^٣، أحد خُدام السيد تاج العارفين. قالوا: فمنذ وصل به إلى السيد، سلَّمه السيد لمأمونة تُرضعه من أكراد يقال لهم البيون^(٤)، فتبرَّعت بذلك حتى انتهت مدة الرُّضاع، ولا زال يتربَّى حتى ميِّز، فأُدخِلَ المَكْتَبَ، وعُلِّمَ القرآن والعلم، إلى أن بَلَغَ، ثم بعد بلوغه، إلى أن صار له استعداد قبول الفيض. ثم تولى السيد تاج العارفين تخريجه بنفسه حتى رقى مراتب السیادات، وسما إلى اسمی السعادات، ثم توجَّه بعزم قوي في خدمة السيد حتى مات السيد، فانقل إلى بلد ارم من بلاد تبريز العجم، وأقام بها، وبنى بها زاوية للفقراء، ودعا إلى الله، فأجابته صَبَابَات القلوب، وقصد بالزيارة، وتخرَّج به جمٌّ غفير، فلم يزل كذلك حتى لقي الله تعالى، فدفن بالزاوية التي بناها بارم، وقبره بها ظاهر يُزار، رحمة الله عليه.

١-سلطان الخطا.

٢-كذا هي الأصل.

٣-كذا هي الأصل ومر ذكره بالدال بادلين.

٤- هناك قبيلة كردية باسم البابونية وهي بطن من قبيلة الجورقان - الكوران، قتل مقدمهم أبو الفرج البابوني عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م في خلاف نشب بينه وبين أبي منصور عامل الأمير علاء الدولة بن كاكويه على مدينة شابور خواست، فثار رجال الكوران ونفروا بأسرهم ونهبوا البلاد، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٥/٧.

٥ - كذا هي الأصل وربما أورمية.

- ذكر الشيخ أبي نصر الكرمانى رضى الله عنه :

قالوا: كان رحمه الله شيخاً جليلاً زائداً الوقار، عظيم المقدار، ساطع الأنوار، بادي الأسرار، ذا بصيرة ناقدة، وأوامر نافذة، (١٦٤) ذا دُرْبَةٍ في تخرج المريدين، وعلم بأحوال العارفين. ضُربت إلى زيارته أباط المطى. وأشار إليه الأولياء والأكابر بكل جهة، وتخرَّج به خلقٌ كثير من السادات، وانتمى إليه خلقٌ لا يُحصون كثرةً. وكان له مواعظ يهرع إلى مجالسه فيها الناس من كل جهة، وكان كامل الخلق والخلق، وكانت له وجهة وكلمة مقبولة، ومكانة مكيئة، يشير إليها الأولياء رضى الله عنهم.

قالوا: وكان في ابتداء أمره سلطاناً بكرمان من بلاد العجم، وكان ذا صولة ودولة عظيمة، وقوة في عساكره، فاتفق أنه بات ليلةً صحيحاً سوياً، فاصبح سطيحاً^١ فاستدعى أطباء^٢ إقليمه للتداوي، فأعياهم أمره أجمعين، وانقطع رجاؤه منهم، فأشار عليه بعض الناصحين له أن يُحمَل إلى مكة التماساً لطلول نظر أحد من الأولياء عليه، فلعل أن يكون على يده البرء، فحسُن ذلك عنده، فحمَل في محمَل مُريح، وصحبة خمسمائة فارس، فساروا به إلى جهة الحجاز، فلما وافوا أراضي واسط عنَّ لهم زيارة السيد أبي الوفا - قدس الله سره - فمالوا إلى الزاوية، فطرحوه بين يدي السيد في أسوأ حال، فنظر إليه السيد ملياً ثم أمسك على يد السلطان، وسمى الله، وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فنهض أبو نصر قائماً في وقته كأن لم يمسه سوء، فعند ذلك أقبل عن الملك، وأقبل على الله، فتاب على يد السيد في يومه، وخرَّج عن موجوده بكماله للفقراء، وعتق المماليك، وطلق الزوجات، وخدم السيد وأصحابه بالجد والكد، فترقى في مقامات الولاية، حتى صار إلى ما نُوه ببعضه آنفاً.

وكان بطالاً فصار من الأبطال، وانتقل من ملكٍ فان إلى فقر، وهو الملك الباقي. ولم يزل مُلازماً خدمة السيد حتى توفي السيد، فارتحل فنزل بقرية من أعمال باذراي تُسمى قرداً^٣ واستوطنها، وبنى له بعض المحبِّين زاوية عظيمة، واجتمع فيها

١ - السطيح هو الذي لا يقدر على القيام.

٢ - في الأصل: بأطباء.

٣ - لم نعثر عليها ضمن قرى بدرايا. وقردا أو قردى وبازيدى قريتان قريبتان من جبل الجودي بالجزيرة وبقرية قرية الثمانين قرب جزيرة بن عمر. معجم البلدان، ٤/٣٢٢.

المُرِيدُونَ، واهْتَدَى بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتَوَفَّى بِالْقَرْيَةِ الْمَذْكُورَةِ وَقَبْرِهِ بِهَا ظَاهِرٌ يَزَارُ، رَحْمَةً
اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمِمَّا أُنْشِدُ فِيهِ شِعْرٌ :

وَمُدَّ شَاهِدُوا أَطْنَابَ حَامِي الْحِمَى حَارُوا	أَلَا أَنْ أَهْلَ الْجَدِّ فِي الْخَيْرِ قَدْ سَارُوا
وَهَنَّا وَغَنَّى بِاسْمِ مَحْبُوبِهِمْ طَارُوا	وَلَمَّا أَتَى الْحَادِي وَنَادَى تَشَوُّقًا
وَلَبَّاهُ مِنْ قَلْبِي وَلَوْعٍ بِهِ نَارُ (١٦٤ب)	وَأَوْمَأَ لَهُ الْبِيَّ أَبُو بَكْرٍ زَيْقَهُ
وَوَافَاهُ فِيمَا شَاءَ فِي الْكَدِّ أَحْرَارُ	وَمَا زَالَ حَتَّى نَالَ فِي الْقُرْبِ رُتْبَةً
بِأَسْمَاءِ رَبِّ قَادِرٍ وَهُوَ غَفَّارُ	وَنَجَا أَبُو نَصْرٍ مَنَاجَاةَ عَارِفٍ
وَوَافَاهُ مَا يَبْغِيهِ مِنْهُ وَيَخْتَارُ	فَأَعْطَاهُ مَوْلَاهُ الْغَنَائِمَ زَادَهُ
فَذَاكَ الْفَتَى فِي الْقَوْمِ وَاللَّهُ مَخْتَارُ	وَمَنْ كَانَ مِنْ أَنْوَارِ أَحْمَدٍ نُورُهُ
كَرِيمٌ لَهُ جُودٌ وَأَنْسٌ وَأَسْرَارُ	نَبِيَّ الْهَدَى مَاحِي الرَّدَى مَهْلِكِ الْعَدَى
وَبِرٌّ وَتَقَرُّبٌ وَفَضْلٌ وَأَنْوَارُ	عَلَيْهِ صَلَاةٌ مِنْ إِلَهِي وَرَحْمَةٌ
مَدَى الدَّهْرِ مَا سَحَّتْ عَلَى الْأَرْضِ أَمْطَارُ	وَأَلٌّ وَصَحْبٌ وَالْأَقَارِبُ كُلُّهُمْ

- ذَكَرَ الشَّيْخُ حَسِينَ الرَّاعِي رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ :

قَالُوا: كَانَ الشَّيْخُ حَسِينَ الرَّاعِي شَيْخًا كَامِلًا، بَارِعًا كَبِيرًا عَارِفًا، تَصَدَّرَ فِي
مَنَازِلِ الْقُرْبِ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ مَوَارِدِ الْحُبِّ، وَتَفَرَّدَ بِتَحْقِيقِ الْعُلُومِ، وَتَعَمَّقَ فِي تَدْقِيقِ
الْمَعْرِفَةِ، وَشَاهَدَ مَشَاهِدَ التَّأْنِيسِ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَأَجَابَتْهُ الْقُلُوبُ، وَبَلَغَ بِهِ السُّؤْلُ
كَثِيرٌ مِنَ السَّالِكِينَ، وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي التَّصْرِيفِ النَّافِذِ، وَالْبَاعِ الطَّوِيلِ فِي
الْمَأَثَرِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَالْعِلْمِ بِأَسْرَارِ وَأَرْبَابِ الْمَعَامَلَاتِ. وَتَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ ذَوِي الْأَحْوَالِ،
وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَجْمَعَ عَلَيَّ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَتَهُ، وَقَصَدَ بِالزِّيَارَةِ مِنْ أَقَاصِي
الْبِلَادِ، وَكَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ السُّكْرُ وَالْهِيَامُ.

قَالُوا: أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنْ أَبَاهُ مَرَّ يَوْمًا عَلَيَّ السَّيِّدَ أَبِي الْوَفَا - قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ -
وَقَدْ مَدَّ سِمَاطًا لِرَوَّادِ عِنْدِهِ، وَكَانَ فِي يَدِ السَّيِّدِ لُقْمَةً، فَدَعَى بِهِ فَوَضَعَهَا فِي فِيهِ. فَلَمَّا
انصرفت، قال السيد تاج العارفين: سيولد لهذا الرجل ولد اسمه حسين يكون من
الأولياء، فتوجه العامي^٢ فواقع زوجته فحملت به في ليلته تلك، فلما تم له من العمر

^١ - في الأصل: المنائم.

^٢ - كذا في الأصل.

عشر سنين، أقيم على رعي الأبقار، فسمي الراعي لذلك. قالوا: وكانت الأبقار وما معها من المواشي تنمو وتحسن، وبورك فيها، ولم يعترضها في مدته كاسر، فكان ذلك سبباً لحسن الظن به.

ثم اتفق أن امرأة حجّ ابنها فاشتاقت اليه، فصنعت حلوى وتصدّقت بغالبها، فبقي قلبها مألوماً إذ لم يكن ولدُها حاضراً ويأكل منها. فكُشف حسين الراعي بذلك في سرّه فقال لها: أتحبين أن يأكل ولدك من هذه الحلوى؟ قالت: (١٦٥أ) ومَن لي بذلك؟ قال: أنا أقوم بذلك إن شاء الله تعالى، فهيات له بعض حلوى، ولم يعلم ما صنع بذلك، فلما قدم الحج أخبرها بوصول الحلوى إليه سُخنة، وأحضر معه الإناء الذي كانت فيه الحلاوة، فشاع أمر حسين فترك تلك، وتوجّه إلى الأستاذ تاج العارفين ليسترشده، فلما قرب منه قال السيد لقومه: هذا أثر اللقمة قد ظهر، فلما وصل اليهم تصفّح وجوههم، ثم بادر إلى الأستاذ فقبّل يده، وجلس ساعة حتى اطمأن. ثم سأل السيد وأخذ عليه عهد التوبة، ودخل دائرة المجاهدة، وسلك مقامات الأحاب، حتى صار إلى ما نُوه به عنه، ولم يزل مقيماً عند السيد تاج العارفين حتى توفي السيد، ثم انتقل إلى قريته رهمان، وبنى له بها زاوية واستوطنها، يدعو الخلق إلى الله حتى مات ودفن بها، وقبره ظاهر هناك يقصده الزوار وأصحاب الضرورات، رحمه الله ورضي عنه.

^١ - لم نقف عليها.

الباب الخامس

في ذكر من بشره السيد وبشر به من الأولياء المشاهير ورضى الله عنه وعنهم أجمعين

- منهم الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى ورضي عنه :

كان من أجل مشايخ عصره، وأعلام قدرًا، وأغلام قيمة، انتهت إليه رئاسة طريق الله تعالى، فحَضَعَتْ له أعناق الأولياء، وارتقى إلى أعلا مقام من مقامات القرب، وشاع ذكره في سائر الأقطار، وعمَّ ذلك البوادي والأمصار. وقيل: إن القطبية صارت إليه بعد وفاة السيد أبي الوفا قدس الله سره، قال له في أول يوم اجتماعه عليه^١: لك وقت! فإذا جاء فاذكر هذه البينة. وأصرح من ذلك أنه قال له: يا عبد القادر! الوقت الآن لنا وسيصير اليك. ونقل اللخمي^٢ أنه قال له: وإن غير السيد أبي الوفا قال له تصل إلى مقام يقول فيه وانت مُحِق: قَدَمِي هذا على رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ لله، فطأطأ لك الأولياء رقابها.

وقال قوم: أن القطبية صارت إلى الشيخ علي بن الهيبي صاحب السيد أبي الوفا إلى حين وفاة سيدي عبد القادر، وقد مُدِحَ بمدائح. وقال: وقيل على لسان حاله وانشأه وانشد على لسان حاله، ونَسَبَ إليه بعض مُحِبِّيهِ أشياء غالبها حسن، وهو يرى من غير الحَسَن، وفي شهرته، ويُعَدُّ صيته ما يغنى عن ذكر مناقبه، فإنه أشهر من أن يذكر، وقد جمعت له مناقب عظيمة رضي الله عنه.

روينا أنه حين دخل المكان (١٦٥ب) الذي فيه السيد أبو الوفا بسبب ما تقدم ذكره في الشطر الاول، أمر السيد أبو الوفا بإخراجه مرتين، ثم قام له في الثالثة

^١ - حسب الروايات الشفوية المتداولة بين أكراد شهرزور وهورامان والتي وصلت إلى حد التواتر على حد قول العلامة عبدالكريم المدرس، ان الشيخ الكيلاني نزل ضيفا على أبي الوفا بقرية نيركزه جار بشهرزور وهو في طريقه من كيلان إلى بغداد طلبا للراحة وبقي مدة عنده مدة غير قصيرة، تجول خلالها ببساتين القرية... و صلى على الحجر الموضوع على حوض مسجد القرية. كتابه: اسر العلماء (بالكرديّة)، ص ١٧٥.

^٢ - هو أبو الحسن علي بن يوسف بن حريز بن معضاد اللخمي الشطنوفي، مؤلف كتاب (بهجة الأسرار) الذي جمع أخبار الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهو أحد مصادر المؤلف.

واعتنقه وقال: يا أهل بغداد! ما طردتُه إهانة له، ولكن حتى تعرفوه. ثم أتم كلامه وتنحى به ناحية من نواحي المسجد أخذاً بيده بيده، فبشّره بما ذُكر آنفاً وغيره، وأعطاه سبحة وقصعة وعكازاً وسجادة، وكانت السبحة تدور وحدها حبة حبة. وتقدم أن السيد عبد القادر سأل السيد أبا الوفا عن سبب دورانها، وأجابه بما مرّ في الشطر الاول، فإنه سئل أن ياخذ عليه العهد فأبى وقال: عليه داع المخرمي. ثم أنه أشار إلى إنسان أن يجتمع بالمخرمي فيوصيه به خيراً، فكان ذلك وخرجه ثم خرجه المخرمي.

ثم أخذ عن الدباس، (و) بعد ذلك صحبه وذلك من أدلة جواز الصحبة لا بطلان الإقتداء بالاول والله أعلم. وأما مولده ووفاته فمحررة في موضعها من مناقبه رضي الله عنه.

- ذكر الشيخ عدي بن مسافر :

رؤى أنه كان من أجل المشايخ العارفين، والأئمة المحققين، والمراتب إلى الله على يقين، بلغ إلى مقامات التصدير، وتخرّج به الجَم الغفير، ورقى إلى أعلى مقامات الولايات، وأشرقت فيه أنوار العنايات، واجتمعت فيه أسباب السادات، وبرزت عنه أبواب السعادات. دعا إلى الله فأجابته من القلوب الصبايات، واستدعا إلى حيازة القرب خلائق فحظوا بِلدة الإجابات له مشاهدة مشهودة، وموائد هداية مقصودة، واستعدادات لقبول الفيض معدودة. ابرز ابرار عرائس الحقيقة من خدرها، وقاصرات طَرف القرب في قصورها، والفيض والتحقيق والهداية والتدقيق، وافر الإستعداد، صاحب الإرشاد، لا يفتر عن الله لمحة، ولا يفتر عندما يسبح في غير الله سبحة له المقام المكين والسيادة بين المحققين. وقد صنّف في مناقبه كتب يتداولها أتباعه^١. قلت: وقد ادعى أقوام إتباعه، ثم لم يتبعوا طريقه، فهم على الضلالة عاكفون، ولشيخهم في مقاصده مخالفون، لدعواهم أنه صلى عنهم وصام، بتلك الدعوى الكذب

^١ - نعرف منها: كتاب النور السافر في مناقب سيدي عدي بن مسافر للشيخ الحافظ نصر بن عبد الله العسقلاني (ت بعد ٥٧٤ هـ/١١٧٩م)، حققه أحمد فريد المزيدي ونشره مع كتاب: الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبدالقادر لإبراهيم القادري الديري، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٨) وكتاب مخطوط نسخة مصورة منه بحوزة السيد تحسين ابراهيم الدوسكي.

والكفر والحرام نعوذ بالله من ذلك، وأنه لبريء ممن هو منهم بهذه (١١٦٦) الصفات - رضي الله عنه ورحمه - وقد تقدّم في الشطر الأول ذكر اتفاقيته مع السيد تاج العارفين أبي الوفا قدس الله روحه، وكيف سلّبه الشيخ عبد الرحمن الطسفونجي، وخدمته للسيد تاج العارفين سبع سنين، يستقي الماء، ثم رجوع حاله على يد السيد.

قالوا: ولما عاد إليه حاله، بشّره السيد بأن مُلك هَكَار يكون في قبضته، وأنه يبلغ إلى مقام يكون مقامه الأول في جنبه كلاً مقام. ثم ودّعه وانصرف. وقد تقدم في الشطر الأول ذكر توجيهه أمر غسله إليه، والتعويل في أمر وديعة الشيخ منصور، والشيخ أحمد ابن الرفاعي على رفقته المذكورين.

توفي في سنة سبع وخمسين وخمسائة - ١١٦٢م - ، وقيل في سنة خمس وخمسين وخمسائة - ١١٦٠م - ، وعمره تسعون سنة رضي الله عنه.

- ومنهم الشيخ منصور خال الشيخ أحمد ابن الرفاعي - رضي الله عنهما - وهو شيخه ومُربيّه.

روينا أنه كان من أجلاء العارفين، وأئمة المحققين، وخالصة المتمكنين، وأعيان المريدين، صاحب الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والكشف الجلي، والحال المضيء، والقبول التام عند الخاص والعام. تخرج به خلق كثير، وقال بإرادته الجم الغفير، وانتمى إليه من الصلحاء ما لا يحصى كثرة. وكان له حال لا يحولها الرياح والأيدي، وقال: ينطق عن الحق في كل ما يخفي ويبيدي. قالوا: وكان معاصراً السيد أبا الوفا تاج العارفين سناً، غير أنه لم يشتهر في زمانه، ولم يظهر بين أقرانه، فلما حضرت السيد أبي الوفا الوفاة ووصى وصيته المتقدمة في بابها، ومنها أنه جعل السجادة للشيخ منصور المشار إليه، ولم يكن الأوصياء يعرفونه، حتى ذكر لهم السيد تاج العارفين علامات يعرفونه بها، ورأوا العلامات، وأوصلوا إليه السجادة وجلس عليها، فذلك كان ابتداء شهرته، وأخذ خطه من الإشارة بالسجادة إلى البشارة بقوة الدعوة والهداية إلى الله تعالى. وقد سبق ذكر العلامات والقصة مُفصّلة.

- ومنهم الشيخ أحمد ابن الرفاعي رضي الله عنه:

كان - رضي الله عنه - من أجل مشايخ السلف وأعظم، نجا على يد سالك من السلف، وأكمل من برز إلى الوجود هارباً من الضلال، وأفضل من مدّ موائد المدد لأهل الأفضال، ومن أكثر (١٦٦) غالب أهل عصره أتباعاً، وأكرم من منح إنهاباً وإشباعاً. وكان له قدم راسخ في القرب والمشیخة، ويد بيضاء في الحكم والتوسعة، وباع طويل في إيضاح الجمل بعد التفرق. وكان عالماً عاملاً، ففيها على مذهب الإمام والشافعي، مُكرماً عند الملوك والأكابر، موجهاً إليه كل قلب ذي حاجة من حوائج الدارين، موفقاً من صغره، بالغاً غاية المنتهى في كبره. له القدم الراسخ الفريد، والهدى الواضح الفريد، والقول الفصيح المفيد.

قالوا: وأول ما ظهر له من موجب اعتباره، وتوسم الخير فيه، ما قص في وصيته السيد أبو الوفا - قدس الله روحه - أنه حين وصل جماعة السيد أبي الوفا السجادة إلى الشيخ منصور، كان معها نعل السيد أبي الوفا، وكان قد أوصى به لابن الرفاعي كما ذكر في بابه. وبلغ من العمر ما ظن الشيخ منصور فيه أنه تأهل لتسلم الوديعة، أحب الشيخ منصور أن يُخبره، فدفع إليه طائراً، فقال: إذبحه في مكان لا يراك أحد، فغاب طويلاً ثم عاد ولم يذبح الطير، فقال: يا سيدي لم أجد مكاناً إلا ويراني فيه أحد، فعلم الشيخ منصور أنه تأهل لذلك، فسلم إليه النعل، ففعل به ما مر في باب الوصية من الشطر الأول.

قالوا: وكان السيد تاج العارفين قد ذكر للشيخ منصور في خلوة ان أخته تدخل عليه في يوم كذا، وتكون قد حملت بأحمد ابن الرفاعي، ولي من أولياء الله تعالى، فإذا أقبلت عليك يومئذ فهم لتلقيها على قدميك. ففعل الشيخ منصور ذلك عند حضورها في الوقت المعين، ثم ولد ابن الرفاعي وسُمي أحمد، وكان من أمره ما كان رحمه الله.

- ومنهم الشيخ حسين الراعي رضي الله عنه:

وقد تقدم ذكره في باب المريدين أنفاً، وما دُكر عند إطعام السيد لوالده اللقمة، ثم عند قدومه قبل أن يعرفه الحاضرون، إلى غير ذلك.

- ومنهم الشيخ مطر بن أخي السيد تاج العارفين أيضاً:

حين قال له يا مطر! أنت ولدي ووارث حالي ومالي.

- ومنهم السيد بدر بن يوسف بن يعقوب بن مطر نفع الله ببركاته:

حين قال السيد مطر للسيد أبي الوفا عمه حين قال له: تكثر ذريتك ويكون منهم الصالحون، وأجلهم قدراً (١٦٦ب) رجلٌ يسكن الشام، ويشتهر فيها إلى الوجود على رأس القرن السادس، وينفع الله به وبذريته. قلت: وقد مرَّ ذكره ببعض ترجمته، نفع الله به وبذريته امين.

- ومنهم الشيخ علي بن إدريس البعقوبي رحمة الله عليه :

تلميذ الشيخ علي بن الهيثي رحمة الله عليه وسيأتي ذكره في الخاتمة إن شاء الله تعالى.

قالوا: كان السيد تاج العارفين - قدس الله سره - كثيراً ما يقول لعلي بن الهيثي: يا علي استوصِ بِسَمِّكَ خيراً حين يصل اليك. فقال الشيخ علي بن الهيثي: يا سيدي! ومن سَمِّي. قال: رجل عظيم من بعقوبا، يؤيدك في حياتك، ويخلفك بعد وفاتك، وإنه قد وُجِدَ في ساعة كذا من يوم كذا يحضر اليك في عام كذا بعد غربة، وحين يدله عليك اولياء الله تعالى. قالوا فلم يزل ابن الهيثي منتظراً قدوم هذا الإنسان من حين وفاة السيد تاج العارفين، حين قدَّرَ قدومه عليه في الوقت الذي أشار إليه السيد أبو الوفا. قال الراوي: فسأله الشيخ علي بن الهيثي عن أمره، فأخبره أن رجلاً من الأولياء بمكة المشرفة دلَّوه عليه، وقد قدَّمنا في الشطر الأول ذكر حجَّته التي حجَّها بعد ذلك، وأنه أريد أن يستبدل منه زورة للسيد تاج العارفين بحجَّات فلم يقبل رحمه الله.

- ومنهم إبراهيم اللك الآتي ذكره: فإن السيد أبا الوفا كان لا ينظر إلى جهة امرأة أصلاً، فمرَّتْ عنه ذات يوم أم الشيخ إبراهيم اللك، فنظر إليها طويلاً، فعجب الناس من ذلك. قال: إني لأنتقل إلى رجلٍ من الصالحين حمَلت به هذه المرأة، يكون من أصحاب صاحبنا، يعني الكردي، وكان كما قال.

- ومنهم الشيخ محمد بن قايد رحمة الله عليه: من أصحاب الشيخ علي بن الهيثي، قالوا: كان إماماً بارعاً، عالماً عارفاً، بليغاً إماماً مُسَلِّكاً متمكناً، له القدم

^١ - كتب المؤلف أو الناسخ هنا "ومنهم الشيخ محمد بن قايد رحمة الله عليه من أصحاب" ثم شطب الجملة، وبعد ذكر إبراهيم اللك عاد و ذكر "ومنهم الشيخ محمد بن قايد رحمة الله عليه، من أصحاب الشيخ علي بن الهيثي".

الراسخ، واللسان الباذخ، والعز الشامخ، واليد البيضاء في القرب والتمكين، والقوة في إيصال المريدين، والترقي إلى شامخات المعارف الدنية، والتسامي في سماء الحقائق الصوفية. تخرَّج به خلقٌ كثير، وانتمى إليه جماعة من الصالحين، وأخذ عنه الجَمُّ الغفير. وقال بإرادته خلَّاق، واشتهر حاله، وبَعُد صيته، وانتهت إليه رياسة أهل الطريق في تلك البلاد، وخرج بالحال والقال وأجاد. قالوا: كان السيد أبو الوفا - قدس الله سره - يقول (١١٦٧) للشيخ، رحمه الله تعالى: سيظهر لولم لك اسمه محمد بن قايد شأن عظيم، وأنه ليحسُّدك عليه كثير من اقرانك. قلت: وقد رويَنا أن السبحة التي أعطها السيد ابا الوفا للشيخ عبد القادر الكيلاني وصلت، عند موت الشيخ عبد القادر، إلى الشيخ ابن الهيثمي، وصلت منه للشيخ محمد بن قائد، ثم فقدت من بعده رحمه الله تعالى.

الخاتمة

- في ذكر مريدي مريديه، ومناقب لبعض مريديهم :

اللک المشهور بالسمين رحمه الله عليه المذكور آنفاً، فيمن بشر به السيد أبو الوفا رضي الله عنه. يُروى أنه كان ذا مقدار عظيم، وجماله ومهابته. وكان من أعز مشايخ زمانه قدراً، واعزهم وجهاً، وأحسنهم صبراً، وأعزهم علماً، وأسدهم فعلاً، وأقواهم عزماً. له القدم الراسخ في العبادات، وقدر جليل بين الأكابر والسادات، واليد البيضاء في التصريف الخارق للعبادات، والباع الطويل في حل المشكلات، والتصدّر في أعلا المنازل، والإحاطة بعلو التربية، والدلالة على الله تعالى. يُستسقى به الغيث في الجذب، ويهتدي به إلى سبيل الهدى كل قلب، تمت له العناية، وانتفع الناس بلحظه ولفظه، ولاحت للعارفين إشارات، ووضحت للعالمين بركاته، وأضحى قدوه للعبدين، وملجأ للقاصدين، وباباً للسائلين، وحصناً للمتحصنين، ودليلاً للحائرين، وسراجاً للسائرين، وقاهراً للجبارين، تمهدت^١. وكان مكرماً لأهل العلم، عارفاً بمقادير الأولياء، مُدح بمدائح حسنة، وأثني عليه خيراً.

قالوا: بلغ أم الشيخ اللک المذكور بشارة السيد تاج العارفين فسُرّت، ولم تنزل مُستشعرة بكل خير حتى تمت مدة حملها ووضعت، فقالت: اللهم قد وهبته لك، وجعلت دليلاً لك أبا الوفا تاج العارفين، فلم يزل محفوظاً ملحوظاً حتى تأهل للتربية، فاجتاز عليه الشيخ ماجد الكردي، وهو (من) بين قرية بني اسد، فاستدعاه لصُحبته، فقال ابراهيم^٢: يا سيدي! إن أمي قد وهبتني لله تعالى، وجعلت دليلي إلى الله السيد ابا الوفا تاج العارفين. قال ماجد: يا ابراهيم! إنا من خُدّامه فامض بنا إليه، فاستاذن والدته وذهب معه إلى السيد أبي الوفا، فلما رأهما بشراً لهما وأكرمهما، ثم سلم الشيخ ابراهيم للشيخ ماجد ليربيه، وقال يا ماجد: لا تُتعب (١٦٧ب) فكرك في أمره، فإننا نحمل ذلك حتى يتم أمره.

قيل: سبب تلقيه باللك، فسُر الشيخ ماجد بذلك، ولزمه حتى فهم أمره. قيل سبب تلقيه باللك أنه قال للسيد تاج العارفين ذات يوم: يا سيدي! انظر إليّ، فقال

^١ - لم نجد لتمهدت صلة بالسياق.

^٢ - ورد بالأصل ابراهيم في المرات الأربع.

السيد أبو الوفا: يا إبراهيم! أنت مني والي، فشكر اللك طرباً هذه الكلمة، ومال مُلقى فبقي كذلك مدة، فناصر في شعره طائر اللالك^(١)، فسُمِّي اللالكلي لذلك^(٢)، ثم اختصر فقليل فيه اللك، فلقب به. ثم إنه قام في الخدمة في زاوية السيد تاج العارفين بالجد والكّد، حتى وصل إلى مقام عزيز الوجود، بعيد الدرك، نفع الله تعالى به.

قالوا: وكان من اصحاب السيد تاج العارفين - قدس الله سره - رجل عظيم القدر، شيخ مسلك، جليل المقدار، يُسمى جعفر، ويُعرف بحليان، وكان له ولد اسمه أحمد، وكان من كبار المشايخ المسلكين، على طريقة السيد أبي الوفا تاج العارفين قدس الله سره، فاتفق لولده هذا أن سافر إلى هكار^(٣)، يريد دعوة الخلق إلى الله تعالى، فأحس به رجل عظيم من المشايخ المسلكين على طريقة الشيخ عدي بن مسافر اسمه الرس^(٤). فذكر أمره للشيخ عدي، وأنه دخل بلاد هكار بغير إذن، فقال الشيخ عدي: أن أباه من أصحاب السيد تاج العارفين، وأن البلاد كلها لتاج العارفين، فخطر للرس التعرّض إلى الشيخ أحمد المذكور، وقصده على حين غفلة منه فقتل الشيخ أحمد المذكور.

فلما بلغ الشيخ عدي بن مسافر قتل الشيخ أحمد شقّ عليه، فأخذ الرس وتوجه به إلى السيد أبي الوفا معتذراً عن نفسه، سائلاً جعفر، أبا الشيخ أحمد المقتول العفو عن القاتل، فأبى جعفر إلا القود، وحكم له السيد أبو الوفا بذلك، وأمر إبراهيم اللك هذا بقتله بالحال، فقتله في الحال، ثم توارد على اللك الفتح من كل

(١) هو اللقلق الطائر المعروف، قلب القاف كافا فارسية.

(٢) هذا تخريج غير معقول ومن أوهام المؤلف، فإبراهيم السمين هو من قبيلة الك الكردية - بفتح اللام وسكون الكاف - ذكرها معين الدين نطنزي (ت بعد ٨١٧هـ/١٤١٤م)، منتخب تواريخ معين، جابخانه حيدري (تهران ١٣٣٦هـ.ش)، ص ٥٤، فعرف بابراهيم اللك، وكانت اللك ضمن القبائل الكردية المستقره باطراف الموصل منذ بدايات العصر العثماني في أقل تقدير ووردت اخبارها في الوثائق العثمانية ولا تزال هناك فروع ويطون من قبيلة لك منتشرة في قرى محافظتي أربيل وكركوك.

(٣) كانت هكاري أو الهكارية تشمل خلال العصر الإسلامي المناطق الجبلية وشبه الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة الموصل، يقول السمعاني: "بلدة وناحية عند جبل وقيل جبال وقرى كثيرة فوق الموصل من الجزيرة" (الانساب، ٦٤٥/٥) ويقول ياقوت: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة بن عمر، يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية" معجم البلدان، ٤٠٨/٥.

(٤) الرس: وربما الرش أي الأسود وهو محمد رش أو رشان أحد ابرز اصحاب الشيخ عدي بن مسافر.

الجهات، حتى بلغ مبلغاً قصر عن وصفه حصر الاوراق، وكلَّ عن إدراكه الذهن وإن راق.

وما زال يدعو الخلق إلى الله تعالى حتى توفي بجبل حمرين وقبره ظاهر هناك يزار، وعمّر حوله مساكن فصارت قرية كبيرة تعرف به لشهرته رحمه الله ورضي عنه.

- ذكر الشيخ مكارم النهر خالصي، من أصحاب الشيخ علي بن الهيثمي

(١٦٧ب) رحمة الله عليه:

روينا انه كان - رضي الله عنه - من أكابر المشايخ بالعراق المشهورين، وأجلاء العارفين المذكورين، ونُبلأ الأُولياء المُقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والمقامات الرفيعة، والإشارات العلية، والأنفاس الملكوتية، والعزائم الكريمة، والهَمَم الفخيمة، صاحب الكشف السنّي، والفتح الجلي، والسّر المضي، له المراتب المصدّرة في مواطن القدس، والمكانة الجليلة في مجالس القرب، والطور الأرفع في الحقائق، والمنهاج الأعلى في المعارف، والنظر الخارق في عالم الغيب، والأنفاس الصادقة في حقائق الآيات. وله اليد البيضاء في علوم المنازلات، والباع الرحيب في معاني المشاهدات، والقدم الراسخ في كشف مشكلات الأحوال. وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكّنه من الأحوال، وقلب له الأعيان، ومكّنه من الخارقات الظاهرة على يديه، ونطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وملاً صدور الخلق من هيبتة، وقلوبهم بمحبته. وهو أحد أركان هذا الشأن وصدور ساداته، وأعلام العلماء بأحكامه، ورؤوس القادة إليه علماً وعملاً وتحقيقاً، وزهداً وجملاً ومهابة ورياسة.

واشتهر عنه أنه لقي من المشايخ من لم يلقه غيره من أهل عصره. ويقال: إنه رأى جميع أصحاب السيد تاج العارفين أبي الوفا - رضي الله عنه وعنهم اجمعين -

^١ - تحول ضريحه إلى تربة بعد ان بنيت عليه قبة يرتادها الناس للتبرك به وتقع على طريق كفري - جلواء ، ونزل بها تيمور لنك سنة ٧٩٥هـ/١٢٩٣م في طريقها إلى بغداد ووزع الصدقات على نزلاتها من الفقراء والمعوزين، الغياثي، التأريخ الغياثي(بغداد:١٩٧٥)، ص١٨٥. ولم يفقد مرقده قدسيته حتى الوقت الحاضر ويعرف بابراهيم السمين .

ممن انتفع (به ومن) ^١ بقي بعده، وانتفع بهم كثيراً، ونال من بركاتهم، وقام ^٢ بخدمتهم. وكان شيخه الشيخ علي بن الهيبي يثني عليه كثيراً، ويكرمه ويُقدِّمه على غيره، ويُنبِّه على فضيلته.

وهو أول من خدم الشيخ علي بن الهيبي فيما بلغنا. وكان يقول: كل وقت للشيخ علي بن ادريس، أخي رجلٌ مُكَمَّلٌ لكنه لا يظهر إلا بعد موتي. ويقال إنه ليلة مات الشيخ مكارم هذا زادت شهرة الشيخ علي بن ادريس، وكان الشيخ مكارم هذا قد انتهت إليه تربية المريدين ببلاد نهر الخالص وما يليها، وتخرَّج بصُحْبته ابن أخيه الشيخ أبو محمد عبد الولي والشيخ أبو الفرج (١٦٨ب) عبد الخالق، وانتمى إليه غير واحد من الأعيان، وتلمذ له جماعة من الصلحاء، وانتفعوا بكلامه، وأجمع المشايخ والعلماء على احترامه، وذكر فضائله، ورووا مناقبه. وكان متواضعاً كريماً متأدباً بأداب الأولياء، دائماً في مراقبة أوقاته، ومراعاة أنفاسه، وحفظ مجاهداته، إلى أن أتاه اليقين - رضي الله عنه - وقد مُدِحَ بأبيات:

مكارمُ أهل الحق عُلا المكارم	وأسرارهم تسري إلى كل عالم
وقد نال بالهيبي هذا مكارم	غنائم فاستغلى على كل غانم
وصرَّف في الآفاق شرقاً ومغرباً	بكشف جلي خال عن مُزاحم
له في علوم الحق أعلى مقالة	وفي خارقات الفعل صولة حاكم
وكم من مُحِبٍّ أمَّ أبواب فضله	ناصح له في السلك أسرع ناظم
وكم غافل أضحى به متيقظاً	وقد نبَّه المولى به كل نائم
تنفس والأسرار طاشت بحبها	فأطفئ قناديلاً أضت في المواسم
ولما تجلى حُبُّه عاش سره	تنفس أضواها كغفلة نائم
ومن جملة التصريف أردى معطلاً	فأضحى على ما فات أعظم نادم
وفي الخمسة الأنفار لما أتوه من	بعيد وكلُّ منهمو غير خادم ^٣
ورام مؤمنهم بخاطره سوا	ورام امر ونا برز ملائم ^٤

^١ - زيادة يقتضيه السياق.

^٢ - في الأصل: وقال.

^٣ - في الأصل: حاد. دم.

^٤ - كذا في الأصل.

ورام أمرٌ منهم عُسيلاً بِسِمَتِهِ
 وآخر من مسلوق بيض من عجل
 فلما أقيَ أذنا إلى كل سائلٍ
 وأخبرنا عن آجالهم ومماتهم
 ومن لم يكن الهيّتي حقاً دليله
 ومن كان تاج العارفين إمامه
 وما ذاك إلا أن أنوار أحمد
 عليه من الرحمن أزكى تحية
 وآلٍ وصُحبٍ والأقارب كلهم
 وآخر تفاحاً وليس بفاطم
 وكل امرءٍ للسرٍ أحرص كاتم
 من القوم ما يرضى كإقراء حاتم
 وساعاتهم إخبارٍ أعرف عالم
 فقد نال سهماً من حليم ما هم
 تصرّف في أحواله غير نادم
 على قلبه انهلت بسُحب الغمام
 كما قد غدا للرُسل أفضل خاتم
 مدى الدهر ماغنت هَزار الحمام

وكان له كلامٌ عال على لسان أهل الحقائق منه :

العارف واقفٌ بعلمه على همةٍ يَعرف بها كل هم يخطر على قلبه . ومن طلب
 الدلالة فانها لا غاية لها، ومن طلب الله تعالى وجده بأول خطوة يقصده بها . وأول
 وصال العبد (١٦٩أ) للحق هجرانه لنفسه . وأول درجات القرب محو شواهد النفس،
 وإثبات شواهد الحق في القلب .

ومنه: المرید الصادق من وَجَدَ في قلبه حلاوة العَدَمِ، ونفى عن نفسه الألم،
 وسكن إلى ما جرى به القلم . والفقير من صَبَرَ فقلَّ طمعه، وتأدب لحسن خُلُقهِ، وراقب
 ربه عز وجل، فكنتم سرّه، وخاف مقام ربه عز وجل، وسنَّ حاله، ووَثَّقَ بمولاه، فلم
 يشك لأحدٍ ضرّه، ولجأ إلى الله تعالى وتضرع إليه في كل أحواله، والزاهد من خلع
 الراحة وترك الرئاسة، وأمسك النفس عن الشهوات، وزجر الهوى عن الإرادات، والورع
 عن نظر الدنيا بعين المَهَابَةِ، ورجع إلى مولاه بالإِنَابَةِ، وأدى ما عليه من الإِنَابَةِ،
 وأمسك عن الدنيا ورُخِرُفها لسانه، وعَقَلَ قلبه عن الهوى، وقرَّ بِسِرِّهِ إلى المولى،
 والمجاهد في الله عز وجل، من يُحب أهل الفُتُوَّةِ، وعانق المقبرة والفكرة، ولازم
 الخشوع والأسقام والحسرة، واستعمل الحقيقة وأمات الهوى، وأحيا الصفاء، وسكن
 عن مجاري القضاء، وجانب الأذى واستحيا من المَلِكِ الأعلى، ورفض الراحة في الجد،
 ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

^١ - هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .

والمراقب من أطال أحزانه، وأدام إحسانه، وكظم غيظه، وهابَ ربّه، والمُخلص من تجافى بهمّته عن المخلوقات، وعلا بسرّه عن الكائنات، وامتلأ أمر سيد البريّات، والشاكر من صبر عند الحاجة مع الملك العلام، ولم يرجع إلى أحدٍ من الخاص والعام، وخلا قلبه من التدبير والاهتمام.

وسُئل عن المتوكل فقال: هو من أعرض بالقلب عن الخلق، واخذ الرزق من الحق، وقام بهمّته على باب مولاه، واستقام باليقين على طاعته، وترك الإلتفات إلى بابٍ سواه.

وسُئل عن المُحب فقال: من أَلِف الخُلوة وأنس بالوحدة، وتوحدت له الهمة. والمُحب من استحيا من ربه عز وجل، وقام ببابه، وسارع إلى طاعته، وأكثر ذكره، وأسبل دمعته، والتمس قُربه، وخاف فراقه، فصفا قلبه من الأكدار، وظهر سرّه من الأغيار، وعَفَّر خَدَيْهِ بِالْأَسْحَارِ، بين يدي الملك الجبار. وكان رضي الله عنه يتمثل بهذه الأبيات (١٦٩ب):

أحِبُّكَ أضعافاً من الحبِّ لم أجد	لها مثلاً في سائر الناس يُعرفُ
فمنهنَّ حُبٌّ للمحبِّ ورحمة	لمعرفتي منه الذي تتكلف
وحبُّ بدا للجسم والشوق طاهرٌ	وحبُّ لدى نفسي من الروح أطف
ومنهنَّ أن لا يخطر الشوق ذكركم	على القلب إلا كادت النفس تتلف
وحبُّ هو الداء العضال بعينه	له قدم يعدوا على فأدنف
فلا أنا منه مستريح فميّت	ولا أنا منه ما حييت مخفف

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي قال: سمعتُ الشيخ أبا الحسن الجوسقي يقول: حضرت الشيخ مكارماً - رضي الله عنه - بمسجد وقفٍ كان يتكلم على أصحابه في الشوق والمحبة، فقال في كلامه: أسرار المحبين إذا طاشت عند سلطان الهيبة والجلال خمد لأنوارها كل نور قابلته أنفاسها. ثم تنفس الشيخ فانطفت مصابيح المسجد، وكانت نيفاً وثلاثين قنديلاً. ثم سكت ساعة وقال: وإذا عاشت أسرارهم يتجلى أنوار الأنس والجلال، أضاءت لأنوارها كل ظلمة قابلته أنفاسها، ثم تنفس فأضاءت المصابيح، واستنار المسجد كما كان أولاً.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن نجيم الحوراني قال: سمعتُ الشيخ علي بن ادريس ببعقوبا يقول: كان الشيخ مكارم - رضي الله عنه - يتكلم يوماً على أصحابه مذكراً

بالنار وما أعد الله لأهلها، فوجلّت القلوب وذرفت العيون، وكان هناك رجل مُعطلّ فقال: إنما هذا تخويف ولا نار يُعذَّبُ بها أحد. فقال الاستاذ مكارم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَكِنَّ مَسْتَهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^١.

وسَكَتْ، فسكت الحاضرون لسكوته، وإذا بذلك المُعطلّ قد صاح: الغوث الغوث! واضطرب اضطراباً شديداً، ورؤي دخانٌ يخرج من أنفه يكاد يصرع من يَشِمُّه من نَتْنِه، فقال الشيخ: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. فسَكَنَ رُوع الرجل، وقام إلى الشيخ وقبّل يديه وجدّد إسلامه وصحح معتقده. وقال: وجدتُ في قلبي وَهَجاً وَنَفْحاً من نار يكاد يأتي على نفسي، ونار في باطني دخان ونَتْنٌ كادت نفسي أن تزهق. وسمعتُ قائلاً يقول في سري ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ﴾ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥)﴾^٢، (١١٧٠) ولولا الشيخ يُدركني هلكتُ.

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح داود بن أبي المعالي نصر بن الشيخ أبي الحسن (?):
أبي المجد المبارك بن أحمد البغدادي الحريمي الحنبلي قال: أنبأنا والذي قال:
سمعت جدي أبا المجد يقول: كنتُ عند الشيخ مكارم بداره على نهر الخالص، فخطر في نفسي لو رأيتُ شيئاً في كراماته، فالتفت اليّ وتبسّم وقال: سيدخل علينا هذه الساعة خمسة نفر أحدهم أعجمي أبيض أحمر، بخذه الأيمن شامة، بقي من عُمره تسعة أشهر، ثم يفترسه أسدٌ في البطائح، ومن ثم يبعثه الله تعالى، والآخر عراقي أبيض أشقر، بعينه حور، وبرجله عرض، يمرض عندنا شهراً ثم يموت، والآخر مصري أسمر، في كفه الأيسر ست أصابع، وبفخذه الأيمن طعنة رمح أصيب بها منذ ثلاثين سنة، يموت بأرض الهند تاجراً بعد سبعين سنة، والآخر شامي أدمي اللون، مشتمن الأصابع، يموت بالحرم على باب دارك بعد سبع سنين وثلاثة اشهر وسبعة أيام. والآخر من أرض اليمن أبيض اللون، وهو نصراني، وتحت ثيابه زنار، خرج من بلاده منذ ثلاثين سنة ولم يعلم به ليمتحن المسلمين، ويرى من يكشف منهم حاله. وقد اشتهى العجمي لحمًا مشويًا، واشتهى العراقي أوزًا في أوز، واشتهى المصري عسلًا بسمن، واشتهى الشامي تفاحًا من فاكهة الشام غير ناضج، واشتهى اليمني

^١ - سورة الأنبياء، الآية (٤٦).

^٢ - سورة الطور، الآية (١٥).

بيضاً مسلوقاً، ولم يعلم أحدٌ منهم بشهوة الآخر، وستأتي أرزاقهم إن شاء الله وشهواتهم، والحمد لله رب العالمين.

قال أبو المجد: فوالله لم يلبث إلا يسيراً حتى دخل خمسة كما وصف الشيخ، لم يَخِلَّ من أوصافهم بشيء، فسألتُ المصري عن طعنة فحذه فعجب من سؤالي، وقال هذه طعنة أصبتُ بها منذ ثلاثين سنة فمن أعلمك بها؟ فبينما هم جلوس عنده، وإذا برجل قد حضر ومعه جميع ما اشتهاه القوم، ووضع ذلك بين يدي الشيخ، فأمره الشيخ ان يضع ذلك بين يدي كل رجل ما أحبه واشتهاه، وقال لهم: كُلوا ما اشتهيتم! فأغمي عليهم ساعة، ثم أفاقوا وأكلوا ما أحبوا. ثم أن اليميني قال: يا سيدي ما وصف الرجل المُطَّلَع على أسرار الخلق؟ قال: أن يطلع الله على حالك، فتعلم أنه نصراني وتحت ثيابك زنار، فصرخ الرجل صرخة عظيمة ثم أسلم على يده. فلما تم أمره قال له الشيخ: يا ولدي إن كلَّ من رآك من المشايخ (١٧٠ب) عرف حالك، ولكن أطلعهم الله تعالى على أن إسلامك إنما يكون على يدي، فأمسكوا عن كلامك لذلك.

قال أبو المجد: والله لقد اتفق لهم في وفاتهم كما أخبر في الأوقات عينها، والأمكنة والأسباب التي ذكرها من غير تقديم ولا تاخير، ومات اليميني عنده في زاويته بعد أن مرض شهراً، وكنتُ ممن صلى عليه ومات عندنا بالحرم على باب داري طريح، وتُودي عليه بالصلاة فخرجتُ فإذا هو صاحبنا الشامي، وبين موته وبين الوقت الذي اجتمعت به عند الشيخ سبع سنين وثلاثة اشهر وسبعة أيام.

أخبرنا أبو محمد رجب بن منصور الداري قال: سمعتُ قاضي القضاة أبا صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ببغداد قال: سمعتُ الشيخ مكارماً النهر خالصي يقول: ما رأيتُ عيني مثل الشيخ محيي الدين عبد القادر. وسكن رضي الله عنه بلدة مشهورة على نهر الخالص، من أرض العراق، استوطنها إلى أن مات بها مُسنناً قديماً، ودُفن فيها، وقبره بها ظاهرٌ يزار، وله بذلك القطر الشهرة العظيمة.

– ذكر الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنهما:

روينا أنه كان – رضي الله عنه – من أجلاء مشايخ العراق، وعظماء العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الباطنة الخارقة، صاحب المقامات السنيّة،

^١ – هو حفيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني.

والمكانات العلية، صاحب الفتح الموفق، والكشف المشرق، والحقائق الزاهرة، والمعارف الباهرة. له الباع الطويل في التصرف، واليد المبسوطة في علوم المشاهدات، والقدم الراسخ في التمكين الموطد، وله الطور الأرفع في معالم القدس، والمقر الأعلا في مراتب القرب، والنظر الخارق في عوالم الغيب، وهو أحد من أظهره الله الكريم إلى الخلق، وصرّفه في الوجود، ومكّنه من أحوال النهاية، وقلده أسرار الولاية، وخرّق له العادات، وأظهر على يديه الخارقات، ونطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وملاّ القلوب بمحبته، والصدور من هيئته. وهو أحد أركان هذا الشأن، وأعيان السادة له، وأئمة القادة الدعاة إليه علماً وعملاً، وزهداً وتحقيقاً ورياسة.

صحب الشيخ علي بن الهيتي - رضي الله عنه - وخدمه أولاً بالبدن، وآخر بالحال، واليه كان ينتمي. وتردد إلى الشيخ (١٧١) عبد القادر وخدمه، ولقي جماعة من أجلاء المشايخ من أصحاب السيد تاج العارفين، مثل الشيخ بقا بن بطو، والشيخ عبد الرحمن الطسفونجي، والشيخ أبي سعيد القيلوي وغيرهم، رضي الله عنهم.

انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته في بلاد الرجل^١ وما يليها، وتخرّج بصحبته جماعة من الأكابر، واليه كان ينتمي الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن جيش البغدادي، وبصحبته انتفع. وتلمذ له جماعة من الصلحاء، وأجمع المشايخ والعلماء على تبجيله واحترامه، وأقروا بفضيلته، وأبرزوا عدالته، وذكروا مناقبه، وكان مشتملاً على أشرف الأخلاق، وأكمل الآداب، وأجمل الصفات، وأكمل الشيم، رابياً في أحكام الشرع، معانقاً لطريق السلف - رضي الله عنه - وقد أنشد فيه أبيات:

ياجوسقاً رقى في أرفع الدرج	إخلع وطب ما على العشاق من حرّج
أبدأ أبو الحسن الهيتي فيك سنياً	أغناك والله عن شمس وعن سرج
سر في ضياء نور تاج العارفين تجد	عند الشدائد أبواباً من الفرج
قيدت بالحال شيطاناً فأصبح في	قيد العناية في نار وفي وهج
أصبح حماك لمن يأوي به حرم	حتى البراغيث لم تفرك ولم تلج
مذ جزت عن نخلة خضراء مثمرة	نادتك بالله كل مني فلم يعج

^١ - كذا في الأصل، والصحيح: بلاد الجبل.

وعندها نخلةٌ جرداء يابسة
لعلني أن تدبَّ الروح فيَّ وأن
من وضوئِكَ أصبحت تلك مثمرة
لا تعجبين! فإن الفيضَ متَّصلاً
صلى عليه إله العرش ما صدحت
وسائر الأَل والأصحاب قاطبةً

نادتك اسبغ وضوءاً تحت معترج
أضحى غريقاً وهو لُجج
بعد اليباس ترى في منظر بهج
من سيد الخلق لم يمنع ولم يعج
ورق ما صاح من فرط الغرام شجي
والتابعين أولي التقويم للعوج

وكان له كلام عالٍ على لسان أهل المعارف، منه:

المعرفة حياة القلب مع الله تعالى، والمحبة سقوط كل محبة من القلب سوى محبة الحبيب. والرُّهد النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعذراً وتطرقاً. ومن استحسِن من الدنيا شيئاً فقد نبَّه على قدرها. وثنى الشكر الحب لله تعالى والخوف. وذكر اللسان كفارة ودرجات، وذكر القلب زلفى (١٧١ب) وقرِّيات، ومن استوى عنده ما دون الله تعالى نال المعرفة في حفظ الظاهر، مع الخلق لحسن العشرة. وأعرَف الناس بالله تعالى اشدَّهم مجاهدةً في أوامره، وأتبعهم لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وبكاء الزاهدين بغيوبهم، وبكاء العارفين بقلوبهم.

ومنه: نُقصان كل مخلصٍ في إخلاصه رؤيته لإخلاصه، وإذا أراد الله أن يخلص إخلص عبد أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه، فذلك هو المخلص حقاً، والتوكل رد العيش إلى واحد، وإسقاط هم غيره، ومن وجد الله تعالى مع الإشارة إليه فقد استوعب الإرادة. ولا يصلح هذا الأمر إلا لأقوام كنسوا بأرواحهم المزابيل، وأنزلوا نفوسهم منازل من لاجاجة له فيها. وأصل الوصال ترك الالتفات إلى ما سوى الله عز وجل. وأصل الفقر معرفة التقصير. وأصل الثبات على النصر دوام الفقر إلى الله تعالى.

ومنه: فساد العلماء من شيئين، أنهم لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون. وآفة المرید الغضب لانتصار نفسه، والكلام في غير نفع، وإفشاء السرِّ لغير السادة من الشيوخ، والأنس بكل أحدٍ. وإذا رأيتَ الفقير يستزيد من النساء فذلك من علامات إدماره. وعلامة الشقاوة ثلاثة أشياء، أن يُرزق العلم ويُحرَم العمل، وأن يُرزق

^١ - في الأصل: يستريد.

العمل ويُحرم الإخلاص، وأن يُرزق صُحبة العارفين ولا يحترّمهم. والعلم حِرزٌ والجهل عذر. والصدق أمانة، والغدر هَم، والصدق بقاء، والقطيعة مصيبة، والصبر شجاعة، والجرأة ضعف، والكذب عجز، والصدق قوة، والعقل تجربة، ولا يصحَب إلا من يسقط بينك وبينه مؤونة التحفظ، ويُنبهك على أدب الشرع، وحفظ الحال عند غفلتك.

وكان يدعو بهذا الدعاء: اللهم يا من ليس في السموات قطرات، ولا في هبوب الرياح ولجات، ولا في الارض حبات، ولا في قلوب الخائفين خَطرات، ولا في أعضائهم حركات، ولا في أعينهم لحظات، إلا وهي لك شاهدات، وعليك دالات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات. أسالك بالقدرة التي تحير فيها من في السموات والأرض، أن تُصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وذريته. ثم يدعو بما أحب. وكان الشيخ عبد (١٧٢أ) الله المارديني يقول: إن هذا الدعاء من الأدعية المستجابة. وكان - رضي الله عنه - يتمثل هذه الابيات:

أشارَ قلبي إليك كيما	يرى الذي لا تراه عيني
وإن يلقى على ضميري	حلاوة الشوق والتمني
تريد مني أخبار سري	وشملت المراد مني
وليس لي في سواك حظ	فكيف ما شئت فاخترني

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي قال: سمعتُ الشيخ أبا الحسن علياً الخباز ببغداد يقول: سمعتُ الشيخ أبا حفص عمر البزار يقول: مرض الشيخ علي بن الهيثمي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعيد القيلوي، والشيخ أبو العباس أحمد بن علي الجوسقي الصرصري - رضي الله عنه - بزيران، فأسر الشيخ علي بن الهيثمي لخادمه الشيخ الحسن الجوسقي بوضع السفرة، فبسطها ووقف متفكراً فيمن يبدأ بوضع الخبز بين يديه. ثم أخذ في يده خبزاً كثيراً وأطلقه، فدار علي جوانب السفرة دفعة واحدة من غير أن يسبق رغيف إلى بين يدي الحاضرين رغيفاً، فقال الشيخ عبد القادر: يا أبا الحسن! نعم الخادم خادمك، فإنه يمد السفرة في الحال. فقال ابن الهيثمي: يا سيدي عبد القادر، أنا وهو في تصريفك، وقد هبتك هو، فلما سمع أبو الحسن الجوسقي ذلك إلى قربه يبكي،

^١ - هنا كلمة سقطت، يمكن أن تكون: جاء إلى.

فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي بن الهيتي: إن الجوسقي لم يختر خدمة غيرك، ولم يرد فراق الثدي الذي تغداً به وتربى عليه، وأمره أن يُلازم خدمة شيخه ابن الهيتي، رضي الله عنهم.

أخبرنا محمد رجب الداري^١ قال: سمعت الشيخ مسعود الحارثي يقول: قصدت أنا والشيخ عبدالقادر بن جيش^٢ والعمران^٣ والبريدي^٤ والدوراني^٥ إلى زيارة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، فلما مررنا بالدحلة المقابلة للجوسقي، رأينا فيها شخصاً كرهه المنظر شديد النتن، مُكبلاً بالقيود والأغلال، فنادانا فعرَجنا اليه، فقال لنا: إن دخلتُم على الشيخ أبي الحسن فسلوه في إطلاقي، فإنه حبَسني وقيدني هنا كما ترون، وإني لا أستطيع الحركة. فلما دخلنا (١٧٢ب) على الشيخ أبي الحسن هممنا أن نسأله فيه، فقال لنا ابتداءً: لا تسألوني فيه فإنه شيطان يأتي إلى الفقراء المنقطعين عندنا، ويُشوش عليهم. وكلما همَّ أن يفسد عليهم شيئاً من أحوالهم أنهاء وأتوَعده، فيحلف أن لا يعود، فلما تكرر منه ذلك فعلتُ ما ترون.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الجوسقي الأزجي قال: سمعت الشيخ علياً الخباز ببغداد يقول: قصدتُ مع جماعة من أصحابنا الجوسقي لزيارة الشيخ أبي الحسن - رضي الله عنه - فلما دخلنا عليه كاشفنا بكل ما جرى لهما في طريقنا، وأوضح لكل منا ما اختلج في نفسه، وتُبنا عنده، فخرج علينا في الليل براغيث، فكنا نجتهد أن نقتل واحداً منهم فلا نقدر. فلما أصبحنا قال له أحدنا: يا سيدي! إذا كان للرجل عند الله جاه، أيعمَّ جاهه أهل بلده؟ قال: نعم! ودوابهم حتى البراغيث التي أعجزكم قتل واحدٍ منها البارحة.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد التنوخي النهر ملكي قال: سمعت الشيخ الصالح العارف أبا الفتح سائلاً البغدادي يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا محمد عبد الرحمن بن جيش البغدادي يقول: سمعت لشيخنا أبي الحسن الجوسقي

^١ - في الأصل الداربي.

^٢ - ذكر المؤلف مرارا أبو محمد عبد الرحمن بن جيش البغدادي، لعله هو نفسه.

^٣ - كذا سطره المؤلف ، أي عمر الجواز وعمر الكيمياتي.

^٤ - كذا.

^٥ - كذا .

- رضي الله عنه - سماعاً بالجوسق، وكان فيه جماعة من المشايخ والصلحاء
فأنشد يقول:

أبت غلّبات الشوق أن لا تطلعا اليك ويأبى العذل أن لا تجنبا
وما كان صدّي عنك صدّاً ملالة ولا ذلك الإقبال إلا تقرباً
ولا كان ذاك الحب إلا وسيلة ولا ذلك الإغضاء إلا تهيّباً
عليّ رقيبٌ منك بمهجتي إذا رمت تسهياً عليّ تصعباً

قال: فطاب الشيخ أبو الحسن، واعتق رجلاً أجذب كان هناك، فاعتدلت قامته،
وذهبت حدبته، وكان يوماً مشهوداً بالجوسق.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن قوفا الحريمي قال: سمعت جدّي محمد بن دلف
يقول: سمعت يحيى بن محفوظ المعروف بابن الديبقي ببغداد يقول: مررتُ في بعض
السنين بالجوسق في وقت الظهيرة، فرأيتُ أبا الحسن الجوسقي في بطحاءٍ مقفرة ليس
فيها غيره، ورأيتُه يتواجد يميناً وشمالاً ويقول شعراً: (١٧٣)

قد بان بينَ بيّني فبنتُ عن بينَ بيّني
وتهتُ في كل قفرٍ وجداً بقرةٍ عيني
ثم بكى طويلاً، ثم أنشد يقول:

روحي اليك بكلّها قد أجمعت لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي عليك بكلّها في كلّها حتى تكاد من البكا تقطعت
فانظر اليها نظرةً بمودّة فلربما متعتها فتمتعت

ثم صاح صيحة عظيمة وخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد يقول:
أجلك أن أشكو الهوى منك أنني أجلك أن تومي إليّ الأصابعُ
وأصرف طرقي نحو غيرك عامداً على أنه بالرغم نحوك راجع
ثم تهلل وجهه فرحاً وسروراً وأنشد يقول:

تبادرت لي حتى إذا ما تبادرت معانيك في معناني أدهشني عني
وعرفتني إياك حتى كأنني أرى كلاً ألقاه من دهش مني
فوا أسفاً إن فاتني منك لحظةً ووا أسفاً إن حلت عن موضع الظن

^١ - غير واضحة في الأصل.

قال: وكان هنالك نخلتان، إحداهما مثمرة والأخرى قد يبَس أصلها، وقطعت حملها، فسمعتُ صوتاً من جهة النخلة المثمرة (يقول) ^١: سألتك بالله العظيم يا أبا الحسن! ألا ما أكلت مني، فمدَّ يده فتدلَّت له عراجين التمر حتى أكل، ثم سمعت صوتاً من جهة النخلة اليابسة، (يقول): وأنا أسألك بالله العظيم يا أبا الحسن ألا ما توضأت؟ ثم انفجرت من تحتها عينُ ماء فتوضأً وشرب منها، فاخضرت النخلة وأثمرت في عامها، ثم غارت تلك العين بقدرة الله، وانصرف الشيخ وهو يقول: يا مولاي، من خاطبته خاطبه كل شيء. قال: فكنت بعد ذلك (أمر^٢) على الموضوع واتذكر ذلك الوقت وأسح لله عبراتي، واكل من ثمر تلك النخلة.

تبركاً بالشيخ أبي الحسن، وكان تمرها من أطيب تمر العراق.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الأزجي قال: سمعت الشيخ العارف أبا طاهر الخليل بن الحسين القدوة أبي العباس أحمد بن علي الجوسقي الصرصري بها، وأخبرنا أبو الفتح سليمان بن اسحق بن احمد الهاشمي العلني قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفضل إسحق أحمد اخمد ^٣ (?): سمعنا الشيخ أبا الحسن الجوسقي بها يقول غير مرة: صُمَّت (١٧٣ب) أذنائي، وعمت عيناياي إن كنتُ رأيت مثل الشيخ عبد القادر، فرضي الله عنهم اجمعين.

سكن الجوسق^٤، بلدة على نهر الملك ببلاد دُجَيل^٥ من أرض العراق، واستوطنها إلى أن مات ودفن بها، وقبره هناك ظاهر يزار.

ووفاته فيما بلغني قبل وفاة الشيخ مكارم النهر خالصي. وكان - رضي الله عنه - يُلقب بأبي العرجا لعراج كان به، رضي الله عنه.

^١ - زيادة يقتضيه السياق.

^٢ - زيادة يقتضيه السياق

^٣ - كذا غير واضحة في الأصل.

^٤ - كان في العراق غير موضع بهذا الاسم، والمعنية بالحديث هنا جوسق بني مهارش، لقول ياقوت إنها تقع "نهر الملك". معجم البلدان، ٢/ ١٨٤.

^٥ - نهر مخرجه من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية، دون سامراء. ينظر مراصد الإطلاع، ٢/ ٥١٦.

- ذكر الشيخ العارف أبي الحسن علي بن ادريس البعقوبي:

أحد اصحاب الشيخ علي بن الهيثمي، رضي الله عنه، رَوينا أنه - رضي الله عنه - كان من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين المشهورين، وأئمة المحققين البارعين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والهَمِّ السماوية، والمعاني القدسية، والإشارات النورانية، والعلوم اللدنية، صاحب المقامات الجليلة، من الجلالات الجسيمة، والمناقب العلية، والكشف الجلي، والفتح السني، والسر المضيء، والقدر العلي. له المجد الأرفع في مراتب القرب، والمجلس المصدّر في منازل القدس، والمقرّ الأسمى من رياض الأنس، والمورد العذب من مناهل الوصل، والمشرب الأحلّ من مناهل المناجاة، والحظّ الأسنى من مواهب الرضا، والجد الأعلى في رغائب العلا. وله الطّور البديع في الحقائق الزاهرة، والثناء الرفيع في المعارف الباهرة، والمنهاج الأقوم في المحاضرات الأولية، والمعراج الأعظم في مشاهدة الملكوت إلى مقعد العندية، والسبّوق بجناح التوحيد في معالم الجبروت، إلى مجلس الفردية، والنظر الخارق لحجب مكامن المغيبات، والخبر الصادق عن مكنون حقائق الآيات. وله اليد البيضاء في علوم الأحوال، والباع الرحيب في معالي الموارد، والقدم الراسخ في التمكين الواسع، والبسطة العظيمة في التصريف النافذ.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وخرق له العوائد، وأظهر على يديه الخارقات، ونطقه بالمغيبات، ومكنه من أحوال النهاية، وقلده أسرار الولاية، وملكه أزمّة الهداية، وحكمه في (١٧٤أ) أمور البصائر والأبصار، وأطلعه على مجاري الحكمة وتصاريق الأقدار، وأجري الحكم على لسانه، وملاً قلوب الخلق بمحبته، ووَقَر صدورهم من هيبته، ونصّبَه قَدوةً للسالكين، وحُجّةً للعارفين، وإماماً للمتقين. وهو الذي قال: كشف لي عن الكائنات من البداية إلى النهاية، وختلت لي المزاحم، وكل من لم تخل له المزاحم فليس بشيخ.

وقال أيضاً: أطلعتني ربّي تبارك وتعالى على أهل الجنة وأهل النار، وأهل البرزخ وأهل السماء وأهل الأرض. وكان المشايخ في وقته يقولون: الشيخ علي بن ادريس يعرف ألسنة الجن والإنس والملائكة والطيور والوحوش والحيتان.

وكان يقال: أنه يعرف ملائكة كل سماء، ومقام كل ملك، ويعرف تسبيحهم ولغاتهم، وما يوحدون الله تعالى به. وكان إذا جاء إلى الشيخ عمر البزار يقوم إليه، ويمشي له خطوات، ويتلقاه من بُعد، ويكرمه ويحترمه ويعتنته وينشد:

أشَم منك نسيماً لستُ أنكره كان لمياً جرّت فيك اذلالاً

وكان المشايخ يقولون: لما توفي الشيخ عمر البزار، كان المشايخ كلهم بالعراق كالنجوم الزاهرة، والشيخ علي بن إدريس شمسُ طالعة، وكان الشيخ أبو الحسن علي بن الفرنثي^١ يقول: الشيخ علي بن إدريس من سكان السفح الأعلى، صحب الشيخ علي بن الهيتي - رضي الله عنه - واليه كان ينتمي، وخالط الشيخ عبد القادر مدة، وروي عنه، وشهد له مشاهدة جليّة، وله منه موارد نفيسة، ودعا له، وقال في حقه: لهذا ابن إدريس شأن عظيم. وقال له أيضاً: سيأتي زمان يُفتقر فيه اليك، وتصير علياً.

وكان يقول: أنا دعوة الشيخ عبد القادر، وتقي مشايخ العراق، وغالب اصحاب السيد كالشيخ العارف عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ القدوة بقا بن بطو، والشيخ المحقق أبي سعيد القيلوي، والشيخ الربّاني أحمد البقلي اليماني، والشيخ الإمام مطر الباذراي، والشيخ الصالح أبي الكرم المعمر وغيرهم.

وكان شيخه الشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي يكرمه ويقدمه ويُقيّمه، ويعني بأمره (١٧٤ب). وقال في حقه: ابن إدريس من جُلساء حضرة القدس، وهو أحد اركان هذا الشأن، وأئمة ساداته، واعلام الهداة القادة له، أولي الأيدي والأبصار بأحكامه علماً وعملاً وزهداً، وتحقيقاً ومهابةً وجلالة، انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في وقته، وبه عُرفت تربية المريدين الصادقين بالعراق، وتخرّج به من أهلها غير واحد، مثل الشيخ خليفة بن خلف البعقوبي، والشيخ أبي الشكر ماجد بن الحسن الحميدي الروحاني^٢، والشيخ معتوق بن رضوان النهر ملكي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الرصافي المعروف بالسبتي، والشيخ أبي زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري الصرصري، والشيخ العالم كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهراباني، والشيخ أبي محمد الحسن بن أحمد البغدادي المعروف بالمقصورة وغيرهم كثير.

وانتمى إليه خلقٌ كثير من ذوي الأحوال، وتلمذ له جم غفير من الصلحاء والعلماء، وقال بإرادته خلقٌ لا يُحصون كثرة، واجتمع عنده ببعقوبا عالم عظيم من

^١ - كذا في الأصل.

^٢ - نسبة إلى قرية الروحاء القريبة من بعقوبا، حيث زاوية الشيخ علي بن إدريس البعقوبي.

الفقهاء والفقراء والقراء، وانتفعوا بصُحبتِه، واشهر ذكره في الأفاق، وقُصد بالزيارات من كل جهة. وكان يجتمع ببابه أمم عظيمة من الزوّار، والقاصدين إليه من جميع الاقطار، وربما أقاموا على بابه أسبوعاً حتى يَرَوْه، وربما انتهى عددهم إلى سبعة آلاف.

ولما توفي، قال الشيخ عمر البزار: مات ريحانة الكون! وهرع إليه مشايخ العراق للزيارة، مثل الشيخ الإمام العالم القدوة شهاب الدين الشهرزوري^١، والشيخ أبي طاهر الخليل بن أحمد الصرصري، والشيخ أبي البدر بن خليل المعروف بالسمنين، والشيخ أبي المنذر بن سعيد، والشيخ أبي محمد عبد اللطيف البغدادي المعروف بالمطرز، والشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ الشريف البغدادي، والشيخ أبي الحسن البغدادي المعروف بالخفاف، والشيخ أبي عمرو عثمان بن سليمان المعروف بالقصر، والشيخ أبي الحسن بن سليمان المعروف بالخباز، والشيخ أبي البدر بن يوسف المعروف بالتماثيلي، وجماعة غيرهم من العلماء والصلحاء.

وكان يأتي بغداد لزيارة ضريح الشيخ محي الدين عبد القادر - رضي الله عنه - وينزل بمدرسته بباب الأزج^٢ عند قاضي القضاة أبي صالح نصر، فيأتيه أكثر أهل بغداد من العلماء والمشايخ وسائر الناس. وبلغني (١٧٥هـ) أنه سمع مرة ببغداد بالمدرسة المذكورة جزءاً من حديث يرويه عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه. وكان جملة من سمع عليه في ثلاث مجالس متفرقة من العلماء، ما يزيد عن ألفي رجل.

وكان القاري له الشيخ الإمام محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المعروف بالتوحيد، بن أخت قاضي القضاة أبي صالح نصر. وكان الخلفاء إذا نزلت بهم نازلة التجأوا إليه، واستكانوا له. وكان جليلاً مُهاباً وسيماً متأدباً متواضعاً، لا يُمكن أحداً من تقبيل يده، ولا يستطيع أحد أن يقول له:

^١ - كذا وربما يقصد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي .

^٢ - هي أقدم مدارس الحنابلة ببغداد، وأعظمها شأنًا، وأكثرها وقفًا، بناها القاضي المبارك المخرمي (٥١٣هـ/١١١٩م) قاضي باب الأزج في أوائل القرن السادس الهجري، بأقصى المحلة المعروفة بباب الأزج شرقي بغداد قريباً من محلة الحلبة وأوقفها لأهل طائفته الحنابلة. ،اشهر من درس فيها هو السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني فنسبت إليه، وعرفت في العهود اللاحقة بالمدرسة القادرية، أما محلة باب الأزج فعرفت في العهود المتأخرة بمحلة باب الشيخ نسبة إلى الشيخ الكيلاني .

يا سيدي! لكرهته ذلك. وكان مشتملاً على أشرف الأخلاق، وأكرم الشيم. وكان وافر العقل، قليل الكلام، دائم المراقبة، شديد الحياء، شديداً في أتباع الكتاب والسنة، ظاهر الوضاعة، عظيم الهيبة والوقار، معانقاً طريق السلف. وكان سماطه لا ينقطع إلا في نهار شهر رمضان، وما كان يجلس في صدور، ولا يتبعه أحد إذا مشى إلا بأمره، ولا يعرفه الذي لم يره قبل حتى يُعرف به. وكان يلبس لباس أهل السواد، وكان به ألمٌ متقدم في رجله، وعجز في آخر عمره عن الحركة. وكان يجلس مكانه أياماً لا ينهض إلا أوقات الصلاة، ولا يستطيع أحد أن يدنو منه إلا بإذنه - رضي الله عنه - ومما قيل فيه:

حتى متى لا ينشق المتعرضُ	نفساً به نحو المعالي ينهضُ
طوراً يصحبه الرجاء وتارة	تغشاه دائرة الإياس فيمرض
إني وحوض الفضل عذبٌ مترع	لا يلتقي ثمداً به يتبرض ^١
ما ذاك لإعائق من حطة	يرجيه عن درك العلا ويخفض
وإذا العناية فارقت معنى فتى	أضحى حديثاً والربيع مروّض
ضنت عمائمة فلا فيها حيا	يروى ولا برقٌ عليها يُومض
وإذا هي اختلت بساحة عاجف	اضحى بميدان العزائم يركض
لله عبدٌ من سوى محبوبه	حُرٌ بشيء عنه لا يتعرض
نجل الولي ادريس أفضل عابدٍ	يدعو إلى معبوده ويُحرّض
ما زال يتبع الرسول ويقتني	آثاره فيما يُحب ويبغض
حتى أنته من الولاية خلعةً	فيها له الشرف الطويل الأعرض
ومن اقتدى بالهاشمي محمدٍ	فهو الولي وفضله لا يُرفض
يا من محبته وصدق ولاية	حقّ علينا في السرائر تفرض ^(١٧٥ب)
سلّ لي السلامة من أذى زمنٍ	به الإسلام مغترب عداه ينقض
تسطوا ثعالبه على أساده	وأسوده فيه كوامن تبرض
من فضل جاهك ما أفوز به اذا	اضحت إلى الحشر البرية توقض

^١ - برض: قل ماؤه وعطاؤه.

وكان له كلام عالٍ نفيس في الحقائق، منه:

الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله تعالى لاحتياجك إليه. والمتصوّف كله آداب، لكل وقتٍ في أدب، ولكل حالٍ أدب، ولكل مقامٍ أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبالغ الرجال، ومن ضيّع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردودٌ من يظن القبول. وحسن آداب الظاهر عنوان أدب الباطن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه. وما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء بلسانه ولمحته بقلبه.

ومنه: من لم يرق أحواله وأفعاله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعدّه في ديوان الرجال. ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الحالات، ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أيامه كان مغروراً. ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وإلى من أيد بالكرامة وغيب عنها.

ومنه: طيب النفس وروح القلب وسعة الصدر وقوة العين في أربعة أشياء: الإستنابة للجنة، والأنس بالأحبة، والفقّه بالعدّة، والمعايينة للغاية. وأنفع العقل ما خوّفك نِعَمَ الله تعالى عليك، وأعانك على شكرها، وقام بخلاف الهوى. وأنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء والتصنع. وأنفع الفقر ما كنت به متجملاً راضياً. وأنفع ما سلمت من آفاتهما وكانت مقبولة. وأنفع التواضع ما نفى عنك الكبر، وأمات منك الغضب، وأنفع المعاملات إصلاح خواطر القلوب. وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن، وألزمك الفكرة. ورأس الأدب أن يعرف الرجل قدره. ومن لم يخشَ أن يُعذّبهُ الله تعالى على أفضل أعماله فهو هالك. وما ابتلى أحد بمصيبة أعظم من قسوة قلبه. وكيف يفلح من الدنيا أحب الناس إليه. ومن ترك تهمة الدنيا استراح من الهم. ومن حفظ لسانه استراح من المعذرة. ومن جزع من مصائب (١٧٦أ) الدنيا تحولت مصيبته في دينه.

ومنه:

عرض للخلق عارض من الهوى أقعد المرید والهأ، والعامل حائراً، فلا الغافل عرف دأه، ولا المرید طلب دواءه، فمن استعصم بالله عظم، ومن اسلم أمره إلى نفسه حُجِب. وصحّة الورع من علامات الخوف. وحسن الخلق من كرم الحسب. ومَن عَقَلَ أيقن، ومن أيقن خاف، ومن خاف صَبَرَ، ومن صَبَرَ ورع، ومن ورع امسك عن

الشبهات، وانتفى عن الحرص والرغبة، ومن سخف عقله ضعف يقينه، ومن ضعف يقينه فقد منه الخوف، ومن فقد خوفه كثرت غفلته، ومن كثرت غفلته فتاه قلبه لم تنفع فيه موعظة، وغلب عليه حب الدنيا، وكثرت أعماله بغير حقيقة خوف من الله تعالى. والمحروم من حرم السؤال، والسؤال مفتاح الإجابة. ولا ينفع للعالم أن يتكلم على الناس إلا إذا خاف هلاك انسان في بدعة، ويرجو أن الله تعالى ينجيه منها ببركة صالح نيته فيه.

ومنه: اربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة للخاصة والعامّة. وأربع خصال يرفع الله تعالى بها العبد: العلم والادب والدين والأمانة. وأقوى القوة أن تغلب نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز. ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه. ومن خاف الله تعالى خافه كل شيء. والورع الوقوف على حد العلم، فورع الظاهر أن لا يتحرك إلا بالله عز وجل، وورع الباطن أن لا يدخل في قلبه سوى مولاة. والزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح. ومن لا ورع له لا زهد له. وعلامة الزاهد ثلاث خصال: عمل بلا عاقبة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة.

وكان رضي الله عنه يتمثل بهذه الابيات:

القلب مُحترقٌ والدمعُ مستبِقٌ والكربُ مجتمِعٌ والصبرُ مُفترقٌ
كيف القرار على من لا قرار له مما جنّاه الهوى والشوق والقلق
يا ربّ إن كان شيءٌ فيه لي فرجٌ فامنن عليّ به ما دام في رمق

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن علي بن سليمان (١٧٦ب) الخباز، والشيخ العارف كمال الدين علي بن محمد بن وضّاح ببغداد، قالوا: سمعنا الشيخ القدوة أبا محمد علي بن إدريس ببغداد يقول: حفظت نفسي من الهوى عشر سنين، ثم حفظت قلبي من نفسي عشر سنين، ثم حفظت سري من قلبي عشر سنين، ثم وردت علينا منازل فحفظنا كلنا، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^١.

أخبرنا أبو الفضل صالح بن يعقوب بن حمدون التيمي البعقوبي، قال: حدثني أبي قال كان أبي اسماعيل طفلاً وهو مُقعد، وبلغ عمره خمس سنين، وهو على حاله

^١-سورة يوسف، الآية (٦٤).

لا يتحرك من مكانه ولا يستطيع الحركة، فحملته وأتيت به إلى الشيخ علي بن إدريس وسألته الدعاء له والشفاء، فأنكر علي ذلك، فتركته بالقرب منه وتجنبت عنه، فرماه الشيخ علي بن إدريس بنارنجة كانت بيده، فوقعت تلك النارنجة على رُكبة الصبي، فقام يعدو، وأخذ تلك النارنجة وعدا في الرباط، وهلل الناس، وذهب معي يمشي في عاقبة الله تعالى.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر بن مُهذَّب القُرشي قال: سمعتُ أبي يقول، وكان من اصحاب الشيخ ابن إدريس رضي الله عنه: جار رجلٌ علينا عاملٌ، فرتب في بعض السنين، وبلغ منا مبلغاً مُنكراً، فأتيته إلى الشيخ ابن إدريس أشكوه إليه، فأقمت عنده ببعقوبا ثلاث ليال لا أكلمه في ذلك من هيبتة، ثم صلي المغرب في الليلة الرابعة في بستان، ودار أصحابه حوله، فرأى بيد أحدهم قوساً وسهماً، فقال: أعطنيه! فناوله أياه، فركب الشيخ السهم في كبد القوس، وقال لي: إرمي! قلت: يا سيدي إن شئت. فوضع القوس من يده ثم أخذه ثالثاً وقال ارمي: قلت: يا سيدي إن شئت، فرمى فوصل إلى أصل شجرة هناك، بينه وبينها قدر أربعة أذرع، ثم قال: قد رميتُ فأصبت عنق عامل قرمت، فكبرتُ وكبر الناس. وقام صاحب القوس والسهم إلى قوسه وسهمه فأخذهما، فلما أصبحنا أتانا خبر عامل قرمت أنه كان نائماً بعد المغرب على فراشه، فوق سطح داره، بقرمت إذ أتاه سهمٌ غارب لا يدري من أين أتاه، فأصاب عنقه فذبحه فأصبح ميتاً.

أخبرنا (١١٧٧) أبو الحسن علي بن أزدمر قال: سمعتُ شيخنا الشيخ أبا زكريا يحيى بن يوسف الصرصري قال: كان ببعقوبا بستان ماؤه ملح لا يثمر شجره، ولاتزرع أرضه، وهو مُعطل، فأتى أصحابه إلى الشيخ علي بن إدريس - رضي الله عنه - وسألوه أن يدعو لهم بالبركة، فدعا لهم بالبركة فيه، فزرعوه تلك السنة فأثمر وانجب، وبورك فيه ببركة دعائه.

وهو - رضي الله عنه - أبو محمد، ويقال: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن إدريس الإدريسي الروحائي البعقوبي. والروحاء قرية قريبة من بعقوبا، والإدريسي نسبة إلى

^١ - هكذا في الأصل، ويتكرر الاسم فيما يأتي، فهو اسم القرية التي يعمل فيها هذا العامل.

جده إدريس. وكانت وفاته - رضي الله عنه - في سلخ شهر ذي القعدة الحرام سنة تسع عشرة وستمائة-١٢٢٢م- ببغوبا، ودُفن برباطه بها^١.
ومما أنشد فيه الشيخ أبو زكريا يحيى الصرصرى أحد أصحابه، من قدم لزيارته شعراً:

إلى بن أبي بكر ادريس اصبَحَت	ركابنا تسري بأشرف طالع
نوم حمى رحباً خصيباً ومورداً	غدا سائغاً عذباً هني الشارع
حمى أنست روعي به رُوح رشدها	ونالت بظل منه أوسع واسع
وضعنا به دُر الاماني وحصلت	بساحاته دُر المعاني مسامع
حللتُ به والشيب ماحلٌ لمّتي	وها هي قد حالت بأبيض ناصع
وما حلتُ عن ودي وكيف ينقض ما	أمرت يدا التقوى عليما ضالع
فيا سيداً أرجو النجاة بحبه	وصُحبتَه من كل خطبٍ مواقع
لئن أفعدتني عن مزارك شقوتي	فما انقطعت في بُعدي مطامع
على أنني لو زرتُ ربّك ماشياً	على الراس ما أديتُ بعض الصنائع
وها أنا قد وافيتُ اليوم زائراً	فخذُ بيدي من مُوبات الوقائع
بك افتخرتُ في الأرض قبَّتكَ التي	سمت بضياءٍ للمريد السامع
جزى الله عبداً سادها متقرباً	بخير لأسباب السعادة جامع
وأُشد يشكر سبتي الرُصافة المُعمر له	كرياط البعقوبي، رحمهم الله:
جزى سبتي الرصافة أحسن الجزا	عن الأتقى علي بن إدريسا
أنا ومعان الشيخ قد صار ربّعها	محيلاً فأضحى واضح الرسم مدروسا
فأصبح عافيتها جديداً بجده	وتوحّشها أضحى معناه مأنوسا
وعاد بها للزائر من الجنا	ونيل المنى ما منه قد كان مأيوسا(١٧٧ب)
ظفرت شهاب الدين بالفوز والرضا	ولا زلت من كل المكاره محروسا
ولا زال بين القوم جدك عالياً	وجد الذي يبغى عنادك منكوساً
ولا زلت تسمو كل يوم لرتبة	ترتديها روحاً وقرباً وتقديسا

^١ - اندثرت قرية الروحاء واندثر معها الرباط، ولكن بقيت منه القبّة المقامة على قبره، وهو على يمين الداهب من بعقوبا إلى بلدة بهرز ينظر كتاب الحوادث المنسوبة لابن الفوطي، تحقيق بشار معروف وعماد عبد السلام رؤوف، بيروت ١٩٩٧ ص ٤٧٠.

لعمري قد قمت المقام الذي به
شفيت صدوراً شققها طول حزنها
لقد نُصر المستنصر بن محمد^١
فلا زال منصوراً مطاعاً مؤيداً

فخرت وأسست المكارم تأسيساً
ونفست عنها الكرب والهَم تنفيساً
بك الحق نصراً لا يغادر تأنيساً
ليوضح برهانا ويطمس تلبيساً

وقال الصرصري أيضاً - رحمه الله - أنه دعا عند ضريح البعقوبي:
يا من له الفضلُ محضاً في بريته
عوَدتني عادة أنت الكفيلُ بها
ولا تذللهم من بعد عُسرته
وابعث على يد من تختار من بشرٍ
فإن حبل رجائي فيك مُتصلٌ

وهو الموصل في البأساء والياس
فلا تكلني إلى عبدٍ من الناس
وجهي المصون ولا تخفض لهم راسي
ذرني وصنني عمّن قلبه قاس
بحسن صنّعتك مقطوع عن الياس

قلتُ: كان الصرصري هذا من أعيان العلم العاملين، والأئمة الكاملين. وكان
أديباً لبيباً، وقد اشتهر ذكره جداً ذلك عن ذكرنا لمناقبه، وكان مغتبطاً بشيخه
المذكور جداً. ومما قال، وقد دخل على شيخه المذكور وسأله هل هو صائم أم لا،
فأنشد:

يوماً أراك به فلست أصومه
ودجى أمطت لنا لثام ظلامه
لكن أودي فرضاً عليّ مُعيناً
حتى أروي من جمالك مُقلتي

فالعيد عندي ثابتٌ تحريمه
بصباح وصل منك كيف أقومه
نظري إليك مدى الزمان أديمه
وتزول أفعال الهوى وهُمومه

فبنور وجهك ينجلي عني صدا
من لي بوصلك إن وصلك جُنّتي
عالجتُ فيك من الغرام مُره من
وكتمتُ حتى غال حبك مهجتي

قلبي ويحيي باللقاء رميمه
ودوام هجرك للفؤاد جميمه
وصبرتُ حتى قيل ليس يرومه
وأشد شيء في الهوى مكتومه

وأبرد مع العاشقين نُمومه
أنت الشفا له وأنت نعيمه
فاعطف على قلبٍ أمسكت زمامه
وسترت حتى نم دمعي في الهوى

^١ - هو الخليفة أبو جعفر المستنصر بالله بن محمد الظاهر بالله العباسي، (٦٢٣ - ٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م).

أوضحت لي سُنَن النبي محمد
ولرُبَّ خَلِّ قال لي وبدا له
ما لي أراك إلى الأبارق طامحاً
وأرى شمائلك أعترتها انسامه
فأجبتُه أنى بِصَبِّ شَيْقٍ
وله قديمٌ لاذوا لدائه
ومُنكر يطوي جلابيب العُلا
هوي به في كل حرق مهمة
يمشي ومجتراً النسيم مرامه
ناديته أن دمت نوراً مُشرقاً
ومقيل أمن واسعا رجا فعل
ماحي الضلال الشاهد المتوكل
كنزُ الفضائل معدن التقوى الذي
جُمعت له عز النُهي وتجردت
وثوى بترية أرضه لما نوى
باب الهدى حُصن النجاة محمد
يا من لآدم بان سابق فضله
يامن له الحوض الروي وشفاعة
وصلتكَ من رب العباد صلاته
من يستجير بجاه فضلك عامداً
فاجر مُروغاً من خطوب كيد

فَعشقتُ أو هبَّت علي نسيمه
ما ليس يجهل في الهوى معلومه (١٧٨أ)
أبدا سنا برق فأنت نسيمه
أسال من نشر الغرام شميمه
بجفا نجد والغرام غريمه
وأري الهوى يُغني الرجال قديمه
نجالا عد (?) لا يستقر رسيمه
فكأنه في جانبه ظليمة
والنجم في أفق السما نديمه
تهديك إن حار الدليل نجومه
بجناب من نفت الضلال علومه
الضحاك أنسني من بعث كلومه
هو في المعاد إمامه وزعيمه
بهداه للدين الحنيف رسومه
فيها الفخارُ خصوصه وعمومه
طابت مناسبه وطاب أديمه
وسما به في الحشر إبراهيمه
ينجو بها دنس الايهاب أثيمه
وأتاك منه مع المدى تسليمه
فمن الذي في العالمين يَضُمه
يُعني به في ذا الزمان حلِيمه

ومما أنشأه في رباط للشيخ على البعقوبي المُشار إليه مستمداً من نفسه .
تقرأ على تسعة أوجه :

بدا لنا . وجه محبوب لنا صلف ، تحت الدجا . جاب عنها . خندس الظلم ،
جبينه ، خلت صباحاً في اسرته ، بادي السنأ ، ساطع الانوار في الاطم ،
سَطت بنا في الهوى أَلحَاظ ناظره يوم الندى ، كالحسام الصارم الحدم ،
جُفونه ، هي أمضى من عقيقته ، لما دنا ، يفتن النُسَّك في الحرَم ،

عيوننا، اوقعتنا حين لاح لنا، في أسره، في غرام غير منصرم.
 تعينه، نظرة من حسن طلعتة، في قتلنا، كم له في القلب من الم.
 جلاله، إن بدا حني الرؤوس له، وعزه، في ذوي الإحسان والكرم.
 يصونه، شرف يُفضي لهيبته، عن المنى، وحجاب العز والحشم. (١٧٨ب)
 قوامه، هزه إن ماس معتدلاً، دلالة، تُخجل البانات من اظم.
 يزينه، هيف معري لمهجته، اذ انثنى، وهو مغري مولع بدم.
 محبته، كلما طال الزمان به، سما الورى، باشتياق غير مُنقسم.
 مسكينه، هام وجداً في محبته، حاز الغنى، بجميل البشر مبتسم.
 لا ينقضي، للذي نهوى عجايبه، لهول المدى، كخصم الموج مُلتطم.
 شجونه، أودعت في حُسن، بهجته، وما ربي وارلقى في أشرف الهمم.
 إلى الحمى، يا خليلي خذ سلام فتى، هفا به، قلبه مغري لمحترم.
 حنيته، شاع ما أخفى بزفرته، فما كنا، عن هوى خال من التهم.
 أرضي بها، أحمد المختار مَطلبه، خير الورى من جميع العرب والعجم.
 امينه، جامع التقوى بحكمته، نافي الخنا، باسط الخيرات والنعيم.
 محمد، فاتح الأشراف خاتمهم، باب الهوى، قامع الشيطان والصنم.
 مامونه، محتباه، من بريته، سامي البنا، حسن الأخلاق والشيم،
 مؤيد، ظاهر بالحق منتصف، بصحبته، من ذوي الأضعان والقَم.
 معينه، بأسه في يوم سَطوته، رامى القنا، يلحق الأبطال بالرحم.
 لقد صفا، ورده المحمود بصدره، من القذى، طيب عذب بكل قَسَم.
 معينه، ظاهر صفو لامته، لمن دنا، منه جازوا أفضل القسم.
 وفجرت، أعين التقوى بمبعثه، عزيزه، وعيون البر والحكم.
 عيونه، ردت الظمأى بشرعته، صفت لنا، فبهى سيدنا على الأمم.
 وأورقت، دوحة الآمال حين بدا، وأثمرت، بسقت فضلاً على الأمم.
 غصونه ظلها سام بسنته، حلو الجنى، لمحبت ثابت القدم.
 ودلنا، وهذا عن غوايتنا، وقادنا، نحو دين واضح اللقم.
 تلبسه، نور حق في رسالته، لرشدنا، هو متنجنا من النقم.

^١ - الهم من الخيل.

^٢ - كذا في الأصل، وربما كانت الرخم: جنس من الطيور.

- ذكر الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي من اصحاب الشيخ أبي سعيد

القيلوي رحمهما الله تعالى:

رَوِينَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَجْلَاءِ مَشَايخِ الْعِرَاقِ، وَنَبْلَاءِ الْعَارِفِينَ، صَاحِبِ الْكِرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَالْمَقَامَاتِ الْفَاخِرَةِ، وَالْأَحْوَالِ النَّفِيسَةِ، صَاحِبِ الْمَعَارِفِ الزَّاهِرَةِ وَالْحَقَائِقِ الْبَاهِرَةِ، وَالْأَنْفَاسِ الْقُدْسِيَّةِ، وَالْمَعَالِي النَّوْرَانِيَّةِ، لَهُ الْمَعْرَاجُ الْأَعْلَى فِي الْقُرْبِ وَالْمُنْهَاجِ، الْأَسْنَى فِي الْوَصْلِ، وَالطُّورُ الْأَرْفَعُ فِي الْمَشَاهِدَاتِ، وَالْمَجْلِسُ الْعَالِي الْمَصْدَرُ فِي الْمَحَاضِرَاتِ. وَهُوَ السَّبْقُ (١٧٩أ) إِلَى جَلِيَّاتِ التَّقَدُّمِ فِي مَدَائِحِ الْفَتْحِ الْإِلَهِيِّ، وَالْجَمْعِ بَيْنِ أَطْرَافِ الْكَشْفِ الرَّبَّانِيِّ، وَالتَّجَرُّدِ عَنْ دَوَاعِي الْحُظُوظِ، وَالْإِنْسِلَاحِ عَنْ بَقَايَا الْإِرَادَةِ، وَالتَّحَقُّقِ بِأَوْصَافِ الْحَرِيَّةِ. وَهُوَ أَحَدٌ مِنْ أَظْهَرِهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْوُجُودِ، وَصَرَفَهُ فِي الْكُونِ. وَأَظْهَرَ عَلَى يَدِهِ الْخَارِقَاتِ، وَنَطَّقَهُ بِالْمُغْيِبَاتِ، وَأَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ الْحَكْمَ، وَنَصَبَهُ قَدْوَةً لِلْسَالِكِينَ، وَمَلَأَ صَدُورَ الْخَلْقِ مِنْ هَيْبَتِهِ، وَقَلُوبَهُمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ. وَكَانَ كَثِيرَ الرَّوْيَا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْظَةً وَمَنَامًا. وَكَانَ يُقَالُ إِنَّ أَكْثَرَ فِعَالِ الشَّيْخِ خَلِيفَةَ مُتَلَقَاةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَمْرًا مِنْهُ أَمَا يَقْظَةً وَأَمَا مَنَامًا.

وَكَانَ شَيْخَهُ، الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدِ الْقَيْلَوِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَثْنِي عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَقَالَ فِي حَقِّهِ: الشَّيْخُ خَلِيفَةُ شَيْخٍ مُكْمَلٍ. وَقَالَ فِي مَرَّةٍ أُخْرَى الشَّيْخُ خَلِيفَةُ مَنْ خَلَفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَسْرَارِ الْوَلَايَةِ، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَأُتْمَةُ سَادَاتِهَا، وَأَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ بِهَا، انْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَحَالًا وَقَالًا، وَمَهَابَةً وَرِئَاسَةً. وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ مَعْرِفَةُ تَرْبِيَةِ الْمُرِيدِينَ وَتَخْرُجُ بِصَحْبَتِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ ذَوِي الْأَحْوَالِ، وَانْتَمَى إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّلْحَاءِ، وَانْتَفَعُوا بِهِ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ زَمَانِهِ عَلَى تَبْجِيلِهِ وَاحْتِرَامِهِ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِهِ. وَكَانَ جَمِيلَ الصِّفَاتِ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ، دَائِبًا فِي اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَكَانَ لَهُ كَلَامٌ عَالٍ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ الْحَقَائِقِ. مِنْهُ:

أَخْرَ إِقْدَامَ الزَّاهِدِينَ أَوَّلَ إِقْدَامِ الْمُتَوَكِّلِينَ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ حَلِيَّةٌ وَحَلِيَّةُ الصَّدَقِ الْخَشُوعِ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدَنٌ، وَمَعْدَنُ الصَّدَقِ قُلُوبُ الزَّاهِدِينَ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ، وَعِلْمُ الْخِذْلَانِ عَدَمُ الْبِكَاةِ مِنْ قَلْبِ حَزِينٍ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَهْرٌ، وَمَهْرُ الْجَنَّةِ تَرَكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا. وَمَنْ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتَلْفِ نَفْسِهِ، حَفِظَ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ. وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَخَالَفَةُ هَوَى النَّفْسِ، وَالرِّضَا بِمَجَارِي الْمَقْدُورِ وَسَيْلَةً إِلَى دَرَجَاتِ الْمَعْرِفَةِ.

وإذا سكن الخوفُ القلبَ أحرقت الشهوات، وطرد الغفلة عن القلب. ولكل شيءٍ ضدٍ وضد نور القلب شبع البطن. ومن أظهر الإنقطاع إلى الله وجب عليه خلع ما دونه. ومن كان الصدق وسلته كان رضا الله عنه جائزته. وعلى كل شيءٍ شاهدٌ، وشاهدُ اليقين الخوف من الله تعالى. وأقوى سبب بين العبد وبين الله تعالى، محاسبة بورع، ومراقبة بعلم، وأدب باتباع. وكل ما شغلك عن الله تعالى من أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فهو عليك شؤم. وكل عمل ليس فيه ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة. وإذا جاع القلب وعطش، (١٧٩ب) صفا، وإذا شبع ورؤي عمي. ومن رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة المناجاة. والقناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد. ومن لبس عباءة بثلاثة دراهم، وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم، فقد خالف باطنه ظاهره. وإذا لم يبق في القلب شهوة جاز أن يتدرع بزى الزهاد فليلزم طريق الزهاد الصدق، فإذا أحسست بالسوساس في فرج يزل عنك، فإن أبغض الأشياء إلى الشيطان سرور المؤمن، وإذا اغتمت به زادك،

ومنه: صلاح القلب في أربع خصال: التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله. والعجب يتولد من رؤية النفس وذكرها. والخوف يُوصلك إلى الله تعالى، والكبر يقطعك عنه، والتفويض يرد إلى ما عملت إلى عالمه. والتفويض مقدمة الرضا، والرضا باب الله الأعظم، والصبر على الطاعة أن لا تفوتك المداومة. والصبر على الغضب عند المعصية لينجو من الإصرار عليها. وأصل التوفيق أن تطيع الله وأنت تخشى الرد. وعلامة الخذلان أن تعصيه وأنت ترجو أن تكون مقبولا، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

ومجلس الأُنس فيه الروح والراحُ	قلوبنا لشراب الحبِّ أقداحُ
حقاً وقد رقصت للوجد أشباح	وخُلوة الوصل قد طاف السماع بها
أهل الحقيقة كم صاحوا وكم ناحوا	ونحنُ في خُلوة سكرى ما دُمنّا
	وكان أيضاً يتمثل بهذين البيتين:
إلى الحلة العلياء من جانب الكبر	أسامي بنفسي ذلةً واستكانةً
سموتُ إلى العلياء من جانب الفقر	إذا ما أتاني الكبرُ من جانب الغنى

أخبرنا أبو الحسن بن أزدمر قال: سمعتُ الشيخَ أبا الحسن علي الخباز ببغداد يقول: سمعتُ الشيخَ علي بن إدريس ببغقوبا يقول: أوقفني مالكي تعالى بين يديه،

وَأَلْبَسَنِي مِنْ كَرَامَاتِهِ رَدًّا اصْطَنَعَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَزَلِّ بِقُدْرَتِهِ لَا يَلْبَسُهُ إِلَّا مَنْ اصْطَفَاهُ لِكَرَامَتِهِ .

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الداري قال: سمعتُ شيخنا أبا سعيد القيلوي يقول: حَلَلْتُ بِمَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ، فَلَمْ يَقْرَبِي الْقَرَارَ فِيهِ حَتَّى نَازَلْتَنِي فِيهِ (١٨٠) مَنْازِلَةً مِنْ مَنْازِلَاتِ أَحْكَامِهِ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى قَطْعِهَا، وَلَمْ أَدْرِ مَا هُنَالِكَ، فَاسْتَعْتَمْتُ بِنَفْسِ الشَّيْخِ خَلِيفَةَ، وَاتَّحَدَتْ هِمَّتِي وَامْتَزَجَ نَفْسِي وَنَفْسَهُ، حَتَّى قَطَعْتَ تِلْكَ الْمَنْازِلَةَ وَذَلِكَ الْمَقَامَ، وَانْكَشَفَ لِي جَمِيعَ أَحْكَامِهِ، فَالشَّيْخُ خَلِيفَةُ هُوَ أَعْلَى أَصْحَابِي هِمَّةً وَآخِرَقَهُمْ نَفْسًا، وَآخِذَهُمْ نَظْرًا.

قال الشيخ علي الفرنثي: فسألت الشيخ خليفة في ذلك، فقال: يا أخي، لما أسند هِمَّتَهُ إِلَى هِمَّتِي، وَجَذَبَ سِرِّي إِلَى سِرِّهِ انْخَرَقَ لِي فِي أَحْوَالِي بَابٌ لَا أَمْلِكُ سَعْتَهُ . وَكَلِمَا أَشْكَلَ عَلَيَّ أَمْرٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، أَوْ يُوَقِّفُ عَلَيَّ سَيْرَ فِي دَرَجَاتِ الْعِلْمِ، لَجَأْتُ إِلَى ذَلِكَ الْإِسْنَادِ، وَرَجَعْتُ إِلَى تِلْكَ الْجَذْبَةِ فَيَتَسَّعُ لِي كُلُّ ضَيْقٍ، وَيَنْفَتِحُ كُلُّ بَابٍ . أَخْبَرْنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْهَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا السَّعُودِ الْحَرِيمِي يَقُولُ: كَانَ الشَّيْخُ خَلِيفَةَ يَرَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَثِيرًا فِي الْيَقِظَةِ وَالْمَنَامِ . وَرَأَاهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً . وَقَالَ فِي إِحْدَاهُنَّ: يَا خَلِيفَةَ! لَا تَضْجُرْ مِنِّي، فَكَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مَاتَ بِحَسْرَةٍ رَوَيْتِي . يَا خَلِيفَةَ! أَلَا أَعْلَمُكَ اسْتِغْفَارًا تَدْعُو بِهِ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّ حَسَنَاتِي مِنْ عَطَائِكَ، وَسَيِّئَاتِي مِنْ قَضَائِكَ، فَجِدْ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مَا قَضَيْتَ، وَامْحُ ذَلِكَ بِذَلِكَ، جُلِّتَ أَنْ تَطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، أَوْ تُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِكَ . اللَّهُمَّ مَا عَصَيْتُكَ حِينَ عَصَيْتُكَ اسْتَخْفَا فَا بَحَقِّكَ، وَلَا اسْتِهَانَةَ بِعَذَابِكَ، لَكِنْ بِسَابِقَةٍ سَبَقَ بِهَا عِلْمَكَ، فَالْتَوْبَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَعْذِرَةَ لَدَيْكَ .

قُلْتُ وَأَعْرَفَ هَذَا الْاسْتِغْفَارَ مَرْوِيًّا عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُطَوَّلًا .

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن أحمد التنوخي العراقي النهر ملكي قال: أنبأنا أبي عن جدِّي قال: حجَّ أخٌ لي في بعض السنين، وكنت شديد المحبة له، فلما كان بعد سفره شهرٌ حضرتُ عند الشيخ خليفة بنهر الملك، وقد اشتد شوقي إلى نظَّر أخِي، فنظر الشيخ خليفة وقال لي: أُنحِبُّ أَنْ تَرَى أَخَاكَ يَا مُحَمَّدٌ؟ قُلْتُ: وَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي إِلَى ظَاهِرِ دَارِهِ، وَإِذَا أَنَا أَرَى رَكْبَ

الحجاج سائرين، فوالله لم يكن بيني وبينه فيما أراه أكثر من عشرين (١٨٠ب) خطوة ونظرت إلى أخي في الركب، فقصدت النهضة اليه، فمنعني، فصرت أنظر إلى أخي، وإذا سقط من ظهر مَطِيَّتِهِ، فوثب الشيخ خليفة فتلقاه قبل أن يصل إلى الأرض، وأنا أنظر، وأعاده على ظهر الجمل. ثم أتاني بمنديل وركوه فقال: احتفظ بهما فإنهما سقطا من أخيك، فبقيا عندي حتى عاد أخي من الحج، فناولتهما له، وأعلمته بما رأيت، فإذا هو يعرف أنه الشيخ خليفة قال: ولم أدر من أين ولي؟ وفقدت في ذلك الوقت منديلي هذا وركوتي هذه، قال: فأتينا إلى الشيخ مكارم بنهر الخالص^١، وذكرنا له القصة فقال: إذا كانت المقامات تُطوى بين يدي الشيخ خليفة كالأكرة^٢ فكيف لا تكون الأرض كلها بين يديه كالدرّة، قال: وكان بين دار الشيخ خليفة وبين منزلة الحاج في ذلك مسيرة شهر.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي القاسم بن محمد بن دُلف الحريمي المعروف جدّه بابن قوفا، قال: سمعت جدي يقول حكى بعض أصحابنا من الصلحاء من أهل بغداد قال: انتبعت ليلة في السحر فبايعت الله تعالى أن أجلس في جامع الرصافة^٣ متوكلاً من حيث لم يشعر بي أحد من الخلق، وأتيت الجامع من وقتي، وجلست فيه يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فما رأيت فيها أحداً، ولا طعمتُ فيها طعاماً، واشتد فيها جوعي، وخفتُ من السقوط، وكرهتُ الخروج من تلقاء نفسي، واشتهيت شوي سُخناً وخبزاً رُصافياً وتمراً برنياً^٤ فإذا في ذلك وإذا حائط المحراب قد انشق منه، وخرَجَ اليّ منه رجلٌ هيئته كهيئة أهل السّواد، وببده مئزر، فوضعه بين يديّ، وقال لي: قال لك الشيخ خليفة: كل شهوتك واخرج من هنا فما أنت من أناب

^١ - قال ياقوت إن الخالص اسم كورة عظيمة من شرقي بغداد إلى سور بغداد. وإنه هو المسمى نهر المهدي، وإن عليه قرى كثيرة وبساتين وافرة، ومن القرى ما هو محدث بعد الإسلام ومنها ما هو في الزمن الجاهلي. معجم البلدان، ٢/ ٣٣٩.

^٢ - الأكرة: الكرة، ومقبض الباب.

^٣ - هو المسجد الجامع الذي أنشأه الخليفة المهدي قبل عهد خلافته في الرصافة (ابن الجوزي: مناقب بغداد، ص ٢٣)، والرصافة هي الأعظمية اليوم حصراً، وفي القرنين الأخيرين اطلق اسمها على الجانب الشرقي من بغداد كله. أما الجامع فقد زال ولا يعرف موضعه على وجه التحديد، والمرجح أنه كان قريباً من مدخل شارع المقبرة الملكية المتفرع من شارع الإمام الأعظم، حيث كانت بلبصقه مقبرة خاصة بالأسرة العباسية عرفت باسم ترب الخلفاء، أو بالترب مطلقاً.

^٤ - البرني: نوع جيد من التمر مدور أحمر مشرب بصفرة، ومنه: نحل برني، ونخلة برنية.

التوكل، ثم غاب الرجل عني، ففتحت المنزر وإذا فيه شوي سُنْ وخبز رُصافي وتمر برني، فأكلت وخرجت، وأتينا إلى الشيخ خليفة بنهر الملك، فلما رأني قال لي ابتداءً: يا هذا لا ينبغي لرجل أن يجلس متوكلاً حتى يُحْكِمَ أساسه في قطع العلائق باطناً وظاهراً، وأن لا يكون عاصياً في ترك الأشياء.

وهو - رضي الله عنه - من قرية من نهر الملك، فعُرف بقرية الا...^١ من أراضي العراق، واستوطن نهر الملك إلى أن مات بها قديماً بعد أن علت سنّه، وقبره بها ظاهر، وله هناك شهرة عظيمة. وكان فخر آل زين العابدين.

ولما حضرته الوفاة تشهّد وتهلّل وجهه بالسرور والبشرى (١٨٠ب) وقال: هذا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يُبشرونني برضوان الله تعالى وصلاته. ثم قال: هذه الملائكة تستعجلني للقدوم على الكريم، ثم ضحك وقال: إذا تجلّى الحق سبحانه على عبده المؤمن عند قبض روحه وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾^٢ فلم يتم تلاوة الآية حتى فاضت نفسه. ولما وضع على السرير ليُصلّى عليه سمع نداءً عالياً من جهات، ولا يُرى المنادي: معاشر الناس من المسلمين، الصلاة على الحبيب القريب. وكان يوماً مشهوداً، رضي الله عنه.

وكان شيخاً آخر اسمه أحمد (بن) خليفة من أصحاب الشيخ علي بن إدريس البعقوبي الوفائي، وكان شيخاً عظيماً، ومات قبل شيخه ابن إدريس، ودفن ببعقوبيا، وكان إذا ورد على الشيخ ابن إدريس حالاً يقول: يارب! ولخليفة مثله. وهو بعد هذا الشيخ المذكور أنفاً، رحمهم الله.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن دلف الحريمي قال: أنبأنا جدّي قال: سمعت يحيى بن محفوظ بن بركة البغدادي المعروف بابن الدبقي يقول: سمعت الشيخ خليفة النهر ملكي - رضي الله عنه - يقول: جرت مرة ببلاد السودان، فرأيت شيخاً جالساً في الهواء، فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت له: لم جالساً في الهواء؟ فقال: يا خليفة! خالفتُ الهوى، وركبت التقوى، فأسكنتُ في الهواء. قال: وأخبرني أن ولايته لذلك من الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ونفعنا بهم.

^١ - هنا بياض في الأصل.

^٢ - سورة الفجر، الآية (٢٧ - ٢٨).

- ذكر الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، أحد أصحاب الشيخ علي بن الهيثمي وابن صاحب السيد تاج العارفين قدس الله سره اعني بالحسن ابن الجوزي رحمه الله. كان من أجلاء المشايخ المعتبرين، والعلماء العاملين، والكُمل المفتين، صاحب المواعظ الرائقة، والمصنفات الدالة على بحار العلوم الدافقة. قد حاز من العلوم تضلعاً ورياً، وجاز إلى لبها حتى لم يتهياً لسواه ما له منها تهياً. انتهت إليه رئاسة المواعظ والرقائق، وايضاح المشلات والدقائق، وانتفع الناس بعلومه في حياته، وبعد مماته بطرق مصنفاته ورواياته.

وكان رقيق الطبع، لطيف الذات، توفي أبوه عنه صغيراً، واشتغل في العلوم حتى برع، ثم مال إلى أخذ طريق الصوفية، فذكروا له الأخذ عن الشيخ العارف، الإمام الكامل المُكمل علي بن الهيثمي - رحمه الله عليه - فتوقف في ذلك، ثم قيل له أن أباك (١٨١ب) أخذ عن أستاذه السيد تاج العارفين أبي الوفا، فتكون قد أخذت عمّن هو في مقام أبيك رتبةً من حيث السيد، ومن هو أفضل منه منزلة عند الله فيما يظهر.

فذكر أنه يستخير الله تعالى، ثم بات تلك الليلة في منامه، فرأى ما قص في الشطر الاول. وأخذ عن ابن الهيثمي كما مرّ ذكره، وانفتحت له أبواب السعادة، وصار مشتملاً على أنواع السيادة، بالغاً من القبول فوق العادة. قال ابن خلكان: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي، الملقب جمال الدين الحافظ.

كان علامة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ في فنون عديدة، (منها) : زاد المسير في علم التفسير، أربعة أجزاء، أتى فيها بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله المنتظم في التاريخ، وهو كبير، وله الموضوعات في أربعة أجزاء^١، ذكر فيها الحديث الموضوع. وله تلقيح فهوم الأثر^٢ على وضع المعارف لابن قتيبة، وبجملة فكتبه أكثر من أن تُعد. وكتب بخطه أشياء كثيرة،

^١ - هو كتاب: الموضوعات في الأحاديث المرفوعات.

^٢ - هو كتاب: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصرالسير والأخبار.

والناس يغالون في ذلك حتى يقولون أنه جُمعت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم سبعة كراديس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل. ويقال إنه جُمعت بَرَاية الأقلام التي كتب بها حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يُسَخَّن الماء الذي يُغسل به عند موته، ففعل ذلك فكفَّت وفضل منها. وله أشعار لطيفة أنشدني له بعض الفضلاء، يخاطب أهل بغداد:

عذيري من فنتية بالعراق قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام الغريب وقول القريب فلا يُعجب
ميادينهم إن تبدت بخير إلى غير جيرانهم تقلب
وعُذرتهم عند توبيخهم مغنية الحي لا تُطرب

وله أشعار كثيرة. وكان له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة، فمن (١١٨١) أحسن ما يُحكى له (أنه) وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة وأهل الشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، فرَضِي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما شخصاً سألته عن ذلك، وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما من كانت بنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يُراجِع في ذلك. فقالت السُّنَّة: هو أبي بكر لأن بنته تحت النبي صلى الله عليه وسلم. وقالت الشيعة: هو علي لأن فاطمة تحته. وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر واتمام وإمعان النظر لكان في غاية الحُسن، فضلاً عن البديهة. وله محاسن كثيرة يطول شرحها.

ولد تقريباً سنة ثمان، وقيل: سنة عشرة وخمسمائة - ١١١٦م - ، وتوفي ليلة الجمعة، ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة - ١٢٠٠م - ببغداد، ودفن بباب حرب^١. قال: وتوفي والذي أبوالحسن سنة أربع عشرة - ١١٢٠م -.

وقالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، وكان أبوه يعمل الصُّفْر بنهر المعلّ^٢. قلتُ: لا عن نذالة وامتهان، بل لطلب الحلال. وعُرف بسعة علمه وحُسن

^١ - بتقدم تعريفنا بهذه المقبرة.

^٢ - نهر شقه المعلّى بن طريف، من كبار القادة في عهد المهدي والرشيدي، فنسب إليه، كان في الجانب الشرقي من بغداد، يخترق أسوارها الشرقية، ويجري في عقود تحت دروبها وأسواقها، ويصب في دجلة عند المدرسة المستنصرية. ونسبت إليه محلة هناك.

تربيته وورعه رحمة الله عليه . قال ابن خلكان: ونقلتُ من بعض المجاميع أنه -
تعني أبا الحسن- أوصى أن يُكتب على قبره، شعر:
يا كثيرَ عمَّنْ كثرَ الذنبُ لديه جاء المذنبُ يرجو العفو عن جُرمِ يَدَيْهِ

أنا ضيفٌ وجزاءُ الضيفِ إحسانٌ إليه والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع
والمآب، ونسأله تيسير الحساب، وإجزال الثواب، إنه الكريم التواب، وليكن هذا آخر
الكتاب ولله المنة والحمد، وهو المحسن الوهاب
قال مؤلفه رحمه الله وتغمده برحمته:

فرغتُ من تدوين هذا الشطر الثاني في شهر رمضان المعظم قدره، فهو من
شهور سنة سبع وسبعين وسبعمائة - ١٣٧٥م - ، أحسن الله العاقبة بمنه وكرمه .
الحمد لله وحده قال: وأجزتُ لكل وقف على نسخة معتمدة من هذا الكتاب أن يروي
عني هذا الكتاب، وجميع ما لي من منظوم ومنثور ومؤلف (١٨٢أ) وفقه وحديث
وغير ذلك، وإن لم يأخذه عن شيخ، وذلك بشرط أهليته وصدقته، فالله الموفق لنا
ولهم، الحمد لله خير الوارثين، وصلاته أكمل صلاة وأكمل سلام وتحية على سيد
الخلق وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم، ورضي الله عن أصحاب
رسول الله أجمعين، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب المبارك مستهل شهر شعبان المكرم من
شهور سنة ثمان وسبعين وثمانمائة^١ أحسن الله عاقبتها بمحمد وآله، والحمد لله رب
العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وصل على سيدنا
وعلى آله وصحبه .

^١ - الموافق ٢١ كانون الأول سنة ١٤٧٣م .


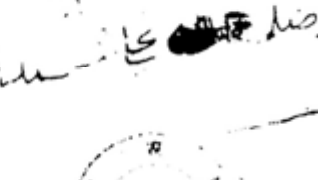
احسن ما يجي له وقع التبراع ببغداد بين اهل السنة والشيعة في
المفاضلة بين ابي بكر ورضي الله عنهما فترجى الكل بما يجيب به
الشيخ ابو الفرج فاقا ما شخصاً سأل عن ذلك وهو على الكعبة
في مجلس وعطه فقال لسا فضلها من كانت بنته تحتها وبول
في الحال حتى لا يراجع في ذلك فقال لسا لسه هو ابو بكر لان بنته
تحت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت الشيخة هو عثمان لان فاطمه
تحت وهذا من لطايف الاجوبة ولو حصل بعد الفكر اتقان وامعان
التفكر لكان في غاية الحسن فضلا عن البديهة وله محاسن كثيرة
يطول شرحها ولد تقربا سنة ثمان وقيل عشرين
وخمس مائة ويروي ليه النجعة ثاني عشر شهر رمضان سنة
سبع وتسعين وخمس مائة ببغداد وودع في باب حرب
في اربع وثلاثين والذوق هو الحسن سنة اربع
عشرة وقالت الواكدة كان في شهر المحرم ثلث سنين
وكان ابوه يعمل الصفر من نهر النيل في ثلاث اعين ناله
وامتهان بل لطلب الخلال وفي سنة تسعة عشر سنة
وورعه رحمه الله عليه في سنة ثمان وخمسة من
بعض المجاميع انه تغير ابا الحسن اوجه ان يكتب على قبره شعرا
• يا كثير عن كثير الذنب •
• حال المذنب يرخو العفو عن جرم يديه •
• انا ضيف وجزا الضيف احسان اليه •
والله تعالى اعلم بالصواب • واليه المرجع والمآب •
وسأله تيسر الخباب • واحزاب التواب •
انه الكرم التواب • وليكن هذا اخر الكتاب •
ولله المنه والحمد وهو الحسن الوهاب •
قال مولفه رحمه الله وتعمد برحمته فرغت من تدوين
هذا الشطر الثاني في شهر رمضان المعظم قدره فهو من جملة سبع وتسعين
احسن الله العاقبة منه وكرمه الحمد له وحده في اربع وتسعين
لكل من وقف على نسخة معتمد من هذا الكتاب ان يروي عينه
هذا الكتاب وجميع ما ياتي من منظوم ومنثور ومولف

الصفحة ما قبل الاخيرة من المخطوطة


وفقه وحديث وغير ذلك - وان لم يأخذ عن شيخ وذلك
 شرط علميته وصدقه والله الموفق لنا ولهم الحمد سبحانه والوارثين
 وصلاة الاصلاح واكمل سلام وتحيه على سيد الخلق وحامه النبيين
 وعيالده وصحبه والتابعين وسلم وزعم الله عن اصحاب رسوله
 اجمعين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

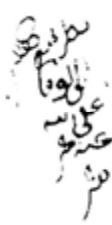
•• وكان الدفاع من كتابه هذا الكتاب ••
 •• المبارك مستهل شهر شعبان ••
 •• المكرم من شهر سنة ••
 •• ثمانين ••

احسن استعانة بحمد الله ونعمائه والحمد لله رب العالمين
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

وضد  على يد 

لسيدنا علي بن ابي طالب وصحبه





الصفحة الاخيرة من المخطوطة

فهرست الأعلام

- ابراهيم (من اصحاب احمد بن الحسين
الأعزب) ١٨٠ - ١٨١
- ابراهيم (من شيوخ بغداد) ٢٢٦
- ابراهيم بن احمد بن علي الازجي ٦٥
- ابراهيم الأعزب (الشيخ) ١٣٧
- ابراهيم البناء البغدادي ٢٨٢
- ابراهيم الحداد (الشيخ) ١٣٧
- ابراهيم بن خليل الخزرجي ١٦٠ -
١٦١
- ابراهيم السمين (ابراهيم اللك) ١٣٧،
١٨٢، ١٩٤، ٣٧٣ - ٣٧٦، ٣٩١
- ابراهيم بن محمد المقدسي ١٠٠
- ابراهيم بن محمد بن نصار البغدادي
٦٥
- ابو ابراهيم المزني ٢٨٢
- ابراهيم الهدمة الكردي (الشيخ) ٣٠٢
- ابراهيم بن يوسف ٢٦٢
- احمد بن ابراهيم الفاروئي ٢٢٠
- احمد بن ابي الغنائم ٣٣٤
- احمد الاسعري الاموي ٢٣
- احمد الاقرع ٢٣٦
- احمد البقلي اليماني (الشيخ) ٥٢، ٩٤،
١٣٥، ١٣٧، ١٥٣، ١٦١، ١٨٣، ٢٠٤،
- ٣٥٦ - ٣٥٨، ٣٩٠
- احمد بن جعفر (حليان) ٣٧٦
- احمد بن حسين الاعزب ١٨٠ - ١٨١
- احمد بن حنبل ١٤٥، ٢٤٣
- احمد بن داود ٣٠٦ - ٣٠٧
- أحمد الرفاعي (السيد) ٥٨، ٩٤، ٩٨،
٩٩ - ١٧٣، ١٧٤ - ١٨٠، ١٨١،
- ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٦ - ٢٢٧، ٢٣٣ -
٢٣٤، ٢٤١، ٣٥٩، ٣٦١
- احمد بن زكي الدين ١٨٣
- احمد بن الشيخ شريف البغدادي ٣٩١
- احمد بن علي بن ابراهيم البدوي ١٠٠
- احمد بن علي الجوسقي ٢٨٥
- احمد بن محمد السلمي ٢٧٤
- احمد بن محمد بن الشهاب ٢٣
- احمد المدني - احمد بن
المديني (الشيخ) ١٣٦، ١٥٦ - ١٥٧،
٣٣٥، ٣٣٩
- احمد المزين (الشيخ) ١٤١
- احمد بن مقاتل العكي ٢٧٣
- احمد بن يحيى بن بركة البزاز ٣٤٦
- احمد بن يوسف الأزجي ٢٢٦
- ابن ادريس الروحاني ٢٢١
- اسحاق بن احمد بن غانم ٣٣٨
- اسحاق بن بطو النهملكي ٣٢٤
- بنو اسرائيل ١٦٣، ٢٦٦
- اسعد بن ابي نصر الشافعي ١٢١،
١٢٦، ١٩٥
- اسماعيل بن احمد بن محمد بن
الشهاب ٢٣
- اسماعيل بن بركات الواسطي ٢٣٠
- اسماعيل بن محمد الخطابي ١٧٧
- اقبال (الشيخ) ١٣٨
- الاكراد - الكرد ٢٥، ٣٧ - ٣٩، ٧٦،
٧٩، ١١٨، ٢٠٨ - ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٤٣،
٣٥٦، ٣٦٥
- اكابر قوسان ٩٥

- اكمل بن مسعود الهاشمي ٢٩٨
- الياس الكردي (الشيخ) ١٣٩، ٢٩٨
- أمير يحيى (الشيخ) ١٤٠
- أموك السليمانى (الشيخ) ١٣٩
- اهل الجبل ٩٨
- اهل قوسان ٩٥
- اويس القرني ٩٦
- باولين - بادلين (الشيخ) ٥٧، ١٣٥، ٣٦٥
- بختيار (الشيخ) ١٣٨
- ابو البدر الهبدرجي -
- الهندرجي (الشيخ) ٩٩-
- ١٧٩، ١٣٥، ١٠٠، ١٨٠، ٣٦٢ - ٣٦٣
- ابو البدر بن يوسف التماثيلي ٣٩١
- بدر بن يوسف بن بدران ١٥١، ٣٠١ -
- ٣٠٤
- بدر بن يوسف بن يعقوب ٣٢، ٢٠٣، ٣٧٣
- بدران بن يعقوب بن مطر بن سالم ٣٠١، ١٥١
- برحياه (?) (الشيخ) ١٣٦
- برة بنت محمد ٣٩
- بركات بن مسعود التكريتي ٣٥٤
- البرهان (الشيخ) ١٤١
- بشر الحافي ١٤٥، ٢٤٣
- ابو بكر البنتي (الشيخ) ١٣٥، ٣٦٤ -
- ٣٦٥
- ابو بكر الزنهارة (الشيخ) ١٣٦
- ابو بكر بن محمد بن ريان الخضري ٢٨٣
- ابو بكر الهمداني ١٨١
- ابو بكر بن هوارة - ابو بكر
- الهواري (الشيخ) ٣٣، ٩٠، ٩٢، ١٨٠ -
- ١٨٢، ٢٠٩ - ٢١١، ٢١٨ - ٢٢٠
- ٢٣٧، ٢٤٠ - ٢٤٢، ٢٤٤، ٣١٠ -
- ٣١٢
- بيبرس (الملك الظاهر للملوكي) ١٦٧
- البيون (قبيله كردية) ٣٦٥
- ابن التبريزي ١٦٧
- ابو تراب ١٠٤ - ١٠٦
- تكين (الشيخ) ١٤١
- تمام بن أحمد العلي ٣٣٨
- تميم الحلاوي (الشيخ) ١٣٩، ٢٩٥
- توما التبروي ٩٨
- ثابت (الشيخ) ١٤٠
- جابر الأنصاري ٣٣، ٢١٣
- جاكير - محمد بن رستم الكردي
- النرجسي ١٢٢ - ١٢٤، ١٣٩، ١٤٥ -
- ١٤٦، ١٩٦، ٣١٣، ٣٥٦ -
- جامع (الشيخ) ١٤٠
- جبرائيل التكنة (?) (الشيخ) ١٣٨
- الجعد بن درهم ٤٠
- ابو جعفر ٢٧٥
- جمال الدين البلخشي ٩٣
- الجنيد البغدادي ١٤٥، ٢٤٣
- ابن الجوزي ١٢٧، ١٨٨، ٤٠٥ - ٤٠٦
- ابو الحارث الاولاسي ٢٨٠
- الحافظ العلاني العبدي ٣٩
- ابو الحجاج المصري (الشيخ) ١٣٩
- ابو الحديد (الشيخ) ١٣٩
- حذيفة بن اليمان ٣٢٢
- الحسن بن احمد البغدادي الخفاف

- ١٦٦ ، ٣٢٠ ، ٣٩٠ - ٣٩١
- الحسن بن احمد بن قوفا الحريمي
٣٤٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٣
- ابو الحسن (الشيخ) ١٤١
- الحسن بن بدر بن علي البغدادي ٢٣٤
- ابو الحسن بن الجوزي ٥١ ، ١٢٦ -
- ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٩٥
- الحسن الجوسقي ٣٨٥ - ٣٨٦
- الحسن بن علي النهلمكي التنوخي
٣٨٦ ، ٤٠٢
- الحسن بن موسى المخرمي ٣٣٩
- الحسن بن النجيم ٣١٧ ، ٣٨٠
- الحسن بن يحيى بن هلال ٢٨١
- حسين الراعي (الشيخ) ١٣٧ ، ١٥٤ ،
١٨٢ ، ٣٦٧ - ٣٧٢ ، ٣٧٢
- حسنية - حسينة (زوجة ابو الوفا) ٤٥
٧٥ ، ١٠٩ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ ،
- الحلبي ٢٢٢
- حمزة بن عبدالله العباداني ٢٤٥
- حميد - حماد الدباس ١٩١ ، ٣٧٠
- حميد الصوفي (الشيخ) ٧٢ - ٧٣ ،
١٣٥
- حميد الدين بن شريك ١٨٣
- ابن خلكان ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٣
- الخليل بن أحمد الصرصري ٢٤٢ ،
٢٩٩ ، ٣٢٥ ، ٣٩١
- الخليل بن صالح الزيراني ٣٢٣
- الخليل بن عبدالرحمن الطسفونجي
٢٥٥
- خليفة بن خلف البعقوبي ٣٩٠
- خليفة الزولي ١٠٣
- خليفة (الشيخ) ١٣٨
- خليفة بن موسى النهر ملكي ٣٣٥ ،
٤٠٠ - ٤٠٤
- ابن خميس الموصللي ٢٣
- داود بن عبد الحافظ بن محمد بن بدر
بن يوسف ٣٠٤ - ٣٠٦
- داود بن نصر بن ابو الحسن ٣٨١
- داود ٨٨
- ابن درستويه (ابو عبدالله) ٢٥٦
- ذي النون - ذنون المصري ٣٣ ، ٢١١ ،
٢٦١ - ٢٩٣
- الرافضي القوساني ٥٦ ، ٨٣ - ٨٤
- رجب بن عمران الداراني الواسطي
١٦٦ ، ١٨٢ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٥٥ ،
٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢
- رجل علوي - العلوي ٨٣
- رجل مغربي ٩٩
- رجل يهودي ٨٥
- رجلان من ماردين ٨٦
- رزق الله بن محمد بن احمد ٢٢٦
- الرس - الرش (?) ٣٧٦
- رشيد الدين محمد الشافعي ١٦٩
- رضوان (الشيخ) ١٤٠
- رمضان المجنون (الشيخ) ٥٧ ، ٦٠ ،
١٠٣ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ،
١٨٢ ، ١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٣٥٨ - ٣٦١
- روح الزعفراني (الشيخ) ١٣٩
- ريحان (الشيخ) ١٤٠
- ريحانة (ست البهاء) ٣١٨ - ٣١٩
- الزبير (ابو عبدالله) ٢٥٥ - ٢٥٦
- زكريا الساحي ٢٥٥

- زكريا (الشيخ) ٣٦١
- الزكي (الشيخ) ١٣٨
- زيد بن علي ١٦٠ ، ٢٠٧ ، ٢١٣
- زيد بن عمر ١٤٠
- زين العابدين بن الحسين بن علي ٣٣ ، ١١٩ ، ١٦٠ ، ١٨١ ، ٢١٢ - ٢١٥
- ابو الزين اللر (الشيخ) ١٣٦
- زينب ٢١١
- سالم (أخي ابو الوفاء) ٢٤ ، ٤٥ - ٤٦ ، ١٨٢ - ١٨٣ ، ٢٠٥ - ٢٠٨ ، ٢١٠ - ٢١١
- سالم العجمي ١٠٣ ، ١٨٢
- سالم بن علي الدمياطي ١٦٦ ، ٢٢٥ ، ٣١٧
- سالم المغربي ٢٦٤ ، ٢٧٦
- سبط ابن الجوزي ٢٣
- السري السقطي ١٤٥ ، ٢٤٣
- سعدون ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابو السعود العطار ١٦٦ ، ٣٢٢
- سعيد بن عثمان ٢٦٣ ، ٢٦٦
- ابو السعود المخرمي ٤٠٢
- ابو السعود المدلل ٣٤٠
- ابو سعيد (صاحب التستري) ٢٥٥ - ٢٥٦
- ابو سعيد القيلوي (الشيخ) ١٣٨ ، ٢٢٤ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ - ٣٤٠ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ٣٩٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢
- ابو سعيد بن ماجش ٢١٨ ، ٢٢١
- سلامة (الشيخ) ١٤٠
- سلامة بنت يزجرد ٢١٣
- سلطان بخارا ٤٠ - ٤١
- سفيان الثوري ٢٨٦
- سلمان البادراني (الشيخ) ١٣٦
- سلمان بن ماجد الكردي ٣٤٤ - ٣٤٥
- سلمان الكحال (الشيخ) ١٣٩ ، ٣٦٣
- سلمان الفارسي ٣٢٢
- السلمي ٢٦٠
- سليمان الرديني (الشيخ) ١٤٠
- سهل التستري ٣٣ ، ٢٠٩ ، ١٨١ ، ٢٤٣
- -- ٢٦٠
- سيف الدولة صدقة بن منصور
- المزيدي ١٠٧ ، ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٥٠
- الشبلي ١٤٥
- شبيب (الشيخ) ١٤٠
- شرف الدين ابو العباس (الشيخ) ١٣٥ ، ١٣٧ - ١٥٣ - ١٥٤
- الشطنوفي ١٧١ - ١٧٢
- شمس الدين بن عبدالله الأزجي ١٨٣
- شمس الدين محمد المقدسي ٢٣٨ - ٢٣٩
- شمس بن داود بن عبدالحافظ ٣٠٦
- شمس بن محمد المقري ١٦١
- الشنابكة - الشنبيكية ٢٢٣
- الشنبكي (الشيخ ابو محمد طلحة) ٢٥ ، ٢٧ - ٣٣ ، ٤٠ - ٤٢ ، ٩٥ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١١٥ - ١١٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩ - ١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ - ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ - ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٣١٢
- الشهاب بن عقيل ٨٥ - ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٣٦
- شهاب الدين الشهرزوري ٣٩١

- شهاب الدين عمر السهروردي ٩٢ ، ١٨٥ ،
١٩٨ ،
- شهاب الدين الواسطي (مؤلف الكتاب)
٢٠٥ ، ٢١
- شهريان بنت يزيد جرد ٢١٣
- شيخ بزین - بزین (الشيخ) ١٤٩ - ١٠٥
- شيخ القنطرة ١٠٤
- الصارم (الشيخ) ١٣٦
- صالح بن الحسن بن احمد الانصاري
٣٢٦
- صالح بن يعقوب بن حمدون البعقوبي
٣٩٤
- صالح بن يوسف بن عجلان الغساني
٣٣٤
- صدرالدين عبد الأحد الصيداوي ١٦٠
- صفا (الشيخ) ١٤٠
- الصفوي - الصفدي ١٧٦ - ١٧٧
- صلاح الدين البلوي (الشيخ) ١٣٨
- ابو طالب بن نجيب ١٠٤
- ابو طالب (الشيخ) ١٤٠
- ابن الطحان ١٧٧
- طرخان (الشيخ) ١٤٠
- طلحة بن مظفر العلي ٣٣٨
- طه بن محمد بن خالد الحلواني ٢٩٧
- عائشه بنت ابي بكر ١٠٦ ، ٢١٣
- ابو العباس الخواص ٢٥٣
- عباس بن سليمان بن ماجد الكردي
٣٤٤
- العباس بن عبد المطلب ١٧٢
- العباسيون ١١٣
- عبد الأحد القيسي ٧٥ - ٧٦
- عبد الاول بن أسد بن حسن ٢٣
- عبد الأول بن شيخ المدرس ١٩١
- عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي ٢٩٨
- عبد الحميد بن معالي الفراتي (ابو
الفرج الصرصري) ٣١١ ، ٣٣٧ - ٣٣٩
- عبد الرحمن بن أحمد القرشي
المنصوري ٢٣٠
- عبد الرحمن بن ثوبة بن ابراهيم
الصدريقي ٢٢١
- عبد الرحمن بن جيش ٣٨٣ ، ٣٨٦
- عبد الرحمن بن سالم القرشي ٢٢٥ ،
٢٣٣
- عبد الرحمن الطسفونجي ٦٥ ، ٨٦ ،
١٠٨ ، ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ،
- ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ -
٣٢٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩٠
- عبد الرحمن بن عمر الواعظ (ابن
الغزال) ٣٤٣
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع
الهاشمي ٢٢٦ ، ٢٣٠
- عبد الرحمن الملوي ٢١١
- عبد الرحيم بن مظفر القرشي ٣٩٥
- عبد الرشيد (الشيخ) ١٤١
- عبد السلام بن عبدالله القطفتي ٣١٨ -
٣١٩
- عبد السلام بن عبد الوهاب ٢٢٦
- عبد السميع بن عبدالله الهاشمي
الواسطي ٢٣٠
- عبد السميع القرشي (الشيخ) ١٣٥ ،
١٥٣
- عبد الشديد (الشيخ) ١٢٨

- عبد الصمد(الشيخ) ١٤١
- عبد الصمد (من اصحاب ذنون
المصري) ٢٧٩
- عبد المنعم الباذرائي ٣٦٢
- عبد النور بن أبي الفيض ١٨٤-١٨٥
- عبد النور الكوفي ١٩٤
- عبد الهادي الواسطي (الشيخ) ١٤١
- عبد الواحد بن صالح بن يحيى القرشي
٣٤٣
- عبدالواحد المقري (الشيخ) ١٤١
- عبد الواحد النعيمي ١٨٣
- عبد الولي (ابن اخ علي بن ادريس
البعقوبي) ٣٧٨
- عبدل باوركان(؟)(الشيخ) ١٣٨
- عتبة (الشيخ) ١٣٨
- عثمان بن سليمان القصر ٣٩١
- عثمان الصريفي ٣٢٠ ، ٣٣٤
- عثمان بن عفان ٥٦- ٨٤
- عثمان بن مروزه (مرؤة) البطائحي
٢١٨ ، ٢٣٢- ٢٣٦
- عثمان الملاح المعبراني - العبراني
(الشيخ) ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٨٢
- عثمان بن نصر بن نصار البغدادي ٦٥
٢٣٠ ،
- عدي بن مسافر الهكاري ٥٧- ٦٢ ،
١٠٨- ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ،
١٨٢ ، ٢٠٤ ، ٣٧٠- ٣٧١
- العرب - العريان ٩٢- ٩٥
- عريض - العريضي - العريضي الاكبر
٣٢ ، ١٨٢ ، ٢٠٧- ٢١١
- ابو العز القلانسي (الشيخ) ١٣٥ ، ١٥٣
٣٦٣- ٣٦٤ ،
- عبد الصمد بن احمد الهاشمي الكرخي
٢٩٩
- عبد الصمد النطنزي ١٨٥
- عبدالعزيز(الشيخ) ١٤١
- عبد العزيز البقلي(الشيخ) ١٣٩
- عبد العزيز الفريضي(الشيخ) ١٣٦
- عبد الغالب بن احمد الهاشمي ٢٩٩
- عبد الغنى بن ابي بكر بن لطفه (؟)
٣٢٤
- عبدالقادر بن جيش ٣٨٦
- عبد القادر بن عثمان البرداني ٢٣٤
- عبد اللطيف بن اسماعيل النيسابوري
٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١
- عبد اللطيف بن محمد البغدادي ٢٣٤
- عبد اللطيف المطرز البغدادي ٣٩١
- عبدالله بن أحمد الهاشمي القيلوي
٢٤٣
- عبدالله الرياني ١٨٢
- عبدالله بن صالح ٢٥٥
- عبد الله الصامت (الشيخ) ١٤٠
- عبدالله بن محمد الأزجي ٢٢٥ ، ٣٢٥
- عبدالله بن محمد بن القائم (الخليفة
المقتدي) ١٣٣ ، ١٨١
- عبدالمجيد الأزجي ١١٥
- عبد المحسن(الشيخ) ١٤١
- عبد المحسن بن عبد الحميد الحسيني
الأربلي ١٦٨
- عبد المحمود البقال (الشيخ) ١٣٨

- ابو العز النهرملكي ٢٩٥
- عزاز بن مستودع البطائحي ٢١٨ ،
٢٢١ ، ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ،
- عسكر الشولي الصراخ (الشيخ) -٧٣
٧٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٨٢ ،
١٩٢
- ابو عصمة ٢٦٩
- علاء الدين علي بن منجج بن يعقوب
١٩٠
- العلائي العبدي (الحافظ) ٣٩
- علان (الشيخ) ١٣٦
- العلوي - رجل علوي ٨٣
- علي (ابن اخت الرفاعي) ٢٢٦
- علي بن ابي بكر الأزدي ٢٤٢
- علي بن ابي طالب ٥٦ ، ٨٤ ، ٨٦ -
٨٧
- علي بن أحمد بن داود ٣٠٧ - ٣٠٨
- علي بن أزدمر (ابو الحسن) ٣٩٥ ، ٤٠١
- علي بن الاستاذ ١٣٥ - ١٥٤ - ١٥٥
- علي بن الأصفر (الشيخ) ١٣٥ ، ١٥٤
- علي بن ادريس البعقوبي ٦٥ - ٦٦ -
٦٩ - ١٣٩ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٦ -
١٦٩ - ١٩٣ - ٢٠٣ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٧ - ٣١٩ -
٣٣٣ - ٣٥٥ - ٣٧٣ - ٣٧٨ - ٣٨٠
- ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩٢ - ٣٩٤ -
٣٩٦ - ٤٠١ - ٤٠٤
- علي بن برغوش الشيرازي ١٨٥
- علي الجوسقي (ابو الحسن) ٣١٢ -
٣١٧ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٨٠ - ٣٨٥ -
٣٨٠
- علي بن الحسن بن يعقوب الحميدي
السامري ٣٥٣
- علي بن الحسين ٤٧ ، ٢١٣ - ٢١٥
- علي روستان (الشيخ) ١٣٨
- علي بن سليمان الخباز ١٦٦ ، ٢١١ ،
٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٣١١ - ٣١٢ ، ٣١٧ ،
٣٨٥ - ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠١
- علي بن عبدالرحمن الياسري ٣٣٤
- علي بن عبدالله الأبهري ٢٣٥ ، ٤٠٢
- علي العجمي ٤٣ - ٤٥ ، ١٨٢
- علي الفراتي ٣٣٥
- علي بن محمد بن وضاح الشهرستاني
٢٣٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤
- علي بن نعيم ٣٦٠
- علي الهاري - الهكاري (الشيخ) ١٣٩
- علي الهويدي (الشيخ) ١٤٠
- علي بن الهيتي (الشيخ) ٤٨ ، ٥٧ -
٥٨ ، ٦٠ ، ٦٥ - ٦٦ ، ٦٩ ، ١٠٢ -
١٠٣ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ -
١٥٨ ، ١٦٦ - ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٩٣
٢٠٢ ، ٢٠٣ - ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨ ،
٢٤٠ ، ٣١١ - ٣١٢ ، ٣١٥ - ٣٢٣ ،
٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٣٥٥
٣٦٩ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٣٧٧ - ٣٧٩
٣٨٢ ، ٣٨٥ - ٣٨٦ ، ٣٨٩ - ٣٩٠ ،
٤٠٥ ،
- علي الواعظ البغدادي ٣١١
- ابو علي بن وصيف المؤدب ٢٥٢
- علي بن يحيى الأزجي ٣١٩ - ٣٢٣ -
٣٨٠

- علي بن يوسف التميمي ٢٩٨
- عمر البريدي ٣٨٦
- عمر بن الخطاب ٥٦ - ٨٤ - ١٧٧
- عمر الدوراني (؟) ٣٨٦
- عمر بن ابي الخير سعد القيلوي ٣٣٧ ، ٣٣٩
- عمر بن سعد بن أبي سعد بن ماجش ٢٤٣
- عمر بن شيركو بن ابي العماد النرجسي ٢٠٨
- عمر الكراوي (الشيخ) ١٣٩
- عمر الكميماتي ١٦٦ ، ٣١١
- عمر بن مزاحم الزيدي ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٠
- عمر بن مصدق الربيعي ٢٣٢
- عمر المكي ١٤٧ - ١٤٨
- عمر اليزدي ٢٢٥
- عوض بن سلامة الغراد ٢١٩
- عيسى البدوي ١٠٨
- عينا خاتون ٧٢ ، ١٤٢ ، ١٨٢ ، ١٩٢
- غانم (أخي أبو الوفا) ١٨٢
- غراب (الشيخ) ١٣٩
- الغرز - غرس الدين بن أحمد بن جاكير الكردي ٣٥٤
- الغزالي ١١٤
- غفرون النهر ملكي (الشيخ) ١٣٩
- أبو الغمام (الشيخ) ١٤٠
- ابو الغيث بن رباح الاسدي ١٦٣ - ١٦٥
- ابن الفارض ٣٥٧ - ٣٥٨
- فاطمة (والدة ابو الوفا) ٢٠٨ - ٢٠٩
- الفتح بن سخراف (؟) ٢٧٥
- ابو الفتح الواسطي ٢٢٥ ، ٢٣٣
- ابو الفرج عبدالخالق ٣٧٨
- فرج المقبور (الشيخ) ٣٦٠ ، ١٣٦
- الفرنج ٩٩ ، ٣٠٩
- فضل بن عبد الرزاق الكيلاني ٣٣٣
- ابوالفضل الوسطي ٨٧ - ٨٨
- ابو الفيض بن محمد الانصاري ١٦٠
- فقير (من فقراء تاج العارفين ابو الوفا) ٩٣
- القائم بأمرالله ١٢٢ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٣٣
- القادر بالله العباسي ١٢٢ ، ٣٥٦
- قازان - غازان ١٥٠ - ١٥٢
- قطب الدين الرازي ١٨٣
- قطب العارفين (الشيخ) ١٣٨
- قيس البدوي ١٠٠ ، ١٠٢ - ١٠٣
- ابن كردية (ابو الوفا) ١٠٤
- ابو الكرم المعمر الباذرائي ٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٩٠ ،
- كرم بن مطر بن سالم ٢٩٩
- كسرى انوشيروان ١١٤
- كلثوم - ام كلثوم ٢٠٨ - ٢٠٩
- لطف الله (أمير عرب عبادة) ٩٣
- لنكين - لنكر (؟) (الشيخ) ١٤٠
- ماجد بن الحسن الحميدي الروحاني ٣٩٠
- ماجد الكردي ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٩ - ٦٠ ، ٧٦ ، ٨٨ - ٩٠ ، ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٧٩ - ١٨٢ ، ٢١٩ ، ٣٢١ ، ٣٤١ - ٣٥٠ ، ٣٧٥
- ماجد بن محمد بن خالد الحلوي ٢١٩

- مالك بن قاسم ٢٥٥ -
 - المبارك بن أحمد البغدادي ٣٨١ -
 - ٣٨٢
 - المبارك بن علي الجميلي ٣٣٦ -
 - محفوظ (الشيخ) ١٤٠ -
 - محمد الأسود (الشيخ) ١٤٠ -
 - محمد البهاء بن أحمد بن داود ٣٠٧ -
 - ٣٠٨ -
 - محمد بن أحمد السميساطي ٢٦٥، ٢٦٦ -
 - محمد بن أحمد المدني ٣٣٥ ، ٣٣٩ -
 - محمد بن أحمد الهذلي الأزجي ٦٥ -
 - محمد بن بلغيضا (؟) (الشيخ) ١٤١ -
 - محمد التركماني ٤١ ، ٧٢ ، ١٣٥ ،
 - ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٨٢ ، ١٩٢ -
 - محمد بن الجلا (ابو عبدالله) ٢٨٠ -
 - محمد بن الحسين الجوهرى ٢٨١ ،
 - ٢٨٥ ، ٢٨٧ - ٢٨٨ -
 - محمد بن حيه (؟) (ابو عبدالله) ٣٣ -
 - محمد بن خضر الحسيني الموصلى ٣٤٠ -
 - محمد الرياني ١٨٢ -
 - محمد بن رستم النرجسي (جاكبر
 الكردى).
 - محمد بن زيد التميمي ٢٩١ -
 - محمد بن سوار ٢٤ -
 - محمد الطير ٣٠٥ -
 - محمد بن عبادة الأنصاري ٢٢٢ -
 - محمد بن عبدالله (ذعيدع) ١٧٥ -
 - محمد بن عبدالله النطفي ٣١٧ -
 - محمد بن عبدالرحمن الطسفونجي ١٥٢ -
 - محمد بن علي البغدادي ٣٤٣ -
 - محمد بن علي التوحيدي ٣٩١ -
 - محمد بن علي الرصافي السبتي ٣٩٠ -
 - محمد بن علي القندي ٣٣٦ -
 - محمد بن عوض بن سلامة الغراد ٢١٩ ،
 - ٢٩٧ ،
 - محمد بن عيسى بن عبدالله الارزي ٣٤٤ -
 - محمد القادري (جاكبر الكردى) ١٢٢ -
 - ١٢٤
 - محمد بن قايد ١٦٨ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ -
 - محمد القلانسي (الشيخ) ١٣٥ -
 - محمد الكامخاني (الشيخ ابوبكر) ٨٨ ،
 - ٩٧ - ٩٨ ، ١٣٥ ، ١٨٢ ، ١٩٨ ،
 - محمد الكوراني ١٧٥ -
 - محمد اللبثاني ٥٩ ، ١٠٩ - ١١١ -
 - محمد بن محمد بن وضاح الشهراباني ٦٥ -
 - محمد المصري ١٣٥ ، ١٦٩ - ١٧١ ،
 - ١٨٢
 - محمد المقدسي ٣٢٠ ، ٣٩٤ -
 - محمد بن النخال المقرئ ١٦٦ -
 - محمود الجبلي - الجبلي (الشيخ) ١٤١ -
 - محمود الكيال (الشيخ) ١٣٥ -

- محي الدين ابو العباس
المنديليجي (الشيخ) ١٣٦
- المخزومي ١٦٧ ، ٣٧٠
- مرجان الطواشي ٩٤ - ٩٥
- مروان بن محمد الأموي ٤٠
- المستظهر بالله العباسي ١١٢ - ١١٣ ،
١٣٣ - ١٣٤
- مسعود الحارثي ٣٨٦
- مسعود الخادمي ٣١٨
- مسعود السلجوقي ٣٤٧ - ٣٤٩
- مسلم - ابو مسلم (خادم ابو الوفا)
٩٧ - ٩٨
- ابو مسلم المكي (الشيخ) ١٤٠
- المسيب بن واضح ٢٨٦
- مصحف (الشيخ) ١٤٠
- مطر بن سالم (ابن أخي أبو الوفا) ٢٤
- ٢٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٩٦-٩٧ ،
١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ،
٢٠١ ، ٢٩٥ - ٣٠٠
- المطيع لله العباسي ١٣٣
- مظفر بن سالم (مطر) ١٨٠
- معتوق (الشيخ) ١٣٨
- معتوق بن رضوان النهركلي ٣٩٠ .
- معروف الكرخي ٥٢ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ،
٢٤٣
- مفلح الخادم (الشيخ) ١٣٨
- مقدار الشيخ ٧٧-٧٨ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ،
١٨١
- مقدار (الشيخ) ٧٧ - ٧٨ ، ١٣٦ ،
١٤٠
- مقدم (الشيخ) ٧٧ ، ٩٨ ، ١٤٠
- مقدم بن صالح البطائحي ٢٣٥ ، ٢٤١
- مقبل الخادم ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ،
٢١٣
- مكارم بن الخليل المنصوري البصري
٢٣٠ ، ٢٤٣
- مكارم النهرخالصي (الشيخ) ١٣٩ ،
٢٢١ ، ٣٠٠ ، ٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٨٨
- مكي البطماني - البطسماني ١٠٤
١١٠ - ١١١
- مكي الدهلكي (الشيخ) ١٣٩
- منجج بن يعقوب بن مطر ٥١ ، ٨٧ ،
٩٣ - ٩٥ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ٣٠١
- منجك (نائب الشام) ٣٠٧
- ابو المنذر بن سعيد ٣٩١
- منصور البطائحي (الشيخ) ٥٨ - ٦٢
١٠٣ - ١٠٤ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ٢١٨ ،
٢٢٠ ، ٢٢٣ - ٢٢٦ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ ،
٢٤١ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ - ٣٧٢
- المنصور بن مبارك الوسطي (جرادة)
٣٤٠
- منصور بن عمار ٢٤٣
- منصور الكيمياتي (الشيخ) ١٣٨
- المهدي بن تومرت ١١٣
- مواهب البطائحي ٢١٨
- موهب البطائحي ٢١٨
- موسى الزولي ١٠٢
- موسى الكاظم ٢١٢
- موسيان (الشيخ) ١٣٨
- ناصر بن فايد الأواني ٣٤٠

- بنو نرجس - النرجسية ٣٧ ، ١١٨ ، ٢٠٨
- النصارى ٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٩
- نصرالله بن عبدالله الأنصاري ٣٢٦ - ٣٣٣ ، ٣٢٧
- نصر بن رضوان الداراني ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
- ابو نصر السراج ٢٥١
- نصر بن عبدالرزاق الكيلاني ٣٨٢ ، ٣٩١
- ابو نصر الكرمانني (الشيخ) ١٤١ ، ٣٦٦ - ٣٦٧
- نعمان بن موسى الحبري ٢٧٥
- ابو نعيم الأمدني (الشيخ) ١٤٢ ، ٣٦٥
- نورالله بن يوسف بن خليل الأزجي ٣٤٠
- نورالدين علي بن أبيك الأقفهسي ١٦٠
- ابو الهاشم (الشيخ) ١٤١
- هبة الله بن عبدالله المنصوري ٣٢٠
- هبونا (الشيخ) ٥٧ - ٥٨ ، ٦٠ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ٢٠١ ، ٣٦١ - ٣٦٢
- ابن هبيرة ٨٥ ، ٣٢٧
- هشام بن عبدالملك ٢١٢
- الهواريين - الهوارية ٢٤٣
- ابو الوفا تاج الدين محمد بن علي بن داود ٢٤ ، ٣٣
- ابو الوفا الكبير (والد تاج العارفين ابو الوفا) - محمد بن محمد العريضي - ٣٢ ، ٣٨ ، ٢٦٠
- الوليد بن يزيد ٢١٢
- ابو الوليد ١٧٩
- اليافعي ٢٣
- يحيى بن محفوظ البغدادي (ابن الديبقي) ٣٨٧ ، ٤٠٤
- يحيى بن محمد الدوري ٣٣٣
- يحيى بن يوسف الصرصري ١٥٧ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ - ٢٣٩ ، ٣١٥ ، ٣٩٠ - ٣٩٥ ، ٣٩٧
- ابو يزيد (الشيخ) ١٠١
- ابو يزيد-بايزيد البسطامي (الشيخ) ٨٩ - ٩٠ ، ١٠١ ، ٢٦٧
- يعقوب (الشيخ) ١٤١
- يعقوب بن الليث ٢٤٩
- يعقوب بن مطر بن سالم ٨٧ ، ٣٠٠ - ٣٠١
- يوسف بن أسباط ٢٨٦
- يوسف الأسدي ١٠٤
- يوسف بن اياس البعلبكي ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
- يوسف بن بدران ١٥١
- يوسف البطائحي (الشيخ) ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٥٤
- يوسف بن تاشفين ١١٣
- يوسف بن الحسين ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ - ٢٨٦
- يوسف بن عمر ٢١٢
- يونس (الشيخ) ١٤٠

فهرست الأماكن

- أخميم ٢٨٢
- أرض السيب ٩٢
- أرض مرغى - مرغا - مهركه ٣٨ ،
٢٠٩-٢١٠ ،
- أرم - أورميه ٣٦٥
- الاسكندرية ٢٢٥ ، ٢٣٣
- افريقية ١٣٣
- الأندلس ١١٣
- باب الأزج ٣٤٠ ، ٣٩١
- باب حرب ٤٠٦
- باب نوس ٣٣٣ ، ٣٣٥
- باذراي - بادرايا ٤٦ ، ٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
٣٦٦ ، ٣٦٣ ،
- بخارا ٤٠ - ٤١
- بريرا (قرية) ٣٠٦
- البصرة ٨٠ ، ١٣٨ ، ١٨١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤
- البطائح ٥٨ ، ٨٣ ، ٩١ ، ١٧١ ، ٢١٩ ،
٢٢٦ - ٢٣٤ ، ٢٤٠ - ٢٤٣ ، ٣٦٠ ،
٣٨١
- بعقوبا ١٥٧ ، ٣٧٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ -
٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٤
- بغداد ٥٠ ، ٨٥ ، ١٢٠ ، ١٣٣ - ١٣٤ ،
١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٥ - ١٥٦ ،
١٦٦ - ١٦٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ -
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ،
٣٢٧ - ٣٢٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ ،
٣٨٢ ، ٣٩١ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥
- بلاد الجبل ٣٨٣
- بلاد نجيل ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٨٨
- بلاد السواد ٤٠٤
- بلاد الصعيد ١٧٧
- بلاد العجم ٣٢١ ، ٣٦٦
- بهندف ٦٨ - ٦٩ ، ٣٦٣
- بيت المقدس ٢٤ ، ٨٧ - ٨٨ ، ٢٥٣ ،
٢٦٦
- تبريز ٣٦٥
- تربة احمد بن حنبل ١٢٤
- تستر ٢٤٥ ، ٢٥١
- تيه بني اسرائيل ٢٦٦
- جامع الرصافة ٤٠٣
- جبال انطاكية ٢٦٥
- جبال نابلس ٨٧
- جبل (مدينة) ١٢٠
- جبل حميرين ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٧٧
- جبل قاف ٥٣ ، ٩٨
- جبل لبنان ١٠٩ ، ٢٧٦
- الجوسق ٣٨٧ - ٣٨٨
- الجيزة ٢٨٣
- الحدادية ٢٩ ، ٤١ - ٤٢ ، ١٨١ ، ٢٢٠ ،
٢٢٣ ، ٢٣٥
- حلوان ١٤٠
- حمام الفأر ٢٨٣
- الخالص ٢٧٨
- خان جار - خانيجار ١٤٤
- خراسان ١٦٤
- خطا وختن ٣٦٥
- الخليل ٨٨ ، ٣٠٢
- دار وردان (مقبرة) ٢٢٦

- درب شوهان ٦٩
- دقالة (نهر) - ذقالة ٥٨ ، ٦٠ ، ٢٢٦
- دقالة (قرية) ٥٨
- دمشق ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٣٣٩
- رباط البعقوبي ٣٩٦
- رهمان ٣٦٨
- الروحاء ٣٩٥
- زباله ٤٦ ، ٢٠٨ ، ٢٩٩
- زرزان (?) ١٣٨
- زيربان ٣١٧ - ٣٢١
- سامراء ٣٥٦
- سنجر (قرية) ٣٤٨
- الشام ٨١ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٣٢ -
١٣٣ ، ١٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٦٧ ، ٣٠٧ ،
٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨١
- شرفات - شرفات (?) ٣٠٤ - ٣٠٨
- شهرابان - شهرابان ٩٨ ، ٣٦٠
- صفى (قرية) ٦٩
- الصعيد ١٧٧
- الصين ٣٥٤
- ضريح الأمام علي ٨٦
- طسفونج ٣٢٤ - ٣٢٧ ، ٣٢٩
- عبادان ٢٤٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٨
- العراق ٢٧ ، ٣٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٨١ ،
٨٨ ، ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٧١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ،
٢٤٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣١٨ -
٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ،
٣٥١ ، ٣٨٨ - ٣٩٠ ، ٤٠٤
- عرفة ٧٧
- عسقلان ٣٠٦
- غزة ٣٠٦
- الفسطاط ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢٧٦
- القاهرة ٣٥٦
- قبة أحمد الرفاعي ٩٤
- قبة بن هوارا ٩١ - ٩٢
- قردا ٣٦٦
- قرية الشيخ عزاز ٢٢١
- قطفنا ٣١٨
- قرمت (قرية) ٣٩٥
- قليمينيا ٢٨ - ٢٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
٧٧ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٨ ،
١٠٥ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ،
١٧٨ - ١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢٢٥ ، ٢٩٩ ،
٣٢٩ ، ٣٥٥
- قيلويه ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠
- قنطرة الرصاص ٣٥٦
- قوسان ٢٧ - ٢٨ ، ٤١ ، ٥٦ - ٥٧ ، ٦٧ ،
٧٢ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٩٤ - ٩٥ ،
١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ،
١٦٠ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٣٠١ ، ٣١٦ ،
٣٤٤ ، ٣٢٩
- قيوان الغرب ١٧٥
- كرمان ٣٦٦
- الكنيرية (?) ٤٣ - ٤٤ ، ٨٣
- الكوفة ٢١٢
- كيلان - بلاد الحجيل ١٦٥ - ١٦٦ ،
٣٥٩
- ماردين ٨٦
- المدرسة السيوفية ٣٥٦ - ٣٥٧
- المدينة المنورة ٢١٣ ، ٢١٥
- مدينة السيب ٩٦

- هكار - هكاري ٥٧ ، ٦٢ ، ٣١٧ ،
- ٣٧٦
- الهمامية ٢٤١
- الهند ١٥٥ ، ٣٨١
- الهياثم ٤٦ ، ٢٠٨ ، ٢٩٩
- واسط ٩٤ ، ١٠٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ - ٢٣٦
- ٣٥٤ ، ٢٤٢ ،
- وادي سنجار ١٠٢
- وادي غزالة ١٠٢ ، ١٥١ ، ٣٠١
- وادي النسور ٣٢ ، ٣٠١
- اليمن ٣٨١
- المريج (قرية) ٩٥
- مرغى - مرغا (راجع ارض مرغى)
- مرج باذرايا ٣٦١
- مصر ٧٠ ، ٧٢ ، ١٠٠ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥ ،
- ٣٠٧
- مشهد الكرخ ١٠٥
- المغرب ١١٣
- مكة ٥١ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٢٤٤ ،
- ٢٥٥ ، ٢٤٤
- الموصل ٢٧٥
- نهرزاب ٨٦
- نهر الملك ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٨٨ ،
- ٤٠٤ ،

الفهرست

- ٥ - مقدمة التحقيق
- ٢١ تذكرة المقتفين إثر أولي الصفا وتبصرة المهتدين لطريق السيد أبي الوفا
- ٢٧ - المقدمة
- ٣٧ - الباب الاول : في ارتحالاته وما حصل في حمل والدته به ووضعها إياه وتربيته وترويجه
- ٤٧ - الباب الثاني: في وصيته وكلامه ومقالاته
- ٦٥ - الباب الثالث : في مناقبه وكراماته ومكارم أخلاقه
- ١١٧ - الباب الرابع : في مواعظه وامتحاناته وأخذ جماعة من العلماء عنه، والصلحاء وأسماء خدامه، وبعض من تخرَّج أو تكمَّل به، أو رد حاله على يديه
- ١٧١ - الباب الخامس : فيما أثني عليه، وشيء من نظمه، وشيء مما نظم على لسان حاله، وشيء مما نظم فيه
- ٢٠٥ الشطر الثاني: من كتاب التذكرة في مناقب السيد الكبير الاعظم
- ٢٠٧ - الباب الاول: في مناقب والديه وبعض سلفه
- ٢١٧ - الباب الثاني: في ترجمة الشيخ الشنبيكي رحمه الله تعالى وبعض مشايخه وتلامذته مختصرا رحمهم الله اجمعين
- ٢٩٥ - الباب الثالث: في ذكر السيد مطر بن اخي السيد وبعض ذريته :
- ٣١١ - الباب الرابع: في مناقب بعض مريديه
- ٣٦٩ - الباب الخامس: في ذكر من بشَّره السيد وبشَّر به من الأولياء المشاهير ورضي الله عنه وعنهم أجمعين
- ٣٧٥ - الخاتمة



من منشورات الاكاديمية الكردية
أربيل ٢٠١٦

السعر: (٦٠٠٠) دينار